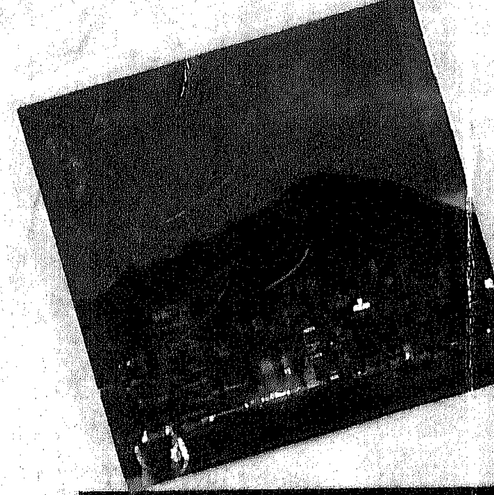
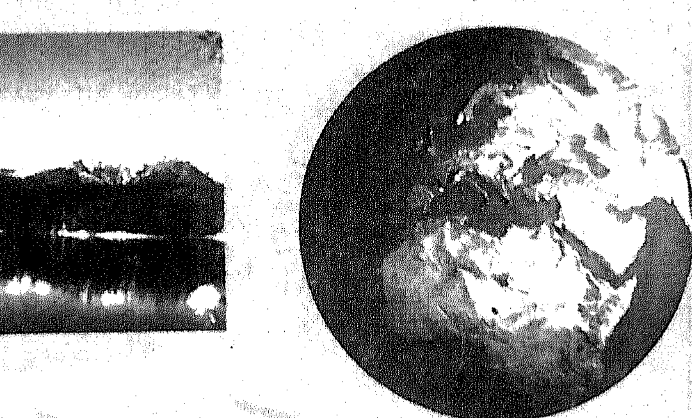
دكتورة نعمات أحمد فؤاد

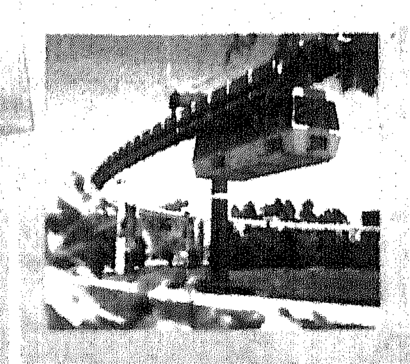
رحلة الشرق والغرب

سافرت في الإنسان والمكان والزمان

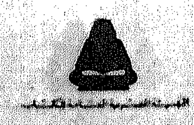












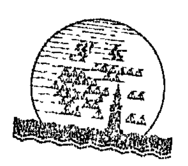
الهيئة المصرية العامة للكتاب

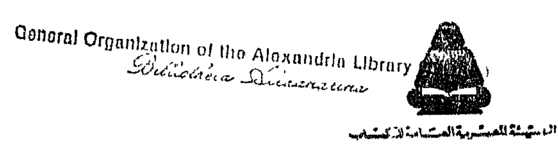


رحلة الشرق والغرب

(سافرت في الإنسان والمكان والزمان)

دكتورة نعمات أحمد فؤاد





الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٨٦

الاخراج الفنى

راجيــة حسين

مقـــدمة
الانسان .. والرحلة

حين يعدد انسان ألوان الأدب فى الشرق أو الغرب ، قلما ينسى هذا اللون الشائق من ألوان الأدب وهو أدب الرحلات .. انه مرغوب شائق.. وأكثر من هذا هام ونافع .. ما هى الحضارة ؟ **أليست رحلة كبيرة من العصر الحجرى الى العصر الحديث** ، استطاع فيها الانسان من خلال التجربة والخطأ ، والضرورة بين المواجهة ، والارتفاع فوق مقتضياتها الى أفق مجرد يعنى الفن الخالص وترف الروح .. أن يصوغ الانسان دنياه ويعيد تشكيلها ، مرات ، مستعينا بعقله وغرائزه معا حتى استوت أمامه فى الصورة التى نعيشها اليوم ؟

الأديان رحلة من الأرض الى السماء تبدأ بالواقعية وتنتهى بالمثالية فى عملية كشف للحجب الكثيفة التى رانت على العيون والعقول .. حتى اذا تقبلتها النفوس وتطهرت بها ، رفت وشفت واتخذتها معراجا الى أفق أعلى من التصرف والتصوف والسلوك .

وفى أثناء رحلته الكبيرة ، عرف الانسان ألوانا أخرى من الرحلة لأغراض شتى .. فمارس الرحلة **للتجارة ، وللعلم ، ولتوثيق النص ، وللتمهيد للغزو ...**

ولكن حين تكون الرحلة بيضاء .. سياحة فى داخل النفس وخارجها فى المكان والزمان .. فى عملية مقارنة طموح حساسة ، تكون الرحلة نبضا انسانيا خلاقا ودافئا بمشاعر الأمل والألم والاشادة والنقد ، والتطلع والاستطلاع والاضافة والطموح ..

يغذى الرحلة شوق الانسان الى المجهول ، وطموحه الى كسب المال أو العلم أو المجد . وفى أثناء هذا تسهم الرحلة فى الحضارة بما تكشف من مجهول وما تفجر من أساطير .. أليس النشيد الثانى فى الالياذة معرضا لأوصاف هوميروس لما زار من بلاد وجبال ووهاد ، وبحار وأنهار ؟ ..

تسهم الرحلة فى الحضارة بما توثق من علاقة بين الأمم والأفراد
وهى بهذا مقياس حضارة بما تسجل من فروق المكان والزمان ·· و
تنبه الى هذا بعض الغزاة وقواد الحروب فحاولوا وحولوا غزواتهم
نزواتهم من قسوة الغزوة ، وحماقة النزوة ، الى مكاسب حقيقية ··
الى رحلة علمية بما جلبوه من وسائل الرصد والتسجيل ·· وأنا ألمح
بالطبع ، الحملة الفرنسية على مصر ، ونابليون ، بل ألمح الاسكندر ق
مع الفارق ··

وقد عرفت مصر القديمة الرحلة حتى يذهب البعض الى أنها وصد
الى المكسيك ·· ولكن الذى نستطيع أن نؤكده هو وصولها فى الأ
الثالث ق·م· الى بلاد (بنت) وهى (الصومال) برا وبحرا فى عه
الملكة حتشبسوت التى عنيت بتسجيل هذه الرحلة بالنقش البارز
الدير البحرى بالصعيد ·

وكما عرفت مصر الرحلة ، قصدتها الرحلة والرحالون ·· فجا
هيرودوت ، وزارها أفلاطون لتلقي العـلم من كهنتها · وكتب عنهـ
بلوتارك وبتـلر ··

وفى العصر الوسيط وقف عنـدها الادريسى والهروى والنابل
والبلوى ، وابن جبير ، وابن سعيد الأندلسى ، والورثيلانى والمسعودى
وابن حوقل ، وابن خرداذبة ، وناصر خسرو ، وابن فضل الله العمرى
وابن بطوطة ، والبغدادى ·· وقف هؤلاء جميعا عندها وقفات طو
متفاوتة ··

أما فى العصر الحديث فقد شد نيل مصر ، الرحالة الغربيين جر
وراء معرفة المجهول من أمره ، وجنونا بكشف منابعه حتى أعلن eke
و Grant الى الدنيا المتشوقة سره · وهنا أفردت الكتب عنه ، ول
من أشهرها كتاب اميل لودفج Emile Ladwig بجزئيه والذى سماه
النيـل ··

وفى عصرنا الحـاضر ظاهرة ملحوظة وهى تعلـق الكثيرين بالسد
والرحلة مع أننا من أشد الناس تعلقا بالأرض والوطن حتى امتلأت أغان
قديما وحديثا بآلام الغربة ·· وهى غالبا لا تتجاوز الحدود ·· وقد تكو
حدود المحافظة الواحدة أيضا ·· فاذا بمقتضيات العصر ومطامحه تغ
الصورة تماما ·· واذا بأسفارنا تتعدى حدود القارة الافريقية وتجو
القارات الست ·

ولعل أشهر الرحلات فى أدبنا الحديث سندباديات الدكتور حسين فوزى ، ورحلات عزام (الدكتور عبد الوهاب عزام) ورحلة الدكتور زكى مبارك وليلاه المريضة فى العراق ، ورحلة الشرق والغرب للدكتور لويس عوض ورحلة بل رحلات الأندلس للأستاذ عبد الله عنان والدكتور حسين مؤنس والبرقوقى ، و (٢٠٠ يوم حول العالم) للأستاذ أنيس منصور ، و (رحلة الحجاز) لأديبنا ابراهيم عبد القادر المازنى ٠

وهناك رحلة من لون آخر ، يراها أناس قصة ، ويراها آخرون ترجمة حياة ٠٠ انها (الأيام) ٠٠ وهل الترجمة الذاتية الا رحلة داخل النفس حتى أن الدكتور أحمد أمين يسمى ترجمته (حياتى) ٠٠ والترجمات عادة تذهب فى النفس بعيدا حيث الألم جمرات ، والفرح رقصات ، والعمر بينهما شفق وراءه نهار مكدود ، وأمامه ليل مجهول ٠٠ ومع هذا يضىء بالشعاع ، ويعيش على الأمل ٠

وحين عمرت رحلات مصر القديمة بالحنين الى العودة ــ يجسمه (سنوحى) ، والفرحة بالاياب ، تتسم رحلات مصر الحديثة بالبعد والايغال فيه من حيث الزمان والمكان حتى لم تعد تسمى رحلات بل هجرات ٠٠ وللشباب المهاجر للعمل المؤقت أو الطويل تكون الرحلات المكتوبة من خبرة معمقة ، بوصلة للمسافر الحائر ، والمغامر ، والمبهور ٠٠

وبعد ٠٠ فهذه رحلة فى الوادى من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب

فى النيل

فى البحر الأبيض

فى الغرب

أما الشرق فله عندى وقفة أخرى أدخل فى باب الذكريات لا الرحلات٠ فقد أقمت فى بعض أقطاره ، وحاضرت فى بعض جامعاته أكثر من عام دراسى ، ودرست بعض آدابه حتى الشعبية منها ٠

سياحة فى النفس والمكان والزمان وأمل أن تكون رضا لهواة السفر ، وعشاق الأثر ، وأدب الرحلات ٠

دكتورة
نعمات احمد فؤاد

القاهرة ١٩٧٦



في أوروبـــــا

الليل والبحر

٧٣/٧/٨

بدأت الرحلة ... نحن الآن على ظهر الباخرة الايطالية « اسبريا » أى الأمل ... والحقيقة أن الباخرة ليست وحدها الأمل ولكن الرحلة أيضا ، أمل .. أن يخرج الانسان ويرى ويسمع ويعلم ويتعلم وينمو شعوريا ونفسيا وحضاريا شيء ممتع حقا .

الساعة الواحدة بعد الظهر .. جلسنا الى مائدة الغداء . بدأت الباخرة تتحرك ويجذبها البحر وتجذبنا الاسكندرية التى تعلقت بها عيوننا فى نظرة وداع فلم نر ما فى أطباقنا وان كنا أكلناه ...

٧٣/٧/٩

بيروت

وصلتها الباخرة فى التاسعة صباحا وأقلعت منها فى الحادة عشرة مساء فعملنا على أن نقضى اليوم فى بيروت .

شاهدنا فيلم (كاباريه) . السينما تحت الأرض وعلمت أن كثيرا من المرافق الجديدة فى المدينة تحت الأرض . السينما بسيطة .. لا تقارن فى الديكور والفخفخة بسينما مترو فى القاهرة أو الاسكندرية ولكنها مع هذا أكثر نظافة وأكثر احتراما للفن والمكان ... السلطات تمنع دخول المأكولات بل المشروبات والناس يحترمون هذا ولا يفكر أحد فى مخالفة التعليمات سرا أو علنا . الفيلم فيه عرى وجنس وليل ومع هذا لم تخدش الأذن كلمة عارية أو ضحكة نابية من المتفرجين .

وفى بيروت أكثر من مقهى بل عشرات المقاهى الأنيقة المتألقة الناعمة بالزهور كأنها نبت وسط حديقة كشجرة من أشجارها ... قد يعلل هذا بارتفاع أسعار الطلبات من ارتفاع مستوى المعيشة وارتفاع مستوى

الرواد ·· العميل أو الزبون وحده هو الذى يحكم ويكيف الأمور ومن هنا توجد المنافسة فى الخدمة وما يقـدم فيها ولكن تكبيل الحريات وتقييد الاستيراد وتحويل كثير من المرافق الى قطاع عام أى الى بطالة مقنعة ومرتبات ثابتة وماس كهرباء فى شهر يونيو من كل عـام ، أو شلل وجمود عن التصرف وخوف المحاسبة والاتهام ··· كل هذا هبط بل هوى بكل شيء فى مصر ···

وفى بيروت الوجوه نظراتها مستريحة ليس فيها أو وراءها شجن أو هم دفين كعيون جميلة تعيش فى جنة الدنيا لو علم أهلها وأنصفوا أنفسهم من أنفسهم قبل أن ينصفهم الناس ·

تقول لى صديقة مصرية تعيش فى بيروت ، هنا فى الصباح تجدين رجل الشارع والعامل يقضم تفاحة ويشرب زجاجة لبن فى يده الأخرى ! وتحسرنا على عمال أوفر ذكاء وسماحة يكادون لا يعرفون اللبن بله التفاح فى أخصب وديان الدنيا ·

هذا هو الوجـــه المشرق فى بيروت لان حس التجـارة والشطارة والكسب فيهم منذ بعيد أيام فينيقية ·

أما الوجه الآخر من بيروت الذى تشقى به مصر وكتابها وصناعاتها فوجه بغيض كالح كوجه سارق النعمة أو قطاع الطرق ···· ففى بيروت فئة موكلة بنهب القاهرة تسرق كتبها وتطبعها فى غير حياء أو اعتبـار لعرف أو شرف أو مبدأ تعامل ·· وتسرق صناعاتها ··· وقد رأينا فى طرابلس بليبيا المعلبات الغذائية بنفس شعار (قها) مع استبدال الميم بالقاف لتصير (مها) وكأن الميم قاف سقطت نقطها هذا اذا أراد أن يقرأ ويدقق !! سقطة ضمير ··

وتسرق زبانية بيروت أقمشة القاهرة لتبيعها تحت أسماء أجنبية ·· تسرق زبانية بيروت كل شيء فى غير مواربة وفى صفاقة ومع هذا تظل القاهرة هى القاهرة ··· العاصمة المفكرة ·· وبيروت المدينة التاجرة ··

ما أجمل أن يسافر الانسان على باخرة كبيرة (لا تهتز بعنف) ويخلف أعباءه كلها وراء ظهره ويلتقى مع كتبه وقلمه فى بسطة من الوقت ومتعة حقيقية ···

ما أجمل أن يجلس الانسان فى شرفة باخرة ··· البحر أمامه لا نهـاية له ··· الأمواج التى تفرقها الباخرة على الجانبين لها زفيف

الريح .... الهواء يلف الانسان من الخارج والداخل وينفض عنه تراب العـام كله ..

معابد البعلبك

المعابد هناك فى البعلبك ، كان المراد أن تكون أكبر وأعظم من المعابد فى أثينا (الاكروبول) ولكن معابد بعلبك لم يستكمل بناؤها . واتحاد آثار الحرب والزلازل ووجود الانسان على المعبد أكثر من احتماله حتى أن الزائر الآن لا يرى الا بقايا تدل على ما كان عليه هذا الأثر العظيم . يحتوى المعبد على أعلى أعمدة فى العالم القديم .

وعلى بعـــد مسيرة ١٠ دقائق على الأقدام ، وبالتحديد فى مدينة زيباداني حيث « حجر الحبلى » وطوله ٦٩ قدما وارتفاعه ١٢ قدما وعرضه ١٦ قدما ويزن ما يقرب من ٢٫٠٠٠ طن . حجر الحبلى هو أكبر حجر بناء فى العالم ومعبد « جوبيتار » الذى يمتد على مساحة ١٥٧ × ٢٨٨ قدما وكانت مساحته أكبر من ضعف مساحة ال (Parthenon) فى أثينا ٦ فقط من ال ٥٤ عمودا الأصلية ما زال قائما على ارتفاع ٧٥ قدما من البقايا الباقية كقينارة كبيرة . والمكان المحصور بين المعبدين والمساحة الرئيسية الفسيحة المزينة بـ ٢٤٠ تمثالا لآلهـة الرومان تحسب كاحدى عجائب العالم . وعلى الرغم من كل محاولات الأباطرة الرومان ، لم يكتمل أبدا الأكروبول فى بعلبك .

هنا يلاقى الانسان نفسه .. يستطيع أن يحلم ولو بالميناء القادمه وبالشراء .. شراء أى شىء حتى ولو لم يكن فى حاجة اليه ... يكفى أن هـذا الشىء يستطيع أن يعيد اليه صور الساعات الحلوة الهنيـة وما بالقليل هذا .

ما أجمل أن يجلس الانسان فى شرفة باخرة وأمامه تلوح من بعيد باخرة أخرى تبدو لعينه صغيرة مهما كبر حجمها ... ان القرب يجسم الأشـياء كالمشاكل الا فى العبقرية فان مارك توين يقول ان العبقـرى لا يكتشفه أصدقاؤه لانهم بحكم التصاقهم به ، لا يرونه رؤية واضحة ...

رائع حقا أن يسافر الانسان فى البحر ، وفيه ، من خلال الباخرة يزاول رياضـته وينعم بالموسيقى والسينما والصـحيفة والكتاب وسمر الأحبـاب ..

وفى السفر يتلاقى الناس من مختلف الجنسيات ويتحدثون ثم يتسامرون وبعدها يحيى بعضهم بعضا كلما رآه كأنه صديق قديم ·· والأطفال فى الرحلة من مختلف الجنسيات يلعبون معا ··· لم تعرف قلوبهم بعد ما يحكم عالم الكبار من عواطف شوكية مدببة ·

لا يمكن أن يحذف المرء الاثرة والغيرة من قاموس الانسان ما دامت فيه مصالح متشابكة وعقائد متوازية يحتدم من أجلها الصراع على المستوى الفردى والدولى ، ولكن محالات التوفيق كانت دائما تأخذ مكانا عندما تخلص النيات ، ونتسامح وتقوى الرغبة فى نبذ النزاع فى عملية جنوح الى السلم ·

٧٣/٧/١٠

(كريت)

الجزيرة جبلية ··· الخضرة فيها بقع صغيرة تشبه الحدائق الخاصة فى الفيللات ·· الجبال صخرية صارمة الوجه ، خشنة الجانب ·· حق للقرآن الكريم أن يصف مصر بأنها جنات وعيون وزروع ومقام كريم ·

جزيرة كريت متواضعة فى كل شىء ··· فى الشواطىء ·· فى الشوارع ·· فى البيوت ·· فى المحال التجارية ·· جزيرة ·

أو لعلى أراها هكذا لانى صاحبة شاطىء سيدى عبد الرحمن ومطروح ···

أبرز ما فيها أشغال اليد حيث لا زراعة كثيفة ولا صناعة ·· الملابس شغلها رقيق جميل ولكن قماشها ضعيف كالشاش كم تكون قيمتها لو أن الشغل والنمنمة على لينوه مصرى ·

٧٣/٧/١١

حين يحلق الانسان فى الفضاء فى طائرة من علمه ، أو يمخر عباب الماء فى باخرة من صنعه ، يتيه ولو بينه وبين نفسه ويكاد يقول هاؤم أقرأوا (ابداعيا) ·· ولكنه اذا خرج فى شرفة باخرة ، ولا أقول أطل من نافذة طائرة ، اذا خرج فى الليل أحس لليل رهبة لا تبددها أضواء المدينة ·· هنا الانسان وحده والليل ··· فاذا اجتمع عليه الليل والبحر ·· أفاق

من غروره وشعر أنه ضعيف أمام الطبيعة وأنه صغير صغير · وأن الله كبير كبير · وأن باخرته أو طائرته لا تحفظها الا عناية الله ، وأن آلاته وموتوراته لا تغنى عنه شيئا اذا احترقت الطائرة أو ارتطمت الباخرة ·

فى الجو والبحر يغدو علم الانسان مجرد اجتهاد ، واختراعه وابداعه مجرد محاولة ، ويبقى الله وحده « العليم » ، « العزيز » « الجبار » ·

هـذا الانسان ما أضعفه في قوته ·· ما أصغره في كبرته ··· ما أهونه اذا ملكه الغرور ·

يا رافع السماء وباسط الأرض

يا زارع المرج وفنان الروض

يا مجرى السحاب وبواخر العباب

يا نور الفجر يا روح البحر يا عطر الورد يا عبير الزهر

أنت أنت القوى

أنت أنت الله

وفى البـر ، شاهدت فيلم (جحيم تحت البحر Posiden aventure يدور حول غرق باخرة ضخمة عالية الطوابق والشهرة حين اعترضها جبل مائى بسبب زلزال فى منطقة كريت ·· وتدفقت المياه من النوافذ والأبواب كالطوفان · وانكفأت الباخرة الشامخة وصار عاليها واطيها كما يقولون·· ونفدت حيلة الربان ، وحارت بصيرة الانسان · وحين زاغ البصر ، وحم القدر تساقط النـاس والأشياء ورأى الركاب الذين كانوا يرقصـون ويشربون غافلين ، رأوا فزع القيامة ·· وصارعت الحياة ، الموت صراعا مريرا داميا عرق خلاله الانسان ، المشاهد على الأقل ، أن البحر أقوى منه ، وأن جبل الماء بله الصخر أقوى منه ، وأن القوة الأكبر التى تهيمن على الكائنات يتـلاشى أمامها فى سـاعة الخطر علمه ببـريقه وزخارفه فلا يعصمه الا الايمان والرجاء ·

الايمان بالله ··

والرجاء فى الله ··

بقى أن أقول أن قس السفينة كان يعرف من المعلومات العلمية عن

الباخرة ما أتاح له أن ينقذ النفر القليل الذى سار وراءه · فرجل الدين الحقيقى لا يقتصر عمله على ترديد الثواب والعقاب والجنة والنار ···

ان من الدين معايشة العصر بعلومه وانجازاته ·· وفى مصر القديمة كانت الكهانة لا تعنى وظيفة دينية ولكنها تعنى أسرار العلم وأعماقه البعيدة · ان الوظيفة وحدها بلا علم له قيمة ، حرفة ·· لا فن ·· وكم بين « حرفية » الوظيفة ، وسماوية الفنان ··

٧٣/٧/١١

سيراكوزا Siracooza

نزلنا من الباخرة لنجد الأوتوبيس فى انتظارنا ··· أوتوبيس فاخر جدا بالنسبة لجزيرة صغيرة بل بالنسبة لمدينة···أوتوبيس به تليفزيون وعلى كل كرسى فتحة للهواء وعدة أزرار ككراسى الطائرة ·· ومنبت فى اللوحة الأمامية ساعة كبيرة ··

زرنا الكاتدرائية وجدرانها كالعادة فى ايطاليا مملوءة بالتماثيل وسقوفها بالرسم والتلوين ·· بها قبــاب كالمساجد والكنائس فى مصر غير أن قبابها غطيت باللوحات الملونة بدلا من المقرنص ··

وفى الطريق الى المسرح الاغريقى الرومانى كان بعض شرفات المنازل من الحديد المطروق ذى الشكل الاسبانى · فالاسبان بعض من احتلوا الجزيرة يوما ، كما احتلها العرب ·

المسرح كبيرا جدا ، مدرجاته دوائر متسعة ··

هناك الجبل حدث فيه من مدة طويلة عدة انهيارات خلفت فجوات عالية ومنخفضة ، والأرض هناك مستويات كثيرة ولكنهم بدلوا خــوف الطبيعة ، أمنا بما زرعوه من ألوان الأزهار والأشجار حتى غــدا المكان حديقة أنيقة تستهوى العين بالتنوع والغرابة ·

الجزيرة بهــا شوارع ضيقة ولكن بهــا الكثير من الشوارع الكبيرة المرصوفة الناعمة ذات المحال التجارية وبها سكة حديد ·

وكريت (اليونان) وسيراكوزا (ايطاليا) بل ايطاليا كلها فيهــا الكثير من أسلوبنا فى العيش وفى الحديث ، لا فى المدينة بل حتى فى

الريف ٠٠ عربات الفاكهة ، والميزان اليدوى ، والكفتان ، والنساء على عتبات الدور ينقين الأرز ، والغسيل فى الشرفات بل أمام البيوت فى الطريق ، (فى سيراكوزا) ٠

٧٣/٧/١٢

نابولى

فى التاسعة صباحا نزلنا نابولى ٠٠٠ محطة الميناء كبيرة فخمة ولكن الغريب ان ساعات الحائط بها ، جميعها معطلة ٠٠٠ اننا نسرف كثيرا فى لوم أنفسنا ٠٠٠ لو أن هذه الظاهرة فى ميناء مصرية لأكثرنا من اللوم وتبكيت النفس ٠

البلد فيه ملامح من الاسكندرية ٠٠ الأسعار فيه أرخص من سائر المدن الايطالية اذا استثنينا شارع روما وهو أكبر الشوارع وأحفلها بالمعروضات وأغلاها أسعارا٠٠ولكن العالمين بايطاليا يقولون أن الشوارع الأخرى الأقل سعرا بضاعتها مغشوشة والبائعون يتلاعبون كثيرا ٠٠٠

جلسنا فى الجاليرى المغرمة به المدن الايطالية ٠ جلسنا على مقهى يقول صديق لنا فى صحبتنا أن به أجمل « كابتشينو » ٠٠

عدنا الى الباخرة سريعا حيث أبحرت فى الساعة الواحدة ظهرا فى طريقها الى جنوه ٠٠٠

٧٣/٧/١٣

جنـــوه

وصـــلنا فى التاســـعة صباحا وحجـزنا الأتوبيس الذاهب الى نيس بفرنســـا ٠

جاء موعد الأتوبيس وركبنا وقطع بنا الريفييرا الايطالية وهى فى رأيى أجمل وأنظف مناطق ايطاليا ٠٠ ظل الأتوبيس يصعد بنا ويهبط ويدخل فى أنفاق ويخرج من أخرى ٠٠٠ مرة نعلو كثيرا على سطح البحر ومرة نحاذى الشاطىء والطريق يشق بين جبال كثيرة ٠ كانت بلا شك موحشة قبل أن يؤنسها الزهر والشجر والانسان الذى تصعد بيـوته السفح فى طموح الى القمة ٠٠٠

كان المطر يتساقط ثم يكف لتطلع الشمس ثم يعود الغمام · ويلف السحاب الجبال وفى جميع الحالات يبدو المنظر غريبا لنا نحن أبنـــاء السهل والوادى لولا أننا رأينا هذا فى زيارتنا الأولى لأوربا ·

نيس

مدينة (نيس) على شـــاطئ البحر المتوســـط مقسمة الى ثلاثة أقســام ؟

المدينة الجديدة ·· المدينة القديمة والميناء ·· والى الشمال المدينة الجديدة بمسارحها وفنادقها و (كازينواتها) و (فيللاتها)

وشرق المدينة القديمة به الوسط التجارى والميناء ·

وبنيس كاتيدرائية ومتحف ومكتبة وأثر ل (غاريبالدى) الذى ولد فى نيس سنة ١٨٠٧ ·

ونيس أسست منذ ٢٠٠٠ سنة على يد يونان مارسيليا · وعنـدما سيطر اليونان على المناطق المجاورة ، وبنوا (نيس) أطلقوا عليها اسم (نيس) نسبة الى الكلمة اليونانية نياك (Nike) بمعنى (النصر) ·

وبعد ذلك وقعت المدينة تحت الحكمين الرومانى والتركى ·· وفى القرون التالية حكمت من البروفنس Provance وسافوى Savoy

وأهم صادرات نيس هو زيت الزيتون والصابون ، والبارفان ، الجلود ، الأثاث ومنتجات أخرى ·

ونيس عاصمة Câtasur الفرنسية

عن دائرة المعارف الأمريكية

حوار طويل بين الانسان والجبل

● سـان ريمـو :

وصلنا سان ريمو فى الرابعة مساء ..

سان ريمون مدينة جميلة نظيفة فى حضن البحر .. هواؤها رائق وشوارعها نظيفة ولو أنها صاخبة مزدحمة . وهى كسائر مدن الشواطىء ، الشوارع فيها اما صاعدة واما منحدرة .. ومراجيح الأطفال بها تساير العصر فلم تعـد مراكب الأطفال الحصـان والوزة بل العربات بأنواعها والسيارات بماركاتها وسفينة الفضاء والدبابة الخ ... وأثناء الدوران تتدلى من السقف لعبة تدنو وتبعد وكأنها تعابثهم فيحاولون التقاطها وهى تحاورهم حتى يتمكن طفل طويل نوعا من الامساك بها ويضحك الأطفال مسرورين .

أهم من هذا كله كيف أحال الانسان الأوربى العائق الى ميـزة ؟ كيف تغلب على الجبال الرهيبة ؟ كيف تودد الى طبيعة أرضه القاسية حتى لان الصخر وأربى ؟ ان القرى الجميلة والمدن الحالية التى مررنا عليها كان يمكن أن تكون قفرا لا ظل فيها ولا نبض ولكن الانسان الأوربى لم ييأس من الجبل . وبدلا من أن ينشىء فى ظله مدينة أنشأ مدنا . فقد قسم السفح مدرجات وهضابا فبدت المدن والكبارى والبيوت طوابق يعلو بعضها بعضا ... المدن هنا رأسية لندرة الأرض المنبسطة السهلة ... الصعب غدا ميزة وأسلوبا وطابعا بعد أن يسره الانسان وأخضعه لارادته .

وسعينا الى الشاطىء فى سان ريمون فاذا بالبحر كابى اللون أو ترابى اللون ولكنه يعج باليخوت والزوارق والشاليهات والسيارات والناس والأطفـال ...

وأحسست بقلبى يعصر عصرا على جنات اللازورد وشواطىء الفيروز الممتد من الاسكندرية الى السلوم دون أن تمتد اليها يد . وما بها حاجة الى جهد الانسان المصرى ولكن الانسان المصرى فى أشد الحاجة الى الانتفاع بها ... كيف لا تعمر شواطئنا التى لا نظير لها ولا ضريب ؟

أين شاطىء النخيل فى العريش .

البلاد التى تبهرنا قصارى ما تملكه شريط من البحر الأبيض محدود المساحة ومصرنا تملك شاطئا متراميا فى البحر الأبيض وآخر فى البحر الأحمر ثم ننام عن هذه الكنوز كما نمنا عن غابات جبل علبة .

ليتهم يرسلون المحافظين فى بعثة الى هنا ليروا ويعلموا كيف تخلق المدن وتوفر فيها الحياة السهلة المريحة بالنظام والنظافة والترفيه ... كيف تنتشر المطاعم الأنيقة والحدائق الجميلة والنافورات والتماثيل والميادين .. كيف تطل الزهور من النوافذ والشرفات .... كيف تتنفس المدن هنا وتجمل بالزروع والزهور ولا تذبح الخضرة فيها بدعوة البناء والاسكان وفى الصحراء متسع لهما .

لابد لنا من حرية كبيرة تطلق سراح الأفكار لتبدع ، وسراح الارادة لتنفذ ، سراح العمل والمنافسة لتتبارى الطاقات .. حرية آمنة وأمن لا تتهدده قيود ...

فرنسا ـ ايطاليا

فى طريقنا الى فرنسا لاحظت أن رعايا الدولتين يدخلون ويخرجون بالبطاقات فقط ... مسألة جوار ومصالح يفعلون هذا فى هدوء دون مانشيتات عريضة فى الصحف تعلن البشرى ، ودون قصائد طويلة من الشعر تتغنى بالاخوة والوحدة .

ان السفر بالبطاقات أمر طبيعي جدا عند غيرنا بلا زفة أو ميكروفون .

٧٣/٧/١٤

نيس

أخذنا الأتوبيس فى تمام العاشرة صباحا من « سان ريمو » متجهين الى نيس بفرنسا وبعد ساعتين تقريبا وصلنا الحدود ما بين ايطاليا وفرنسا أى نهاية الريفيرا الايطالية وبداية الريفيرا الفرنسية .. كان المطر يهطل ولكنه لم يمنع الناس من سيرهم السير المعتاد بدون هرولة أو تلفت للاحتماء بالسقوف .. بعضهم كان يحمل مظلة ولكن الوجوه ساكنة ..

عند الحدود استوقف ، السيارة ، الجمرك ٠٠ وصعد رجل الجمرك وعندما قدمنا له جوازات سفرنا سأل سؤالا خفيفا عن وجهتنا ثم أرسل الجوازات للتأشير عليها في مكتب الجمرك على جانب الطريق ٠ وكذلك فعل رجل البوليس ٠

بدأت السيارة تسير بنا في الريفيرا الفرنسية فتضاءلت أو اهتزت على الأقل صورة الريفيرا الايطالية ٠٠٠ هنا ريفيرا أخرى أجمل وأغنى وأزهى وأشد نظافة وأكثر أناقة ٠٠٠ هنا قصور وعمارات شاهقة على الشاطىء ، وقصور وناطحات سحاب على السفوح وفى أعلى القمم ٠٠٠ حتى البحر أصفى لونا والشاطىء أخضر به زروع وملاعب وحمامات خاصة وجراجات سيارات ويخوت ٠٠٠ هنا دنيا أخرى ٠٠٠ الشوارع النظيفة المترفة بالزهور والشجر والأسوار وما وراءها من حدائق وفيللات جميلة ، بدت في هذا الصباح أكثر شفافية بعد أن غسلها المطر وترك حباته على أوراق الشجر لتلمع فى ضوء الشمس وتسيل من الرقة مع رفيف النسمة النشوانة من الهواء والصفاء والنعيم البادى فى المكان كله ٠

لقد حضر الشرق القديم ، السهول والوديان ، وحضر الغرب الحديث ، الجبل ٠

هنا حوار طويل بين الانسان والجبل ٠٠ كانت هنا معركة عنيفة انتصر فيها عقل الانسان وارادته معا ٠٠ أنفاق اسطوانية وشوارع تحتية وفوقية والكبارى فى كل مكان من الجبل ٠٠ أعلاه وتحته ٠٠ على رأسه وعند قدميه ٠٠٠ على صدره وفى جوفه ٠٠٠ كان الحوار دائما ينتهى بانتصار الانسان ٠٠ فاذا حدث ووصل مرة ، الجدل مع الجبل الى طريق مسدود لم يكن الانسان يضيع وقتا بل يفتت الصخر وينفذ من خلاله ٠٠ ان بعض الأنفاق بدون طلاء كأنها تروى القصة كاملة ٠٠٠ انها تقول هنا كان يقف الجبل متعنتا ولكن الانسان كان أقوى منه ٠٠٠ أقوى منه صلابة ، وأقوى منه صبرا ، وأقوى منه ارادة ، وأمضى منه ذكاء وأملا ٠٠ اللهم الا بعض أماكن قليلة يقف فيها الجبل ، بعد أن أفسح للانسان طريقا ، يقف مدبب الصخور كأنياب حادة ٠٠٠ أنياب زرقاء خبيثة ٠٠٠ ولكنها بصورتها هذه تعمق معنى انتصار الانسان وتزيد الجمال فى المواضع الأخرى جمالا وراحة حين يتخيل الانسان أن هذا الجمال كله كان فى الأصل صخرا وجبلا !!

استطاع الغرب أن ييسر الحياة فكل شىء فيه مبذول رخيص اذا قيس بمستوى الدخل ٠٠٠ أغلى ما فى الغرب ، اليوم ، الانسان ٠٠٠

اليد العاملة غالية وما أرخصها في الشرق سواء في مصر أو الهند أو الصين لقلة المال وكثرة العيال والجهل بموارد الثروة الطبيعية ووسائل استغلالها ••• ولو انتشر التعليم الصحيح والديمقراطية السليمة لتدفق الخير في ربوعنا وقطعت أوطاننا أشواطا بعيدة على طريق التقدم والمدنية الحديثة بطاقاتها المدفونة والمعطلة والمجمدة ، وبالحس الحضارى اذا تهيأ لنا الانطلاق بلا تعويق أو تثبيط • وقد لاحت تباشير الفجر •

٧٣/٧/١٥

يوم حافل في (نيس) Nice اليوم (الاثنين) بداية الأوكازيونات في كثير من المحلات ••• خرجنا للفرجة •• رأيت في الطريق محطة انتظار الأتوبيس ••• محطة جميلة رائعة من الزجاج والنحاس الأصفر ••• مظهر من مظاهر احترام الانسان •

وفي جولة المساء لاحظنا في الأماكن المزدحمة من وسط المدينة حديقة غناء على أعمدة •• هكذا تبدو من بعيد فاذا اقترب منها السائر عرف أنها دوران جراجات السيارات تعلوها حديقة دائرية ينبت منها في الوسط أعمدة مرة أخرى تحمل دورا رابعا عبارة عن حلقة سباق !!

ما أكثر الحدائق في المدن الفرنسية •• أكثر من حديقة واثنتين في الشارع الواحد ونحن نستكثر على القاهرة ذات الملايين الثمانية ، حديقة الأزبكية بعد أن وأدنا جزيرتي الروضة والزمالك وحولناهما الى حيين سكنيين !! ••

وخرجنا الى البحر •• أقصد الى الشاطىء •• ان شاطىء نيس ممتد كشاطىء الاسكندرية وتطل عليه المباني الفخمة والعمارات الشاهقة قديمة وحديثة بل تطل عليه الأوبرا •• أوبرا نيس فلكل مدينة في أوربا ، على ما يبدو ، أوبرا خاصة •• ولا يقتصر الأمر على العاصمة كما هو الحال عندنا ، وليت الأوبرا الوحيدة عندنا عاشت بل التهمتها هي الأخرى ، النـــــار ••

نعود الى شاطىء نيس •• انه من أوله الى آخره مفروش بالحصى والزلط الصغير •• لقد تحدوا قسوة الطبيعة بالزرع في معظم الجهات ولكنهم لم يستطيعوا في هذا الجزء فهو مصيف المدينة هنا بطل الطلاء •• وتذكرت الرمال البيضاء المخملية في شاطىء سيدى عبد الرحمن ومطروح

.. الرمال الملساء التى يحلو للأقدام أن تغوص فيها مرتاحة الى بردها ونعومتها .. ان الانسان فى مصايفنا يغرق فى البر لا فى البحر ومع هذا كله لا تحظى مصايفنا أو كنوزنا بمعشار ما يحظى به الصخر والحجر عند غيرنا .. ولكنى متفائلة .. لقد كانت فرنسا وسائر البلاد المتقدمة .. كلها كانت يوما تعانى من سوء الحال مرة ومن الفقر مرة ومن الاستعمار مرة ومن التخلف يوما .. ان فرنسا التى تعتبر من أسبق البلاد الأوربية الى المدنية كانت منذ ألفى سنة فقط تسكنها قبائل الجلواز الصيادين !! أى بعد أن كانت مصر قد قطعت من عمر حضارتها المعروفة تاريخيا خمسة آلاف سنة وسبقها بالطبع عشرات الآلاف من السنين فى عملية تحضير وسعى حضارى مستمر !! لهذا أقول ان الذى يبهرنا من أوربا اليوم يجب ألا يفقدنا ثقتنا بأنفسنا بالتخلف بل على العكس يجب أن يدفعنا الى النهوض ايمانا بالممكن وايمانا بالعمل وايمانا بالعلم وايمانا بالمحاولة والطموح والاجتهاد ..

وتأكيدا لهذا حاولنا أن نبحث عن الوجه الآخر من المدينة .. عن الأحياء الشعبية .. عن الأماكن التى لم تنفض عنها الغبار بعد .. ووجدناها كثيرة ..

فى (نيس) الجميلة الأنيقة المترفة حارات ضيقة ، ومنها حارة اليهود ، وبيوت متواضعة بائسة متآكلة يطحنها البلى .. وعلى الأرض مخلفات من أنواع شتى ولكنها مع التقارب الواسع ليست بها أصوات عالية أو شتائم عارية ، أو اشارات نابية تصك العين والسمع .. ليس بها حفاة أو ثياب رثة مهلهلة .. لقد رأيت بها عجوزا تطلب احسانا ولكنها كانت تلبس ما يسترها ولا تلحف فى السؤال .. وأخرى تبيع نوعا من النبات فى عرض محتشم دون أن تذكر شيئا عن فوائده أو عن آخر وجبة تناولتها أو عن عدد من تعولهم أو أوصاف الزمان وأحواله ..

ان الفرق بيننا وبينهم أنهم يعملون ويعالجون وجوه النقص حتى رجحت كفة المزايا على كفة السيئات وخاصة فى الحياة المادية أما نحن فلا نزال نهوى الكلام والخطابيات والمانشتات والوعود والأحلام .

بلاد لاتقف للمدير
•• وانما تحترم الانسان

٧٣/٧/١٧

جراس Grasse (١)

احدى ضواحي نيس • دعا أكبر مصانع العطور زوجي ودعيت معه• •• لفت نظرى فى الطريق الجميل مكان علقت فيه لافتة كبيرة كتب عليها (رسم المرور) • ليس فيها شرطى بل تصير اشارة المرور حمراء وهناك تجويف معين اذا وضع فيه راكب السيارة قرشا ، صارت الاشارة خضراء ويواصل السير •• كل شيء يتم فى هدوء واتفاق وتفاهم راض •

وهناك فى المصنع عدد من الباحثين والموظفين والعمال ولا يسمع الانسان أقل صوت كأن ليس به أحد !

ولم تر عيناى بالمصنع الكبير الذى له فروع وراء البحار حجابا أو سعاة •• وهو على ضخامته وأهميته به عدد محدود جدا من العاملين كل معمل به من الباحثين اثنان أو واحد •• كل عنبر آلات به أربعة على الأكثر •• ولو كان هذا المصنع عندنا لغص بالآلاف المتزايدة كل عام مع موسم القوى العاملة •• هناك كل انسان له عمل يكفى طاقته ويزيد

---

(١) تتربع مدينة (جراس) على التلال المشرفة على (كان) وهى مركز صناعة العطور تحيط بها حقول متسعة تزرع بها الأشجار الشذية مثل ، البنفسج ، والورد ، والياسمين ، والزنبق ، الميموزا ، وأزهار البرتقال ، وفقا لفصول السنة ، وتحتاج الزجاجة الصغيرة من العطر الفرنسى الرقيق الى آلاف من تلك الأزهار ، أما الأزهار المذبولة فتخلط بالدهن فى أوعية كبيرة ويصنع منها الصـــــابون المعطر ، فلا غرو أن العطر الفرنسى والصابون الفرنسى غاليا لثمن لأنهما يحتاجان الى عمل شاق ووقت طويل الى اعدادهما •

وتفخر (جراس) بأنها مسقط رأس الفنان الشهير « جان أونوبيـــــه فراجوتار » الذى ولد بها ١٧٣٢م •

ولهذا يعمل بدون رقابة وبلا تزويغ وبلا افتعال أعذار لأن وراءه شيئا يشده وعليه أن ينجزه ٠٠ ليست هناك بطالة أو بطانة ولهذا لا يضيع على الدولة أو الأمة ، وقت أو مال ٠

وطاف بنا المدير ، وهو من المرموقين هنـاك ، على المعامل وأماكن الآلات المختلفة شارحا المراحل الكثيرة للتقطير ٠٠ وعندما نمر على باحثين أو موظفين أو عمال كان أشد ما لفت نظرى بل أدار رأسى ان أحدا من هؤلاء لم يهب واقفا عندما يدخل المدير ٠٠ لم يقفز أحد أو تنخلع يده فى ضرب السلام ٠٠ كل انسان منصرف الى عمله كأن المدير لم يكن ٠٠ هناك المدير لا يفتعل أحد تحيته أو تشجيع ناديه أو تدبيج نشرة طويلة فى الصحف تعزية فى بنت خالة زوجة أبيه أو تهنئة بشفاء كلبه من وعكة البرد التى ألمت به ٠

الذى حدث أن المدير كان هو الذى يحيى الشخص القادر على شرح العمل فى مكانه فيرد التحية فى اقتصاد ٠٠ ولمست يدى سرا كبيرا من أسرار تقدمهم ٠٠ هناك يعمل الانسان بلا عقد أو خوف قاتل أو زيف واحترام مصطنع ونفاق رخيص وتأليه كافر بما يقول وألقاب بلهاء مخبولة يخلعها كل واحد على كل واحد كأن الكلام يستطيع أن يرفع خاملا ، أو يشفع للحقيقة المرة ٠ لهذا فقدت الكلمة الشريفة عندنا مدلولها عندما تداخلت معها الكلمة المحترقة ثم ضاعت الكلمات ٠٠ جميعها ضاعت ٠٠ وضاعت الأيام ٠٠ سرقت واحترقت ولم تخلف وراءها غير رماد ولو عشناها للأناها عملا وأملا وعلما وصناعة وفنا وحياة ٠٠

ومع هذا كله نستطيع أن نبدأ من جديد ٠٠ نبدأ على مستوى أمة بدلا من أن يحاول أفراد منا أن يبدأوا فى بلاد أخرى وحدهم ٠ وقد أثبتت التجربة أن معظمهم ينجحون ويتألقون وهم أنفسهم كانوا بيننا مطحونين يقهرهم الغبن والتجمد والاهدار وضيق الحركة ٠

اذن المسألة لكى ننهض مسألة اتاحة الفرص واحترام الكفاية وتقدير العمل الجاد والثقة بالانسان ٠٠ الانسان المصرى عنده الكثير ليعطيه ٠٠ عنده كنوز من الطيبة والذكاء والاخلاص والصبر والجلد والاجادة لو وجد بيئة مسعدة ٠٠ فلا تلجئوه الى أن يبحث عنها خارج مصر ٠٠ حرام ٠

مرة أخرى فى هذا اليوم خرجنا ولكن فى التاسعة مساء لنرسل تلغرافا الى شركة الادرياتيكا الايطالية ٠٠ كانت المحلات مغلقة أبوابها فقط ولكن واجهاتها الزجاجية كما هى بمعروضاتها بل أكثر من هذا كانت

عضيئة من الداخل وأى محاولة بسيطة تستطيع تحطيمها أو نهب ما بها وهو قوى الإغراء · ولم نر فى الشوارع رجل بوليس واحد · ما دلالة هذا الا افتراض الأمانة والثقة الكاملة !

وأكبر من هذا ما يجرى فى مكتب البريد ·· هناك يتم كل شيء فى جو من الثقة فلا ايصالات عن المكالمات ولا رقابة على المكالمات المطلوبة بل يتم الحساب عنها وفقا لعداد يحسب المدة ، بذمة ·

ان الناس هناك يقفون فى اشارات المرور حتى ولو لم تكن هناك سيارات ·· مجرد احترام الاشارة المغلقة فلا يتحرك انسان الا اذا فتحت ·

ثم هناك الزى موحد اذا استثنينا الهيبز ، فلا يمكن أن ترى العين مثلا بيجاما فى الشارع · ولكن الذى لا تخطئه العين فى الوقت نفسه ، أسى الشيخوخة ووحدتها القاتلة ·· عند عودتنا من مكتب البريد رأيت عجائز من السيدات والرجال يسيرون فى الطريق أو يمتطون دراجات ووجوههم صماء ممتصة ليس فيها بريق ·· أن يكافح الانسان فى هذه السن المرتفعة قسوة ·· متى يستريح وأين رعاية الأبناء ومتى يردون الحنان والبذل ؟ نحمد الله ما زالت الأسرة عندنا بخير ·· لم يتهرأ الرباط العائلى كما حدث فى أوربا ·· ويبدو لى أنهم فى قرارة نفوسهم تعساء بجفاف العاطفة حتى بدأت تظهر فى المدن الأوربية الكبيرة كباريس جمعيات لتخفيف شقاء الانسان · بعض الذين يترددون عليها لا مطلب لهم الا الاستماع اليهم ·· مجرد أن يجد الواحد منهم انسانا يصغى اليه وينفض نفسه عنده !! قالت لى سائحة أمريكية كانت ضمن الفوج السياحى الزائر لأسبانيا :

ـ لا أكتمك ان السيارة كلها لا أنا فحسب نغبط أسرتك فأنتم طوال الرحلة (أسرة) تأكل معا وتخرج معا وتتضام ·· اننا ننظر اليكم الوقت كله ·· وعندما أراحت ابنتك رأسها على كتفك لتنام فى السيارة كان منظرا رائعا بهرنى ··

ولم أكن أنا أشعر بالغرابة التى شدت أنظارهم لاننا فى مصر وفى الشرق ننعم بجو الأسرة حين حرموا منه ·

١٩٧٣/٧/١٨

ذهبنا الى « كان » مدينة السينما ومهرجاناتها العالمية وأحد المصايف

الشهيرة لأصحاب المال والأعمال من جميع أنحاء العالم ·· مدينة جميلة غنية أسعارها جنونية لا يطيقها الا وارث أو مليونير ، أو نجوم السينما · هذه « كان » التى نزل نابليون قريبا منها عندما فر من منفاه فى جزيرة « البا » والتى تقع على مقربة منها « مونت كارلو » فى امارة « موناكو » حيث يتجمع هواة القمار فى « الكازينو » الشهير ·

ابنتى همست فى أذنى ·· انى أحببت « نيس » أكثر ·· أحس أن « كان » مدينة متعالية لا تتودد الى زائرها بل تتحدث اليه بطرف لسانها وتسلم بطرف يدها ·· ان سلمت ·· معروضاتها لا تبهرنى ما دامت ليست لى وانما تبهرنى زهورها ·· الطبيعة أم الانسان فى كل مكان ··

انصرفنا عن المدينة وكأننا نرد على تعاليها بتعال واتجهنا الى البحر ··

طبعا ما يهمنا منها هو الشاطىء ·· الشاطىء هناك رملى فى بعض أجزائه ·· صخرى فى أجزاء أخرى ·· ولكنه على امتداده مرصوف مما يلى الشماسى كأنه شارع خاص به وبعده حديقة ·· حدائق جميلة ·· أشجارها وارفة ·· وقد نثرت فيه الكراسى والأرائك للجلوس عليها بين الزرع والبحر فاذا قطع الانسان الحديقة فى مكانه وسار فى الشارع الكبير فعلى طول الطريق أحواض الزهور الفاتنة الألوان حتى كأن رصيف الشارع ومنتصفه حوض كبير متصل من الزهور ·· حتى لقد حسب أطفالنا أنها مدينة الزهور الفرنسية ·

٧٣/٧/١٩

نيس ـ برشلونة

غادرنا نيس فى قطار التاسعة صباحا ·· ووصلنا مرسيليا فى الثانية بعد الظهر ومنها أخذنا قطارا آخر الى الحدود الفرنسية الاسبانية عند Portbou وصلنا فى الخامسة والثلث بعد الظهر وهناك فى قاعة مكتب البوليس الفرنسى على يمين الداخل ·· وفى مواجهته عند الطرف الآخر من القاعة ، البوليس الاسبانى · أشر الفرنسيون على جوازاتنا بالخروج وأشر الاسبانيون بعد بضعة أمتار على جوازاتنا بالدخول · ووقفنا على المنضدة الحاجزة Counter أمام الجمرك الاسبانى للتفتيش فقد سبقنا شاب فتشوا حقيبة ملابسه قطعة قطعة ولكننا عندما جاء دورنا

سألنا ضابط الجمرك عن بلدنا فقلنا مصر Egypte فابتسم ابتسامة مرحبة وعلم الحقائب دون أن يمسها ٠٠ وجرينا نلحق القطار واذا بنا نكتشف بعد سيره أنه قطار (قشاش) ما أن بدأ يتحرك حتى وقف وكأنه ترام شبرا ٠٠ وظل على هذا المنوال الطريق كله أى خمس ساعات نفد فيها صبرنا لا سيما أنه ليس به ما يؤكل أو يرطب ولم نكن قد تناولنا طعاما بعد سندوتشات صغيرة فى القطار الفرنسى الساعة الثانية عشرة ٠

حاولنا التغلب على هذا المطب بالمرح وأسعفتنا النكتة المصرية فترات طويلة ٠ ولكن ما يلبث الضجر أن يطفو على السطح وهكذا حتى وصلنا فى العاشرة مساء (برشلونة) واذا بنا لا نجد مكانا واحدا لتغيير العملة واذا بنا لا نجد انسانا يفهم لغة غير الاسبانية التى لا نفهمها نحن بدورنا ٠٠ وبلغ ضيقنا قمته اذا كان لم يبلغها بعد ٠

وضعنا حقائبنا فى الفندق ثم ذهبنا نتحسس مطعما لتناول العشاء بعد يوم حافل واذا بنا نقع فى مطعم خدعنا مظهره الكبير وقربه من الفندق ٠٠ وقدم لنا طبقا واحدا لا يؤكل ٠٠ ثم قدم الينا فاتورة الحساب ستة جنيهات ونصف جنيه !! أسطورة أو قصة رخص الأكل وكثرته فى أسبانيا التى سمعنا بها قبل أن نأتى ٠

المهم أننا منذ غادرنا القطار وغادرنا آخر حاجة أى المطعم ودخلنا السرير ، ونحن نهتز أو نتطوح تطويحة القطار وكأننا لم نغادره بعد ٠٠ ولم نتحرك من التعب حتى أيقظنا ضوء الصباح أو على الأصح ضوضاء الصباح فى هذا الحى الذى يقع فندقنا فيه ٠٠ حى الرملة كما يدعونه ٠

٧٣/٧/٢٠
برشلونة

تجولنا فى برشلونة فى طريقنا الى شركة Marsans السياحية الاسبانية ٠٠ الشوارع طويلة كأنها بلا نهاية ٠٠ واسعة حتى عد أولادنا فى كثير منها ثمانية أنهر للسيارات ٠٠ أحسن وصف لها قول ابنتى انها مطارات لا شوارع ٠ والشوارع فى أسبانية كأنها لضخامتها ، ميادين ٠ اختاروا للخضرة منتصفها ففى وسط كل شارع صفان متقابلان من الأشجار الظليلة تحتها صفت الأرائك المدهونة النظيفة ٠٠ هذه الخميلة للمشاة ٠٠ هذا غير رصيفين عريضين !! وكثير من المقاهى ومحال المرطبات صفت

كراسيها ومظلاتها فى هذه الخمائل .. ان المقهى فى برشلونة خط الوسط من الشارع لا الجانبين كما هو فى مصر وفى فرنسا .

وذهبنا الى البنك لتغيير العملة وما أكثر البنوك فى برشلونة كأن بين كل بنك وبنك ، بنكا .. دليل الوفرة والغنى واقبال رءوس الأموال على اختلاف جنسياتها .. ان اسبانيا اليوم تسمى بلد الـ ٤٠٠ بنك !! وهذا شاهد لا يخطىء على نجاح السياحة فى اسبانيا نجاحا يقف وراء الترف البادى فى عروض المحلات التجارية .

دخلنا البنك واذا به مكيف الهواء تتردد بين جنباته موسيقى جميلة ناعمة هادئة لقد قدروا أن عمل موظف البنك يتعلق بالمال وبالحساب فعملوا على راحة أعصابه وتهيئة جو مريح يلعبه على أداء مهمته الدقيقة !!

وفى برشلونة ميدان واسع تحيط به التماثيل وتتوسطه فسقية جميلة يتدفق منها الماء وفى دوائر بعد أن ينبثق الى أعلى .. هذا الميدان به مئات من الحمام كما فى ميدان سان مارك فى فينسيا . مثل هذا الميدان اضافة جمال نابع من السلام الذى يعيشه الحمام الوادع الآمن من الخوف .

ولكن فى برشلونة كما فى فرنسا يعمل كبار السن الأعمال المرهقة ففى الصباح رأينا سيدات طاعنات فى السن يقمن بتنظيف وغسل المحال التجـــارية .

وفى برشلونة رأيت ماسح أحذية يضع صندوقه الى جانبه ويجلس على ركبتيه وتحتهما وسادة صغيرة ويأخذ فى تلميع حذاء يجلس صاحبه على كرسى عال يطل منه على أخيه الانسان المتضع عند قدميه .

وفى أسبانيا رأيت فى الشوارع بصقا ومخاطا ولست أدرى من ارتكب هذا .. أهل البلد أم الغرباء .. ولكن الكافتيرات أو معظم روادها من الاسبان لا تخلو أرضها من ورق ونفايات .

والناس فى برشلونة لا يحترمون اشارات المرور .. ما من شارع مررت به ألا ويعبر الناس قبل فتح الاشارة بلا استثناء .. كنا ننتظر الاشارة وحدنا .. لعلها حساسية الغريب .

وفى اسبانيا كسائر أوربا تدخن البنات الصغيرات ممن دون العشرين ويطلق عليه Teenage .

وفى المساء لا يستطيع السائح أن يجد موضعا لقدمه فى المدينة بشوارعها وميادينها على اتساعها فان الاسبانيين من عادتهم أن يقيلوا فى الظهيرة ويسمون القيلولة : سيستا .. وفى المساء يخرجون الى الشوارع يسيرون أو يجلسون اذا تعبوا ، فى المقاهى التى تتوسط الشوارع .. من يراهم يخيل اليه أن البيوت خلت من سكانها حتى لم يبق منهم بها أحـــد .

والطعام فى اسبانيا غالى التكاليف كسائر بلاد أوربا حتى الأشياء الصغيرة الكوكاكولا بعشرين قرشا وكذلك الجيلاتى الذى تشتريه فى مصر بثلاثة قروش لعلها تعادل مليما هنا أو أقل لو جاز أن هناك أقل من مليم .. اننا نعيش فى مصر ملوكا دون أن ندرى .. الآن فقط عرفنا .

لو أن عندنا من الحرية نصف ما عندنا من الطعام !!

لقد حكم أسبانيا اليونان والرومان والعرب والفرنسيون والألمان ومع كل هذه العثرات استطاعت أن تقف على قدميها بل استطاعت أن تقفز قفزة واسعة .

لقد كانت أسبانيا فى الأربعينـــات أى فى الأمس القريب ، فقيرة منهوكة عاجزة بعد الحرب الأهلية وكانت مصر تمنحها الهبات وتعطيها القروض .. قال لى مســئول فى السفارة المصرية بمدريد أنه كان فى أسبانيا منذ سبع سنوات فقط وكانت العاصمة نفسها متواضعة وكان يومئذ من السهل أن يعرفها المرء شبرا شبرا فلما عاد اليها سنة ١٩٧٣ وجد كل شىء جديدا عليه واحتاج الى ثلاثة شهور ليتعرف الى المدينة الكبيرة الواسعة الجديدة ..

* * *

السياحة فى أسبانيا

رفعت أسبانيا الشعار (سائح لكل مواطن) فى سنة ١٩٦١ . وكان عدد السكان ٣٠ مليونا . وعدد السائحين ستة ملايين . وارتفع الرقم الى ٣٢ مليونا من السياح فى سنة ١٩٧٣ حين كان عدد السكان ٣٤ مليونا .

وأعظم شاهد على ما بلغته السياحة فى أسبانيا قرية « بنى دورم » .

قـرية بنى دورم

تعداد السكان فى هذه القرية الاسبانية (١٠٫٨٠٧) نسمة ٠ وهى مسترخى صيفى ٠ وفى خلال الموسم تستقبل ١٠٠٠٫٠٠٠ مصطاف ٠

وقرية بنى دورم ، أيضا مسترخى شتوى ٠ انها قرية متحضرة تنمو فى سرعة ٠ تقف عالية فوق تل « كانتالى » وتطل على شاطئين جميلين ويعلو من خلفهما أبنية عالية ٠٠

الأغنية الاسبانية ٠٠ المسابقات الرياضية ٠٠ الفنادق ٠٠ المقاهى ٠٠ النوادى تعطيها الحياة وتضمن لك زيارة ممتعة فى جو رائع وتحت شمس ساطعة ٠

❋ ❋ ❋

بلاد الأندلس

٧٣/٧/٢١

كلمة الأندلس من الكلمات التى لها تاريخ وطرائف ٠ فبعض المؤرخين يرد هذه اللفظة الى اسم جماعات الفنداليين Vandales الذين هاجموا أسبانيا ومروا بها مهاجرين الى أفريقيا الشمالية فى مطلع القرن الخامس الميلادى ٠ ويقول أن هؤلاء الفنداليين عندما مروا بالمضيق الذى يفصل أسبانيا عن المغرب ولعله مرفأ Tarila سموه باسمهم فأصبح مرفأ فندلس وقد ظل هذا الاسم حتى جاء العرب فخلعوه على جميع البلدان التى احتلوها بعد أن حرفوه وجعلوه « أندلس » ٠

ومن المؤرخين من يقول ان اقطاعية اسبانيا الجنوبية كلها ، التى كانت تسمى فى العهد الرومانى اقطاعية بيتيك Betique قد سميت بـ « فندالسيا » Vandalci عند مرور الفنداليين من أسبانيا الجنوبية أثناء هجرتهم الى أفريقيا الشمالية ٠ ولكن هذا الزعم الأخير لم تؤيده الوثائق ٠٠

ومهما يكن من أمر هـذا الاسم فان كلمـة الأندلس قد استعملها المؤرخون العـرب والجغرافيون بسرعة وتقبلوها بسـهولة وكانت تدل بادىء ذى بدء على أسبانيا كلها ثم أخذت تقتصر على المنطقة التى احتلها المسلمون من الأرض الاسبانية ٠٠ وتسمى مقاطعات اشبيليه وقرطبـة وغرناطة حتى اليوم باسم « الأندلس » ٠

كم من رحلات قبلنا استشرفت الى الأندلس ·· رحل اليها ناس عاديون ورحل اليها مشهورون ورحل اليها الشعر والفن ·· ورحل اليها زرياب المغنى الذى شكل نهضة غنائية بها امتد أثرها الى الغرب حيث تأثرت بها موسيقاه وشعره الغنائى معا ·· وبالطبع أثرت نهضة زرياب الغنائية فى الشعر الأندلسى تأثيرا يعتبر نقلة فى تاريخه وفى تاريخ الشعر العربى بعامة · فقد كانت هذه النهضة التى ازدهرت عليها الأغنية الشعبية ، وراء ابتداع الموشحات والأزجال التى تعتبر الأغنية الشعبية منبعا لهما · وزرياب هو الذى زاد فى الأندلس على أوتار العود وترا خامسا · وكانت أربعة قبل عهده ، وهو الذى اخترع مضراب العود من قوادم النسر ·

وأعطت هذه الحياة الطروب للشعر : الموشحات ــ ابتدعها عبادة ابن ماء السماء القزاز ــ والأزجال · ابتكر الرجل الزجل أبو بكر بن قزمان وهما أندلسيان ··

وأعطت للنثر : طوق الحمامة فى الألفة والآلاف وهو الاسم بالكامل وهو ثلاثون بابا ·· ويتناول هذا الكتاب الرائع فلسفة الحب معتمدا الى حد كبير على التجربة والملاحظة والتحليل النفسى واستخلاص النتائج · ولعله أول بحث فى العربية من نوعه ·

ومن الطريف أن مؤلفه ، فقيه !! وهو الامام على بن حزم الذى أفرد له العالم الاسبانى أسين بلاثيوس كتابا تناول فيه حياته وكتابه الجامع « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » ويعتبره بلاثيوس ، مفكرا ، وعالما لاهوتيا ، ومؤرخا ناقدا للأديان والمدارس الفلسفية الدينية · كما يعتبره الأستاذ نكل Nikl (أديبا وشاعرا ، وفقيها ، ومؤرخا سياسيا ، وعالما أخلاقيا) ·

كان عطاء الأندلس فى الأدب العربى ، عقدا فريدا ·

وكما صبت الرحلة من كل لون فى الأندلس ، نبعت من الأندلس الرحلة ولكن الى مكان غريب ·· وأنا أعنى هنا رسالة (التوابع والزوابع) التى يحكى فيها ابن شهيد رحلة له فى عالم الجن ، التقى فيه بشياطين الشعراء وناقشهم ·

وان كان النقد الأدبى لا يرى ابن شهيد فى رسالته متأثرا بالمقامة الابليسية لبديع الزمان الهمذانى ، كما يلمح الشبه بينهما وبين رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى الذى يقول بعض المؤرخين أنه كان مولعا به

وأنه عارض رسالة الغفران برسالته (التوابع والزوابع) التى أورد ابن بسام فى الذخيرة أقساما كثيرة منها ٠٠ هذا حين يقول المستشرق بروكلمان انها صنفت قبل رسالة الغفران بعشرين سنة ٠ ويرى بطرس البستانى الذى نشرها فى بيروت عام ١٩٥٣ أنها لم تتقدم رسالة الغفران بأكثر من تسع سنوات وليس هناك ما يدل على أن أبا العلاء قد اطلع عليها ٠

ومما يذكر أن الأندلس كان موئل اليهود وجنتهم فى العهد الاسلامى ومنهم من بلغ الوزارة كما يقول الدكتور حسين مؤنس فى كتابه (فجر الأندلس) بل (أن حركة بعث اللغة العبرية والأدب العبرى بدأت فى أسبانيا ٠ نشأت ونمت بين أظهر المسلمين وتحت أعينهم ، بل كان بعض علماء المسلمين يعينون اليهود على انشاء نحو لغتهم) ٠

كل هذا لمع فى ذهنى وتجمع وتحن على أبواب رحلة الأندلس ٠٠٠ كنت أعرف الأندلس بعقلى فلم تبق الا رؤية العين ٠٠٠

بدأت الرحلة فى الثامنة والنصف صباحا وقرأنا آيات من القرآن الكريم ٠

السيارة مكيفة ٠٠٠ كراسيها كراسى طيارة من القطيفة الزرقاء الجميلة لبست رؤوسها تلبيسات بيضاء شفافة أنيقة ٠٠٠ السائق فى خريف العمر وقور صامت متزن الحركة ٠٠٠ كانت السيارة بفضل خبرته تسبح فى نعومة ٠٠٠

الدليل : سيدة تتكلم الانجليزية والفرنسية بوضوح فضلا عن الاسبانية بالطبع ٠٠٠ علمها واسع بتاريخ بلادها وأسلوبها لا يخلو من لمسات أدبية لطيفة وفكاهة ٠٠٠ وعندما تحدثت عن العمارة فى بلادها وكيف يقف القديم الى جوار الوسيط والحديث قالت :

We only need candles in this procession

سألتنا من أين ؟ فقلنا من مصر فقالت فى أدب جم : من بلد التاريخ والقدم والآثار ٠٠٠ والمصريون المحدثون يجيدون اللغات ٠٠٠ فشكرناها على تحيتها الرقيقة وشكرناها على رفقتها العلمية التى توضح الرؤية أو تزيدها وضوحا ٠٠٠

السيارة تسير بنا فى طريق عريض طويل لم نحس فيه على امتداده

بمطب واحد أو حفر وأخاديد · المزروعات على الجانبين تخف وتكثف حسب طبيعة المكان ···

الأنهار متواضعة ضحلة لا تقاس بالنيل ·· ربما كانت لهذا السبب تتوارى منا دون سائر أفراد الرحلة فلم تلفت نظرنا كغيرها من المعالم الاسبانية ··

فى منتصف الطريق نزلنا فى Small Inn على حد تعبير الدليل وتوقعنا أن يكون كما يشير اسمه مطعما ريفيا فاذا به مطعم أنيق فخم تترامى حديقته حتى شاطىء البحر ومع هذا به حمام سباحة كبير جميل ·· والموائد بهاصطف كثير منها فى التراس المطل على الحديقة غير قاعة ضخمة امتلأت بالموائد فى الداخل ··· والطعام توالت صحافه حارة نزلت من على النار منذ ثوان وحين تبدل الأطباق تأتى ساخنة بالبخار ! ··· دليل استعداد ضخم ··· المفارش والأدوات موحدة لطيفة أنيقة ·

هل هذا كله مجرد Inn ؟

أكملنا رحلتنا الى بلنسيه بعد أن صافحنا بالعين على البعد كثيرا من القلاع العربية القديمة وصافحنا بالأذن كثيرا من الأسماء العربية التى تؤيد ما جاء فى كتاب الدكتور حسين مؤنس (رحلة الأندلس) · هذه « بلنسيه » التى وصفها وأفاض ابن الأبار شعرا ونثرا ، وبكاها أبو المطرف ابن عديرة ولكن الحديد كان أصدق أنباء من القصيد فسقطت بلنسيه وغادرها أميرها أبو جميل زيان الى الجزيرة ·· جزيرة شقر ·· بعد أن أسلمها الى الملك خايمى الفاتح · كما غادرها وزيرها وأديبها ابن الآبار مع أهله الى تونس ·

نزلنا بلنسيه فى فندق اكسلسيور · الوثارة والفخامة والخدم والحشم والطعام كأنه قصر من قصور ألف ليلة وليلة بخيالاتها وتهاويلها · وبالطبع لم نقصده باختيارنا ولكن الرحلة رتبتها لنا شركة مارسانس الاسبانية السياحية · تتسلم الفوج السياحى فى برشلونة وتطوف به الأندلس حتى يصل مدريد دون أن يتكلف حتى حمل حقائبه · ولكن يتكلف اشتراك الرحلة طبعا · والرحلة الى الأندلس نوعان : سريعة فى عشر أيام وبطيئة فى خمسة عشر يوما · وقد اخترنا الأولى ·

بلنسية :

الميناء الثاني والمدينة الثالثة في أسبانيا • وهي مدينة أندلسية قديمة ، على الشاطىء الغربي لاسبانيا وعلى بعد ٢٠٠ ميل جنوب غرب برشلونة • والمدينة الى الداخل بثلاثة أميال ، ولكن الميناء يقع عند مصب نهر توريا (Turia) •

والجو هناك معتدل ، والمطر السنوى قليل ولم تسقط الثلوج الا مرتين خلال القرن الماضي •

وقد أسس العرب في بلنسية نظاما عظيما للرى لم يتغير حتى الآن ، ونفتح بوابات الرى بجرس اشارة من المدينة ، ويحاكم المخالفون للقانون أمام محكمة في يوم الخميس من كل أسبوع • وقد أدى ذلك الى أن صارت بلنسية أخصب رقعة في أسبانيا كلها • ويمكن زراعتها ٣ ــ ٤ مرات في السنة • وتصدر بلنسية اللوز والبرتقال والليمون والتين والبلح والبطيخ وقصب السكر • وتشتهر المدينة بالتوت الأحمر والحرير الطبيعي ، وينمو على الساحل أفخر أنواع الأرز في العالم •

وعلى الرغم من المباني الحديثة ، تتميز المدينة بطابع عربي قوى من غرتها الى أخمص قدمها • وتجذب الاحتفالات في يوليو وأغسطس ملايين السياح •

« عن دائرة المعارف الأمريكية »

وضعنا حقائبنا ونزلنا نتجول في البلد حتى يحين موعد العشاء •• واذا بها ليست مجرد مدينة أو عاصمة اقليم ، فطنطا عاصمة اقليم من أكبر وأغنى محافظات الدلتا أخصب منطقة في الدنيا لا في مصر وحدها • وليس بطنطا فندق أو مطعم أو شارع أو مقهى ، لا أقول ، فخم أو ضخم أو رفيع المستوى بل مجرد مقبول معقول •• ليس في طنطا شيء عليه القيمة فما بالك بسائر مدننا والمراكز في الدلتا والصعيد ؟

كل هذا ثقل على صدرى وأنا أرى بلنسية واسعة متوسعة غنية مترفة في المباني والمتاجر والمطاعم والمناعم •• عشرات من الفنادق السياحية الفخمة التي تعدل ان لم تتفوق على سميراميس وشبرد وهيلتون وشيراتون •• أقسم بسيناء وعودتها الينا ان في ميدان واحد في مدينة بلنسية ست بنوك من أكبر وأفخم ما رأيت من البنوك من جنسيات مختلفة ولا يكاد ينتقل الانسان الى شارع حتى تتكرر الظاهرة •• عشرات البنوك في بلنسية

وعشرات البنوك فى برشلونة قبلها ٠٠ ان البنوك عملها (المال) ٠٠ اذن تستطيع أن تقدر دورة المـال المتدفق فى أسبانيا ، ان مصر من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب ليس بها أكثر من خمسة بنوك وهنا لا تقوى الكلمات على التعليق من حزنها والا سقطت جثة هامدة مقطوعة الأنفاس ٠

أثناء الرحلة قالت السيدة الدليل أن تعداد السكان فى اسبانيا ثلاثون مليون نسمة وأن عدد السياح الذين يزورون أسبانيا كل عام ٣٣ مليونا ! فلو قدرنا أن كل سائح يصرف مائة دولار فقط فمعنى هذا أن دخـل أسبانيا سنويا من السياحة ثلاثة آلاف ومائتا مليـون دولار سنويا !!! وليس بأسبانيا واحد على مائة مما بمصر من آثار !!

ان آثار أسبانيا عصر واحد هو العصر الوسيط ، أما مصر فحضارتها عمر الانسان قديمة ومتوسطة وحديثة وهى متصلة الحلقات ومصر بها من الحضارة ، مقدسات الأديان ٠٠ أن الطريق الذى قطعته مريم تحمل المسيح والأماكن التى وقفت بها واستظلت لو استغلت سياحيا كم من الملايين تفد الينا من الغرب ومصر فيها من المزارات والآثار الاسـلامية ما يجذب قلوب الملايين من الشرق ٠٠ ولكننا بدلا من أن نفتح عيوننا ، هللنا عندما جاءنا ١٠٠ مليون جنيه فى سنة من السياحة ٠٠ طنطنت الصحافة المصرية واستنفدت ما تملك من مداد أحمر فى كتابة مانشيتات الكسب الكبير !!!

اننا فى أشد الحاجة الى الاقتصاد فى الكلام حتى نرى الأشياء فى حجمها الطبيعى لتتحدد خطوتنا القادمة فى ضوء الصدق لا المبالغة والهذر والهدر والخدر والسذاجة الجاهلة ٠

اذا أردنا نقلة كبيرة يفيق عليها ضعفنا واقتصادنا وتدب فيه الحياة فتعم الصحوة كل شىء ٠٠ اذا أردنا هذا جادين فلنحدث انقلابا فى سياستنا السياحية أكبر كثيرا من شركة مصر للسياحة التى تنفر المصريين أنفسهم من السياحة الداخلية فما بالك بالأجانب ؟

ان مصر أغنى بلد فى الدنيا بالمعالم السياحية وتستطيع لو أخلصت الجهود والنيات أن تكون مصر أغنى بلد بالمال فى العالم كله من السياحة وحـــدها ٠

يقول الدكتور محمود كامل مستشار السياحة بالأمم المتحدة استنادا الى البيان الخاص بالسياسة الاقتصادية الجديدة للدولة ونصيب السياحة

العالمية نحو البحر الأبيض (ومصر دون باقي دول منطقة البحر الأبيض المتوسط بل دون باقي قطاع الشرق الأوسط من هذه المنطقة تنفرد أنها تستأثر بنماذج متكاملة من المغريات السياحية الجاذبة كلها ، طبقا لأحدث البحوث الاحصائية السياحية المستندة الى دراسات علمية للسوق السياحية والمتوقعات المنتظرة لهذه السوق) ٠

الأهرام العدد ٧٣/٨/١٨

وفى هذا المقال يشير الدكتور محمود كامل الى دراسة (دوفير) لعلم الأنماط التى تشمل المصادر والأنشطة السياحية وهى الدراسة التى قدمها الى مؤتمر « الجمعية الدولية لخبراء السياحة العلميين » الذى دعا فى آخر عام ١٩٧٣ لدراسة « طرق الأبحاث السياحية وتطبيقها على البلاد والمناطق النامية » يقول الدكتور محمود كامل : (لم يتردد « دوفير » عند بحث المغريات الجاذبة التاريخية بمنطقة البحر الأبيض المتوسط فى أن يضع مصر على رأس دول المنطقة السياحية قبل اليونان والأراضى المقدسة وتركيا ومدن الفن الايطالية « فلورانس وروما ونابلى » ويؤيده فى هذا العلامة السويسرى « كرايف » فى بحثه عن مساهمة السياحة فى تنمية البلاد النامية) ٠

ويقول المقال ان (أحدث صيحة اعلامية سياحية فى تونس والجزائر قد ركزت على « السياحة الصحراوية » و « سياحة الواحات » باعتبارهما مخرجين من اطار السياحة التقليدية) ٠

وبعد لقد انتقلت أسبانيا من حضيض التخلف والفقر والحروب الأهلية الى قمة الغنى والثروة فى أقل من نصف قرن ، كنا نحسب ونقرأ أنها تعانى من الديكتاتورية وقيودها ٠٠ وكنا نحسب أننا فيه سعداء نسبيا فاذا بنا فى هذا النصف قرن التعساء وحدنا ٠٠ الأشقياء المحزونون ٠٠ اذا بنا وحدنا الفقراء الجهلاء المهمومون ٠٠ نحن وحدنا البسطاء البلهاء النائمون السادرون فى الأحلام ٠



٧٣/٧/٢٣

بلنسيه (المدينة)

طافت بنا السيارة معالم المدينة وأسواقها ونزلنا عند : محكمة الشعب ٠٠ وهى عبارة عن كنيسة كانت فى الأصل مسجدا وكان فى حكم

العرب تعقد المحكمة الزراعية خارجه فيأتى الفلاحون من القرى والأقاليم المجاورة يعرضون شكاويهم وموضوعها دائما الرى والأرض وكل ما يتعلق بالزراعة ٠٠ وقد اختار لها العرب يوم الخميس باعتباره نهاية الأسبوع ، والجمعة للصلاة والعطلة الأسبوعية فلا يجوز فيها عمل ٠

وظل هذا التقليد متبعا حتى بعد أن رحل العرب عن الأندلس والآن ينظر اليه على أنه ظاهرة اسبانية تنفرد بها دون سائر بلاد أوربا ٠ وقد سجل الفن هذه المحكمة فى لوحة كبيرة بالألوان ٠

والكنيسة أى المسجد سابقا الأعمدة بنيت على شكل جذع النخلة والسقف قنوات ومنحنيات بارزة على شكل سعف النخيل فكأن البهو غابة نخيل حجرية ٠٠

وفى القاعة السفلى باب حديد ضيق لا يستطيع أن يمر منه أكثر من واحد فاذا مر وجنح الى اليسار ورفع رأسه الى أعلى رأى المئذنة ، التى هى اليوم برج الكنيسة فى استدارتها الحلزونية عبارة عن ثقب رأسى صاعد فى جوف المئذنة ٠

أمام المحكمة ، السوق ٠ تقوم النساء بالبيع فيه حتى الجزارة ! وطبعا معظم العملاء من النساء أيضا ٠ والى جانب السوق كنيسة يعلوها طائر ٠ وهنا تقول الأسطورة ان هذا الطائر يراقب ، داخل السوق النساء المغرمات بالثرثرة والغيبة ٠

البرلمان : وهو مبنى عربى الطراز سقوفه منقوشة ومحلاة بالذهب وعلى الجدران لوحات زيتية كبيرة منها واحدة تمثل طفلا جىء به الى الحاكم فلما مثل بين يديه أطرق مرتجفا ٠٠ وهنا لم ينس الفنان تجعيدات السجادة التى تركتها مشية الغلام المتعثر من الخوف ٠٠ ملاحظات دقيقة فتحت عينى عليها ابنتى فينان ٠٠ كما لاحظت حنان فى صورة «الراهب» للفنان جويا Goya الوجه ذى الأنياب ففسرته بسرعة بأنه يمثل الشيطان يصاحب الانسان حتى اللحظة الأخيرة وهو فى الصورة يغرى الراهب الغارب بعدم الاعتراف ٠٠ قد رسم (جويا) من خلال هذا الراهب صورتين للفراق ٠٠ الفراق الحى حين خلف هذا الرجل ملكه وزوجته وأولاده ليعتزل العالم ويترهب ، والفراق الأخير وهو على فراش الموت ٠

الكاتيدرائية :

الحرب والانسان : أهم ما فى الكاتيدرائية حجرة بها تمثال المسيح من الذهب الخالص المرصع بالماس والأحجار الكريمـة داخـل محفة من الذهب والأعمدة من الذهب واطار القاعدة النقش به على هيئة ملائكة تبدو متشابهة وهي مختلفة الملامح والتعبير وهذا كله من حصيلة تبرعات الشعب الأسبانى شكرا لله على انتهاء الحرب الأهلية التى استنفدت قوى وثروة أسبانيا ..

كثيرا ما يساق الانسان الى الحرب مكرها ..

وأثناء الطواف بهذا كله نوه الدليـل يفضل العرب على الرى فى أسبانيا وعلى البناء والفن ..

تلف الاسبان المحدثين نزعة أنصاف اليوم وليدة وعى علمى وسياحى أو لعله تكفير عن تعصب طويل فقد قوة الابصار وافتقد البصيرة فلم يميز بين النفيس الذى يستحق الحفاظ عليه ولو انتفاعا به لا حبا فيه ، وبين الرخيص الذى يجوز التخلص منه بالمحو والازالة .

هل نزعة الانصـاف هـذه علامة وثوق بالنفس على أثر الاستقلال والغنى ؟ هل هى ارتفاع الى مستوى الموضوعية العلمية والتاريخية ؟ هل هى هذا كله ؟ ربما .

على أى حال هذه النزعة تجسدت فى اقامتهم تمثالا للفيلسوف العربى ابن رشد فى قرطبة على مقربة من الجامع الكبير ..

وعندما مر الدليل بسلسلة من البنوك علق عليها مستشهدا بتعريف انجليزى للبنك بأنه :

Umbrella protects you when the sun is
shining and disappears when it is raining.

وشروق الشمس فى العبـارة يرمز الى الغنى حين يرمز المطر الى الاعسار والغمام المادى . فالبنك يعطى الغنى قروضا لمشروعات كسب جديد .. ولكنه لا يعطى الفقير لانه لا يضمنه ..

ومر بنا الدليل على شارع عبارة عن سلسلة من المحلات الضخمة للحلوى ووقف عند احداها لنلقى نظرة عليه على سبيل المثال فاذا بصاحب المحل يقدم لنا كيسين كبرين من الحلوى قام الدليل بتقديمها الينا ..

حركة مدروسة ومرتبة ومدفوعة وموضوعة ضمن برنامج الرحلة من قبل ولكنها مثلت كأنها تلقائية ، اظهارا أو تظاهرا بالكرم ٠٠ كرم أهل البلد ! ذكاء ٠٠ كل شيء هنا مدروس ٠

وفى الرحلة معنا رجل ينزل فنادق الدرجة الأولى الممتازة حين ينزل باقى أفراد الرحلة فنادق الدرجة الأولى فحسب وعرفت فيما بعد أنه جزار ولكن أمريكى ٠٠ وفى الرحلة رجال ونساء طاعنون فى السن من أمريكا وكوبا والبرازيل٠٠ودلالة هذا ايمان العالم المتحضر على مختلف المستويات بالرحلة والسفر والسياحة ٠

قصر الحمراء وجنة العريف

٧٣/٧/٢٢

فى الطريق الى الكانتيه Alcaté

أخذنا السيارة من بلنسيه فى طريقنا الى الكانتيه ·· وفى الطريق الجبلى كانت هناك صخرة ضخمة كأنها انتزعت نفسها من الجبل انتزاعا لتطل على البحر ·· هذه صخرة « نيفاتش » · تقول السيدة الدليل أن هذه الصخرة بيعت أول مرة ببضعة آلاف من الجنيهات ثم بيعت مرة ثانية بأضعاف ذلك المبلغ ثم بيعت أخيرا لأحد البنوك الموجودة فى بلنسيه بمبلغ سبعين مليون بيزتا ليتخذ منها مصيفا كمشروع استثمارى ·· وهكذا تعلو الأرض ماديا ومعنويا عندما يقبل أهلها عليها ·

وفى الطريق الى كورنيثا رأينا الجبل مدرجات زراعية كأنه مسرح زراعى · ورأينا سلسلة ايتانا وشاطئها الصخرى الصغير الفقير فخلقوا من هذا العيب حسنة بأن حولوه الى مصيف للكتاب والفنانين يقضون أجازاتهم فيه وكأنه قصد أو قصدوا أن يكون مصيفا هادئا ··

وفى الطريق مررنا بقرية صغيرة هى قرية « بنى ضورم » وكان تعدادها ثلاثة آلاف نسمة · تقول السيدة الدليل انها تمر عليها بحكم عملها مرتين فى الأسبوع وما من مرة مرت بها الا رأت شيئا جديدا أضيف اليها وتقول ان تعدادها الآن أصبح تسعين ألفا وأن عدد زوارها يبلغ نصف مليون ·

ونظرت الى القرية (سابقا) فاذا بها الآن آلاف من العمارات وناطحات السحاب وآلاف من السيارات وعدد كبير جدا من فنادق الدرجة الأولى بل الفاخرة بفضل الوعى السياحى والعمرانى وتمنيت أن تأتى الى هذا المكان شركة مصر للسياحة التى لم تعرف فى العام الماضى كيف تنظم رحلة الى مرسى مطروح وجمعت اشتراكات خيالية بدعوى انزال المشتركين فى فندق ريم فاذا به دون الحضيض من حيث النظافة والمعاملة ··

وفى الطريق مررنا بقرية « بياخيوسا » وكانت عبارة عن مصانع الشيكولاتة فاذا بالقرية الصغيرة تسوى بيوتها المتواضعة لتقوم مكانها ناطحات سحاب ٠

ومن برشلونة الى الأندلس شرق وجنوب أسبانيا ظاهرة لفتت نظر السياح خاصة نحن أبناء النيل وهى أن أنهار أسبانيا فى الصيف تجف تماما حتى غدا بعضها جزءا من الطريق ، والبعض الآخر جزءا من الحقول على جانبيه ٠ ورأيت نهرا طريفا يجرى الماء فى نصفه والنصف الآخر مزروع ٠٠ وتعليل هذه الظاهرة أنها تعتمد على الأمطار ٠٠ وعندما تسحب زراعة ما تأتى به الأمطار ، تترك هذه الأنهار جافة تنتظر جود السماء ٠

❀ ❀ ❀

الكانتيه Alcante

ميناء جميل ٠٠ مدينة صناعية ٠٠ مطار مهم ٠٠ قلعة على جبل بنيكانتينا Benicantinya ٠٠ شوارع واسعة ٠٠ ميادين جميلة لا سيما ميدان النخيل ٠٠ محلات حافلة ٠٠ غابة من ناطحات السحاب وبيوت قديمة فلتت من الاعدام بمعجزة وان كان الزحف الحديث وراءها بالمرصاد ٠٠

هذه هى مقاطعة Alcante التى يبلغ تعدادها ٦ ملايين نسمة ٠

وفى Alcante نزلنا فندق Leuka نسبة الى شاعر الأسبان العظيم ٠٠

الفندق جديد ٠٠ وجدنا فى حجرتينا غير الحمام النظيف اللامع اضافات جديدة ٠٠ زرار تضغط عليه فتضىء لوحة على الباب من الخارج على يسار الداخل تقول (ممنوع الازعاج) وهنا لا يطرق عليك الباب أحد لأى سبب ٠

والدولاب اذا فتحته أضاء بالكهرباء من الداخل واذا أغلقته انطفأ ٠

والا جوار الدولاب ثلاجة رفها العلوى لحفظ السوائل الساخنة ! وباقى الرفوف لحفظ المثلجات ٠٠ وفى بابها ألوان من الشيكولاتة والمأكولات حتى لا تكلف نفسك الطلب ٠٠ ولو أن بالحجرة تليفونا يلبى فى الحال وحتى لا تنتظر بل تمد يدك فتأخذ ما تشتهيه ٠٠ فقط تتذكر الحساب متمتعا بالائتمان والثقة ٠

وفى الحمام شرائط من الورق المجهزة تجهيزا خاصا بحيث اذا مررت بها على حذائك جعلته نظيفا لامعا ..

وفى أسبانيا غجر gipsis أسبانيون يعيشون فى كهوف فى جبال « مرسيه » . والكهف ليس دليل فقر فبعض هذه الكهوف يتكون من ثمانى حجرات ، ويملك صاحبه سيارة وسيارتين ويستضيء بالكهرباء . وبعض هذه الكهوف تصل اليها المياه .

وقد زرنا فى الطريق كهفا متواضعا بعد أن مرت بنا السيارة على كهف يبدو لناظره فيللا لولا أن سقوفها أقباء وطلاؤها أبيض .. الكهف المتواضع لأرملة عجوز . ودخلناه فاذا بقبو السقف يجعله رطبا لطيف الحرارة .. والكهف به ثلاث حجرات نوم وحجرة بها أرائك وحجرة بها مخزون الطعام وحنفيات وقاعات مربعة صغيرة ولكن الكهف كله نظيف نظافة مذهلة .. وصاحبته على رقة حالها قد ملأته بأشغال اليد وتحف الفخار والنحاس والأشغال اليدوية ..

ومن الطريف أن صورة عبد الوهاب ورجاء فى فيلم الوردة البيضاء معلقة على الجدار وحولها اطار من شغل الابرة ... ولا أدرى كيف أتت السيدة بها وسألتها طامعة فى قصة طريفة ولكن نظراتها تاهت ولم تتذكر الا انها اشترتها ...

ثم زادت دهشتى عندما خرجنا من الكوخ لنجد على يميننا مكانا واسعا لبيع الفخار المدهون فاذا بى أجد رمسيس وعربته الحربية ! وأجده مرة أخرى مصورا على حوض زهور مستطيل .

والجبسس اذا سألت أحدهم عن جنسيته لا يقول أنه أسبانى أو ينتسب الى مدينة من أسبانيا بل يقول : جبسى اعتزازا بأصله الذى انحدر منه وهو درس ينقص الكثيرين .. ومن الغريب أن نتهم بالاقليمية اذا انتسبنا الى مصر !

والجبسس تجار مهرة يتنقلون من بلد الى بلد ويحبون الصناعات المعدنية وهم موهوبون فى الغناء والرقص ...

ومنهم من وصل الى الجامعة . وفى سنة ١٩٧٢ كان الكتاب المختار لتمثيل أسبانيا من تأليف « جبسى » .

والجبسس ذو أخلاقيات ... قد توجد بينهم سرقات ولكن أصحابها دفعتهم اليها ، الحاجة لا الشر .

وهم يخلصون بعضهم لبعض فلا يعرف الحسد طريقه الى قلوبهم ٠

* * *

الفلمنكو

عندما سقطت غرناطة في يد « فرناندو وايزابيلا » أراد المسلمون من عامة الناس أن يواصلوا الحياة فى الأندلس فاشترطا عليهم أن يتركوا الاسلام الى المسيحية فرفض الكثيرون وقد عز عليهم ، ولاذوا بالجبال ٠٠٠

وكان الجبس يحبون المسلمين ويعاونونهم فخرجوا وراءهم ٠٠ حبا وفرقا ٠٠ فقد خافوا الاضطهاد بحكم هذه العلاقة ٠

كما رفض اليهود أيضا أن يتحولوا عن دينهم فخرجوا فارين الى الجبال ٠٠٠ جبال سيرا نيفادا ٠٠٠

وجمع بين القوم الثلاثة ، الألم والقهر والشتات فعاشوا معا وكان يطلق عليهم اسم « فلمنكو » ٠٠٠ ومن هنا كان طابع الفلمنكو ، حتى اذا غنوا ، الحزن والشجن ٠ على أنهم يحبون الرقص والغناء والجيتار ٠٠٠

ولقد جاءت كلمة فلمنكو من لفظة « فلا » الاسبانية أى فلاح و « منكوس » أى مئات ٠

فلمنكو مئات الفلاحين الذين هاموا فى سيرا نيفادا هربا من بطش الغالب ٠

مرسيه

بلد المرسى أبى العباس ومن هنا نسمى فى مصر (مرسى) وأصحاب هذا الاسم يسمون ولدهم (عباس) ٠ فى الغالب ٠ وان كان اسم (مرسى) لا يعجب أستاذنا الدكتور أحمد أمين فقد سمعته رحمه الله فى حديث له عن دلالة الأسماء على أصحابها يقول : عندما أسمع اسم (شوقى) أحس أن صاحبه لابد أن يكون فنانا أو شاعرا ٠ أما (مرسى) فلا يمكن أن يكون صاحبه الا « حلاقا » ٠٠ ويضحك ٠٠

رحم الله عالمنا (أحمد أمين) فمع ما فى الأسماء من دلالات وايقاعات تريح أو تنفر فان المسألة حظوظ فأصحابها لم يؤخذ رأيهم فيها بل خلعت عليهم ساعة الميلاد ٠

٧٣/٧/٢٤

غرناطة

مدخلها القريب جبال على الجانبين تكاد تلامس بالأيدى لو كانت تملك الأيدى ثم تنفتح على المروج الخضراء والذهبيـة ٠٠٠ ومع هـذا

سر غرناطة

يعتقد ساكنو غرناطة أن أى انسان لم ير غرناطة وقصر الحمراء لم ير شيئا ٠ أما ديماس فقد قال ان الله قد خلق الحمراء وغرناطة حتى يسكن اليهما اذا ما مل بيته ٠ أما الشعراء فقد اصطلحوا فيما بينهم على تسمية غرناطة ، لؤلؤة الأندلس ، والأرض التى لثمتها الشمس ٠

ولا شك أن قصر الحمراء هو أشهر مثل قائم للعمارة الاسلامية فى أوربا ، كما هو رمز للمجد الضائع والازدهار الخابى ٠

الا أن القصر مر بفترات عصيبة كان فيها ملجأ للمشردين والغجر وكان لهذا أثره فى كثير من غرفه وأروقته التى حال فيها اللون وانطمست المعالم٠واليوم يرى الزائر حديقة القصر العريق الطراز ، والقلعة (الكابازا ـ Alcabaza) ثم جنة العريف وهى حدائق رائعة ، ثم هناك صحن الأسوار (باسوده) الرخامية السوداء ، (وصحن ميرتل ـ Myrtle) الى جانب الحمامات الداخلية ، للرجال والنسـاء والأطفال وهى تركية النظـام ٠

يقول كيرت هيلشر ٠ ان الموسيقى هى اللغة الوحيدة القادرة على وصف هذا الجمال ، الذى يبدو كأن قوس قزح قد سقط من السـماء وانتشر فى المكان ٠

Wonders of the world

byronald goock

من كتاب « عجائب الدنيا »

سرنا في مرتفعات كثيرة كانت تزيد أحيانا على ألف متر فوق سطح البحر ...

دخلنا غرناطة .. نزلنا في فندق لوس أنجلوس . كانت حجرتانا تطلان على الحديقة وحمام السباحة ، الفندق أنشأه أمريكان في غرناطة وحاولوا أن يكون على الطراز العربي فكان (مسخا) لا هو حديث ولا هو عربي الطراز .

وصحبنا الدليل في أول الطواف الى الكاتدرائية .. بناء فخم شامخ مثقل بالذهب كأنه يتحدى الجمال والفن في قصر الحمراء ، بالثراء والبذخ .

وبعد هذا ، عجز .

وخرجنا من الكاتدرائية غير مقتنعين بالشكل نحن الذين نؤمن بعيسى ايماننا بالأنبياء وكتبهم ...

أمام الكاتدرائية ميدان به تمثال كبير يمثل كولومبس يستأذن فرناند في الخروج لاكتشاف العالم الجديد .

ثم ذهبنا الى قصر الحمراء .

ويرجع الدكتور محمد عبد العزيز مرزوق أن الاحمرار في الاسم من لون التربة هناك بسبب كثرة اكسيد الحديد بها (ولما كان ملاط أبنيتها قد اتخذ من هذه التربة فقد غلب عليه اللون الأحمر الذي أطلقه العرب على هذه البقعة) .

غابات الأشجار السامقة والباسقة على الجانبين ... الأتوبيسات السياحية بضخامتها كانت تبدو في مدخله كأنها لعب أطفال تتحرك في هذا المكان الذي يقف فيه كل شيء فارها يصافح السماء ...

القصر بزخارفه ورفارفه يحتوي زائره خاصة اذا كان يشاهده لأول مرة It is the waw كما يسمي الأمريكان الشيء المذهل الروعة الذي يطلق آهة البهر اذ تقع عليه العين ...

لأن الحجر وأنصاع الرخام وصنع منهما الفنان دانتيلا دقيقة رقيقة وحنيات ... الخطوط تستقيم وتستدير في لين وسهولة كلين العيش في القصر .. والمقرنص من وراء دنتلا الحجر ، صفوف وراء صفوف ، وطبقة تعلو طبقة ... كذخائر القصر في الداخل ، ذخائر الفن في خارجه .. على الجدران نمنمة وترصيع وألوان صيغت كلها في أناقة ولطف تعبير كأن بناه موسيقي أو جواهرجي .

هذه النقوش الدقيقة والكثيرة والمتنوعة من عمل الفن الشاعر ، والفراغ الآمن ، والغنى الآمل والحياة المتذوقة فى استمتاع وفرحة ·

ويلمح المستشرق غارسيا غومس ، قصر الحمراء فى الشعر العربى الأندلسى فهو يشبه (قالبيته) وعناية أصحابه الشديدة بالشكل حتى ليبدو بعد تقطير صوره ومعانيه فى أنابيق بلاغية ، مثقلا (بالزخارف الشعرية الأربسكية التى تشبه أن تكون « قصور حمراء » لفظية) ·

سأترك تفاصيل وصف القصر بقاعاته وحجراته وساحاته للدكتور محمد عبد العزيز مرزوق فى عدد (قصر الحمراء) من السلسلة الثقافية ، كما فصله وأوفى الأستاذ عبد الله عنان فى كتابه الكبير (الآثار الأندلسية الباقية) ، حتى لا تفوتنى متابعة الرحلة فنحن الآن فى طريقنا الى الجنة·· (جنة العريف) ···

وكأن أصحاب قصر الحمراء لم يكتفوا بحدائقه وخمائله فاستحدثوا على مقربة منه (جنة العريف) أو جنة الانسان فى أى مكان ·

أشجار الجازورين كأنها صفوف الجنود اصطفت على الجانبين ·· الطرقات المرصوفة صاعدة فى عملية تهيئة للدخول ··· سلالم المياه والشلالات الصغيرة المتلاحقة ··· العبير الناغم والهمس الناعم حتى الصمت فى هذا المكان نغم وحده ···

اذا اشرأب الوجه ليجمع المكان كله فى نظرة ، راعه ما بين أشجار الحور والسماء ··· انهما متداخلان فى زجزاج من الخضرة والصفاء ·

حوار بين زهو الخضرة وصفاء الأزرق على شعاع من نور ·

كل شىء فى هذا المكان وراءه قصة ··· وعنده قصة يرويها ··· أحداث كبيرة وأعمار كثيرة دخلت فى نسيج هذه الجنة ···

ودخلناها ··

وكالمؤمنين سبحنا وصلينا ····

وكالمودعين سمعنا أغنية المياه للزهر والشجر ·

الماء عنصر زخرفى كبير فى تشكيل هذه الجنة وتنعيم الاحساس بها ·· قنوات وشلالات ونافورات تتعانق خيوطها كأقواس النصر المنصوبة لزفة العرس أو موكب ملك ··· لابد أن يكون هذا فالصفوف الخلفية

من الشجر تطل برؤوسها كما يفعل الناس فى الزفة ··· كل يريد أن يجتلى وجه العروس أو يظفر بلمحة ·· شجرة واحدة فى آخر الحديقة كانت تقف وحدها كأنها الديدبان الحارس ·

فن تشكيلى مادته الماء والشجر ·

بوابات من الأشجار الكاسية ·

كل شىء فى هذا المكان صفان ·· وكل الأحبة اتنين اتنين كما يقول بيرم ·· هنا (كانت) زرابى مبثوثة ونمارق مصفوفة ليكون الانسان أدنى الى الطبيعة · يكون معها فى صحبة ·· شجرتان فى وسط البركة متعانقتان فى حركة باليه ··· كل شىء فى الحديقة يرقص لا الكاستيناس وحدها ·

لو دققت فى كل شىء فى غرناطة لوجدت رسم رمانة ·· الرمانة شعار غرناطة ·

أخرجت التفاحة آدم من الجنة ·

وأخرجت (الرمانة) العرب من غرناطة ··· وأسبانيا كلها ··· والحقيقة أنها ليست التفاحة أو الرمانة ولكن الانسان فى المرتين أتبع هواه ولم يعرف كيف يصون النعمة ويرعاها ···

ولكننى لم أبك مع الباكين ···

لم أبك فالذى ضاع فى الأندلس ، الملوك ·

ملوك العرب وملوك الاسبان على السواء ·

ضاع بنو الأحمر كما ضاع فرناندو وايزابيلا ·

وبقى قصر الحمراء على الرغم من المحو والتخريب فى بعض أجزائه ··

وبقيت جنة العريف ·

ضاع الملك وبقى الفن وهو الأغلى والأعلى والأكرم ·

مهما بلغ الملوك حتى ولو عدلوا ··· ولو عفوا لا يبقى منهم ان بقى شىء ، الا سطور فى كتب التاريخ حين يبقى علم العالم ، وفن الرسام والمثال والشاعر تراثا تعيش عليه الأمم وتستمد منه معنى بقائها ···

اذن علام يبكى الباكون ؟ على الأشخاص الذين لم يبكوا على أنفسهم

وعلى أمتهم ··· على الافراد الذين يدل وجودهم لو بقوا على معنى نحاربه هو الاستعمار ؟

ان العرب موجودون فنيا فى الأندلس حيث كانوا ولهذا لم أبك على الخروج المادى وانما بكيت على توقيت هـذا الخروج ·· فلو تأخر سقوط غرناطة كمـا يقول الدكتور حسين مؤنس سـنة واحدة لانتشر الاسلام فى العالم الجديد بالاكتشاف والتعمير وحق الاستيطان الأول فى أرض فراغ ليست ملكا لأحد ·· لو حدث هذا لما استطاع أن يخرجهم أحد حتى ولو عاودهم داؤهم القديم : الاختلاف والشقاق والتناحر ··· كان الاسلام سيكسب وطنا جديدا ··· وطنا دائما ليس له صاحب قديم يطالب به مهما طال الأمد ···

هنا علامة تاريخ ونقطة تحول كان يمكن أن تضيف الى حياتنا : دينا وأمة ·

لو حدث هذا لتغير موقف أمريكا اليوم ·· موقفها الذى يقف وراءه ويصنعه يهود أمريكا لا يهود اسرائيل ·

اشبيليه أو لؤلؤة الأندلس

المدينة الرابعة فى أسبانيا ، وهى الوسط الفنى والتعليمى والأدبى والعلمى والاسم الاسبانى لها هو (سفيلا ــ Sevilla) · وتقع اشبيليه على نهر (Guadal quivir) أى الوادى الكبير) وهى على بعد حوالى ٥٥ ميلا الى الداخل من مصب النهر على خليج (قادس ــ Gadiz) وهى مشهورة باسم لؤلؤة الأندلس ·

وتشتهر اشبيليه بطابعها العربى ، فالشوارع ضيقة وغير ممهدة تمهيدا كاملا · ففى الأعياد تمتلىء الشوارع براقصات أسبانيات فى الزى المشهور · وهناك أربع أوبرات عالمية مأخوذة عن موسيقى اشبيليه وهى : « حلاق اشبيليه » ، و « كارمن » لبيزت ، و « زواج فيجارو » لموتزارت و « دون جيوفانى » ·

واشبيليه تفخـر بقصـــرها (Alcazar) الذى بنـــاء العرب فى عهـــد الملك أبو يعقوب عـــام ١١٨١ ، وأضيفت اضافات فى عهـــد Charles I, sabella Henry II Pedro Cruel وآخرين · وكاتدرائية

اشبيليه من أكبر الكاتدرائيات فى العالم · بدأ بناؤها عـــام ١٩٠٤ على الطراز القوطى وأكملت بعـــد ٢٠٠ عـــام · والجيرالد Giralda كانت مئذنة لجامع اسلامى قبل أن تتحول الى برج الجرس الذهبى ·

استولى المسلمون عليها فى عام ٧١٢ م وظلت عربية حتى أخذها Fernandi III of castile فى ١٢٤٨ وانتعشت بعد رسو كولومبس فيها بعد رحلته الأولى للعالم الجديد ·

وتصدر : النبيذ ، البرتقال ، الزيتون ، الزيت ، الطباق ، الأوانى ، الفلين ، الزئبق ، الشيكولاتة ، الحرير ، الصوف ·

عن دائرة المعارف الأمريكية

قصة شارل الخامس المدجنين

٧٣/٧/٢٤

فى الطريق الى اشبيليه

الدليل فى حاجة الى من يدله ٠٠٠ دليلنا احتار ٠٠ نام فى السيارة ونام عن واجبه ٠٠٠ أيقظه أحمد فضحك الركاب ٠٠٠ سرعان ما قارن المسافرون بين ضعفه الضعيف وقوة سلفه السيدة الين ٠٠ كانت معلوماتها غزيرة يرفدها اطلاع واسع ونفس حساسة أعطت الشرح لمسات انسانية وتعبيرات أدبية ٠٠٠

فى الطريق مررنا بمدن أندلسية تقليدية ٠٠٠ البيوت البيضاء المتشابهة ٠٠ الشوارع الضيقة المبلطة ٠٠٠

الطريق ا لىاشبيليه واد خصب ٠٠٠ الجبال ترى من بعيد وحين تقترب وتسير سياراتنا منها بين صفين فانها خصبة هى الأخرى خضراء السفوح ٠٠٠

ودخلنا اشبيليه مساء فى الثامنة وعشر دقائق ٠٠٠ المدخل جديد أى عمارات حديثة رأيت ثلاث نافورات فى ميدان واحد ٠٠٠ وتذكرت نافورة ميدان التحرير بالقاهرة التى أخذت أجازة طويلة ٠٠

الشوارع واسعة كأنها بحر تسير فيه بواخر لا سيارات ٠

فى اشبيليه ثالث كاتدرائية فى العالم (الأولى فى الفاتيكان والثانية « سان باول » فى انجلترا) هذا معقول ولكن أن يوضع صليب فى كل ركن من الجامعة فشيء غير عادى ٠٠ انه لون من رد الفعل القوى الذى يؤكد به صاحبه نفسه لنفسه بمناسبة وبغير مناسبة ٠ ان المسيحية عمار فى القلب وقرار أكبر كثيرا من الطقوس ٠

وزرنا فى اشبيليه كنيسة (ماكرينا)انها ثانى كنيسة فيها Caravan وهو مربع كبير عليه تماثيل : قيصر الرومان الذى سمع وشاية يهوذا وحكم على المسيح ٠ وتمثال زوجته تشفق عليه من هذا الذنب الكبير وما يشبه

« طشتا » وأبريقا يمسك بهما خادم ليغسل لقيصر يديه من الاثم ..
وكهنة فى أوضاع شتى . ويرفع الناس هذا على رؤوسهم تبركا ويذهبون
به فى أسبوع الآلام الى الكاتدرائية . وفى هذا الأسبوع يعذب النـاس
أنفسهم تكفيرا عما لاقاه المسيح من محن ... تماما كما يفعل الشيعة
خاصة فى العراق اذا حلت عاشوراء تكفيرا عما لاقاه الحسين فى كربلاء ..
الانسان هو الانسان ...

وفى ٧٣/٧/٢٥ كان عيد قديس اشبيليه أى أجازة فى المدينة ..
جميع المحال التجارية مغلقة . زرنا مبانى البلدية وكان فى الأصل قصرا
من قصور الملكية الاسبانية ... الحقيقة أنه قصر على شكل نصف دائرة
فى ميدان عبارة عن أكبر دائرة رأيتها .. القصر فى الحقيقة يشغل ثلثى
الدائرة والباقى حدائق وفى الوسط الميدان ... منظر غريب حقيقة ...

وفى اشبيليه زرنا الكاتدرائية .. كانت كالعادة ، مسجدا لم يبق
منه الا المئذنة .

* * *

وفى الكاتدرائية وجدنا تابوتا من الرخام تحمله تماثيل أربعة يمثل
الرجال يحملون كرستوف كولومبس اشارة الى دفنه فى هذا المكان ولكن
الدليل نفسه يعتقد أن هذا اشارة تخليد أكثر منها حقيقة .. فى جنوة
أيضا بايطاليا تمثال كبير لكرستوف كولومبس فى ميدان المحطة .

وروى لنا الدليل الاسبانى أن التليفزيون عندهم طرح مسابقة ..
موضوع من الموضوعات يتقدم كل من آنس فى نفسه كفاءة فيه ليرد على
أسئلة المشاهدين مقابل مكافأة كبيرة .. وعندما طرح موضوع كرستوف
كولومبس بناء على رغبة الجمهور تقدم أستاذ جامعى متخصص وأجاب
باستفاضة وعلم عن جميع الأسئلة... ثم سأله سائل عن جثمان كرستوف
كولومبس فقال الأستاذ : قد يكون فى أمريكا .. قد يكون فى الهند ..
قد يكون فى ايطاليا .. قد يكون فى فرنسا أو أسبانيا اشارة الى أنه
غير معروف على وجه التحقيق .

والكاتدرائية فى اشبيليه كسائر الكاتدرائيات الاسبانية فى الزخارف
الذهبية والفخامة المقصودة ولكن المساجد أكثر بساطة وسماحة لانهـا
موصلة بالسماء ، مفتوحة على النور .. ان المسلم صلته مباشرة بالله ..
لهذا لا يلجأ المسجد الى الذهب الكثير والتهاويل لانه لا يريد أن يضـع
رجل الدين فى مقام السدانة والكهانة والوساطة بين الله والناس ...

رجل الدين في الاسلام ورجل الشارع أكرمهما عند الله أتقاهما فلا يملك أحدهما دون الآخر أن يبارك التيجان أو يوزع صكوك الغفران ٠

ان ايمـان الشرق العميق بالدين كما يقول توفيق الحكيم يمثله شهداء المسيحية أو أصـحاب بدر ٠٠٠ وحين تسـلم الغرب من الشرق الأديان ، (ألبسها أردية موشاة بالذهب ، ووضع على رؤوسها التيجان المرصعة بالماس ، وأقبضها صولجانات الجاه والسلطان والجبروت الأرضى! ان الكنيسة في أوربا كانت — في يوم ما — أعظم مؤسسة مالية ، وان نظامها الرأسمالى لأدق نظام ٠ وأن ثروتها الطائلة لتسند ظهر أقوى البيوت العالمية ، وتقوضها اذا شاءت فى طرفة عين ، فأين ذهبت كلمة المسيح ؟) ٠
ونساءل كاتبنا مرة أخرى :

(وكلما همت روح الانسان بالتحليق نحو الأعالى كبلتها أكاذيب الانسان وأنزلتها الى التراب ٠٠ كل شقاء الانسانية أنها لا تستطيع أن تترك شيئا عظيما ذا قداسة ، بغير أن تلبسه ثيابا مبتذلة مضحكة ، من حمقها وزيفها وغرورها ! ولماذا أراد الناس أن يجعلوا (الله) فى حاجة الى السجاجيد الفارسية تفرش بها بيوته ؟ والسيدة فى حاجة الى (النذور) والنجف والشمع ، كأنها لا تستطيع النوم فى الظلام ؟ ثم ذلك (القمقم) الفضى فى الكنيسة وتلك الاشارات والعلامات ؟ لماذا كل هذا ؟) ٠

وفى اشبيليه زرنا قصر شارل الخامس ٠ لقد طلب من رجاله قصرا صورة من قصر الحمراء فى غرناطة ليكون قصرا لحكمه فلم يجدوا أمامهم الا بقايا المسلمين فى أسبانيا « المدجنين » (١) أو أولئك الذين رحلوا الى المغرب ٠٠ ان اليد العربية مدربة على هذا الطراز من البناء ٠٠

ومن الطريف أن البنائين زينوا الجدران بالآيات القرآنية وبالرموز الاسلامية ٠٠ ماذا ٠٠ هذا هو أسلوبهم فى البناء ٠٠٠

وأعجب شارل الخامس بالقصر وطلب أن يبنوا له فوقه طابقا يكون له دارا ٠٠ ووعده رجاله أن يبنوا له خيرا من القصر العربى ٠٠

وبنى الاسبان هذه المرة ٠٠٠ بنوا طابقا فوق القصر فكان الطابق رقعة فى الثوب الفاخر الجميل ٠٠٠ لا أقول هذا بعصبية دين أو جنس

---

(١) ٧٠٪ من العرب رحلوا الى المغرب والباقون اعتنقوا المسيحية ذريعة للبقاء خوفا من الضياع فى أوطانهم الأصلية ، اذ بعد عهدهم بها فانقطع جذرهم فيها ٠

ولكن الدليل الاسبانى نفسه قال بالنص (خير للمرء أن يضع راحة كفه فوق مستوى عينيه حتى لا يرى الدور الأعلى أن القبح المجسم) ...

وقصر شارل الخامس باق بألوانه كما هى لم يتغير لون كما حدث في قصر الحمراء والمسألة لا تحتاج الى تعليل فهو لم يتعرض مثله للمحو والاثبات وان كان الدليل يعلل هذا بأن الغجر مروا بغرناطة وأتى عليهم الليل وهم أمام قصر الحمراء ذلك البناء الكبير المهجور فى تقديرهم فدخلوا ليبيتوا فيه ليلتهم واذا به يعجبهم فقرروا الاقامة فيه وظلوا أعواما حتى انتبهت السلطة وأخرجتهم ولكن بعد أن عاثوا فيه فسادا ... ويبدو أن قصة الغجر هذه نكتة ساذجة يتوارى وراءها خجل الاسبان المحدثين مما فعله تعصب أسلافهم ... فلو أن هناك تقديرا للقيم لأحيط القصر بحراس حتى لا يقتحمه أحد ... وهل مثل هذا تظل السلطة أعواما لا تحس شيئا مما يدور فيه ؟ اذا صدق قول الدليل فهو ادانة مرتين .

ومن الطريف أن شارل الخامس بعد أن سكن الطابق العلوى أو الطابق الاسبانى أمر أ نتفتح له أربع شرفات تطل على القاعة العربية البناء والطراز والنقوش ، وتحيط بها حتى لا تغيب عنه فى مكان من الطابق الأعلى ، وكانت عينه لا تمل النظر اليها ...

وقد سكن هذا القصر ملوك أسبانيا على التعاقب بل سكنه الجنرال فرانكو فى الأربعينات .

وفى اشبيليه « المدينة القديمة » نهر الوادى الكبير ... زفاره لا تطاق ... ركود ... كوبرى هزيل متواضع يفصل بين المدينة الجديدة والمدينة القديمة ذات الشوارع الضيقة والحارات والبيوت المتواضعة والزحام وعربات اليد تبيع السلع كالمأكولات ، والأصوات العالية ، وحلوى المولد تباع فى كل مكان اذا استثنينا (العروسة) .. ومع هذا فالمقاهى والكازينوهات منثورة على طول الشاطىء والأنوار والموسيقى وجموع الناس تشارك فى هذا كله .. وبالقرب من اشبيليه Sevill تربى ثيران المصارعة فى أراضى نهر الوادى الكبير المنخفضة .

هذه اشبيليه بلدة المعتضد بن عباد وابنه المعتمد حين كانت مركز الشعر والشعراء الذين كانوا يلوذون باشبيليه بعد أن استولى النورمان على صقلية ، وجال التخريب فى القيروان ، لاذ بمدينة ابن عباد ، ابن حمديس والصقلى والحصرى فنهض الشعر بها نهضة أجرته على كل لسان حتى لنرى (غسالة) تجيز شطرا من الشعر للمعتمد . وكان قد

سأل وزيره ابن عمار أن يجيز الشطر فارتج عليه ... وبادرت الغسالة لتنقذه فأعجب بها المعتمد وتزوجها وهى اعتماد الرميكية المشهورة التى تمنت فى قصره لو عجنت الطين برجليها كما كانت تصنع قديما ! فنثر لها كافورا وعنبرا كثيرا ، وصنع لها منهما ما صبت نفسها اليه !

يا لسخرية القدر .. فالمدينة التى شهدت قصة الحب الشاعرة بين المعتمد واعتماد ، هى نفسها المدينة التى شهدت بعد زوال ملك العرب محاكم التفتيش الدامية ورأت أول رئيس لها « توماس دى توركيمادا » Tomas de Torquemada يتسبب فى احراق ستة آلاف كتاب فى يوم واحد لانه فى نظره مريب أو مؤيد للالحاد . وخلال الثمانية عشر عاما التى كان فيها رئيسا للقضاة حوكم أمامه أكثر من مائة ألف . كما تقول دوروثى لودر مؤلفة كتاب « أسبانيا شعبها وأرضها » .

بقدر ما أساء هذا المتعصب الى المسيحية بما فيها من سلامية ووداعة، بقدر ما أضاف (باخ) بأنغامه ثراء الى المسيحية بما ترجم عنها .
وهذا هو الفرق بين احتراف الدين وتقى الفن ..

٧٣/٧/٢٦
قرطبـــة

الطريق اليها الوادى الكبير .. أفسحت الجبال المكان للحقول فلم نعد نراها .. ولكنها استقبلتنا فى قرطبة .. كانت واقفة وراء المدينة .. طالما وقفت وراءها .. لم تتخل عنها الا عام ١٢٣٦ م .. ولم تكن الجبال وحدها التى تخلت عن قرطبة بل تخلى عنها قبل هذا حكامها المفروض أنهم حماتها ، بقرنين من الزمان .. صرعوها يوم تصارعوا .. ضاعت وضاعوا .. وكم يروى كتاب (عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس) من ماس ولو أنهم كانوا يعرفون الاسلام حقيقة لكان لهم شأن آخر .

القلب المسلم يحس بحنان نحو قرطبة فهى المدينة الوحيـدة فى الأندلس وفى أسبانيا التى بقى فيها جامع لا يزال يقاوم المحو والابادة وعوامل الفناء .. بنوا فيه عدة كنائس بل بنوا فيه كاتدرائية ثم ظل بعد هذا كله مسجدا ..

لم أبك فى قرطبة على المسجد فالاعتداء عليه بهذه الصورة ، بلا شك

شوه جماله وحجب الكثير من أنواره فقد حالوا بينه وبين السماء بالأحجار الصماء ، ولكنه بعد هــذا كله أثبت قوته وأظهر شخصيته حتى ليترك المشاهد على اختلاف عقيدته ، ما عداه ويتجه اليه هو ٠٠ وهذا ضمان ببقائه ولو بدافع السياحة لا الفن ٠

فى قرطبة يحس المسلم أن له قرابة فى المدينة القديمة سيلتقى بها عندما يزور جامع قرطبة ولعل الجامع أيضا يحس هذا الاحساس ٠

حديقة المسجد الحالية كانت (ميضــة) وبرج الكاتدرائية كان مئذنة ٠

فى الجامع من الأعمدة ١٠٨٣ مختلفة الأشكال ولكن البناء العربى استطاع أن يوحد بينها فى الطول ٠ مزايكو المحراب لألاء يكاد يضىء ولو لم تمسسه نار ٠

قبة المحراب فيها ارتفاع ووقار العالى ٠ « ان المحراب أنبل مكان فى المسجد كما يقول صاحب كتاب (تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس) » ٠ لقد حافظ الخلفاء جميعا على صيانته أو زيادته أو عمارته كما يحافظون على الصلاة لم يختص به واحد دون الآخر وكأنه الخيط الجامع الذى يربط بينهم أو بين عهودهم وكأن احساسا دفينا كان يحدثهم أنه حياتهم بعد الحياة وتاريخهم بعد التاريخ ٠٠

بناه عبد الرحمن الداخل ولم يتمه فأتمه ابنه هشام وتعاقب عليه بالاضافة والتجميل عبد الرحمن الأوسط وبنوه ثم عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر الذى أنفق عليه ١٦١٠٠٠ ألف دينار ٠٠

وحين كتب سريو (تاريخ العرب) ذكر أن أعمدة مسجد قرطبة كانت من الرخام مكسوة بالذهب واللازورد وأن أبوابه الواحد والعشرين كسيت بالنحاس الأصفر البراق أما الباب الأوسط منها فكان مرصعا بصفائح من الذهب تعلوه ثلاث كرات مذهبة تعلوها رمانة من الذهب ٠

يقول كتاب (قرطبة فى التاريخ الاســلامى) ان ممرا به كسيت حوائطه بالفسيفساء كما كانت تجرى فيه الفضة ، وأن منبره كان مصنوعا من العاج ونفيس الأخشاب ٠ وكان يتألف من ست وثلاثين ألف حشوة سمرت بمسامير من الذهب والفضة كما كانت بعض هذه الحشوات محلاة بالأحجار النفيسة ٠

يقول كتاب قرطبــة أن مسجدها العظيــم (كان ينار فى الليــل

بسبعمائة وأربعة آلاف من المصابيح ، ويستنفد فى كل سنة أربعة وعشرين ألف رطل من الزيت ، وعشرين ومائة رطل من العنبر والند (العود) .

أما مصباح المحراب فكان مصنوعا من الذهب الخالص ، ويقال انه كان بالمسجد تنور من نحاس أصفر لألف مصباح ..

فاذا غربت الشمس بدأت في المسجد حركة المساء .. موكب الرجال الثلثمائة القائمين على خدمة المسجد يوقدون البخور من العنبر والعود ، ويعدون الزيت والعطر لاضاءة عشرة آلاف فتيل للقناديل ويسرى فى المسجد وما حوله نفح البخور . ويتلألأ فيه النور .. ويستريح في مثواه مروان بن محمد ، ويغفر للزمان هزيمته فى موقعة الزاب ما دام الأمويون عادوا فصارت لهم فى الغرب خلافة زاهية تضاهى خلافة غرمائه العباسيين فى الشرق .. والاسلام بين الخلافتين ممعن فى التحليل بجناحين من سلطان .

حتى كانت سنة ٦٣٤ هـ - ١٢٢٦ م

سقطت قرطبة .

لان الخلافة قبلها كانت دالت .. وزالت أيامها .

وتحول المسجد دون أن يحول .

تغير الزمان وأغار .. تبدل الملوك والعهود .

شيء واحد لم يتغير وظل وجودا فى الوجود .

انه اسم الجامع العظيم .. « مسجد قرطبة » .

حتى حين بنى عبد الرحمن الناصر (التالت مسجد الزهراء كان يسعى فى الجمع والأعياد الى : « مسجد قرطبة » .

وتنفتح أسبانيا الحديثة على السياحة وتنتشر فيها العمارات الشاهقة المزودة بكل الوسائل الحديثة فى البناء ولكن السياح يسعون كعبد الرحمن الناصر ، الى « مسجد قرطبة » .

يذهب المال وتذهب الدول والعروش .. ويموت الملك ويظل الفن .. فى دنيانا ..

هو وحده الباقى كلمة خضراء تستوعب رؤى عصر من العصور للكون بصورة مصفاة منماة ..

مسجد قرطبة تحس أن بانيه توضأ قبل أن ينظم الأحجار فى جدار ٠

انه مترع بالقيمة روى من السكينة حتى ليشيع السلام فى القلب وهو الذى يحمل أثار الاعتداءات عليه كما كان المصريون القدماء يسمون أوزوريس أمير السلام ، وهو الذى قطعه سيت اربا ، وأكثر من مرة ٠

مسجد قرطبة له فى كل زاوية وكل ساعة رؤية جديدة ٠ ان الفن المعمارى فى تشكيل الفراغ ٠٠ فن تنظيم الفراغ وهو فن يبدو للعين العادية ثابتا جامدا ولكنه فن متحرك بحركة المشاهد فهو يتقابل ويتقاطع ونتداخل فيه القبوات والبواكى وتشكل الأعمدة من زوايا الرؤية المختلفة غابة معمارية ٠٠

وغير المسجد ما زالت أسبانيا اليوم تحتفظ بتحف فنية نادرة من تراث ذلك العصر مما أورده الأستاذ عبد الله عنان فى كتابيه : « نهاية الأندلس » و « الآثار الأندلسية الباقية فى أسبانيا والبرتغال » ٠

بل ان أسبانيا تحتفظ اليوم ببقية من براعة تلك العصـــور فى صناعاتها المختلفة خاصة اليدوية ، التى تقع فى أسر الزخرف الاسلامى مما يبهر جيرانها من الشعوب الأوربية ٠٠

ما زلنا فى المسجد وعند موضع الكاتدرائية من الجامع يقول الدليل: هذا المكان كان قبلا المعبد الرومانى ٠٠ أتى المسلمون فأقاموا عليه مسجدا ٠٠ ثم أتى المسيحون فبنوا فوقه كنيسة ومن يدرى متى وكيف يكون التغيير القادم بعد مباراة البنج بنج يشير الى مباراة البنج بنج بين أمريكا والصين التى كانت فاتحة تلاق بينهما ٠

سكان قرطبة ثلث ما كانوا عليه ٠

فى العهد الاسلامى كان المسيحيون والمسلمون يعيشون مع اليهود فى سلام ٠٠ فعلى مقربة من جامع قرطبة يقوم حى اليهود وفيه الآن تمثال ابن ميمون ٠٠ ويسكنه اليوم ، الاسبان بالطبع ٠

وبعد حى اليهود ، شاهدنا « دوارا » أندلسيا ٠٠ حجرات كثيرة تسكن كلا منها ، أسرة ولكن المدخل جميل فقد كسيت جدرانه من الأرض الى السقف بأصص الزهور ٠

فى عودتنا من زيارة الجامع ، رأينا تمثال ابن رشد ٠٠٠ لقـد أفاقوا ٠٠٠

الحرارة فى قرطبة خانقة فقد بلغت ٤٨ درجة ٠ كان الأجانب من رفقاء الرحلة يسمون الشارع « فرنا » ولكنها على كل حال حرارة بلا ذباب وقد نسيت أن أسأل الاسبان عن سر اختفاء الذباب عندهم مع حرارة جوهم ٠

ولكن لم أنس الصورة الأولى لقرطبة ٠٠ ان قرطبة اليوم تعلو وجهها مسحة من حزن نبيل فلا هى تزهو بأثوابها الزاهية أقصد متنزهاتها ولا هى تبعث الأنغام ولا هى تدل بالأبهة ٠

وتذكرت لجوء اردنيو الرابع الى الخليفة الحكم حين وفد عليه فى عشرين رجلا من وجوه أصحابه عام ١٩٦٢ وراعهم ما فى قصر قرطبة حين دخلوه ثم راعهم بعده قصر الزهراء الذى استدعاهم اليه الحكم بعد يومين ٠ تذكرت الحكم وهو جالس فوق سرير ٠٠٠ واردونيو يسعى اليه ٠٠٠ للمثول بين يديه مما يصفه بتفصيل الأستاذ عبد الله عنان فى كتابه (دولة الاسلام فى الأندلس) (فلما وصل المجلس الخلافى كشف رأسه وخلع برنسه ٠٠ ولما دنا من سرير الحكم سجد أمامه ثم قبل يده ٠ ثم ارتد راجعا الى كرسى من الديباج المثقل بالذهب) ٠

وتذكرت ضاحيتها الجميلة « الزهراء » ولیالی شاعرتها « ولادة » وفارسها وشاعرها « ابن زيدون » وتلميذتها مهجة القرطبية ، وحفصة بنت الحاج الركونية ، وعائشة بنت أحمد القرطبية ٠ وكان جميعا كما جاء فى نفح الطيب (موصوفات بالجمال والظرف ، الا عائشة فقد استغنت بالفهم والأدب والفصاحة) ٠

وتذكرت (مكتبة قرطبة) أو مكتبة الحكم المستنصر ذات المائتى ألف مجلد جمعها صاحبها من أفريقية وفارس وسائر البلدان ٠٠ لان الحكم كان حاكما وعالما حتى قالوا أنه قلما يوجد كتاب فى مكتبته الا كان له نظر فيه وتعليق عليه ٠٠ يكتب عن المؤلف وعن مولده ووفاته ويأتى بغرائب لا توجد الا عنده ٠ وكان يجمع فى داره المهرة فى صناعة النسخ والضبط والاجادة فى التجليد ويغمرهم بالمال فكانت داره أشبه بمجمع علمى ٠

كان ياما كان ٠٠

ومكتبة قرطبة ذكرتنى بمكتبة أخرى مكتبة طليطلة التى قال عنها « فيادرو » فى الجزء الثانى من كتابه أن بها آثارا عظيمة تدل على ما كان للعرب من التقدم فى فن الموسيقى ٠٠ وأن (هناك جزءا من المخطوطات

فى الموسيقى عليه بعض ملاحظات بخط ألفونس العاشر ، الذى كانت كل معلوماته وتربيته العقلية مكتسبة من قراءة الكتب العربية) .

نعم فقد أقبل الاسبانيون عندما كانت قرطبة عاصمة الملك العربى ، على تعلم اللغــة العربية حتى هال أسقفها الفارو Alvaro الأمر فكتب يشكو أنه لا يجد بين الألوف من أبناء طائفته من يستطيع أن يكتب رسالة باللاتينية المقبولة بينما يتقن الكثيرون العربية وينظمون فيها الأشعار بمهارة لا تقاربها مهارة العرب أنفسهم !! . وياقوت فى (معجم البلدان) يروى أنه سمع من كثيرين (أن أهل شلب يقل بينهم من لا يقول شعرا حتى الفلاح منهم اذا مر به أحد وسأله عن الشعر قرض من ساعته ما اقترحه عليه) . ويقول د . أحمد ضيف أنهم كانوا ينقشون الشعر على جدران المساكن وأبنية الحكومة واتصل الشعر بالحوادث العامة والاجتماعية ، وكان من وسائل الرقى ، وكان من دواعى السلم والحرب ، وفك أسر المسجونين ، والعفو عن المجرمين) .

كل شىء وصفوه شعرا : القصور والحدائق ومجالس الغناء ومناعم الزينة وصفوا النفوس واختلاجاتها وصفوا الكنائس والأديرة .. لم يدعوا شيئا لم يصفوه حتى كادوا أن يتكلموا شعرا .

كان ياما كان ..

ولعل طريقة تعليم العربية فى الأندلس سبب من أسباب ازدهارها. فقد تحدث ابن خلدون فى مقدمته فى الفصل الثلاثين عن (تعليم الولدان واختلاف أنصار المذاهب الاسلامية فى طرقه) مشيرا الى طرق التعليم فى بلاد المغرب وفى بلاد الأندلس . وقارن بين مختلف هذه الطرق ومن هذا الفصل تتبين أنهم كانوا يعلمون العربية وأدبها من شعر وترسل مع القرآن الكريم جنبا الى جنب على خلاف أهل المغرب والمشارقة الذين كانوا يبدأون بتعليم القرآن الكريم دون سائر العلوم .

وقد دخلت الألفاظ العربية فى اللغة الاسبانية وتداخلت وكيفتها تكييفا كبيرا فى زمن شارل الأصلع ... حتى ترجم قسيس من أهل اشبيليه فى القرن التاسع ، التوراة لتلاميذه ، الى اللغة العربية .

وقد دامت هــذه الحال زمنــا طويلا فى قرطبة وطليطلة حتى أن القسس ، لضيعة اللاتينية ، اضطروا الى ترجمة كتب الكنيسة الى اللغة العربية . وبقى ذلك الى أواخر القرن الحادى عشر .. أى بعد أن استولى ألفونس السادس على طليطلة عام ١٠٨٥ م .

والاسبان اليوم يقولون عن القنطرة Alcantarrilla وعن القناة Cantilla بل أن عاصمتهم مدريد تتألف كما يقول الدكتور مكى فى كتابه (مدريد العربية) من (لفظ عربى خالص « مجرى » أضيفت اليه مقطع نهائى من اللاتينية الدارجة (ـ يط) الذى يدل على التكثير) فمعنى الكلمة اذن « المدينة التى تكثر فيها المجارى أى القنوات الجوفية التى كانت تحمل الماء الى سكان المدينة وبيوتها وحدائقها .

كان الفنان فى «جويا»
أكبر من الملك «فردناند» السابع

٧٣/٧/٢٧

مدريد

فى التاسعة صباحا تحركت السيارة من قرطبة فى طريقها الى مدريد · فى مدريد حديقة جميلة عليها تمثال للأديب الاسبانى «سرفانتس» بل تمثال «لدون كيشوت» بطل قصته المشهورة ··· بل ان صحراء المانشا الجرداء خلقت منها أسبانيا معلما سياحيا باعتبارها طريق دون كيشوت لما بها من طواحين الهواء ·

هذا هو مكان الأدب فى أسبانيا ···

وفى مدريد زرنا القصر الملكى ويطلقون عليه لفظ Alcazar وهو كما يقول الدكتور مكى ، (تحريف لكلمة « القصر » العربية) · وهو يطل من الناحية الغربية على سهل منبسط فسيح يمتد بين القصر ونهر المانثانارس ، ويعتبر اليوم من منازه مدريد ، ويطلق عليه الآن اسم « مرج العربى » قصر به ٢١٠٠ حجرة أعلن الدليل فى بداية المطاف أنه سيقودنا الى ٤٢ حجرة فقط فيها الكفاية لنا ، وله ·

هذا القصر بناه البوليتكان ولم يشأ فرانكو أن ينزل فيه ··· مصلحة أسبانيا أن يصير متحفا ··· وباسم أسبانيا تستعمل منه ثلاث حجرات فقط فى المناسبات الكبرى : حجرة العرش ، حجرة السفراء لاستقبالهم حاليا ، حجرة الطعام فى الولائم الرسمية لرؤساء الدول :

ما عدا هذا مضروب حوله كوردون حتى لا تمسه يد ··· العين وحدها كانت تلمس وتنفذ الى بعيده ·

سجاد القصر فى مواضع سير المشاهدين غطى بسجاد حديث حتى لا تطأه قدم · الستائر مغلفة بالنايلون حتى لا تتأثر باللمس ·

على الأقمشة أو التلوين المعرض منها للمس فى مداخل الحجرات زجاج حفظا لها . مصلى القصر لم تمس منذ سنة ١٩٣١ .

فى القصر حجرة للساعات وفى القصر ساعة تقيد النظر يدعوها الدليل Wow وهى الكلمة التى يطلقها الأمريكون عند البهر الشديد .

وفى القصر أثاث ورياش ونجف « ملوكي » ...

لقد قامت فى أسبانيا ثورة أهلية دامت أربع سنوات بين فرانكو والشيوعيين ولم يمس أحد الجانبين القصر وذخائره ونفائسه ... الكل احترم ملكية البلد له ـ اذا استثنينا حجرة البيانو فقد استطاع شقى أن يتسلق النافذة ويحدث خدوشا فى السقف .

لم أبك فى غرناطة حين رأيت قصر الحمراء ..

ولكني بكيت فى مدريد حين رأيت القصر الملكى الذى صار متحفا

كأنه صيغ من أحداق .. متحفا يدر الملايين على أسبانيا ..

هنا فقط بكيت على قصر عابدين ورأس التين ..

متحف الفن فى مدريد :

وهو متحف جامع فهو يضم مع الفن الاسبانى قسما للفن الايطالى وقسما للفن الفرنسى وهكذا ... طبعا الدليل دخل بنا القسم الاسبانى واستهله بأعمال الفنان الاسبانى (بلاثكا) .

(بلاثكا) كان « انسانا » .. يتجلى هذا فى لوحته (النصر) فقد صور بريشته نصر أسبانيا وكيف سلم العدو ، المفتاح ، فاذ بالمنتصر يأخذه فى رحمة لا شماتة ...

فى المتحف الاسبانى رأيت قاعة كبيرة ليس فيها الا لوحة واحدة ... هى لوحة La Meninas أى البنت ... وأمام اللوحة مرآة بزاوية معينة لتجسيد اللوحة .. وعندما تشاهد اللوحة من خلال المرآة يخيل اليك أنها تتحرك ... تنهض .

ان اللوحة من خلال المرآة خير منها على الطبيعة ..

على أن لوحة (الغزل) بدون مرآة تكاد العين ترى دوران العجلة .

وبلاثكا كان يحب مدرجات اللون الواحد · فلوحتــه (الأمــيرة) تستطيع أن تسميها Red in different tones على أنى أريد هنا خاصة أن أقف عند لوحته التى تصور كيف وقف الله وراء المسيح فى محنته ··· لا أريد أن تتخيل صورة (الله) بل رسمه ولكنى أريد أن أشير الى حرية الفنان فى التعبير رساما أو كاتبا حتى مع الله فى قدس جلاله فما بالك بما هو دون الاله بل دون الناس ·

وبعد (بلاثكا) انتقلنا الى قسم الفنان جويا من المعرض ·

الجدران مبطنة بالقطيفة الحمراء كخلفية للصورة ···

صور (جويا) بشاعة الحرب فى لوحة تمثل رجلا يأكد ابنه والدم يقطر من فمه رمزا لقسوة الانسان على أخيه الانسان بل قسوته على نفسه وهل الولد الا النفس النفيسة ؟

صور (جويا) بشاعة الحرب فى لوحة تمثل رجلا يأكل ابنه والدم

أما لوحة (الدين) فقد رسم فيها موكبا دينيا وفيه انسان يعزف وآخر يلهو ، ولاهون كثيرون مشغولون بتوافه الأشياء ···

كان (جويا) يعيش فى عهد ملك أسبانيا شارل الرابع ··· ولما جاء فرناند السابع وكان جويا يكرهه ··· وأراد الملك أن يعلن سطوته ويعرف جويا أنه الآمر الناهى فطلب اليه أن يرسمه فوافق جويا وهو يخفى ابتسامة ساخرة ·· نعم كان الفنان فى (جويا) أكبر من الملك فى (فردناند) السابع فقد رسمه حقا كما أراد ولكنه جعل امضاءه بالمقلوب بحيث يعطى قارىء الامضاء ظهره للملك المرسوم ··· والى الأبد !! · وفى بروتوكول الملوك تقضى (الجلالة) أن يترك المرء (حضرة) الملك وهو يسير الى الوراء ··· وجهه كولائه للملك الذى لا يرى — أو المفروض — ظهرا أبدا ···

وهكذا سخر (جويا) من الملك ومن احترامه المرسوم وبروتوكوله الموضوع والمصنوع ··

٧٣/٧/٢٨

مدريد

نصب الشهداء :

قبل زيارتنا للاسكوريال زرنا (نصب الشهداء) فهو فى الطريق اليه بينهما خمسة عشر كيلو مترا ٠٠

ونصب الشهداء بنــاء ضخم نحت فى الجبل عمقه ثلاثمائة متــر وارتفاعه ٤٥ مترا ٠ أما الصليب فقد أقيم فوق قمة الجبل نفسه وارتفاعها ١٥٠ مترا فاذا عرفنا أن الصليب ارتفاعه أو طوله ١٥٠ مترا فوق القمة ، تبين لنا أن ارتفاعه عن سطح الأرض ٣٠٠ متر ٠

كل هذا منحوت فى الجبل وما زال الجبل يطل على المبنى ويكتنفه من الخارج ٠٠٠

أما الداخل فكالعادة كاندرائية يفضى اليها باب ضخم والممر طويل على جانبيــه التماثيل الضــخمة البرونزية منهــا تمثال المسيح يضــاء بالكهرباء ٠

الاسكوريال

قصر الاسكوريال بينه وبين مدريد ٥٢ كيلو مترا ٠٠٠ الدعاية عنه طنانة أكبر منه بكثير ٠٠٠ لا شىء فيه يشبه أبهة القصور ٠٠٠ انه أشبه بثكنات الجنود ٠٠٠ شكله تماما كقشلاق عابدين ٠

أحجاره صماء عبيــة لا تقول شيئا ٠٠٠ أقباؤه غبيــة مظلمة ٠٠٠

الاسكوريال

هذا البناء الضخم فى حرمة الجبال الجرانيتية « سيارا دى جودا راما » Sierra de Guadarrama وبنى فى حكم فيليب الثانى ٠ وقد أخذ هذا البناء ٣٠ عاما لانشائه بتكاليف ٥٧٠ر٢٦٠ر٥ دوكانس (العملة فى هذا العصر) ٠

بهذا القصر : ١٦ فناء و ٢٦٧٣ر٢ نافذة و ٢٠٠ر١ باب و ٨٦ مجموعة

من السلالم و ٨٨ نافورة وممرات مجموع طولها ١٠٠ ميل وهو قصر من طراز معروف باسم «Estilo Herreresca» طراز هيريرا • وجوان دى هيريرا (حوالى ١٥٣٠ ـ ١٥٩٧) كان مهندس فيليب الثانى الذى أكمل عمله أستاذه «Juan Bautista de Toledo» الذى بدأه فى ١٥٦٣ •

عن كتاب Wonders of the Roland Goock

وكم تبلغ ثمن تذكرة الشركة السياحية التى أخذتنا اليه أو ورطتنا فى رحلته ؟ ٣٥٠ Pizetta أى ما يعادل أربعة جنيهات مصرية للفرد الواحد !! وعرفت على الطبيعة معنى عبارة (التميز من الغيظ) حتى الأولاد كانوا يبرطمون متأففين ••• وتساءلنا أكثر من مرة كيف يتكلف السائح هذا المبلغ لمشاهدة هذه الكآبة ثم تجعل مصر رسم المتحف ٣٥٠ قرشا !! أهو الجهل بما يجرى فى الخارج ؟ أم الجهل بقيمة ما فى الداخل ؟ بقيمة المتحف •

وسألت أكثر من مرة عن (المكتبة) مكتبة الاسكوريال هدفى من الرحلة فاذا بالدليل مرة يقول ليس هناك وقت للمكتبة !! كأن الشركة أو المشتركين فى الرحلة لهم عمل آخر ••• ومرة يقول أن تذكرة الرحلة تتضمن المكتبة وباقى القصر ولكن للمشتركين عن يوم كامل ويدفعون ٥٥٠ بزتا أى ما يعادل سبعة جنيهات مصرية •• ومرة يقول أنها مغلقة !!

ودخلنا قصر الاسكوريال حيث لم يبق غيره •• حتى الأثاث كرسى هنا وكرسى هناك ••• ليس به شيء يمت الى القصر بصلة الا اللوحات المعلقة على الجدران والتى استغرقت احداها ستة عشر عاما من عمر الفنان ليرسمها • لقد كتب القوم تاريخهم بالريشة والألوان •••

كتب تاريخ اليونان ، الشاعر •••

وكتب تاريخ أوربا ، الرسام •••

وكتب تاريخ مصر ، الفن التشكيلى •••

واستوقفتنى طويلا لوحة المعركة التى دارت بين العرب والاسبان••• هذه اللوحة وحدها تشغل جدارا كاملا طوله نحو مائة متر !! وعلى الجدار الصغير لوحة المعركة التى دارت فى البحر •••

اذن لم يسلم العرب الأندلس تسليما بل خاضوا دونها المعارك فى البحر والبحر ••

وفي الاسكوريال نزلنا سلالم وراء سلالم ٠٠ سلالم ضيقة مظلمة حتى تخيلت أننا غصنا في باطن الأرض وأخيرا انتهينا الى قاعة مستديرة كسيت جدرانها بالرفوف ٠٠٠ رفوف مرصوص فوقها توابيت الملوك والملكات ٠٠ فقط اللائى أنجبن ملوكا ٠٠ ومع هذا وضعن في رفوف متتالية وحدهن ٠٠٠ أى أن قاعة التوابيت الاسبانية فيها (حريم) ٠٠ واحدة فقط شذت عن القاعدة وأصرت ، في حياتها بالطبع ، أن يكون تابوتها بين توابيت الرجال ٠٠٠ هي الملكة اليزابيث الاسبانية ٠

ومن الطريف أن بعض التوابيت ليس عليها أسماء ٠٠ انها محجوزة للأحياء من الأسرة المالكة ٠

التوابيت قوائمها القصيرة على شكل قدم الأسد بأظافره ٠٠ وعلى القاعة قبة لونها أسود محلى بزخارف من الذهب ٠٠٠ والشموع مضاءة ٠٠٠ أى أن المقبرة فيها من معانى القوة : المال ومخالب الأسد ولكن هذا كله لم يغير من الأمر شيئا ٠٠٠ ما زالوا أمواتا تحجب عنهم التوابيت كل شيء ٠٠٠ ذكرنى هذا بال Cemetairo في جنوة وهي مدينة الأموات ٠٠ زرناها يوم اثنين أى عقب زيارة الأحد فالزهور ما زالت رفافة لم يلحقها الذبول والشموع على القبور ما زالت مضيئة لم تنطفىء كشموع تحتها ٠٠ في مقابر جنوة الرخام يتضوأ في الشمس والفوانيس الجميلة على القبور ، والأزهار لها تجويف محسوب فهي على قبر ألوانها مبتهجة كأنها لا تعلم شيئا عن طبيعة المكان الذى تمرح فيه على خيوط الشعاع ولكن ال Cemetairo برخامه وفوانيسه وشموعه وزهوره لا يرد للروح ٠

مهما جمل الانسان الموت وفخم القبر فالموت كريه بغيض ٠٠ والانسان يكره الموت ويفزع منه ولكنه يتفنن في بناء القبر ٠٠ هل هو آخر تكريم للأحياء ؟

وفي نهاية الطواف أو المطاف رأينا حجرة الملك فيليب الثانى ٠٠ على البلاط ! سرير يقف هزيلا مفردا وسط حجرة صغيرة بلاط ، لملك أراد أن يكون فيها متواضعا بلا جلالة أو بلاط ٠٠٠

بقي أن أقول انى مع الرؤى اكتسبت عدة كلمات أسبانية حرصت على حفظها كبصيص لحياة كل يوم أثناء الرحلة :

صباح الخير Buenos dias سلاما Adios

ماء Agua fria السوق Mercado

ميدان Plaza بكم Cuanto

طريق Via أقــل Menos

شكرا جزيلا Muchas gracias وحدة العملة الاسبانية Pezeta

من فضلك Por favor رجل Hombre

وحرف ينطق في الاسبانية خاء امرأة Mujer

وقفنا أمامها لحظات ·· عيوننا لمستها ·· طفنا بها ·· سلمنا ·· هلل الشوق وتكلمنا ·

٧٣/٧/٢٩

من مدريد الى باريس

أخذنا قطار ال Talgo (مع تفخيم التاء قليلا) فى الثامنة صباحا·· ركبناه قبل الموعد بنصف ساعة ·· وقبل أن يلحقنا ملل الانتظار انبعثت من القطار موسيقى جميلة هادئة ·· ثم رحبت أصوات نسائية مختارة ، بالاسبانية والانجليزية والفرنسية والألمانية بالمسافرين وتمنت لهم رحلة سعيدة وطمأنتهم بأنها ستعلن عن المحطات التى يقف فيها القطار ، فى حينهـا ··

الموسيقى تعزف بين الحين والحين فتزيد جمال المنـاظر الطبيعية جمالا وعمقا ··

قبيل San sebastian وهو مصيف كبراء أسبانيا ويصل رجل الحدود الاسبانى وعلم على جوازات السفر بالخروج ··

فى تمام الساعة الثانية والربع بعد الظهر وصلنا محطة (انداية) Indaya مع تفخم الدال نوعا ·· وهى آخر بلدة على الحـــدود بين أسبانيا وفرنسا وتنطق بالفرنسية Hendaya ·

مررنا أمام رجال الجمارك ورجال الجوازات فى دقائق ·· لم يحاول أحد أن يستوقفنا أو يلتفت مجرد التفاتة الى الحقائب ·· واتجهنا الى القطار الواقف على الرصيف المقابل ·· وهو القطار الفرنسى الذاهب الى باريس ··

بدأ القطار يتحرك فى تمام الساعة الثانية والنصف . لاحظنا فى المحطة العمال يغسلون القطارات الواقفة فى الخارج .. أحدهم يغمس فرشاة ذات يد طويلة فى اناء واسع به ذوب الصابون والآخر فى أعقابه معه أداة رش يغسل الصابون بالماء .. هذا من الخارج ومعناه أنهم بالداخل أشد عناية .

سار القطار بطيئـا أول الأمر حتى شككنا فى أننا أخذنا القطـار الصحيح أى السريع .. وظل الحال على هذا البطء ساعة تقريبا بعدها أخذ القطار يمرق كلمح البرق .. أثبت لنا أنه السريع ..

رأينا السين فى أول مرة فى ثلث المسافة تقريبا . سارت معنـا شمس الغروب مسافة ربع ساعة قبل محطة تورز التى وقف بها القطار فى الثامنة والنصف مساء ..

وصلنا باريس فى تمام العاشرة والنصف .. لم يتأخر القطار دقيقة عن موعده لفت أنظارنا أننا ركبنا ونزلنا ولم نر عامل التذاكر أو الحقيقة أننا رأيناه ولكنه لم يدخل ديواننا (الباب مفتوح) ولم يطلب الينا شيئا .. ربما لانهم يعرفون أن هذه المسألة تمت فى قطار أسبانيا ، بالشـكل الوظيفى التقليدى لقد وقف عامل التذاكر الاسبانى طويلا أمام نصف تذكرة أحمد وطلب جواز السفر ليطابق السن وهو ما لم يحدث فى سائر البلاد الأوربية التى زرناها والتى مررنا بها وخاصة انجلترا فان عامل التذاكر الانجليزى فى قطار لندن لم يلتفت مجرد التفاتة الى تذكرة أحمد بل علم تذاكرنا الخمس . ومع كل تذكرة يقول شكرا Thank you بالكلمة الانجليزية وفى أدب جم حتى ابتسم الأولاد وقالوا أما كان يكفى أن يقول (شكرا) مرة واحدة حين يرد التذاكر ؟ ثم علام يشكرنا بكل هذا الأدب المفرط ؟ اننا لم نسد اليه معروفا .. واجبنا أن نبرز تذاكرنا عند رؤيته .. وواجبه أن يعلمها ولكنه الخلق الانجليزى وفن كسب قلوب النـــاس .

نعود الى باريس .. الحياة فى أوربا بعامة سهلة .. رقد رأيت فى ايطاليا التصوير الفوتوغرافى فى أماكن كثيرة يدخل الانسان ويصور نفسه بالضغط ، فى دقيقة ويأخذ صوره ويخرج ! انه الحرص على الوقت والحرص على راحة الانسان وتيسير الحياة على من يعيشها ..

مدينة النور :

على جانبى نهر السين ، فى الجزء الشمالى الأوسط من فرنسا ، تقع باريس وهى تعتبر المركز التجارى والمالى والسياسى فى فرنسا . على أن معظم المنتجات الثقيلة والرئيسية للبلاد تصنع فى مصانع تقوم فى أطراف المدينة وخارجها . وتحتل المدينة واحدا وأربعين ميلا مربعا ... وتعتبر من أكثر المدن ازدحاما بالسكان فى العالم .

ويقع قصر اللوفر على الضفة اليمنى من النهر ، وتقع الأكاديمية الأهلية للموسيقى شمالا ، وهى الأوبرا . وقريبا منها تقع كنيسة المدلين. وهناك أيضا فى ميدان الكونكورد ، وكانت توجد المقصلة التى أعدم بها ملك وملكة فرنسا أثناء الثورة .

أما الآن فان الميدان يزدان بالمسلة المصرية . ويواجه قوس النصر ، الكونكورد على امتداد شارع الشانزيليزيه الشهير .

ومن أشهر أحياء الضفة اليمنى حى مونمارتر حيث الطرق الملتوية والبيوت ذات الطابع المعين ، ويمكن رؤيته من كنيسة القلب المقدس (ساكركير) التى تقع على ربوة خضراء جميلة .

أما أقدم أجزاء الضفة اليسرى للنهر فهو الحى اللاتينى حيث تقع السوربون وهى جزء من جامعة باريس ... على هذه الضفة أيضا يقع واحد من أشهر معالم باريس ، برج ايفل بل هو رمزها الشهير .

انها باريس عاصمة الثقافة والجاذبية والجمال .. مدينة النور .

« دائرة المعارف الأمريكية »

٧٣/٧/٣٠

باريس

اليوم رأيت مصر بعد شوق ٢٢ يوما .. فى ميدان الأوبرا سألنا شرطى الميدان عن ميدان الكونكورد حيث تقف المسلة المصرية شامخة .. ذهبنا اليها أول شيء كمن يسعى الى قريب له فى بلد غريب .. وقفنا أمامها لحظات .. نعم هى .. المسلة المصرية .. عيوننا لمستها .. درنا حولها .. طفنا بها .. سلمنا وحيينا .. فى هذه اللحظة كنا نتمنى أن يرانا الناس كل الناس ويعرفوا أننا مصريون .. أننا أصحابها .. ليت

الفرنسيين كلهم يروننا فى هذه اللحظة ليعاملونا معاملة الضيف العظيم ٠٠ أقصد ضيف ابن ناس ٠

ميدان الكونكورد فسيح ٠٠ ليت العمر فى مثل فسحته ٠ ٠ وسطه المسلة المصرية رفعوها على قاعدة عالية فكانت بطولها الصاعد صلة بين السماء والأرض ، كما هى صلة بين مصر والعالم المتمدين ٠٠

اذا وقفت عندها ترى على دوران الميدان متحف اللوفر وعلى بعد قليل قوس النصر ٠٠ وعلى مد البصر برج ايفل ونهر السين ٠٠ ان ميدان الكونكورد أو ميدان المسلة هو كل شيء بالنسبة الى السائح وخاصة اذا كان مصريا ٠٠

سرنا على وعد صامت معها بالعودة ليلا ونهارا ما امتدت اقامتنا فى باريس ٠٠ من أجلها حجزنا فندقا آخر قريبا منها فى نصف المسافة بينها وبين ميدان الأوبرا ٠٠ الفندق أغلى من الفندق الأول وأقل جمالا ومظهرا ولكن يكفينا انه يدنينا منها ثم هو يمكننا من مشاهدة أهم المعالم السياحية لباريس ومتاجرها وأضوائها ٠٠ ان الشركات السياحية الداخلية تجعل رسم زيارة كل معلم من هذه ثلاثين فرنكا للشخص !! وقد تورطنا ما فيه الكفاية فى مدريد ٠٠ فلنستفد من هذه التجربة فى باريس ٠

رأينا اليوم فيما رأينا محل (لافاييت) ٠٠ انه مدينة داخل المدينة ٠

المترو فى فرنسا يسير فى أنفاق تحت الأرض ويعبر نهر السين !! أحلم بأنفاق تحت الأرض فى القاهرة تستوعب خطوط مواصلاتها كلها ليعود الى العاصمة الجميلة والجليلة هدوؤها ورقتها ودماثتها الأولى ٠٠ عندما تسير المواصلات فى الأنفاق ويسير الناس على كبارى المشاة تصفو القاهرة وتهدأ بالأمن من الزحام الذى ينقل عليها ٠٠ يعود الينا وجهها الجميل غير مكدود ٠٠ الوجه الرائق المعبر القسمات لان عالمه مملوء بالأسرار والرؤى ٠ وقد فسر عام ٨٤ الحلم فانشاء الأنفاق فى القاهرة على قدم وساق ٠

٧٣/٧/٣١

وذهبنا الى الشانزليزيه وقوس النصر ٠٠ دخلت مبكرة فى الشارع الأيمن ٠٠ خدعتنى خضرته ومجموعة الأشجار الكبيرة فى مدخله ثم دخلت بعد دقائق على اليسار الذي أفضي بي الى شارع الشانزليزيه ولكن في

نهـاية حدائقه تقريبا ٠٠ الجـديد فى الشانزليزيه فساتين السهرة المزركشة والمرصعة ٠٠ سأنتظر حتى أرى بداية الشارع لانه الى الآن فى نظرى مكرر مع جماله واتساعه ٠٠ ليس فى حجم شهرته العريضة ٠٠

أما قوس النصر فعادى جدا اذا قيس بما عندنا من بوابات وأقواس وروائع ٠

على مسار العصور

٧٣/٨/١

متحف اللوفر

على يسار الداخل قاعة للآثار الرومانية وقاعة للآثار اليونانية ولكنك بعد أن تصعد السلم تجد القسم المصرى به عدة قاعات للفن الفرعونى وكذلك الفن القبطى ٠٠ أما الاسلامى فقد كان مغلقا ٠٠

لوحات من عهد الأسرات القديمة ٠٠

قاعة كاملة لتمثال أبى الهول ٠٠

معبد صغير مغلف بالزجاج يضاء بالكهرباء ٠٠

نسيت أن أقول أن فى مدخل القسم المصرى منضدة عليها كتب عن الفن المصرى منها كتاب عن (مصر فى الانجيل) ٠٠

فى القسم المصرى فاترينة زجاجية ضخمة فيها كسر أحجار من مصطبة من عهد الملك أوناس ٠

فى الحائط بيوت زجاجية مبطنة ومضاءة ٠٠ وبعد هذا كله قطعة٠٠ نثارة من تمثال صغير للنيل فى التحاريق ٠٠

جدار كامل عرضه ثلاثة أمتار وارتفاعه عشرة أمتار لأجل جزء من باب طوله ٧٥ × ٥٠ سم ٠

ركن بارز لأسرة مصرية قديمة غير معروفة على التحديد ، مكونة من زوجين وطفل ٠٠ التمثال نفسه أصله غير معروف ٠٠

الأعمدة على قواعد واسعة ٠٠ وعلى مسافات بعيدة تسمح بتركيز

الرؤيه ·· كل تمثال صغير له تجويف بعيد فى الحائط مبنى على الطريقة الفرعونية ·

الكاتب المصرى وضع فى فترينة من الزجاج على قاعدة عالية وسط قاعة كبيرة على مسافات مقدرة ·· وأمامه أريكة من القطيفة الحمراء ·· دعوة للناس الى نأمله مسافة طويلة وفى راحة ، تسمح بتذوقه ·· وأسرع الناس استجابة لهذه الدعوة ، المصورون الذين وقفوا أمامه يصورونه من زواياه كلها ··

فى متحف اللوفر من مصر لوحـــة قاع الماء وما فيه من ضفادع وتماسيح ·

وقطع الفخار فى فترينات كبيرة ذات رفوف ·· كل رف كبير لايزيد ما يعرض عليه من ثلاث قطع ·· أسفل الرف الأعلى به تجويف فلورسنت يسقط الضوء على الرف الأسفل ··

تمثال من خشب Hapy D. Jefai أفردت له قاعة كاملة ··

وهناك تماتيل جنائزية من الخشب ·

وسلاسل وأطباق من المعدن ·

وصندوق له غطاء بمجرى الذى يظن الكثيرون أن غطاء المجرى من فنون الأثاث الحديث ·

أما ايزيس فقد وقفت فى كل جلال مصر فى قاعة عالية ارتفاعها ٢٥ مترا ·· متفردة وحـــدها ·· الجرانيت فى التمثال العظيم شـــف وتثنى ··

فى متحف اللوفر تمثال يجلس فى هيئة من يقرأ التشهد ·· الحركة نفسها لليدين على الفخذين ! ··

أوان زجاجية من العصر القديم ومكحلات زجاجية ·· بورتريه قماش ·· مقص ·· حمالة حرارة ·· مبخرة ·· ملعقة ·· الكاويلا ·· الهارب ·· زهر الطاولة ·· شفشق الزجاج ·· الرسم على الزجاج ··

كل هذا عرض فى أجمل صـــورة وراء خلفية من القطيفة الداكنة ومرايا لعكس النقوش الداخلية وأنوار ··

فن العرض والايحـــاء وابراز الأهميـــة والتجميل بالنور والتعميق بالظـــل ··

فى متحف اللوفر من مصر نماذج من الحفر على الخشب فى وحدات ·· بروشات لها محابس على درجتين للاحكام ·· أدوات الزينة من ملاقط ومراود ·· مجوهرات من الذهب المضفور وعقود من الأحجار الكريمة ··

فى متحف اللوفر قاعة لاخناتون ··

تمثال الرأس على قاعدة وتحتها أرضية الفراشات ·· وحول الكل سور زجاج ··

هـل نفـرح ؟

هـل نحـزن ؟

ومشيت فى الزحام ·· مرهقـة من الزحام وسعيدة بالزحام ·· وحاولت الاقتراب من الناس أكثـر لأقرأ الوجوه ·· أليس هـذا كله ملكى أنا ؟

حين يتعانق الأدب مع الرسم
حين يستكين التعبير في العيون
حين يسوى الخوف والرجاء بين البشر

لوحات اللوفر

قاعات فى اللوفر للوحات كبار الرسامين ٠٠ لوحة تصـــور هياج البحر الموت فى الأعماق يجمع ، بعد تفرق ، الزنجى على الأبيض ، وعند تحطيم المركب ، وفى الفزع الأسود نبدو من بعيد ، فى اللوحة ، طرف المنارة ٠٠ أمل ٠

وفى اللوفر لوحة تصور دخول نابليون روسيا ٠ ٠كان منتصب القامة على ظهر حصان فى عجرفة لا تخفى وتحت سنابكه ، سنابك الحصان، الجثث المدفونة فى الثلج ماتت معها آمالها وأحلام الشباب ، بعـد أن دفعت ثمن المجد الزائف أو الغرور الأحمق ٠٠

يتمتع المنتصر بمجد الحروب ويتجرع المغلوب علقمها ٠٠ وفى الحالين تدفع الشعوب وحدها الثمن ٠٠

أجمل من لوحة القائد ، لوحة الأمل ٠٠ الخوف والرجاء الذى يسوى بين البشر ٠٠

وفى قاعة فيكتور هوجو تحولت لوحات القلم الى لوحات للريشة ٠٠ عناق الأدب والرسم ٠٠

الموناليزا أو الوجه الودود الذى تتجه نظرته اليك فى أى زاوية تقف فيها قريبا منها ٠٠ تنظر اليك وحدها ٠٠ لا تغتر فهى تعطى هذا المعنى لكل من رآها ٠٠ لكل الواقفين معك بلا تفرقة ٠٠ هذا سرها ٠

لوحـة الموت للفنـان Girodet Irioson

وفيها يتشبث الرجل بالحياة ٠٠ أقدامه تغرس فى حجر الأرض ويده تتعلق بيد زوجته ٠٠ والزوجة والهة والأولاد فزعون والرضيع يبكى بالدموع ٠٠

القسم الايطالى Anne Louis 1967 1842 le deluge

وفى القسم الايطالى من متحف اللوفر لوحات الفنان Van Dyck صورة تعبيرها كله مكنون فى العين . انه فنان العيون .. يتجلى هذا فى صور (شارل الأول) ملك انجلترا وصورة (الرجل والطفل) .

والفنان جورج Georges de la Tour 1593 - 1652 فى لوحته Saint Josef charpentier أجمل ما فيها انعكاس حتى الشمعة على الوجه والكفين والرداء ..

وفى متحف اللوفر . الجزء الخاص بقصر اللوفر .. استوقفتنا القاعة الطويلة المبطنة بالقطيفة الزرقاء والتى خفتت فيها الأنوار خفوتا تاما لتضىء فى الفانرينات الزجاجية على الجانبين مبرزة نفائس القصر من حلى وساعات وأدوات .

وفى متحف اللوفر مما يلى السلم مطعم Self service حتى يستطيع الزائر أن يقضى يوما كاملا .

لقد ذهبنا اليه فى الصباح والمطر يهطل بلا انقطاع وحسبنا أنفسنا وحدنا لقصر اقامتنا فى باريس مما يجعل لكل دقيقة من الوقت قيمة مهما كانت أحوال الطبيعة .. ولكننا عند باب المتحف انتظرنا طويلا فى طابور طويل ودخلنا والطابور لا ينفض .. هنا الفن للناس خبزهم والمتحف قبلتهم .. لا مخزن آثار .

المتحف المصرى فى باريس :

على طريق الشانزليزيه يقف المتحف المصرى المخصص لحقبة واحدة ، معادلا فى الأهمية لمتحف اللوفر ويزيد .. ان رسم الدخول لمتحف اللوفر ٣ فرنكات ورسم دخول متحف مصر قبل الأهرام ٤ فرنكات !

خصصنا له يوما .. على يسار الداخل ركن للمعاطف تقف فيه سيدة فرنسية نظرت الى نظرة خاصة فقلت لها فى زهو نشوان : أنا مصرية .. وعلى الفور قالت : Quelle Formidable

تطرب النساء لمرحهن بالجمال أو يغرهن الثناء كما يقول شوقى ولكن لا يسعدنى شىء كنسبتى الى اللون المصرى والشكل المصرى وأهم من هذا الجوهر المصرى .. أى القلب المصرى بعطائه وذخره .

دخلنا المتحف ٠٠ السقف زجاج مغلف من أعلى بالشاش فتحات رفيعة بين الزجاج تكييف هواء ٠٠ سقف تحت السقف للاضاءة ٠٠ الجدران مبطنة بالأصفر فى لون الرمال لتكون خلفية للأوانى البنية اللون ٠٠ عمود ضخم فوق بيت زجاج مربع الشكل من أجل قدر صغير ٠٠

انـنـا فى المتحف فى الفترة بين ٤٠٠٠ و٣١٠٠ قبل بناء الأهرام ٠

ماذا نرى ؟

أسورة من الديوريت مستديرة فى اتقان عجيب ٠

عقد من اللؤلؤ Perlen en cornaline فى لون العقيق برتقالى وياقوتى وأزرق وأبيض ٠

الرسم على حجر الشيشت (لوحة الكلاب ولوحة الثور) ٠

فازات فخار محلاة بالنحاس الأصفر ٠٠

صقل ورسم ٠٠

عقود من الودع وعقود من الأحجار الكريمة ٠٠ خيط انتظمت فيه الحبات ٠٠

تشكيل العاج ونقشه وتشكيل العقيق ٠٠

أمشاط ٠٠ أطباق مرسومة من الداخل ٠٠ لا تنسوا التاريخ اننا قبل بناء الأهرام بين ٤٠٠٠ و٣١٠٠ سنة ٠

مراكب من الخشب ٠٠ خطاف من المعدن لتعليق الطعم عند الصيد ٠

قارورة العطر الدقيقة الرقيقة ٠٠

تشـكيل أسنان التمسـاح ٠٠ الاناء وغطـاؤه مخرم كمـا نصنع بالقلل ٠٠

زخرفة الأوانى بتنويع التشكيل فى الجسم نفسه أو باضافات أو بالرسـم ٠

الاناء فى هذه الفترة بيضاوى ومستدير ٠٠ طويل وانسيابى ان كثرة التنويع فى الشكل بله الموضوع تعنى كما يقول الصغير أحمد أن هناك لغة للتخاطب والاتقان والتنفيذ ٠٠ ان هناك الاصطلاحات الفنيـة والتصميم والتخطيط ٠

مسمار الكوارتز (الكاويلا) .

فازة للورد ..

قدور لها شبابيك مخرمة كالقلة للحماية والنظافة ..

السكاكين والمقصات والملاقط .

أدوات مصنوعة من النحاس والعظم ..

ابر خيـــاطة .

نسيج Aiguilles قماش النيل ـ أدوات القش ، منجل الحصاد من الصوان Elements de faucile en silex .

مشط محلى بغزالة متقنــة ـ دبوس شــعر محلى بعصفورة صغيرة (رفه حضارى) .

ثلاثة رؤوس وعصفوران على قاعدة واحدة .. صغيرى أحمد يقول فى نفاذ أن هذا رمز الى وحدة الوجود فى رأيهم .. فالعصفور كالانسان منبثق عن القوة الأعظم ..

لوحة أوزوريس وعهــدها ۲۲۰۰ ـ ۲۸۰۰ قبل الأهرام بنقوشها وكتاباتها وتلوينها .. فى هذا العهد السحيق عرفت مصر الكتابة والتلاوين والنقش ..

هذا المتحف وفى فرنسا يقول ان حضارة مصر أقدم من الهرم بأربعة آلاف سنة ! ولكن المتحف يعنى أن حضارة مصر أبعد من هذا بكثير . فمقتنيات هذا المتحف تعنى كما يقول ولدى أحمد انه سبقتها عملية تحضير طويلة ..

وعندما يريد الطيبون أن يفتخروا بمصر يقولون ان عمر حضارتها خمسة آلاف سنة ! وآخرون يقولون ربما على استحياء سبعة آلاف سنة وهم لا يكادون يصدقون أنفسهم ويحسبون ، وسامعوهم لا يقلون عنهم ، حساب المبالغة فى هذا الرقم من باب الوطنية ولو عرفوا وعرف النــاس لقفز الرقم الى أربعة أضعافه فان العمر الحضارى لمصر لا يقل عن ثلاثين ألف ســنة .

قوس النصر

أراد نابليون الأول بعد أن أحرز انتصاراته الباهرة أن يبنى رمزا لها فكلف المثال الفرنسي شالجران أن يصمم بناء هائلا يستوحى رسمه من الآثار الرومانية القديمة ٠ ولكن نابليون لم يقدر له أن يرى حلمه « حقيقة » فتداعت امبراطوريته بعد هزائمه المتوالية ٠

وقد بدأ العمل في القوس سنة ١٨١١ ٠ واستكمل بناءه الملك لويس فيليب ٠

ويقع القوس فى وسط باريس فى ميدان « ليتوال » L'Etoile ويبلغ ارتفاعه ١٦٠ قدما ، وعرضه ١٤٧ قدما وعمقه ٧٢ قدما ٠ وتلتقى عنده أهم ثمانية شوارع على شكل نجمة ٠ ويؤدى اليه شارع الشانزليزيه ٠

وقد حفرت عليه أسماء ٧٢ معركة و ٢٨٦ قائدا من قواد الجيش العظـام ٠

وفى ١١ نوفمبر سنة ١٩٢٠ دفن تحته رفات جندى فرنسى مجهول فأصبح (مقر الجندى المجهول) ٠ ومن أجل هذا ، وليس لتخليد امبراطور سابق ، غدا قوس النصر أثرا من آثار فرنسا القومية ٠

برج ايفـل

برج ايفل أو (سيدة باريس) كما اعتاد الفرنسيون أن يطلقوا على البرج الذى صممه المهندس ايفل وافتتح فى المعرض العالمى فى باريس سنة ١٨٩٩ ٠

وقد بني البرج ليكو نرمزا لهذا المعرض وان كان الزمن لم يفقده ، على الرغم من مرور المناسبة ــ جاذبيته الفريدة ودلالته الصناعية ٠

أما المهندس المصمم ألكسندر جوستاف ايفل فقد عرف عنه ، تفوقه فى التصميمات الحديدية ٠٠ وان كانت شهرته لم تذع الا بعد تصميمه البـرج ٠

بدأ بناؤه سنة ١٨٨٦ ٠ وأساسه من الحجر يبلغ ٢٨٠ قدما مربعا ٠ وبرج ايفـل أقدامه الأربعة مغروسـة فى الأرض حتى عمق ٤٥ قدما و ٣٠ قدما ٠

برج ايفـــل Tourefele

أمامه حديقة جميلة وتصعد فيه مركبة كهربائية حتى منتصفه أى الدور الأول ثم مصعد حتى الدور الثانى والثالث حيث يرى الصاعد باريس من نقطة عالية أو على أعلى نقطة فى المدينة ٠٠

البرج عمــل هنــدسى باق ٠٠ ويقــال ان مهندسه صمم كوبرى (أبو العلا) فى مصر ٠ وبعد أن أتمه اكتشف خطأه الفادح فالكوبرى ثابت لا يفتح للمراكب ٠٠ وعند هذا هم المهندس الشاب بالانتحار لفشله ولكن رئيسه هدأ من روعه وشجعه ٠٠ ودرس أكثر وتعلم أكثر وعمل أكثر حتى اقترن اسمه ببرج فرنسا ٠

ان صحت هذه القصـــة فهى أحسن ما فى البرج ، فى نظرى على الأقل ٠ ان البرج نفسه تركيبات متشابكة من الحديد يرى المرء صورا منها فى المحطات الكبرى كمحطة فيكتوريا مثلا بانجلترا هذه هى النظرة الظاهرة ولكن البرج قطعا فيه فن هندسى يعرفه أهل الهندسة والا لما استحق البقاء بله الخلود ٠٠

وقد تضاربت الأقوال والآراء حول برج ايفل فهناك من يرى أنه رمز للصحوة الفرنسية بعد هزيمة فرنسا فى الحرب ، ودليل على التقدم الصناعى ٠٠ بينما يرى فيه الأدباء والفنانون الفرنسيون حينذاك « الهرم الضعيف المخيف » أو « مدخنة باريس القبيحة » ٠

على أية حال ، أصبح برج ايفل جزءا حيويا من باريس حتى لتقول القصة المشهورة أن رجلا لا يطيق برج ايفل كان يصعد اليه كل يوم مضطرا لأنه المكان الوحيد فى باريس الذى يستطيع أن يتفادى رؤية البرج منه ٠

حى مونمارتر

٧٣/٨/٣

طريق صاعد ٠٠ جبل عال من السلالم ٠٠ صعدنا عشرات الدرجات ثم توقفنا ٠٠ قابلت سيدة فى خريف العمر تلهث من النزول ! سألتها ألا يوجد هنا طريق آخر الى مونمارتر ؟ وكأنها كانت تنتظر الســؤال فتدافعت الكلمات اللاهثة تدلنى على انعطافة فى الطريق أستدير معها أينما استدارت حتى أصل الى هذا المونمارتر متفادية سلالم Everest

وصلنا وتشهدنا ٠٠ تقف على قمة الجبل كنيسة Sacre Coeur بأبراجها جبلا آخر أو قمة أخرى ٠٠ أمامنا حديقة مدرجة يبدو أنها كانت سفح الجبل ثم لمسته يد الانسان ٠٠ الحديقة خضراء زاهية مسورة من أعلى ٠٠ وفي كل دور منها كراسى منثورة يجلس عليها الناس وما أكثرهم٠٠ وجلسنا معهم ٠٠ الهواء ينعش النفس ٠٠ باريس تبدو من هذا المكان مدينة قديمة ٠٠ هذا المنظر هوى الرسامين يرسمونه كما يراه كل منهم من زاويته الخاصة ويلونه من داخل نفسه ثم ينزل أدراجه أو أدراج الحديقة يببعه فى شوارع الحى التى تبدو على البعد أشرطة رفيعة ثم لا يزيدها القرب انساعا يذكر ٠

نزلنا الحى ٠٠ الزحام يفرض على السائر أو الزائر الجديد أن يشق طريقه بصعوبة ٠٠ الناس والبضائع والمقاهى والمطاعم ٠٠ الجميع على الأرصفة ٠٠ الحى متواضع فى كل شيء كأن لم تبلغه أخبار المدنية الحديثة وهو جزء من بلد الموضة لعل سره فى القدم والغرابة والطرافة وكلها رأس مال ٠٠ انه على كل حال راض عن نفسه فيما يبدو ٠٠ بل لعله مزهو يسعى اليه الناس ولا يسعى هو اليهم ٠٠ وبلدية باريس تسلم له بهذا فهى لا تهدمه لتقيم عمارات حديثة أو علب كبريت حجرية ٠٠ انه حى الفنانين والفن من طبعه الشمم والكبرياء ٠٠ قد لا يكون الأكثر ثراء ولكنه الأغنى ٠٠

كان حى مونمارتر آخر سياحتنا فى فرنسا فقد سافرنا فى صبيحة اليوم التالى الى لندن ٠٠

أشياء نحلم بها ..
يعرضها التليفزيون الانجليزى

٧٣/٨/٤

وقف القطار الفرنسى فى محطة Boulonge Ferry Boat بعد أن مررنا بالطبع مع المسافرين بمكتب جوازات الحدود .. والتى يسمونها Boat كانت فى نظرنا باخرة جميلة مريحة .. بها صالون : صالون كبير لغير المدخنين وصالون للمدخنين .. مطعم كبير وبوفيه أنيق Freeshop .

حملتنا الباخرة أو ال Ferry Boat واسمها Sea Link الى انجلترا .. نزلنا انجلترا .. لم نحس بالجمرك .. أستطيع أن أقول انه غير موجود .. لعلهم اكتفوا بالاجراءات المهذبة التى تمت على الباخرة .

أخذنا القطار الانجليزى الى محطة فيكتوريا .. جاء عامل التذاكر .. قال لنا شكرا بعدد التذاكر أى خمس مرات ! أسلوب مهذب ترك فى نفوسنا أطيب الانطباعات منذ البداية ..

القطار يخترق الريف الانجليزى الجميل الهادىء .. البيوت ذات الطراز الواحد كأنها فيلم كرتون .. السقف التقليدى والمدخنة .. أجمل ما فى البيت الانجليزى حديقته .. صغيرة ولكنها جميلة .. انها قطعة منه لا غنى عنها .. فى بعض البيوت لا تزيد الحديقة عن حجم حجرة من الحجرات ولكن هذا الصغر نفسه يؤكد عقيدة الجمال فى نفوس الانجليز .. لابد من حديقة مهما كانت المساحة صغيرة والبيت متواضعا ! .. انها أدل على الشعب الانجليزى وعلى أصحابها من حديقة غناء تحيط بقصر كبير لان هذه صنعها المكان والمال واستكمال المظهر والترف ولكن تلك صنعتها نفس تؤمن بالأرض والزهرة واللون الأخضر وروح النبات ..

وصلنا الى محطة فيكتوريا .. عربات صغيرة لحمل أمتعة المسافرين .. بلا مقابل طبعا .. مكتب فى المحطة يرشد الى الفنادق .. طابور خارج المحطة لركوب التاكسيات ولكنه طابور لا يثقل على أحد لان أفواج

التاكسيات تتلاحق سراعا فى طابور هى الأخرى ·· والتاكسى الانجليزى كبير به كرسيان فى مواجهة الأريكة الكبيرة ·· حملنا السائق الى حيث نريد ولم يعترض على العدد كما فعل السائق الفرنسى فى الصباح حيث رفض أن نركب نحن الخمسة مما اضطرنا أن نستدعى تاكسيا آخر ·· وذهبنا الى المحطة فى سيارتين ··

الفندق الذى دلنا عليه أصدقاؤنا فندق Astour cour الفندق فى شارع Hallam street أفخر ما نزلناه من فنادق ·· طلبنا حجرتين فاذا بهما شقتان مفروشتان كل منها تضم صالونا وحماما ·· وتليفزيونا (عند الأولاد) ومطبخا وتليفونا ·

كسيت الأرض ببساط فيروزى جميل وصفه أحمد بأنه جزء من البحر ·· لعله يقصد بحر مطروح فهو وحده الحافل بكنوز الفيروز ·

كل شيء جميل أنيق ·· أحسسنا احساس البيت بعد غيبة طويلة عن بيتنا فى القاهرة ·· صنعنا الشاى بأيدينا لأول مرة فى الرحلة شربناه حول التليفزيون أسرة ··

فى التليفزيون الانجليزى برامج يفوق بعضها بعضا ·· برنامج (هذه هى الحياة) يتقصى متاعب الناس ويحققها ويشهر بالمخطىء من المرافق العامة والخاصة ·· أنه عين ساهرة على مصالح المواطنين ··

برنامج دينى بلا خطابيات ·· هادىء متفتح مقنع ·· كان الموضوع هو المسيح حقيقة أم خيال ؟ وهل الكنيسة بداية مملكته ؟ وهل الكنيسة لها دور فى المجتمع ؟ طرح البرنامج هذه الأسئلة بلا عقد ولا خوف ·

برنامج فكاهى نابض سريع بلا ترخص أو اسفاف ··

برنامج يسخر من فهم بعض النساء قضية تحرير المرأة ··

شدنا التليفزيون اليه ونحن الغرباء خمس ساعات لم تتخللها رقصة واحدة ·

والحرية التى يتمتع بها الانجليز ، يتمتع بها الأجانب ، فى بلادهم، بلاد الانجليز لا بلاد الأجانب · رأيت فى Humanity اثنين ملونين يخطبان ·· وقفنا طويلا نستمع اليهما ·· كلاهما كان يتدفق كأنه يغترف من بحر العذاب الذى عاشته آفريقيا واسيا من استعمار الأوربيين ·· كلاهما كان يذكر أوربا بأن كل ما تنعم به معصور من دم الافريقيين والآسيويين

.. ودموعهم وبترولهم وخيراتهم وأنهارهم وقنواتهم وكل ما عندهم .. **اختطفته أوربا نهبا .. وسلبته تجبرا .. سرقته في غفلتهم ..**

الحقيقة كان الانجليز يسمعون هذا في رحابة صدر .. وحدث أن احتد أحد الواقفين ولكنه ما لبث أن اقتنع بل أعلن تأييده للخطيب ! ..

انني لم أنس استعمار انجلترا لمصر ولكنى رأيت اليوم ما كنت أسمع به وهو أن الانجليز فى بلادهم عنوان الديمقراطية وحرية الرأى ..

وحين عدت الى الفندق كان التليفزيون الانجليزى يعلن عن برنامج يدعو الشباب الى نقد الحكومة وابداء رأيهم فيها !! ..

ان انجلترا تسمع رأى أبنائها ورأى الغرباء .. وأحسست بطول الطريق الذى علينا أن نقطعه .

٧٣/٨/٥

متحف الشمع Madame Taussaud

فى ميدان بيكاديلى بلندن ، المصريون كثيرون .. أينما سرت تسمع صوتا يقول لك « حمد الله على السلامة » أى عرفتك .. أنا مصرى مثلك ويضحك وتضحك أنت .. انه لقاء الغريب للغريب أو القريب للقريب . لا يسعد الانسان فى الغربة مثل أن يصافح وجه وطنه فى أبنائه أو لغته أو أثر منه ..

فى متحف الشمع الذى تسبقه شهرته بدقة التجسيم لا يزال المشاهدون يخطئون فى التماثيل فيحسبونها بشرا ثم يضحكون من أنفسهم مع الناس .. ومن الطريف أن أحمد كما يقول وقف أمام أحد الناس يتفرج عليه باعتباره تمثالا من شدة التشابه بين الناس وتماثيل متحف الشمع .. ولا أدرى ان كان هذا تخابثا منه أو ظرفا أو خيالا ..

الحقيقة ان متحف الشمع لم يخطىء الفنان فى تشكيله ، التجاعيد الدقيقة وألوان بياض العين وبقع الجلد وثنياته وعقل الأصابع والنظرة والحركة ولازمة الشخصية ..

وفى متحف الشمع قاعة المشهورين من مغنين ورياضيين وممثلين من أصحاب الشهرة العالمية الواسعة ويخفت الضوء حولهم ليسطع دفعة واحدة

فى فنون العرض مع الاستعانة بخلفية من الصوت اذا كان مغنيا أو من أصحاب الأصوات كالمذيعين ..

ومن الغريب أن قاعة المشهورين ليس بين أصحابها المختلفى الجنسيات مصرى واحد !!

يبدو أن متحف الشمع كجائزة نوبل ، يقاطع مصر !

وفى متحف الشمع قاعة الملوك والرؤساء .. وفى هذه القاعة أيضا ليس لمصر فيها الا تمثال جمال عبد الناصر .. لعله التمثال الوحيد فى المتحف الذى لا يلتبس فيه على المشاهد الحقيقة . بالتمثيل فليس فيه من النبض ودقة التشابه ما فى التماثيل الأخرى .. وليس فيه الوسامة وفراهة الطول وعرض الكتفين وبريق العينين ونفاذهما .. كل هـذه الصفات افقدها التمثال أو حجبها الفنان كأنه شكله من خـلال الرؤية السياسية له ..

لكأن الرجل مريض تخفى ملابسه هزالا لا يخفى .. ليس هـذا جمال عبد الناصر حتى فى أيامه الأخيرة .. وأقرأ التاريخ تحت التمثال فاذا به سنة ١٩٦٥ أى قبل النكسة وعذابها وجروحها .

فهل يعرف الفن ، أيضا ، التعصب ؟

وفى متحف الشمع قاعة يسمونها قاعة الفزع .. وفى السلم الموصل اليها ، سلم جانبى من الطريف أن ورقة معلقة عليه تقول (اذا كنت تريد أن تهرب من الرعب فاخرج سريعا من هذا الباب) . ومن الطريف أيضا أو من الغريب أنه لم يخرج أحد .. هل غدا الانسان ساديا ؟ أم هو فضوله الغريزى ؟ حتى فى مقام الفزع !!

قاعة الفزع صورة حية لباستيل انجلترا أو باستيل البشرية عامة فهناك تماثيل للمجرمين وزنزاناتهم .. المجرمين والسفاحين والقتلة .. مشاهد كاملة تقول ان الجناة عتـاة ، والقضاة قساة أيضا .. كلاهما وسيلته أو هوايته المفضلة ، الشنق والسحق والقتل والمقصلة والمطحنة.. حقا المطحنة وقد رأيناها بتروسها فى قاعة الفزع فحين أقول المقصلة والمطحنة ليس هذا من أسلوب (الاتباع) المعروف عند اللغويين ..

ان قاعة الفزع أو السجن بظلامه وقتامه فيه تماثيل هؤلاء السادة : ملك يقتل طفلين بريئين بالمخدات خنقا ليحول دون وراثتهما للعرش !

وملكة تقتل بنت عمها وتقف على رأسها المتدلى تنتظر سيف الجلاد لتتأكد من نفاذ حكمها الكريم ! ٠٠

وامرأة تجد أعصابا تشهر السكين تذبح زوجها ٠٠

بقدر سمو الانسان وفنه ٠٠ بقدر قسوته وفظاظته ٠٠ كل هذه الأحداث جرت في انجلترا التى ترفع تمثالا للانسانية

ومثل هذه الأحداث جرت فى باستيل فرنسا وفى كل دولة أخرى ٠٠ انها طبيعة الانسان الذى يكشف عن غرائزه عند الاختبار ، بعد كل آلاف السنين التى قطعها فى محاولة التهذيب لكى يبدو مترفقا متأنقا Gentleman

وفى قاعة الفزع شاهدنا نابليون فى حجرة حقيرة على فراش الموت وأمامه ولنجتون قاهره فى واترلو يزوره أو يتأكد من موته لا أدرى فالقائد عادة يموت عقب هزيمته حتى وان تأخر اعلان الوفاة أعواما ٠٠

وخرجنا من قاعة الفزع فى متحف الشمع لنشهد تمثيلا بالشمع أيضا لمعركة الطرف الأغر خدم مع الشمع الصوت والأضواء بألوانها ودرجاتها فكنا نسمع طلقات المدافع وأصوات ضحايا يسقطون ثم تسلط الأضواء على أرض المعركة فنشاهد الجرحى تشخب دماؤهم ٠٠ تماثيلهم طبعا ٠٠ لقد كانت معركة الطرف الأغر ككل معركة فى تاريخ الحروب (قاعة فزع) ٠

ومن الغريب أن متحف الشمع الانجليزى يسلسل قاعاته بالمداخل والستائر بحيث يرى الانسان الطرائف فى أول الزيارة ثم ينتهى بقاعة الفزع ومعركة الطرف الأغر ٠٠ ولكى يمسح أثرهما أعد فى آخر الجولة عرضا كبيرا للعب مختلفة لاجتذاب الأطفال والكبار فى الحديقة ٠

ولعب تذكرنا بالسفيرة عزيزة فهى تعتمد على الصندوق السحرى غير أنه فى متحف الشمع يدار بالأزرار والكهرباء ووسائل العلم الأخرى ٠٠ فلعبة سباق السيارات يجلس أمامها اللاعب ويحرك السيارات بديريكسيون فى يقظة شديدة لانه اذا تصادمت سيارتان تقف ، وتخرج لوحة مضيئة مكتوبا عليها « قف » ويضطر لاستئناف اللعب أن يدفع مرة أخرى ٠٠ وهذه اللعبة تعلم الحساسية المرهفة فى القيادة ٠٠

ولعبة كرة القدم ٠

ولعب الحظ ومنها لعبة عبارة عن أقراص فيها فجوات ٠٠ الأقراص

تتحرك ببطء ٠٠ يسقط اللاعب عملة النقود المعدنية على القرص فاا أزاحت جزءا من نقود تحتها فان هذا الجزء يسقط بدوره من فتحة فيلتقطه اللاعب ولكن الذى يحدث أنه لا يحدث الا نادرا أن تسقط للاعب عملة أو أكثر ٠٠ ان الذى يشده فقط هو الأمل او الطمع فى الكسب لان الأقراص محملة بنقود اللاعبين ويخيل للاعب الطارىء أن عملته ستسقط ما قبلها فتملأ جيبه هو !! ان اللعبة مصممة بحيث يكسب أصحابها فى النهاية ٠٠ ولكننى أرى أن اللاعبين يكسبون أكثر لو استفادوا المعنى المخبىء ٠٠ ان القمار محصلته فى النهاية ضياع ما فى اليد على التأكيد لا أخذ ما فى أيدى الآخرين بالوهم الكاذب ٠

مدينة الظلال .. والخضرة .. والرأى

٧٣/٨/٨

لنـــدن

أول ما يلفت النظر فى لنـــدن ، وفى الحقيقة قبـل لنـــدن منذ بدأ القطـار رحلته من مدينة الحـدود أو ميـنـاء Folkstone

لنـــدن

مركز عالمى للمال ، وقلعة للصناعة ، وعاصمة لبريطانية . كما تعتبر من أكبر الموانى البحرية .

ولندن ثلاثة أجزاء :

مدينة لندن ـ مقاطعة لندن ـ لندن الكبرى . والأخيرة تعتبر أكبر مدينة فى العالم . ومركز لندن هو شيرنج كروس ينتهى فى الشمال بميدان الطرف الأغر وحيث يوجد التمثال الشامخ لنيلسون بطل المعارك البحـرية .

ولا شك أن وجود لنـــدن على نهـر التيمس له الأثر الأكبر فى ازدهارها . وأبلغ دليل على هذا الازدهار هو وجود واحد من أكبر وأعظم بنوك العالم وهو بنك انجلترا . وبجانبه توجد البورصة الى جانب (لويدز) أكبر وأشهر شركة تأمين عالمية .

وشرق المدينة على نهر النيمس ، يرتفع برج لندن حيث كان قديما سجنا مركزيا وأصبح الآن متحفا .

وعلى النهر أيضا يقوم البرلمان وكنيسة حى وستمنستر .

أما طريق المول Mall فيؤدى الى قصر بكنجهام الملكى ، ويحيط به من ناحية هايدبارك ، حيث يتجمع الناس عند القوس الرخامى (ماربل أرش) ويستمعون الى الخطباء من كل لون وفى أى موضوع .

ومن أشهر معالم لندن أيضا كاتدرائية سانت بول ، وحى (سوهو) فى الطرف الغربى ، والمتحف البريطانى ٠

(دائرة المعارف الأمريكية)

٠٠ البيت الانجليزى وأنا مضطرة هنا أن أصفه من الخارج فأنا لم أعاشر أسرة انجليزية بعد ٠٠ البيت الانجليزى يمتاز بسطحه التقليدى المثلث الشكل الذى ينشق عن مدخنة أو مدخنتين ٠٠ وليس للبيت الانجليزى شرفات ويبدو أنه يتعمد هذا حتى لا تمتلىء بماء المطـر الذى يبدو انه انجليزى الجنسية فقلما يمر يوم على لندن بدون مطر ٠٠ وقد ألفوه كأنه أحد أفراد الأسرة فهم يذهبون الى أعمالهم بل الى نزهاتهم فى صحبته ٠٠ معاطف المطر يلبسونها فى الصيف ٠٠ واذا أخلف المطر موعده وطلعت الشمس أو طالعتهم الشمس ابتهجوا ٠٠ حقيقة نستطيع أن نقرأ البشر فى الوجوه ، وتزدحم الشوارع فحرام أن يضيعوا الجو المشمس ليقبعوا فى الحجرات والا فما الفرق بين الصحو والغيم ، والهواء المنعش الذى يكاد يطفر هو الآخر من الفرحة ، وبين البرد ؟ أنا هنا أتكلم عن الصيف فى لندن وعن أغسطس بالتحديد ٠٠

ومن لازمات البيت الانجليزى دواسة ثابتة فى عتبة الباب تتلقى عن البيت النظيف دائما ، الهادىء دائما ، ما علق بالأحذية من ماء الشارع (هذه الدواسة الثابتة فى مدخل الأتوبيس وسائر المحلات والمبانى) ٠

والحقيقة التى قلت أنها من لازمات البيت الانجليزى فى الريف قد لا تتوافر فى زحمة المدينة ولكن يقوم بدلا منها أحواض الزهور فى النوافذ والتى يسمونها window Box ٠

على كل حال الحـدائق العـامة فى لندن من ضخامة المساحة كأن كلا منها مدينة الظلال والخضرة ٠٠ يخيل الى أن حدائق لندن لو وزعت على سكانها الملايين الثمانية لظفر كل منهم بحديقة جميلة تكفى للاطاحة ببينه ٠٠ لقد مشينا فى Hyde park حتى كلت أقدامنا دون أن نبلغ نهايتها بل دون أن نقطع منها شيئا يذكر ٠٠ ان خريطة لندن كخريطة باريس وسائر العواصم الكبرى اذا استثنينا القـاهرة ، تتناثر فيهـا المربعات والدوائر الخضراء بحيث لو جمعت معا لشغلت ربع الخريطة على الأقل ٠٠ أما القاهرة فقد تم وأد جزيرتى الروضة والزمالك وذبحت حديقة الأزبكية ويفكر أعداء الخضرة فى التهام أراضى الهرم الخضراء وتحويلها الى مساكن ٠٠ بل لقد عز عليهم يوما ، ولم يستحوا ، أن تبقى فى القاهرة

حديقة واحـدة فوجدوا فى أنفسهم ، ولا أدرى كيف الجرأة أن ينادوا بتحويل حديقة الأسماك الى مدينة للملاهى !! علاجا للجبلاية فجاء الرد صفعة من خارج مصر اذ تبرع انسان ليبى بثلاثين ألفا من الجنيهات لتقوية الجبلاية وحمايتها من التهدم ٠

وفى لندن رأيت نهر ال Thames ولا أدرى لماذا يحلو لنا أن نكتبه التايمز ٠٠ اهتمامى الأول فى كل بلد أن أرى الأنهار ٠٠ من أجل النيل بلا شك ٠٠ انى أراه فى البعد فى أنهار الناس ٠٠ بالشـكل أو المقـارنة ٠

التيمز أكبر من النيل الصغير ولكنه ليس كالنيل الكبير ٠ قلت للسيدة (الدليل) انى كتبت كتابا عن النيل فقالت لابد أن يكون كتابا كبيرا جدا بل كتبا ٠٠ وكانت تحية للنيل أسعدتنى لولا أن السـيدة الانجليزية أردفت هذا بقولها : النيل الآن فى مشكلة ٠٠ لقد حجب السد غناه وغزارته وجماله أليس كذلك ؟

تماثيل الأسود على التيمز ، السين ٠٠ كالنيل ٠٠ هل هناك علاقة ؟

فى لندن تمثال عال لأمير البحر نلسن طوله ١٦٢ قدما على قاعدة ارتفاعها ١٧ قدما ٠٠ انه تكريم الأبطـال الذين كتب على أيديهم النصر لأمتهم ٠٠

بل فى لندن تمثال لابراهام لنكولن ٠٠ انه تقدير البطولة أيا كانت وكانت جنسيتها ٠٠

وعلى نهر التيمز يطل البرلمان الانجليزى ٠٠ بناء كبير باذخ ولكن عظمته الحقيقية فى القيم التى يضمها هذا البناء ٠٠ قيم الديمقراطية الحقة وحرية الرأى والمعارضة الرشيدة ومعانى الأمن والسلامة ٠

ومن تقاليد البرلمان الانجليزى أنه يضع خطا أمام مكان الخطـابة لا يتجاوزه الخطيب والا تعرض للاحراج حين ينبهه رئيس المجلس أن يلزم مكانه ٠٠ وهكذا يقوم الأمر على ضبط النفس والحركة لا الانفعال والصياح ٠٠ قيمـة ٠

السيدة الدليل كانت دمثة رقيقة اللفتة والاشـارة تعطى الركاب وتصطنع الأخذ منهم وتشكر بالطبع ٠٠ كم مرة شكرت الركاب على ٠٠ على الرجوع الى السيارة !

وعندما وصلت السيارة السياحية Westmenster Abby قالت السـيدة : You are all welcomed in the house of God

انها الكنيسة الانجيلية وعمرها ٦٠٠ سنة وهى فى الوقت نفسـه مقبرة العظماء ‥ ففيها الراحلون من أعضاء الأسرة المالكة وفيها العظماء من نوابغ الشعب كتابا وشعراء وموسيقيين ومغنين ‥

وقفنا أمام قبر كيتس وشلى كما وقفنا أمام قبر وتمثـال جورج فردريك هاندل وهو موسيقى ألمانى عاش طويلا فى انجلترا ! ان الفن عز الانسان فى كل مكان ‥ قد يختلف من الأمم الساسة والقادة ثم يظل الفن بعيدا عن الحرب ‥ رفيعا على العداوة ‥ يعظمه الكل بلا خلاف بينهم ‥ ومع هذا فان اعزاز انجلترا لجورج فردريك رفعها فى عينى أكثر ‥ انه عرفان بالجميل لفنان اختارها وطنا ثانيا ٠

فى وستمنستر توابيت الأسرة المالكة تستند الى تماثيل للأسد وعلى غطاء كثير من التوابيت سيوف ‥ ولكن هذا كله لم ينازل الموت ولم يبطل عمله ‥ حتى أسد خمارويه وهو حى لم يرد عنه الموت ولو أن المؤرخين يعتذرون عنه بأنه كان غير موجود فى تلك اللحظة وأن أعداء خمارويه الذين ناشوه بسيوفهم ما كانوا يجرؤون لو كان أسـده فى رفقته كعادته ‥

توابيت الأسرة المالكة تزحم وستمنستر ان لم تحدد الأسرة المالكة النسل فلن يجد مسيحى مكانا للصلاة عندما تتحول الكنيسة الى قرافة ‥ لقد بنى خوفو الهرم حقيقة وهو وحده أكبر من مقبرة العظماء مجتمعين ‥ وتبعه خفرع ومنقرع ولكن المصريين بعد هذا كفوا عن بناء الأهرامات بل تعمدوا فى عهد الأسرة الخامسة أن تكون مقابرهم متواضعة رافعين شعار أفضلية العمل الطيب ‥ ويؤكد هذا الفرق الهائل بين أهرام « خوفو » و « أوناس » ٠

وهناك قبر شارل الأول ملك انجلترا وفى قبالته فى الشارع نفسه قبر كرومول الذى أعدمه ‥ الموت وحده هو الذى يجمع الأعداء ٠

ويدور هذا الخاطر فيما يبدو فى رأس السيدة الدليل فتقول :
Perhaps at midnight they have a word with each other
سخرية من الخصومات والصراعات الطاحنة ‥

وبرج لندن لا يحمل اسم مدينته وكفى كسائر أبراج المدن ولكنه

يحفظ ثروتها أيضا ففى برج لندن جواهر التاج البريطانى .. هـذه الجواهر ليست ملك فرد ولو كان صاحب الجلالة ولكنها ملك لندن أى ملك انجلترا ..

لقد تخطوا مرحلة عبادة الأفراد .

والانجليز أصحاب تقاليد فتغيير الحرس الذى يجعلونه معلما سياحيا حتى لتسعى اليه كل صباح تسعون سيارة سياحية غير الأفراد ، الطريق اليه شـارع يسمونه Mall فى لون الطوب الأحمر على جانبيه فوانيس أرضية تضاء بالغاز الى يومنا هذا عمدا وممنوع على السيارات خاصة وعامة أن تقف به .. فقط سيارات أعضاء الأسرة المالكة أو زائريها .. وجنود الحـرس على رؤوسهم خوذات طويلة عالية من الفرو الأسـود تكبس على جباههم تخفى حواجبهم تماما وتكاد تنزل على عيونهم .. تقاليد ..

وتغيير الحرس معناه فرقة تحل محل فرقة ويتكرر هذا من العاشرة الى الثانية عشرة كل يوم .. وأثناء الساعتين يسير جنديان متجاورين من منتصف القصر الى السور جيئة وذهابا .. ومهما أوتيت من ذكاء لا يمكن أن تفهم معنى لدوخة هذين المسكينين بالذات .. ولكنها .. تقاليد ..

والحرس هنا حرس قصر Buckingham أمام القصر تمثال للملكة فيكتوريا . تمثال بدين تواجه الملكة المشهورة من خلاله ، الشارع الذى يقود الى القصر والذى يسمى .

وتقول السيدة الدليل ان التمثال فى أول الأمر كان يواجه القصر فلما جاء ادوارد السابع ابن الملكة فيكتوريا ، وقد تملص من قبضة أمه الحديدية ، أدار التمثال ليكون فى وضعه الحالى حتى لا تنفذ أمه من خلال النوافذ أو تدس أنفها من ثقب الباب .

قد تكون نكتة بل هى كذلك ولكنها روح الفكاهة عند الانجليز الذين نتهمهم دائما بالبرود .. والانجليز الذين خالطناهم على الباخرة أو فى دعوات عندهم روح الدعابة فهل ظلمناهم ؟ أم لعلها رد فعل هذا (البرود) الذى يتندر منه الناس عليهم .

والعسكرى الانجليزى يمشى كأنه ملك يتفقد رعاياه .. والانجليزى عموما معتد بنفسه حتى خادم الفندق الذى نزلنا به حين سبق رزقه وطلب

البقشيش سماه (خـــدمة) وقال وهو يضع أمامنا مائدة الافطـــار :
Leave the service for me in the try وكأنه صاحب حق لا رجاء ..
قالها وخرج وأغلق خلفه الباب .

ماذا أقول عن لندن .. لم يبق الا أتوبيسها .. أتوبيس لندن أحمر من دورين أما خارج لندن فلها أتوبيس أخضر .. ويبدو أن حكاية الدورين تعجب أوربا هذه الأيام فقطار ايطاليا من دورين أيضا

وفي لندن فندق هيلتون أمامه حديقة وسط الشارع وحديقة واسعة على اليسار وميدان حديقة وحمام يلقط الحب ولكن هيلتون القاهرة يطل على رب الحدائق والخصب كله .. يطل على النيل .

٧٣/٨/٨

من لندن إلى فرنسا

اقتلعنا أنفسنا من لندن اقتلاعا فقد أحببناها جميعا انها أكثر برودة من باريس وأقل اشراقا ومع هذا أحسسنا فيها بدفء البيت وأنس المكان والهدوء والدعة والرغد والسهولة .. فيها وجدنا طرف الخيط منذ اللحظة الأولى .. وفيها حققنا رغبات كثيرة قد تبدو ترفا ولكن الكثير منها تدعو اليه ضرورات الحياة الحاضرة توفيرا للوقت والجهد .

مر الوقت من محطة فيكتوريا الى الحدود عند Folkstone (ساعة ونصف ساعة) كأنه ثوان .. كان القطار والمناظر على جانبيه والبيوت التقليدية تصلنا بانجلترا فلما وقف القطار ثم تحرك متجها الى الباخرة خلفنا انجلترا غير زاهدين ..

هرولنا الى الباخرة .. كانت اجراءات الخروج من انجلترا والدخول الى فرنسا للمرة الثالثة غاية فى السهولة على غير ما قدرنا .

فى الباخرة تناولنا غداءنا متأخرا بالطبع ولكن الرحلة فيها رخية حتى أننا لم نشعر بالوقت مرة أخرى .

نزلنا من الباخرة وكان علينا أن نستقل القطـار الفرنسى الذاهب الى باريس .. ولم تكن الأماكن محجوزة برغم أن التـذاكر فى انجلترا مفتوحة الى لوجانو بسويسرا ولكن حجز الأماكن بالأرقام مقصور بالطبع على انجلترا باعتبارها بدء الحجز .. وعندما لا تكون الأماكن محجوزة فان

الركاب يمارسون لعبة الكراسى الموسيقية وتغدو المسألة سباقا ٠٠

جنيف

دخلنا فندق امبسادور ٠ فى كل حجرة انجيل واعلان شركة Omega للساعات : صابونة صغيرة فى علبة مكتوب عليها « أومجا » وفى حجرة الأولاد ثلاث قطع من الشيكولاتة مكتوب عليها « أومجا » !!

فى صالون الفندق ساعة تشير الى الوقت فى جميع بلاد العالم فى وقت واحد ألسنا فى بلد الساعات ؟

حضر صديقنا للسلام علينا فى الفندق ٠٠ سلم علينا سلاما غاليا يليق بصديق حميم بعد غيبة طويلة ٠٠

الفندق يطل على البحيرة ٠٠ وقد نزلنا من الغروب نسير على الشاطىء وكالعادة الأشجار والأزهار والبواخر المضاءة بالكهرباء لرحلات البحيرة والمحلات الكبيرة والمطاعم والفنادق والنافورات ٠٠

عدنا من نزهتنا السريعة من أجل برنامج التليفزيون السويسرى عن مصر ٠٠ كان المندوب السويسرى يجرى الحديث مع المهندس الفنان حسن فتحى لهذا كانت تتخلل البرنامج الذى دار بالفرنسية ، كلمات عربية ٠ كما تخلله موسيقى وأغان مصرية ٠٠ البرنامج كان يشدنا اليه الغربة والشوق ولكننا كنا نتمنى أن نرى عن مصر أفضل من هذا وأكثر تركيزا وأبعد رؤية طبعا ليس ذنب الفنان المصرى حسن فتحى ولكن أصحاب البرنامج كان فى تخطيطهم نقط بعينها ٠

على الشاطىء الآخر من البحيرة (رأينا) جراج السيارات تحت الماء أى تحت سطح البحيرة وفوق قاعيا أى أن الجراج بين طبقتين من الماء أو هو نفسه طبقتان من الأرض !! كيف ؟ « شفطوا » ماء البحيرة فى هذا الموضع ثم بنوا ٠٠ طبعا هذه الجملة معناها فن هندسى كبير لا أعرف بالطبع تفاصيله ولكننى أعرف وأرى أنهم يطوعون كل شىء لارادتهم ، بالعمل لا بالاناشيد الحماسية أو الأشعار ٠

ركبنا مع صديقنا قاربا فى البحيرة الى الشاطىء الآخر ثم قطعنا على الأقدام مساحات كبيرة متصلة من الخضرة حدائق وراء حدائق وزهور وألوان حتى وصلنا المطعم وقد علق على واجهته لافتة كبيرة تقول (سعيد

الحظ جدا من يكتب له العودة الى هذا المكان مرة ثانية) اغراء ودعاية.
الحظ جدا من يكتب له العودة الى هذا المكان مرة ثانية) اغراء ودعاية بفن .

اقتربت الســاعة من الواحدة بعد الظهر وقطارنا موعده الثــانية الا ربعا فاستأذنا فى لهفة لا تخفى ولكنه ضحك ضحكة معناها لا تخافوا كل شىء هنا يتم فى سرعة وسهولة .. بالتليفون طلب تاكسيين .. بعد دقائق حضر أحدهما . ركبنا وقبل أن نتحرك حضر الثانى .. ركبه هو . ذهبنا الى الفندق . ثم ذهبنا الى المحطة . وجدنا القطار فيها .. ركبنا .. وأخذنا أماكننا فى ديوان مستقل وأخذنا نتبادل مع مضيفنا كلمات الشعر والوداع . ونظرنا الى ساعة المحطة .. كانت الثانية الا ربعا وبضعة ثوان. فنظرنا نظرة استغراب كيف لم يقم القطار ولكنه ضحك مرة ثانية وقال. أمامه لا يزال بضع ثوان لن يتحرك قبلها .. وفى تمام الساعة الثانية الا ربعا تحرك القطار ! لم ينعلق بأذياله أحد يجرجر نفسه على الرصيف .. لم يمرق من الأبواب أحد فى آخر لحظة .. كل شىء هنا محسوب حتى تصرفات الناس وسلوكهم اليومى .

وتمنينا .. يا طول ما تمنيناه فى هذه الرحلة .

عندما تخسر مصر الانسان

قابلت صديقا مصريا فى جنيف ·· الحقيقة أنه عثمانى الأصل مصرى المربى والنشأة والجنسية · بعد هذا ·· ترك مصر أو تركته مصر منذ اثنى عشر عاما ·· الحقيقة أنها ضيعته لتكسبه سويسرا فقد كان شعلة تتقد بالنشاط والعمل وبالطبع بالنجاح ·· أعطى مصر أحلى سنى عمره وكافح ونجح ·· كسب المال ولكنه أنفق الكثير مما كسبه فى وجوه الخير وفى اسعاد الناس ، ثم جرفه التأميم فرحل وبدأ من جديد فى سويسرا ومن جديد نجح وأثرى ·

لا ألومه فرأس المال لا يطيق الخوف أو المباغتة ··

حين سلم علينا كانت كل خالجة فيه تهتز ·· كل جارحة فيه تشد على أيدينا وأحسست أنه لا يسلم علينا وحدنا ·· اننا فقط نبعة منها ·· لحة واحدة ·· وتبقى هى الكل ·· وهذا السلام لها من خلالنا ·· لقد شاقته مصر وكان الشوق أقوى من السنين ·· كل ما ينتمى اليها يبعث الحنين ··

ورأيت الثمرة ناضجة فدنوت منها أقطفها ··

— مصر بتسلم عليك ··

قلتها له وانتظرت ··

— ان ما فقدته هناك عوضته هنا ·· ولكنها هى لا تعوض أبدا مهما شرق الانسان أو غرب ·· مهما طوى الأرض وطوف فى الآفاق ·· ان الانسان يغسل نفسه بالصابون من كل ذكرياته عن مصر حتى يستطيع أن يعيش فى غيرها الا أشقته المقارنة خاصة فى أوربا حين يتحكم العقل وحده ولا مكان للغة القلب ·· ويستمر :

وحين أتنقل فى البلاد وراء أعمالى ويحل موعد العودة الى جنيف أجد نفسى أقول أرجع لمصر حين أقصد جنيف مقر اقامتى الحالية ·· الرجوع مقترن فى وجدانى وعلى لسانى بمصر حين أتحدث عن غيرها · انى الى

الآن أحسب مالى بالجنيــه المصرى ٠٠ أتعامل مع الناس هنا بالفرنك والدولار والاسترلينى ٠٠ ثم أخلو الى نفسى وأعيد الحساب بالجنيــه المصرى ٠٠ هواية أرتاح اليها ٠٠

مصر بنت الشمس وأمها ٠٠ ان المصرى حين يصيف يبحث عن ظل وهواء ولكننا فى أوربا وفى الصيف نبحث عن شعاع شمس وهذا عامل كبير من عوامل الرحلة الى أسبانيا ٠٠ فى شتاء أوربا قد يقابل الانسان صديقا فى الطريق ويريد أن يكلمه فلا يستطيع ٠٠ جمد البرد الكلام على الشفاه لانه ، جمد الأفواه ٠٠ أما فى مصر فى ليالى الشتاء بله الصيف كنت أذهب من مصر الجديدة الى الهرم للعشاء والسهر ٠

قلت له بعد حديثه الحميم عن مصر ٠٠ مصر تنتظرك ومصر تعرف أن جهودك اضافة اليها ٠٠ وهنا ابتسم فى أدب جم استطاع أن يحجب ثورته وان لم يستطع أن يخفى مرارته وقال :

ـ لن أنسى مصر أبدا ٠

وأيقنت أنه لن يعود على الرغم من اقتران لفظ العودة فى أعماقه بمصر ـ وسكت أنا ولكنه هو استمر فى الفضفضة ٠٠ قال : هنا يعمل كل انســان ولا يتقل على غــيره حتى ولو بلغ أرذل العمر ولكن مصر بال ٣٧ مليونا تسبقها سويسرا بالخمسة ملايين نسمة لان الذين يعملون جادين فى مصر ، مليون وهذا المليون اليتيم يحمل الـ ٣٦ مليونا على كتفه ٠٠ فهم عبء عليه ٠٠ ان الكثرة العددية تمثل قوة حين تنتج أما حين تتفرج فانها تشكل معضلة يصعب حلها ٠٠ يصعب فى كل شىء فى المسكن والمأكل والتعليم والانتقال والعلاج ٠٠ يصعب فى كل شىء ٠٠

هنا يعمل الانسان ويحيا لانه يكسب ولانه متحرر من الخوف ٠٠ الحرية فى الداخل والخارج مفتاح غنى الشعوب ٠٠ حتى دول الاستعمار شرعت تعتنق هذه النظرية فمنذ سنة ١٩٤٥ أخذت تفكر بأسلوب جديد فبدلا من البحث عن بلاد الغير لاستعمارها وفتح أسواق لمنتجاتها ٠٠ فكرت فى زيادة الاستهلاك المحلى برفع مستوى المعيشة وزيادة دخل الأفراد ٠

والســـلام ؟

ان السلام رقى ساحر لمن يريد التقــدم والازدهار ٠٠ المثال من ألمانيا وفرنسا بعد حروب ١٨٧٠ ، ١٩١٤ ، ١٩٣٩ ٠ كان الفرنسى يقول عن الألمانى Sale Bauche وكان الألمانى يقول عن الفرنسى : Femme

وسقطت فى الحروب الطاحنة بين الدولتين والأمتين ملايين القتلى ثم تصافيا وكونا شركة الالزاس واللورين تصافيا حتى غدا الفرنسيون ينسبون أخطاء الألمان الى النازى فى عملية تنقية ومصالحة مع النفس ومع الغير ٠٠ ان القديسين ليسوا رجال الدين ولكن دعاة السلام من رجال السياسة الذين يحقنون دماء شعوبهم ويردون أموالها عليها فيعم الرخاء ٠

ولم تخب حماسته بل استمر فى تدفقه يقول : ما أحرى الأوطان أن تسمى أحياء ليكون العالم بلد الجميع ٠٠ يقول الانسان أنا عايش فى حى سويسرا أو فى حى فرنسا ٠٠ ممكن ٠٠ أن حى شبرا أكبر من الأردن ٠٠ هناك شارع فى « بازل » أحد جانبيه ألمانى أى يدخل فى حدود ألمانيا والآخر فرنسى ووسطه سويسرى !

ان سكان جنيف ٣٠٠ ألف لا يزيد السويسريون منهم على ١٢٠ ألفا ٠ اذن رخاء سويسرا وراء الجهود الأجنبية والعقول الأجنبية ٠ وكذلك اسرائيل صنعتها الخبرات الكثيرة التى عاشت فى جميع أنحاء العالم وعرفت أسرار النجاح والتقدم فطبقتها فى دولتها الجديدة ٠٠ هذا العامل بالطبع بعد العامل الأول وهو غفلتنا وجهلنا وخطابيتنا ٠٠ ليست ثلاثة ألفاظ ولكنها رؤوس موضوعات تدخل تحت كل منها تفاصيل كثيرة ٠٠ ومريرة ٠٠

لوجانو

غادرنا جنيف الى لوجانو ٠٠ أهم ما فيها القطار المدرج الذى صعدنا به الجبل فى لوجانو ٠٠ قطار يقف على سلالم ٠ يخيل اليك قبل الركوب أن الجالس فيه سيكون فى وضع مائل الى الوراء ٠٠ وأنه عندما يبدأ فى الصعود سيزداد هذا الميل حتى يستلقى الراكب على ظهره ولكننا ركبنا وصعدنا الجبل به وكأننا فى خط مستقيم ٠٠ لا ميل ولا استلقاء بل أمن وراحة ونعيم ومباهج ٠٠ شىء رائع حقا أن ترى القطار يصعد بك ويمعن فى الصعود وكأنك فى طائرة بلا خوف ٠٠ طائرة تسير على الأرض ٠٠ تسير فى البداية بمحاذاة البيوت ثم تعلو عليها وترى سقوفها ٠٠ والبيوت هذه صفوف فوق صفوف ٠٠ وبعد أقل من ثلث ساعة عندما تكون فى طريقك الى القمة ، تبدو لعينك بيوت الصف الأول كأنها لعب أطفال وتنظر من نافذة القطار الى أسفل فاذا الكبارى تحتك كوبرى فوق كوبرى والسيارات تمرح فوقها فى حجم سيارات الأطفال دليل البعد ٠

القطار يصعد والعين تكتشف سر الجبل وتتوغل فيه .. مداخل ومخارج وأنفاق تدخل وتخرج منها القطارات .. غابات من الأشجار أنبتها في الصخر الصلد المطر .. الماء سر هذه الحياة الخضراء التي ترف في السفوح أوراقا وأغصانا .. وتتدخل يد الانسان في بقعة أو أخرى ولكن شخصية الطبيعة هي الغالبة في الجبال .. ثلوج على القمم ، ونهيرات من فضة سائلة على السفوح ، وبحيرات في الوديان ، وقنوات فلم يبق على الانسان في هذه البقعة من الأرض الا أن يبني ويعمر فبنى وجمل ما بناه فالشرفات زهور ، والميادين حدائق ، والنافورات شلالات من النور ..

وقطار الجبل أو القطار المدرج يقطع الطريق الى القمة على مرحلتين فالخط ينتهي في نصف المسافة ويبدأ خط جديد من النصف الى القمة يلحق به الراكب عند نقطة المنتصف . ومن العجيب أن القطارين : الصاعد من أسفل والهابط من أعلى يصلان الى نقطة المنتصف في وقت واحد .. في ثانية واحدة !!

ومن أعلى القمة بدت مدينة لوجانو الجميلة أشد روعة .. عالما آخر في عين أبناء الوادي .. عالم الجبل .. هذه مدينة جبلية ، ومدن سويسرا كلها مدن جبلية كما رأيت بعد .. ولكن فتنتها أعطت (للجبلية) معنى آخر فكل شيء في هذه المدينة ناعم مصقول مغسول ، أنيق ، رفاف مدينة جميلة كأنها انبثقت من بين الشجر والمياه والجبال فالكل يحوطها في حنان وروعة .. وفي المساء يتلألأ الجبل بأنواره كأنه جبل الأولمب يقيم الزينات للشعراء والخالدين الصاعدين فيه ..

كل شيء في مدينة .. « لوجانو » صاعد نازل مع السفوح والقمم.. حتى الشمس التي تؤثر الشرق حيث تطلع كانت معنا في لوجانو فترة وجودنا فيها كأنها قادمة من مصر هي الأخرى .

وبمناسبة الشمس تعتبر لوجانو أشد بلاد سويسرا بل بلاد أوربا تمتعا بها .. واعلانات سويسرا السياحية تذكر فيما تعدد من محاسن ان الشمس تطلع في « لوجانو » ٥٤٩ ساعة في السنة على حين تطلع في باريس ٣٢٩ ساعة ، وفي برلين ٢٤٦ ساعة ، وفي لندن ٢٣٣ ساعه !! وساعات الشمس في السنة كما يقولون ٢٢٤٨ ساعة .

كل هذا الزهو بخمسمائة ساعة أى أقل من ٢٥ ٪ من ساعات الشمس . والذين تتدفق عليهم الشمس بلا حساب لا يستغلون طاقتها في العالم ، ولا يستفيدون منها في سياحة ولا يشيرون اليها في اعلان .

لقد قضينا فى لوجانو ثلاثة أيام سافرنا بعدها الى زيوريخ ونحن نحمل أنفسنا حملا على مغادرتها ... كل شىء فيها يستبقيك مدة أكثر ... معاملة أصحاب الفنادق المهذبة (والسويسريون مشهورون (بالفندقة)) بكل أبعاد هذه الكلمة .. والنظافة المطلقة حتى لم يقع نظرنا مرة واحدة على ورقة ملقاة فى شارع .. صناديق النظافة المعدنية ـ لا الزبالة ـ منتشرة فى كل مكان وعلى مسافات قريبة تخجل أى انسان أن يلقى شيئا على الأرض وينال من نظافة المدينة وهى احدى قيمها الكبرى .. حتى قمة الجبل الذى صعدناه بها صندوقان للنظافة ... القمة البعيدة عن الأعين والنقد حرصوا على شفافيتها ... ان خير النظافة ما كان طبعا لا تطبعا ..

تناولنا الغداء مرة فى مطعم وهو محل تجارى كبير من خمسة طوابق خصص الدور الرابع منه ليكون مطعما ومقصفا على طريقة (اخدم نفسك) .

المطعم يحيط به مجرى كهربائى توضع به أولا بأول الأطباق والأكواب الفارغة ويدار الشريط فتتحرك الأدوات وتذهب الى مكان الغسيل ، وتتخلص الموائد على الفور من كل مستعمل لتستقبل جديدا .. حياة ميسرة هادئة .

وقد لاحظت هذا الهدوء فى المواصلات العامة ... الأتوبيس محطاته ظليلة بها كنب للجلوس والشارع أمامها مخطط بعلامة واضحة ومكتوب على أرضه أمام المحطة . والصعود من باب والنزول من آخر . والكمسارى جالس فى مكان خاص به عند باب الصعود . يتقدم اليه الراكب ويشترى تذكرته قبل أن يدخل فلا صياح من الكمسارى ولا تزويغ من الركاب . كل انسان يعرف واجبه .

وفى محطات السكة الحديد خزائن للأمتعة بأرقام يحفظ المسافر فيها أمتعته مقابل مبلغ زهيد من المال .. يفتح الخزانة رقم كذا ويضع حقائبه ثم يقفل بابها ويضع الفرنك المطلوب فى مكانه من الباب ويدير المفتاح فتقفل الخزانة ويأخذ المسافر المفتاح الذى يحمل رقم الخزانة والذى لا يخرج من الخزانة الا بعد الدفع .. وبهذا يستطيع الانسان أن يقضى مصالحه فى المدينة متحفظا من أحماله حتى يحل موعد القطار فيفتح الخزانة ويأخذ متاعه ويترك فيها المفتاح كما كان .. وبالطبع لا خوف من نسيان المفتاح مع مسافر لانه ما دامت مفتوحة فلا يمكن اخراج المفتاح الا بالنقود كما أشرت ..

وفى المحطة أقراص دائرية أتوماتيكية تضغط على زرار النـور ، وتضغط على زرار آخر فيدور القرص (يمكن ادارته بالتحريك) فيلف من الداخل شريط به موعد القطار الذى ستركبه فأمام رقمه موعد تحركه وموعد وصوله وهكذا .

محطات الترام نفسها معلق بها قائمه بمواعيد وصول الترام الواحد بعد الآخر ، الهدوء هناك شيء غال يحرص القوم عليه . فالكراسى بعجلات حتى لا تحدث صوتا فى تحريكها .. السلالم مكسوة والا ثبتوا فى الوسط كاوتشوك حتى لا يسمع للصعود أو النزول صوت . النوافذ مطلة على الشوارع التى بها حركة مرور يصنع لها أربع ضلفات من الزجاج لتحجب الصوت حجبا يكاد يكون تاما .. المصاعد فى المحلات التجارية ، كل دور تسـمع فى ميكروفون المصـعد صـوتا هادئا مريحا يعلن رقـم الدور ومحتوياته ..

والأمانة فى هذه البلاد قيمة كبرى فقد رأيت فى جنيف أتوبيسا وضع فى المحطات التى يمر بها صناديق لقطع التذاكر . يتقدم الراكب الواقف على المحطة ويضغط على زر بعد أن يضع قيمة التذكرة فى الثقب الخاص بها ــ فى الصندوق ثلاثة ثقوب تقابل الفئات الثلاث للتذاكر حسب طول المسافات ــ فتطلع التذكرة . وعندما يحضر الأتوبيس يضغط الراكب على زرار فى الباب فيفتح ويركب ومثل هذا فى النزول ..

والأتوبيس ليس به كمسرى يلهث وراء الركاب ويحاصرهم وليس به مفتش . ضمير الراكب هو الذى يحكم المسألة كلها .. وهكذا تربى الشعوب بلا مخابرات أو قتل الثقة أو اشاعة الخوف فى النفوس .

المبانى القائمة تنصب فى الطريق الذى تقوم فيه سقفا على أعمدة بشكل مهذب لا يشوه الطريق ولا يعوق حركة المرور .. أى تقيم ممرا للمارة تضيئه بالكهرباء ليلا وهذا الممر المسقف أو السقف الحافظ لحماية الحياة أيضا ..

الفنادق كل فندق يعطيك بطاقة (كارتا) عليها اسمه وعليه خريطة المدينة وشوارعها موضحا عليها بالاسم موقع الفندق من المدينة والشوارع التى تؤدى اليه .

محلات الجزارة تعد اللحوم اعدادا كاملا حتى البفتيك نحفظه قطعا منبلة جاهزة وست البيت تختار العدد المطلوب لأسرتها وما عليها الا أن تضعها على النار بضع دقائق ٠

ان معدل السن عنـدهم أعلى منا بكثير ٠٠ لنوعية الغـذاء ونوعية الحياة أيضا ٠

كيف غاب عن الكبار ..
مالمحه الطفل فى لحظة

زيوريخ

توجهنا الى محطة (لوجانو) لنأخذ القطار الى زيوريخ . وحدث أن تأخر القطار عن موعده . ولكن المحطة لم تترك المسافرين يتخبطون فكانت تعلن فى الميكروفون كل دقائق أن القطار تأخر مدة كذا سيتأخر كذا دقيقة أخرى ...

وصل القطار ، بدأ يتحرك ثم انطلق مسرعا كأنه يعوض التأخير وعلى كل حال وصل زيوريخ فى الموعد بالضبط .

أحسسنا فى اتجاه القطار الى الشمال أننا نرتفع فقد بدأنا نطل على أسطح العمارات العالية ونشرف على المدينة تحتنا مربعات ودوائر خضراء زاهية . والبيوت صاعدة ونازلة ولكنها كلها ذات طابع واحد فى البناء .. السقوف المنحدرة حتى العمارات العالية قليل منها مسطح السقف .

أن تكون مدينة ذات طابع واحد ، شىء له معناه الكبير . فالطابع المميز وراءه شخصية واضحة وجدت طريقها .. اننا حين نتأمل بيوتنا حتى الجديد .. بيوت القادرين الذين يتعمدون طرازا معينا ، نجدها أنماطا متعددة فبيت على الطراز الفرعونى ، وبيت على الطراز العربى ، وبيت على الطراز الأوربى ...

وبالطبع أزياؤنا كذلك وأساليب عيشنا أيضا ! بل أن البيت الواحد يجمع أكثر من أسلوب ، وأكثر من زى ، وأكثر من عقلية ، وفقا لنوعية التعليم !

أمامنا شوط طويل لنقطعه .

القطار فى طريقه الى زيوريخ يشق الجبال يدخل نفقا ويخرج من آخر .. هذه الأنفاق كالعذول تحجب وجه الجميل . ان طريق القطار

خارج الأنفاق رائع حقا ... أينما أرسلت بصرك مسرح جميل للرؤية والخيال معا ... حواليك ومن فوقك ومن تحتك ... على الجانبين الجبال بغاباتها والقمم الثلجية التى تلمع فى ضوء الشمس وبعضها بدأ يسلسل الماء خيوطا براقة من الفضة تنحدر فى قنوات رفيعة على السفوح ، وبعضها يجود به دفقا يهدر مع شدة المنحدر شلالات متدافعة لا تهدأ الا عند القاع حيث تتجمع نهيرات أو بحيرات من الماء العذب تكثف عليها الزراعة وتخضر الحياة وسط الصخور .

ومن فوق ، السحاب يتوج القمم كعروس ، أو يبدو للعين على شكل جبال أخرى بيضاء لتنسجم مع المنظر العام .. يبدو أن كل شىء فى سويسرا يأخذ شكلا مخروطيا ...

والكبارى اياها ... فى بعض المناطق كان قطارنا يسير فى الدور الخامس أو السادس من الكبارى !! قطار معلق تبدو معه المدينة كما تبدو من الطائرة فى أول صعودها ...

وصلنا فى المساء ... لم يكن أمامنا الا أن ننزل فندقا قريبا من المحطة ... وقد وجدناه أمامنا ... وكنا من الارهاق بالدرجة التى لم نر منه الا وظيفته أى مجرد فندق .. ولكن أحمد ولدى الصغير رفض أن يدخله وكاد أن يبكى فسألناه السبب فأشار الى مكان فى بهو الاستقبال واذا بنا نرى نجمة اسرائيل ...

كيف غاب عنا جميعا ، نحن الكبار ، ما لمحه الطفل فى لحظة ؟ يحميه لمصر ولى .

ومن جديد حملنا أمتعتنا وخرجنا منه لنبحث عن فندق آخر ...

وفى زيوريخ اتصلنا تليفونيا بالصديق الدكتور المهندس محمد عبده ابراهيم وهو يسكن فى ضاحية من ضواحى زيوريخ .. فى التاسعة مساء جاءنا فى الفندق ولحقت به سيدة سويسرية كريمة صديقة أسرة بالنسبة له وصديقة لمصر وهى تلميذته بمعهده الذى فتحه لتعليم اللغة العربية . جاءت السيدة أو جاء بها الدكتور الصديق لتسمع مزيدا منى عن شخصية مصر وكانت قرأت كتابى (شخصية مصر) مع الدكتور عبده الذى كان يترجم لها مضمونه ، وركزت على نقط معينة استوقفتها فى الكتاب منها :

● عطاء مصر لليهودية التى أخذت عن مصر كثيرا مما جاء فى العهد القديم .

● جهود مصر فى نشر المسيحية فى أوربا ٠

ان الدكتور عبده ابراهيم بعيد عن مصر حتى الآن خمسة عشر عاما ٠ وبكل الحنين فى غربته الطويلة وغربتنا القصيرة كان حديثنا عنهـا تلك اللـيلة ٠

رأيت فى سويسرا المرأة « كمسارية » و « عسكرى مرور » و « سائقة تاكسى » دون أن تثير فضول أحد غيرنا ٠ ولكن المرأة الأوربية ليست جميلة كما كنا نتصور قبل أن نراها ٠ انها عادية جدا وأحيانا أقل من عادية ٠٠٠ لانى بنت مصر أخجل أن أقول أن المصرية أجمل وأعذب وأكثر أنوثة ٠٠٠ آه لو استطاعت المصرية أن تتخلص من البدانة ٠٠٠ حتى الذوق لاحظت أن الأوربية كثيرا ما يكون الحذاء لونا ، والحقيبة لونا آخر ، وهو ما لاتفعله الأنيقات ٠٠ وشىء آخر تفقده الأوربية : الملاسة التى تحرص عليها المصريات ان الغابات فى أوربا أنواع كثيرة ٠

ميـلانو

من زيوريخ سافرنا الى ميلانو ٠ قطارنا هذه المرة لا يرتقى الجبل ولكنه يمرق فى سهل لمبارديا ٠ بيوت الفلاحين عندنا تتجمع وتتضام كأنها خائفة ضعيفة تستمد القوة من التجمع ، والقدرة من التكاتف ٠

كاتدرائية ميـلانو

تعتبر كاتدرائية ميلانو مثـالا للعمارة القوطية وهى الثـانية فى الضخامة بعد كاتدرائية القديس بيتر فى روما ٠ وتعطى كاتدرائية ميلانو انطباعا بتداخل أنماط العمارة والتشكيل فيها ٠ ولعل ذلك يرجع الى تاريخ انشائها حيث اكتمل بناؤها عبر ستة قرون منذ أن أمر بانشائها دون ميلانو « جيوفانى جاليازو فيسكونتى » ٠ فقد اختار عدة مهندسين معماريين ايطاليين ٠٠ ولكنه ضم اليهم مستشارين من الفرنسيين والألمان ٠٠ ونتيجة لهذا أكثر الخلاف حول الأسلوب والطريقة ٠ ولم يكتمل بنـاء القبة الا بعد ١٥٠ سنة ٠ وبعد ستين عاما كانت الأرضية الرخامية ومكان التعميد قد اكتملتا ٠

وفى أعلى الأبراج يوجد ٢٣٠٠ تمثال للقديسين ٠ وللكاتدرائية أعلى برج فى العالم يليها برج كنيسة (أولم) ٠

ولقد انتهى البناء فى كاتدرائية ميلانو بعد ٥٧٩ سنة من العمل ٠ وهنا ظهر ، كما يقول أرنست « فون هيسيو اريج » بيت الله الذى يفوق جماله ما عداه من أشياء فى ميلانو ٠

عن كتاب (عجائب العالم) Wonders of the world

لمؤلفه : رولاند جوك Roland Goock

ولكن بيوت الفلاحين فى سهل لمبارديا متناثرة على مسافات بعيدة ٠٠٠ وهى بسيطة متواضعة ولكنها مطلية وبها ألوان زاهية ٠٠٠ ليست بائسة كبيوت قريتنا ترابية اللون ٠٠٠

ولم أر على طول مسيرة القطار فى سهل لمبارديا الا فلاحا واحدا يحادث صبيا فلم يكن يمسك فأسا أو يعزق أرضا فالزراعة هناك آلية تقوم على (الميكنة) ٠

وصلنا « ميلانو » ونزلنا بفندق فلوريدا ٠٠٠ ليس فندقا فخما بل متوسطا ولكنه آية فى النظافة والشفافية ٠٠ كل شىء مرسوم رسما فيه ذوق فنان ٠

بعد الظهر زرنا كنيسة ال « دومو » الشهيرة التى استغرق بناؤها ٤٠٠ سنة أربعمائة سنة من عمر الانسان بعد أن عرف أشكالا وألوانا من الآلة ٠٠٠ وهنا نلمح عظمة الحضارة المصرية القديمة التى بلغت ما بلغته بأبسط الوسائل ٠٠٠

منذ أعوام زار زوجى وحده ميلانو ٠٠ وحين حدثنى فى احدى رسائله عن هذه الكنيسة ظننت أنه يقصد أنها بنيت منذ ٤٠٠ سنة فلما رأيتها تأكد لى ما يعنيه تماما ٠٠٠ الأبواب تماثيل صفوفا صفوفا ٠٠ كل مربع من الباب فيه مجموعة من التماثيل البارزة تروى قصة معينة من قصص التاريخ المسيحى ٠٠ الأبواب تماثيل ، والجدران تماثيل من الأرض الى آخر ارتفاعها الشاهق وفى أعلى البناء تمثال كبير للعذراء من الذهب الخالص اذا رأيته من بعيد والشمس طالعة ، راعك التمثال وانكسارات الضوء الصادرة منه ومن الشمس معا ٠٠

والكنيسة تشغل مربعا كبيرا فى ميدان كبير واسع يملؤه الحمام الذى يتخطر فى اطمئنان وفى أمان ٠٠ ان الدين فى كل مكان حرم وسلام ٠٠

وفى ميلانو زرنا قصر الحاكم القديم Castelo Ceforsa كاستلو سفورصا وهو مفتوح للزيارة بالمجان ٠٠٠ وهو قصر جدرانه صماء ٠٠٠ وعلى جانبيه بناءان ضخمان اسطوانيان يشيعان الرهبة ٠ ولم نتمكن من زيارته بالداخل لاننا وصلنا بعد الميعاد المحدد للزيارة خطأ ٠

بعد هـذا ذهبنا خطأ لزيارة الجالرى وهو سوق المدينة واحـد معالمها ٠ والجالرى أى السوق المسقوف ٠ والايطاليون يقيسون عظمة مدينة من المدن بالجالرى فيها ٠ وقد حرص أهل ميلانو تمشيا مع هذا المقياس أن يكون جالرى ميلانو أعظم جالرى فى ايطاليا كلها ٠٠٠ وسقف جالرى ميلانو من البللور وهو فى الوسط فوق الفسقية الموزايكو الجميلة على شكل قبة باذخة ٠٠ وفى الممرات على شكل نصف اسطوانة ٠

وفى جالرى ميلانو مكتبة من خمسة طوابق ٠٠ وأحد ممرات الجالرى يفضى الى ميدان واسع به دار أوبرا ميلانو ٠٠٠ والأوبرا فن الايطاليين ولعبتهم ٠٠٠

فينسـيا

الساعة التاسعة صباحا ٠٠٠ بعد ربع ساعة سيتحرك قطارنا الى فينسيا التى يتغنى كل من رآها بجمالها ٠٠٠

نحن الآن فى بادوفا Badova المحطة السابقة لفينسيا ٠٠٠ اننا الآن على بعـد ثلث ساعة من المدينة العـائمة ٠٠٠ مدينة الجنـدول ٠٠٠

ڤينسـيا

كتب عن فينسيا أكثر من أى مدينة أخرى فى العالم ٠ وهى مدينة أنشئت على ١١٧ جزيرة ٠ وكانت فى القرن الخامس عشر ، قلب العالم التجارى وأكبر الموانى البحرية ، وان كانت أهميتها بدأت تتناقص بعد اكتشاف البرتغال ، طريق رأس الرجاء الصالح ٠

وتضـم مدينة فينيسيا ١٥٠ قنالا و ٤٠٠ جسر ، وقصورا زينت بالذهب النفيس والأحجار الكريمة ٠٠٠ قصورا بنيت بيد أعظم المهندسين فى ذلك العصر فيرنويس وتينتوريتو ، وتيبتان ، وجيورجيون ٠

وتستمد المدينة جاذبيتها من الجندول الشهير وكنيسة وميـــدان سان ماركو ٠ ولكن على الرغم من جمالها فلا التاريخ ولا الطبيعة ينكران حقيقة مؤلمة وهى أن مدينة فينسيا تموت على الرغم من الجهود التى يبذلها العالم للحيلولة دون ذلك فان البحر يبتلع منها ملليمترات كل سنة ٠

التفاهم حتى الآن صعب علينا فى ايطاليا ٠ فالايطاليون الا ما ندر لا يعرفون الفرنسية أو الانجليزية ٠٠ وهما اللغتان اللتان يمكننا التوسل بهما فى الخطاب فى أوربا ٠٠٠ ولهذا تسود الاشارة لغة بيننا وبين القوم فى الفنادق أو المطاعم ٠ وقد بدأنا نلتقط كلمات قليلة مثل « جراتسيا » أى شكرا ، « بريه جـو » أى العفو ، « اكوافرسكو » أى كوب ماء ، « أكواكلودو » أى كوب ماء بارد ، « أكوامنرال » أى كوب ماء معدنى ، وطبعا « مكرونى » أى مكرونة ٠

نحن الآن فى محطة فينيسيا مستر Venezia Mestre وهى كمحطة سيدى جابر بالنسبة للاسكندرية ٠

وصلنا الآن فينسيا أو مدينة البندقية ٠٠٠ قصور منظومة على بحر الادرياتيك ٠٠ وقصور أخرى تفصل بينها شوارع مائية أو برمائية ٠ و « البر » هنا معناه كوبرى نصف دائرى أو نصف اسطوانى يصـــل شارعين ٠ وهذه الشوارع المائية تسير فيها وتقل الناس ، تاكسيات مائية وأتوبيسات مائية أى الفابوراطا Vabouratta بلغة الايطاليين ٠

ركبنا الفابوراطا فى القنال ٠٠ وبعد قليل خرج بنا فى عرض بحر الادرياتيك الى الليدو ٠ وهو شاطىء سمعنا به كثيرا وقيل لنا أنه شاطىء عالمى ٠ ووصلنا شاطىء الليدو فاذا به ساحله حصى صغيرة ومياهه عادية وان امتاز بالهدوء وصف القصور المبنية عليه ٠ ولكنه بعد هذا لا يقاس بشاطىء مرسى مطروح فى جمال الألوان وصفائها فى بحره وسمائه ٠٠ ولا يقاس به فى نعومة رمله وبياضه ٠٠٠ من لنا بخبير فى الدعاية يعرف الدنيا بمواهب الطبيعة المصرية فى مصايفها ومشاتيها ٠

فى اليوم التالى خرجنا وفى نيتنا أن نذهب الى سارن ماكو وهو معلم من معالم المدينة فقابلنا على بعد أمتار من الفندق الدكتور القط وأولاده على مقهى ٠ ما أجمل ن يلتقى مصرى بمصرى فى الغربة ٠٠ تهللنا جميعا للقاء نحن وهم ٠ وجلسنا قليلا ثم قمنا على أن نلتقى فى سان ماركو ٠

سان ماركو شيء رائع حقا بكنيسته الباذخة ٠٠٠ بميدانه الفسيح ٠٠

بمحلاته التجارية التى تخلب ألباب النساء بمجوهراتها وأزيائها ومناعمها
هناك حيث يعمل الهواة حسابهم أن يكون الراغب Good loser

دخلنا الكنيسة وعلى بابها يقف رجلان يمنعان أى سيدة عارية الذراعين من الدخول ٠وهو تقليد يلتقى فيه الغرب بالشرق ٠ انها حرمة الكنيسة أما ما عدا هذا فكل شيء عار حتى العواطف عارية مكشوفة فى الطرقات العامة فقد تعودنا أن نرى الأحضان والقبلات فى زحام المركبات والسيارات العامة والشوارع والمطاعم وكل مكان ٠٠٠ وكم تأذينا بهذه المناظر فى البداية ثم ألفناها ٠٠٠

نعود الى الكنيسة من الداخل ٠٠٠ قباب عالية كالمساجد الكبيرة غير أن قباب الكنيسة تغطيها الرسوم الملونة للقديسين وتكاد تغطيها أيضـا تماثيلهم ٠٠ لم يعرف المسجد التمثال أو الصورة فقد تحرج المسلمون منهما ٠ ولهذا تختلف قباب المساجد عن قباب الكنائس ٠ فالمساجد يقوم فنها على الحفر والنقش والتطعيم بينما يقوم الفن المسيحى على الرسـم والنحت ٠

واجهة الكنيسة من الخارج وسورها وجدرانها مغطاة بالتماثيل ، فوق بابها أربعة خيول بالحجم الطبيعى ٠٠٠ وقصر الحاكم الذى يطل كالكنيسة على الميدان تماثيل فى تماثيل ٠ والمبانى التى تحيط بالميدان بواك فوقها بواك فوقها تماثيل ٠٠ كل شىء فى فينيسيا تماثيل ورسوم حتى ليخيل للرائى أن القوم يأكلون ويشربون وينـامون وهم يرسمون وينحتون ٠٠

الايطـاليون ينادون على بضـائعهم وهم جشعون محتالون ٠ وفى الشوارع كثير من الأفاقين ٠٠ ومن العجيب أن المحلات الكبيرة التى لها فى كل بلد تقاليد تجارية وسمعة تحرص عليها من حيث الأمانة والمعاملة وجودة الصنف ٠٠ كل هذا لا تعرفه محلات ايطاليا الكبيرة أو الصغيرة على السواء ٠

رأيت مصنعا للمورانو يتبعه محل فخم للعرض يتكون من طابقين كبيرين ٠٠ والمصنع بمعرضه الزاخر جبار ضخم ٠٠ وقفنا أمام فازة من الأوبال الأخضر وبالطبع لم نفكر لحظـة فى شرائهـا ٠٠ فما كادوا يلتقطون اعجابنا بها حتى التفوا حولنا يزينونها لنا فى حركات بهلوانية وكلهم يتكلمون فى نفس واحد ٠ ويلحون فى بيعها لنا ٠ وعبثا نؤكد لهم عدم استعدادنا للشراء وأخيرا لجأنا الى اختراع أسباب ، على فرض أننا

مشترون ، كالخوف عليها من الكسر أو الجمرك مثلا • فاذا بهم وبسرعة يحلون المشكلة فالكسر يمكن تفاديه بلفها بطريقة معينة فى صندوق كبير ثم التأمين عليها •• ومن الطريف أننا رأينا الفازة فى آخر أبهاء الطابق العلوى وتركناها وانصرفنا عن الموضوع ثم تهيأنا للنزول والخروج فاذا بنا فى الطابق السفلى وتقريبا عند الباب ، نجد الفازة !! ونجدهم يعاودون من جديد عملية عرضها علينا واغرائنا بها ••• واذا بهم يخفضون سعرها الى النصف تماما •• وعندما استنفدوا وسائلهم لجأوا الى ابنتنا التى لمحوا اعجابها بالفازة ، أن تتوسل الينا أن نشتريها !! وكانت النتيجة الطبيعية أن نفرنا منهم ومن الفازة معا وخرجنا مهرولين نلتمس النجاة من هذا الأخطبــوط •••

وفى اليوم التالى عندما طفنا بمحلات المدينة وجدنا كثيرا من معروضات هذا المصنع بثلث الثمن المعروضة به فى مصنع المورانو وفهمنا السر فى تخفيض الفازة الى النصف •

ولكن قد يسهل اللعب بالسعر فى فازة مثلا يعتمد المصنع على قلة المعروض منها فى المحلات الخارجية بأوصافها نفسها ولكن ما تفســير لعب مصنع كبير بأسعار العقود والطقاطيق التى تباع فى كل مكان حتى على الرصيف ، وفى الأكشاك ويسهل على الانسان من أول نظرة اكتشاف أمــره •

اننا نتهم أنفسنا كثيرا وننمى عيوب بلادنا •• هذه فينيسيا المعدودة من احلى مدن أوربا ••• فيها الحوارى الضيقة التى لا تتسع لأكثر من اثنين يسيران جنبا الى جنب حتى كنا نسير مع أولادنا ، فيها ، طابورا !! وبعض الشوارع ملقى فيها الورق بل البصق والمخاط ! وهنا وهناك يتجول الشحاذون •

وفى فينيسيا عندما يقدمون كشف حساب فى المطاعم تجد فى هذه القائمة مبلغا كبيرا مقابل المكان أى مقابل تشرفك بالجلوس فى المطعم • وهذا طبعا غير مبلغ آخر مقابل الخدمة ومبلغ ثالث للبلدية ثم الطعام ••• قطعة اللحم ثمن ، وقطعة بطاطس بجانبها ثمن آخر ، ونصف ورقة خس ثمن ••• ولست أدرى لماذا تركوا كوب الماء بلا ثمن •••

ان قضاء الحاجة فى ايطاليا بثمن • فمن يدخل دورة المياه عليه أن يدفع ما يعادل ثلاثة قروش !

اتفق معى ابنى على أن نخصص له فى فينسيا ، جنيها ليشترى

ما يروقه بنفسه . واشترى فى اليوم الأول لعبة (سيارة) بـ ٨٠٠ ليرة..
وفى اليوم الثانى أراد شراء سيارة أخرى فعمد الى التلميح سائلا :

ـ فاضل من الجنيه بتاعى كام ؟

قلنا له : ٢٠٠٠ ليرة ..

فقال فى خفة دم مصرية :

ـ لا .. يبقى الباقى أدخل به التواليت ..

وظاهرة أخرى يراها ويحسها الغريب أكثر ... أعنى (الاضراب) وبشكل واسع . لنا صديق من أصل عثمانى عاش طويلا فى مصر . ويقبع الآن فى ايطاليا . يقول صديقنا معللا : السبب الرئيسى للاضرابات هو (منع الطلاق) . طغت المرأة الايطالية الآمنة فلم يجد الرجل الايطالى متنفسا الا فى الاضراب يثبت فيه ، وبه ، شخصيته .

ان صديقنا فى تعليله فيه (حتة) من مصر الضاحكة والا لماذا لا توجد هذه الظاهرة بصورتها الحاضرة ، فى غير ايطاليا من بلاد أوربا ؟

الباخرة تدنو من جنوا .. بيوت نازلة فى البحر وبيوت طالعة على سفح الجبل ... وبيوت تتربع على القمة وتطل من فوق على البحر والناس ... منظر جديد على العين المصرية .

جنـوه :

من الغريب أن أهم معالم جنوه السياحية ، الموت لا الحياة ..

أهم معالم جنوه الـ Cemertairo أى مدينة الموتى بها .. المقابر .. قرافة جنوه .. لكأن موتاهم كلهم أبرار فهذه القرافة جنة بما فيها من زهور وشموع وهدوء ونظافة .. كان اليوم « الاثنين » أى عقب الأحد وزيارته فالزهور ما زالت رفافة لم تذبل والشموع مضيئة .. الشواهد متجاورة فى رقة وجمال ليس بينها مكان يسمح بالجلوس والنوم والطبخ والتخمة ثم التبول ..

وعلى كل شاهد تاريخ الميلاد والوفاة وقلما نكتب نحن تاريخ الميلاد على الشواهد مع أن اخفاء العمر بعد الموت لا قيمة له فلو فرضنا أنه

يكسب شبابا أو ايحاء بالشباب فى الحياة فبعد الموت كل شيء ضياع ٠

وهناك أهرامات صغيرة أى توابيت كبيرة وتماثيل تغطيها وتحيط بها السقوف والجدران ولكن قبور الشواهد أرق وأقرب الى السماء ٠

قبل أن أغادر ايطاليا أسجل لها أروع ما رأته عينى فيها ٠٠ صورة الفنان « مايكل أنجلو » على ورق النقد ٠٠ الفن هو الرمز الحقيقى للبلد ٠٠ أى بلد ٠٠

مرة أخرى زرنا ايطاليا فى طريقنا الى سويسرا ٠٠٠

تركنا الباخرة ثم أخذنا القطار من جنوه الى (ميلانو) ٠

بدأ القطـار يسير فى نفق مظلم دقائق خلناها ساعات من الظلام الحالك ٠٠٠ ثم خرج القطار الى النور ليدخل فى النفق من جديد ٠٠ وتكرر هذا أكثر من مرة وأخيرا اعتدل ٠

لم نقرأ أو ننام كعادة المسافرين فى القطار ٠٠٠ فى السفر تغلو الدقائق فنملؤها رؤية أو عملا ٠٠٠ وتغدوا الحواس عيونا فنرى أكثر ٠٠٠ رأينا نحن أبناء الوادى ، الجبال عالية تغطيها الزروع وتصعد فيها البيوت وترتفع على قمتها العمارات أيضا ٠٠٠

منظر غريب ٠٠٠ أليس كذلك !

البيوت الصغيرة تكسوها الخضرة فتبدو من بعيد كأنها لعب أطفال متناثرة ٠

قطارنا هذه المرة لا يرتقى الجبل ولكنه يمرق فى سهل لومبارديا ٠

لقد بدأنا نبنى فوق المقطم ونزرع الحدائق الصغيرة ومع هذا يبدو المنظر جديدا كل الجدة ٠٠٠ طريفا كل الطرافة شد انتباهنا ما ظل موجودا فلم نحول عيوننا عن النافذة الا عندما دخل القطار سهل لمبارديا ٠ وهو صورة من الدلتا وعندنا الأصل فالنوم حلال ولو كان نعاسا متقطعا ٠

بيوت الفلاحين المتناثرة فى سهل لمبارديا على مسافات بعيـدة ، بسيطة متواضعة ولكنها مطلية وفيها ألوان زاهية ليست بائسة كبيوت أعزاء علينا ، ترابية اللون ٠

بدأ القطـــار T.E.E. الذى أقلنا من فينسيا يتحرك من مدينة (كومو) ٠ وهى البلدة التى تمثل الحدود بين ايطاليا وسويسرا ٠٠٠

القطار ينطلق ··· الجبال على جانبيه شاهقة خضراء أعلى كثيرا ··· كثيرا جدا من جبال ايطاليا · ومن حين الى آخر تتسع المسافة بين القطار والجبال وكأنها أفسحت له أو كأنها تدعو المشاهد أن يراها على بعد لتحلو الرؤية · كانت رائعة حقا تبدو للعين لأول وهلة وكأنها تصعد الى السماء والبيوت والعمارات فى أثرها تصعد معها · بعض البيوت تلهث فتستقر على السفح والبعض تمعن فى الصعود وتجد فيه والبعض يستقر على القمة ·

هذه سويسرا ·· الشوارع نظيفة كأنها مغسولة لساعتها · وقد بدأت لافتات الاعلانات تكتب بالألمانية ·

أخذنا القطار الى جنيف · شعرنا من حركة القطار أننا نهبط فالقطار يسير فى سهل نسبيا اذا قيس بالطريق الى زيوريخ من لوجانو · فى بعض المناظر بالطبع كأن قطارا ـ معلقا وطبعا الأنفاق اياها ـ ملاحظة كنا نشم فى النفق الطويل رائحة عطنة نحاول التخلص منها بغلق النوافذ ·

وصل القطار الى (لوزان) وهى مدينة كبيرة فعماراتها أطول قامة ·

وفى لوزان غير القطار اتجاهه وسار فى اتجاه مضاد ليشق طريقه الى جنيف · المدن كالأشخاص (روح) أو (ريح) كما يقول العامة · ولم تكن جنيف بالنسبة الينا على الأقل أخف المدن روحا أو ريحا ولكن الشىء الرائع الذى لاحظته عينى أننى لم أر فى سويسرا أو فى غيرها من البلاد الأوربية المتحضرة اسم أو رسم حاكم ـ ما عدا أسبانيا ـ ان رؤساء البلاد الديمقراطية يحتفظون بصورهم لأنفسهم فلا يقحمها أحد على حياة الناس أو المدن كما تفعل محافظة الجيزة مع كل حاكم بل أن المألوف جدا فى هذه البلاد التى تعيش حياتها لأنفسها ، أن يصعد رئيس الجمهورية ، الالتزام فلا يحس به أحد واذا حس به لا يغير من جلسته اذا كانت تريحه ··· هنا لا تقوم الدنيا أو تقعد لفرد كسائر الناس ·

نتلهف الى الرجوع الى مصر ··· نجرى هنا وهناك بين شركات الطيران وشركات الملاحة · الباخرة التى كنا نؤمل الرجوع فيها تخاطبنا مع ادارتها بالبرق · جميع الأماكن مشغولة ·· على أن فكرة الطائرة افتقد معها الأمان · كل شىء بيد الله ولكن فكرة أن نركب كلنا طائرة ترهبنى · نحن قلقون ··· ضاع اليوم فى اتصالات · ولم نجد طرف الخيط بعد ·· ذهبنا الى شركة البواخر · استعرضنا جميع البواخر المسافرة الى الاسكندرية وتاريخ قيامها ووصولها فكان موعدها كلها أوائل أغسطس ·

لم تبق أمامنا الا باخرة تركية من جنوا ١٧ يولية ونبلغنا الاسكندرية ٢١ يولية وصباحا أيضـــا فهى تعطينـــا عشرة أيام أكثـــر فى مصر ٠٠٠ ولم نتردد ـ طلبنا من موظفة الشركة الاتصال بالادارة للحجز ٠ فطلبت السيدة أن نعاود الاتصال بها بعد ساعة يتم فيها الاتصال بالادارة فى جنيف وبازل مقر ادارة الادرياتيك ثم الاتصال بين بازل وجنوا ثم الرد على جنيف ٠

عشنا هذه الساعة دقيقة دقيقة عدنا بعدها الى الشركة فاقبلت السيدة علينا بوجه باسم يبشر بوجود أماكن ٠٠ وقد صدق الحدس ٠

أروى هذه التفاصيل لأسجل أن شركة الادرياتيك التى قامت بكل هذه الاتصالات لا مصلحة لها فى الموضوع فالباخرة التى نسعى الى العودة بها غير تابعة لها ٠٠ بل أكثر من هذا رفضت شركة الادرياتيكا أن تتقاضى أجرا عن المكالمات الخارجية لاتمام الحجز !!

كم من أمثلة لحسن المعاملة فى البلاد التى تحترم الانسان ٠٠٠ ذهبنا الى شركة كوك وهى على الضفة الأخرى فاستبدلنا تذاكر السفر الى روما ٠ وتم الاستبدال سريعا سهلا ٠ اذ ردوا ثمن التذاكر كاملة أولا ثم استخرجوا فى دقائق تذاكر جديدة الى جنوا ٠ نحن الآن فى طريقنا الى ميلانو ٠ دخل القطار معنا من محطة لا أذكرها شخص ايطالى ٠ بعد أن أخذ كرسيه بدأنا بالحديث ثم انطلق ٠٠ فيه فرنسية واضحة فقال انه يحب الحرب ويكره اليهود لأن غناهم من دم الشعوب التى يستنزفونها فى كل مكان يحلو به ٠ ثم سأل :

ـ ما أخبار الحرب ؟ فقلنا خيرا ٠

قال : ما تظنون ؟ قلنا : المهم المعركة الأخيرة ٠ من يضحك أخيرا يضحك كثيرا ٠ فأمن على قولنا فى حماس شكرناه عليه مبتسمين والجرح فى قلوبنا ، يبكى ٠٠٠

وبعد قليل دخل عامل التذاكر ٠ واذ نظر الينا ، سلم علينا سلاما حميما !!

وكتمنا دهشتنا ٠ الحكاية أن أمه جزائرية ٠٠ ولهذا يحب الشرق والعرب ٠ صدف اجتمعت فبددت غربتنا قليلا ٠

الرحلة على وشك الانتهاء فأننا سنبيت ليلتنا فى ميلانو ، لنأخذ القطار فى منتصف الثامنة الى جنوا حيث نأخذ الباخرة الى الاسكندرية ٠٠٠

رأى الأولاد كثيرا من البلاد ومن ألوان الحضارة ومن ألوان الجمال رأوا طرائف كثيرة ومناح ولكنهم لم ينسوا مصر ··· لم يمض يوم واحد دون أن يذكروها ودون أن تعارفوا فى حب بينها وبين غيرها ··· وأحيانا ينفعلون فى المقارنة بصورة تبعث على الابتسام ··· وما كاد الأسبوع الثانى ينصرم حتى بدأوا (يزنوا) ويتلهفون على العودة ·

معنا فى جمرك جنــوه مسافر سورى فى طريقه معنا الى الباخرة التركية وأخذ ينقد ولكننا عندما صعدنا الباخرة · واستقر بنا المقام فى الكبينتين المحجوزتين لنا ، وجدناهما مستوى عاليا فى كل شىء ، الأثاث والنظــافة والذوق وهما متقابلتان بينهما ممر صغير له باب قفل عزل الكبينتين عزلا تاما هذا البـــاب يفتح على صالة فخمة مستديرة زينت بأحواض الزهر وعلى اليمين قاعة الطعام الفسيحة فاذا صعدت بضــع درجات وجدت قاعة استقبال (صالونا) وفوقهما قاعات أخرى احداها للموسيقى ·

واذا حل موعد الطعام خيل اليك من تعدد ألوانه وطيبها ووفرتها أنك ضيف السلطان أى الباب العالى شخصيا ·

وكثيرا ما تساءلنا فى دهشة بل فى حيرة · أننا وسائر ركاب الدرجة الأولى نعامل باحتــرام شـــديد ونكرم اكراما بالغا حين لا يحظى ركاب الدرجات الأخرى بشىء ···· مع أن الفرق بين تذكرة الفرد فى الدرجة الأولى والدرجات الأخرى لا يبلغ عشرين جنيها !

١٨/٧/٦٩

رست الباخرة اليوم على نابولى بايطــاليا · نزل كثير من الركاب للتجول فى المدينة واذا بأولادى يلحون فى العودة الى الباخرة ثم اتضح أنهم كانوا خائفين أن تبحر وتتركنا ·· يا لسذاجتهم · حتى بعــد أن رجعنا عبثا تقنعهم أن الباخرة لها موعد قيام تتأكد عنده من عودة ركابها جميعــا ·

الساعة السادسة مساء · بدأت الباخرة قبل دقائق تستعد الاستعداد التقليدى للابحار ··· وجرى الأولاد الى الشرفة ليروا الباخرة · تحرك الكوبرى الذى يتصل بها بممر (معبد) متحرك وتقدم القارب (اللنش) الذى سيخرج الباخرة واتصلت حباله بها ··· وأخذت تبعد عن شاطىء نابولى والقارب يحذوها ·

كانت فى البداية ترجع الى الوراء حتى اعتدلت مقدمتها تماما كما تفعل السيارة عند خروجها من موقفها ...

وأطلقت الباخرة صفارتها التقليدية وأرخت الحبال للقارب . اذن بدأت رحلة الاسكندرية وا فرحتاه ..

بعد ساعتين مرت بين ايطاليا وصقلية .

العشاء فى الباخرة الساعة الثامنة . ومن مائدة الطعام رأينا على البعد ، من زجاج النافذة باخرة ... فكأنها صورة فى اطار ... ثم شرعت الشمس فى المغيب ... وسكب الشفق ألوانه على البحر فامتزجت زرقته بألوان الطيف امتزاجا رائعا فى منظر بديع كالتقاء الأحبة وقد بل الشوق صداه وبلغ مناه .

من الأشياء المهيبة البحر ... البحر والجبل والليل . هنا أعماق وأبعاد ورؤى .

حين تنزع القصبة من مغرسها ، تصير شبابة
ترسل النغم شجيا كقطرات الدموع

رحلة العودة أقصر أياما من رحلة الذهاب وهو ما نتمنـاه فقد شفنا الشوق الى مصر ·· عندما مرت الباخرة أمام جزيرة صقلية هـز قلوبنا بحار جلس ومنظاره على عينيه يحاول رؤية الجزيرة لعل له بيتا فيها أو حبيب روح ·· يبدو أنه رأى حبه فقد أخذ يلوح بفوطة في يده ·· يد متشنجة تجمعت فيها مشاعر انسان مغترب بحنانه وحنينه كان له الله ·· انى أحس عذابه وأنا وسط أسرتي حولي زوجي وأولادى ولكن مصر في القلب وجود بلا حدود ·· انها الأهل والولد والزمان والمكان وبعد هذا كله يظل منها في القلب معنى غير محدود يهفو اليه القلب حتى عندما يكون فيها ويحيله الغياب قطعة من العذاب في البعد والفراق ·

نقترب الآن من المساء الشمس لم تغرب بعد ولكنها بدأت بألوانها تذوب في الأفق ·· وقفنا نشاهد الغروب ·· احمر قرص الشمس ·· الهلال الوليد في السماء قوس رفيع أبيض وقرص الشمس يغطس شيئا فشيئا في الماء حتى لم يبق منه فوق سطح البحر غير هلال ·· هلال أحمر في الماء ، وهلال أبيض في السماء ·

ازاى ازاى ازاى أوصف لك يا حبيبى ازاى

قبل ما أحبك كنت ازاى يا حبيبى

كنت ولا امبارح فاكراه

ولا عندى بكره أستناه

ولا حتى يومى عايشاه

يا حبيبى

أم كلثوم ·· صوت البشائر ·· مصر ·

النوم فى هذه الليلة نعمة لانه سيختزل المدة الباقية على الاسكندرية التى تستقبل باخرتنا فى الصباح ·· ابنتى تعدو متجهة الى فى وجهها فرحة تهلل ·· الآن رأيت الراديو الترانزستور فى يدها ·· انها تقول

انها بدأت تسمع اذاعة مصر بوضوح ٠٠ اقتربت الاسكندرية ويرانا راكب انجليزى ويفهم من بريق العيون وضم الآذان للراديو ، ما يدور بيننا فيلتفت الى ويقول كمن يهنىء : Home at last ما أحلى العودة الى الوطن بعد الغياب على أمل ، أو بعد يأس كما يقول شوقى ، سواء ٠٠

ما دمت لقيتك يا وطنى كأنى قد لقيت بك الشبابا
ولو أنى دعيت لكنت دينى عليه أقابل الحتم المجابا
أدير اليك قبل البيت وجهى اذا فهت الشهادة والمتابا

وأدرت وجهى وقلبى نحو منازل تبدو من بعيد ومآذن ومداخن ٠٠ نعم انها مصر ٠٠ انها الاسكندرية ٠

وقيل الثغر فاتأدت فأرست فكانت من ثراك الطهر قابا

كانت بينى وبين هذه الأبيات علاقة خاصة منذ كنت تلميذة بالمدرسة الثانوية وحفظت غيرها وغيرها ٠٠ وأخيرا التقيت بها هى على سطح الباخرة لأستقبل معها وأستقبل بها الاسكندرية ٠

كانت فرحتنا كبيرة متوهجة ولكننى فى غمرة الفرحة لاحت منى التفاتة الى طاقم الباخرة ٠٠ هؤلاء البحارة وجميع العاملين على السفينة لم تلمع وجوههم ولم تبرق عيونهم مثلنا ٠٠ لم تعكس قسماتهم أى تعبير جديد ٠٠

ان الاسكندرية التى تهز وجداننا الآن مجرد ميناء فى طريق الباخرة كالموانى السابقة ٠٠ ليس لهم أحد فى الاسكندرية ٠٠ ان البحر متعة اذا كانت الرحلة فيه أياما معدودة تدنو بالمسافر ٠ كل يوم ، من اللقاء الحبيب ٠ ولكن هذه المتعة تفقد نكهتها ومذاقها اذا انقلبت حرفة ٠٠ روتين ٠٠ متى يرتوى هؤلاء الظماء بالعودة الى أوطانهم وأحبائهم ٠

الاسكندرية الجميلة بهوائها وهواها لم تبل الشوق كله ٠٠ انه نداء القاهرة ٠

سلامات ـ ازيك سلامات ٠٠ كلمة تعود القلب أن يتمتم بها كلما صافح وجه النيل بعد غياب ٠٠

انتهت الرحلة ٠٠ بل بدأت الرحلة فالرحلات تبدأ من حيث تنتهى ٠٠ ان السفر لا يخلو من قلق وخوف غامض وارهاق أيضا ٠٠ وتأتى العودة فتغسل هذا كله وتصفو الرؤية ويبدأ السفر فى الخيال فيطوف

الانسان من جديد الأماكن والبلاد ويحكيها ويستوعب المشاهد والرؤى ومن ورائه الذاكرة « تستف » الذكريات ٠٠

وبدأ أولادى يتذكرون ويقارنون ٠

ـ ايه يعنى جنيف ٠ القاهرة أجمل منها مائة مرة حتى مع قذارة بعض الشوارع واهمال بعض الأحياء ٠

ـ ايه يعنى البحيرات ٠٠ النيل أحسن مائة مرة ٠

ـ ايه يعنى زيورخ ٠٠ ايه يعنى كذا ٠٠ وعلق الأولاد على ايه يعنى ٠

ولكن حنان أكبرهم كانت تكسر حدة المقارنة بقولها :

ـ تمنيت لو طالت وقفتنا عند الكنيسة ميلانو ال «دومو» فما ينفق الانسان فيه ٤٠٠ سنة من عمره ، لا تحيط به زيارة قصيرة أو نظرة عابرة ٠

وحمدت الله أنهم لم يتمردوا على بلدهم كالكثيرين ٠٠ على ألا يبخسوا الناس أشياءهم وعزز والدهم باعتباره رأى كثيرا من عواصم أوربا ، ثقتهم بعاصمتهم وقال :

ـ ان القاهرة من العواصم العالمية المعدودة ٠٠ ليس فى العالم أكثر من بضع مدن فى مثل اتساع القاهرة وتعداد سكانها ٠ لندن مثلا ، موسكو ، باريس ، برلين ٠

وردت ابنتى فينان : حتى بغض النظر عن الحجم والاتساع والتعداد ٠٠ الخ ، القاهرة فيها ميزة عزيزة ٠٠ الواحد يحس معها كأنها تفتح له ذراعيها وتقول أهلا ٠٠ تعال ٠٠ متهللة ٠٠ القاهرة كأن على كل شجرة فيها ابتسامة تودع المسافر وتستقبل القادم ٠٠ لها شوق اذا غاب الساكن اليها والساكن فيها ٠٠ ولها فرحة اذا عاد ٠٠

عذبة القاهرة خاصة فى الجزيرة حيث تصعد المئذنة كدعاء مؤمن الى السماء ، وتشمخ المسلة كمجد الفراعين ٠

بلد المجد وبلد الوجد عاصمتنا القاهرة ٠

فى حبيبتنا القاهرة رقة وصفاء من أثر التاريخ الطويل فى الحضارة ٠

ان عطاء مصر فى الأدب الرسمى هو الذى سجل وضمنه أصحابه بطون الكتب ولكن القريحة القاهرية خلقت وابتدعت ٠

الرجل العادى فى الحرفة البسيطة فيه لماحية وخفة روح تجعل الحلاق ، يكتب على (دكانه) « نحن نقص » ، والساعاتى يشير الى بضاعته بالآية (ان الساعة آتية لا ريب فيها) ووكيل المحطة الذى علق على مكتبه لافتة بالآية (هو الحق الوكيل) ٠

وليس هذا بالسهل فى باب لطف المشاعر أو ظرف الروح ٠ فقد روى الشيخ على الليثى عن الخديو اسماعيل أنه رأى يوما لافتة وكيل المحطة « هو على الحق الوكيل » فزر ما بين حاجبيه ثم صاح : هو ٠٠ الحق الوكيل ثم استدرك ظانا أنه فطن الى الصواب : هوا لحق الوكيل ٠٠ ولم ينفذ الى الآية العربية أو اللمحة المصرية ٠

ليست المسألة جدرانا و تعداد السكان ٠

انها « روح المكان » ٠٠

تعيشى يا مصر ٠٠

فى أعلى الجبل دعوت لك ٠٠ وفى سهل الوادى صليت من أجلك ٠٠ فى البحر رأيتك اسكندرية واسماعيلية وبور سعيد وسويس وغردقة وبرنيس ٠٠

وفى البر رأيتك دلتا والصعيد ٠٠

رأيتك فى آثار الناس أقدم من القدم وأطول من الزمان ٠

ورأيتك فى أوطان الحضارة الحديثة دمعة فى عينى تأسى ولا تيأس ، وأمنية فى خاطرى تطوى الليل وتتعجل الفجر ٠٠ وقد طلع الفجر وانجاب الظلام عن وجهك الجميل النبيل ، يا أم الحضارة يا أم التاريخ يا أم النيل يا أمى يا مصر ٠٠

ان الحياة هناك بمبتكرات العلم أسهل وأنعم ولكنك عندى كنت وما زلت وستظلين الأغلى والأحلى أيضا ٠٠ ولن يتأثر زهوى بك وفخرى بالانتساب اليك ولو طاف بى الحور جنة رضوان ٠٠ ليت نصيبى من الجنة يكون على ضفافك يا نيل ٠٠

لقد علوت الجبال فى سويسرا وجبت السهول فى ايطاليا ولكن جنات الدلتا لم تكن عن عينى نغيب ٠٠

وقفت أمام آثار اليونان والرومان والعرب فى الأندلس ولكن شريط المجد من سقارة الى (أبو سمبل) ما كان ينتهى الا ليبدأ من جديد ٠٠ وحسبنى الراءون فى أوربا وأنا فى الصعيد ٠٠

شاهدت الأنهار ٠٠ السين فى فرنسا ، والتيمز فى انجلترا ، والوادى الكبير فى أسبانيا فكان أكبرها كفرع الزمالك الذى نسميه « النيل الصغير » أو « البحر الصغير » ٠٠ أما النيل الكبير ٠٠ البحر الكبير عند جزيرة الذهب فليس له ضريب ٠٠ ووجدتنى فى كل مكان أقول بغير حروف :

« أنت أنت مصر » ٠٠

حتى حين يتسع الفرق المادى بينك وبين أوربا لا أتمنى العيش فى غيرك أو الانتساب اليه فوجه الأم وان شاه ، أجمل الوجوه وأنت أمى الجميلة الرءوم ٠

كل سبق يحرزه غيرك ، وكل تقدم لم تبلغه ظروفك لا يبعدنى عنك بل يدنينى منك أكثر لانه يزيد اهتمامى بك واشتغالى ٠٠ كيف أنقل اليك الجديد والتقدم والعلم كيف ؟ عندك كنوز الطبيعة وعندك كنوز التاريخ وعندك الوادى وعندك الصحراء ٠٠ عندك المادة وعندك فيوض الروح ٠٠ أنت وادى النيل وأنت وادى الدين ليس ماضيك وحده هو الذى يأسر القلب المصرى ولكنك أنت كلك لانك مصر بما لك وما عليك ٠٠ ولا عليك ولكن علينا وحدنا يقع الذنب حين لا نعى عنك الدرس ، أو نصون لك الحق أو نحفظ لك الجميل ٠

العيب ليس فيك ولكن العيب فينا لاننا كالوارث الأبله لا يعرف قيمة ما تركه له أبوه ٠

أرأيت كيف تمتزجين بالدم فى العروق فالقلب ينبض لك والعقل يفكر فيك واللسان يترطب بذكرك فلا يملك المصرى الجواب فى أى مكان حل به الا أن يقول : أنت أنت مصر فى حنين كأنين القصبة حين تنزع عن مغرسها فتصير شبابة ترسم النغم ، شجيا ، كقطرات الدموع ٠٠

وتتملك المغامرة ، الشباب ٠٠٠ والمرارة الكهول ، فيبتعدون طلبا

للرزق أو الراحة فما يكادون ينفضون عنهم غبار السفر حتى يحنــون اليك ·· ويلج بهم الحنين فيغدو شــوقا متقدا ، ودموعا ، على ســماع الأغانى ، ومفارنة متصلة ·· ثم ينسون شفاءهم القديم ·· وفى سهمه يتمتمون :

تعيشى يا مصر ·· وفى لهفة يقولون ·· أنت أنت مصر ··



ليبيا

فى جامعة ليبيا

تختلف ليبيا عن سائر الرحلات فرحلتى اليها كانت اقامة امتدت عامين ولهذا سوف تطول الكتابة عنها وسوف تتخذ أشكالا مختلفة ٠٠ وسوف يدور حوار وسوف تسترسل معان وأفكار وسوف وسوف ٠٠ الأحداث٠٠سوف تجنح كتابتى فى بعض المواضع الى أسلوب اليوميات٠٠ وسوف يدور حوار وسوف تسترسل معان وأفكار وسوف وسوف ٠٠ انهما عامان من العمر ٠٠ وانها تجربتى الأولى فى الاغتراب ٠

تختلف ليبيا عن سائر الرحلات فقد سبق ذهابى اليها ظرف معين ٠ كانت ابنتى الكبيرة فى الثانوية العامة وكانت لا تتجاوز الخامسة عشرة من عمرها ٠٠ وفى مصر تحيط الثانوية العامة بجو من الرهبة يلف البيوت والمدارس معا ٠ وأحسست بصغيرتى مضطربة قلقة ٠ وكان فى ذلك الوقت مؤتمر للأدباء العرب انعقد فى القاهرة ٠ ولما كان ضـــيوف مصر ضيوفى ، فقد استقبلت الأدباء من مختلف البلاد العربية ، فى دارى بعد ختام المؤتمر ٠

ومرت أسابيع وأنا خالية الذهن تماما من السفر بل العمل بالخارج واذا ببرقية تصلنى من جامعة ليبيا تدعونى الى العمل بها ٠

استبعدت الفكرة وقررت الاعتذار ٠٠ وفى جمع من الأصدقاء طاف الحديث بالحدث الجديد فقال أحدهم : فرصة حنـــان من السما اذ أنهـا تتخلص من مخاوف المجموع التى تثيرها ليلا ونهارا ٠٠ فاذا حصلت على مجموع كلية العلوم التى تريدها والتى تشترط أن يكون عاليا ، فأنعم به وان لم تحصل فسوف تستطيع دخول كلية العلوم بطرابلس ثم تنتقل الى علوم القاهرة بلا قيد أو شرط ٠

أمامى اختيار صعب : بيتى بكل ما يعنيه ٠٠ ومستقبل ابنتى ٠ أو نفسى وابنتى ٠ وبدون تردد قدمت ابنتى على نفسى ٠

ان حنان تستحق منى التضحية وبهذا الحجم لا ، لأنها ابنتى فحسب ولكن لصفاتها الذاتية فهى عطوف مضحية فى حدود امكاناتها الطفـــلة

تقدم كل فرد في الأسرة على نفسها .. خدوم بلا حدود .. كلها حنان كاسمها ..

حنان تستحق مني الكثير والبذل لها يسعدني .

من أجل حنان قررت أن أسافر للعمل في ليبيا لأجتاز بها عتبة الثانوية العامة ودخول كلية العلوم .

ذهبت الى وزارة الداخلية لاستخراج تصريح العمل .. كنت في طريقي اليها صامتة ـ تائهة تحت وطأة الشعور الثقيل بالاغتراب المقبل .. بدأ التمزق النفسي القاسي .

بدأت قدماي تشداني الى الشارع لأتملى القاهرة فبعد أيام ستكون القاهرة مني بعيدة حبيبتي القاهرة .. ما من مدينة مصريه (توحشني) مثلها والمدن كلها مني منذ خططت مصر ، المدينة منذ ألوف السنين .

ذهبت الى ليبيا فاستقبلتني صحافتها استقبالا كريما . وكتبت احدى الصحف مقالا بمساحة صفحة كاملة بمانشيت عريض : الدكتورة نعمات أحمد فؤاد أم حنان وفينان .

ذهبنا للقاء العميد . رحب بنا ترحيبا . قال انه تعلم في مصر وأحسست أني أطول قامة ..

قال انه يحب مصر وتمتمت بغير حروف : لست بأول .. أحبها من الشرق والغرب عدد نجوم السماء .. عدد الرمل والحصى والتراب .

قال : أنه قرأ ، لى قلت في سرى : السطور منها نبعت ، وفيها صبت ، ومنها معى خرجت واليها ، بى ، تعود .

وانتقل العميد الى نقطة تعامل . قال ان الكلية تخير الأستاذ القادم بين صرف سبعمائة جنيه للتأثيث أو استحضار غرف جديدة من ايطاليا وفرشها له واخترت الحل الثاني ..

كنت بكبرياء مصر في داخلى ، أختار المظهر الحضارى لا النقود . وعلمت بعد هذا أن الكثيرين من مختلف الجنسيات يختارون أن يفرشوا بأنفسهم أثاثا محدودا بسيطا مستعملا حتى لا تكون خسارة في بيعه عند انتهاء العقد .

ولكن هذا الحساب كان غير وارد عندى بل انى استأجرت لسكني

دورا فى فيلا فى منطقة الحدائق بطرابلس وعندما فرشت لى الكلية الغرف الثلاث الجديدة ، اشتريت غرفة نوم جديدة لأطفالى فصار عندى أربع غرف مؤثثة أثاثا جديدا واشتريت سجاجيد وستائر للنوافذ ونجفا وكنت قد حملت معى من مصر تحفـا مصرية من خان الخليلى ومناضـد صغيرة على الطراز الاسلامى لمحة من مصر ٠

وصار بيتى كريم المظهر مشرفا كأنى مقيمه ٠ وزارنى الوزير المفوض فى السفارة المصرية فقال : أتمنى أن أستقبل ضيوف السفارة فى هـذا البيت فهو فى الطابع والاسلوب ، أكثر مصرية ٠

وبدأت الدراسة ٠٠ كان جدولى الأساسى لطلبة الليسانس وسرعان ما التقوا بى وتعلقوا ٠٠ ويبدو أن العميد والادارة أحسوا بهذا وحمدوه فما كان يمضى على انتظام الدراسة ثلاثة شهور حتى حلت أجازة عيد الفطر فأخذ الأساتذة المغتربون تصريحات السفر من العميـد ليحجزوا أماكنهم فى الطائرات وتأخر تصريحى ٠ فقابلت العميد فقال لا يريد أن يصرح لى ٠٠ ودارت الأرض بى ٠ قلت ولكن الأساتذة جميعا يحملون تصريحات ٠٠ قال أعرف هذا ولكنك أنت بالذات لا أريد أن أصرح لك بالسفر ٠٠ وحاولت بصعوبة حبس دموعى كصوتى ٠ قال الرجل : ليس عبثا لك ولكن فرط تمسك بك ٠٠ لست أدرى لماذا أخشى ألا تعودى الينا ٠٠ ولكنى وعدته أن أعود ٠ ولما استوثق من كلمتى صرح لى ولكنه عاد فى اليوم الثانى وأرسل فى طلبى ٠ فذهبت اليـه واذا به يعطينى اسورة ذهبية لزوجته طالبا منى اصلاحها فى القاهرة قائلا انه اشتراها من القاهرة ٠

وفهمت انها وسيلة للاستيقان من العودة ٠٠

أخذت الاسورة ووعدته باصلاحها وارجاعهـا ٠٠ ولم يكن بهـا ما يستعصى على الاصلاح فى ليبيا ولكنها رباط ٠

سافرت فى العيد بعد أن كنت يئست وداريت يأسى وصبرى وألمى عن أطفالى بل حاولت غمرهم بالهدايا والحلوى بل صـنعت لهم كعكا ونقشته بأسلوب أمى وجدتى ولم أكن فعلت هذا من قبل ٠٠ أردت أن أشعرهم وأشعر نفسى قبلهم بمصر شكلا ومعنى وعادة وروحا وتقاليدا ٠

ومن الطريف أن الأديب الليبى الاسـتاذ المصراتى زارنا ليخفف غربتنا وليؤدى واجب الصداقة لأسرتى فى القاهرة فقـدمنا له الكعك فعجب من صنعته ومذاقه وأكل منه بشهية أسعدتنا ٠

أمضينا العيد فى القاهرة وبالطبع أصلحت الاسورة ووضعتها فى علبة مطعمة بالصدف مما تجيد نمنمته وزخرفته مصر ·· وعدت الى ليبيا وتأثر العميد تأثرا بالغا من العودة واللفتة وعاد يكرر من جديد أنه تعلم فى مصر وأنه يحب مصر وأنه يحتفظ لمصر بأغلى المشاعر ··

ومر على الدراسة شهران آخران وأرادت الكلية أن تعقد ندوات خارج الدراسة يتحدث فى كل ندوة أستاذ على التوالى ووضعوا اسمى للندوة الاولى ·

ودعا العميد والوكيل كبار الشخصيات من خارج الجامعة للاستماع وتحدثت عن الأدب فى المغرب العربى تونس وليبيا والجزائر والمغرب ·· كان حديثا صافيا حفل بالمقارنات بين المشرق والمغرب فى البدايات والوسائل والموضوع والاسلوب والعوامل والملابسات والظروف وامتد الحديث ساعتين وكان العميد والوكيل كلاهما مزهوا أمام ضيوفه كأنى أخته أو ابنته ·

وبعد الحديث أخذنى العميد الى مكتبه ومعنا ضيوفه حيث اتصل الحديث والتكريم ·

وبعدها طلب رئيس تحرير كبرى الصحف الليبية أن أكتب بها المقال الرئيسى يوميا ولما كان ممنوعا أن يشتغل أستاذ الجامعة بأى عمل خارجها فقد اعتبرت هذا مخرجا ولكن العميد أمام اصرار رئيس التحرير كتب لى استثناء أى تصريحا بالكتابة فكنت أكتب يوميا مقالا فى الصفحة الاولى ومربعا أدبيا فى الصفحة الثانية وتوالى طلب المجلات الليبية فكتبت فى مجلة الرواد وكتبت فى مجلة المرأة ·

كما طلب وزير البترول الى وكيل الكلية أن أدرس لابنته وهنا اعتذرت اعتذارا حاسما فظن الوكيل أن الأمر يتعلق بتقليد الجامعة وعدم اشتغال الاستاذ بأى عمل فى الخارج ولكنى أفهمته بوضوح أنى لا أنتقل الى بيت وزير أو أى انسان كائنا من كان ولكن ابنة الوزير هى التى تأتى الى بيتى اذا رغبت فى مساعدتى العلمية لها · وقد كان ·

وبعد هذه المحاضرة ازداد رصيدى المعنوى فى الجامعة وخارجها ·

وفى العام التالى أرادت الكلية أن تعقد مثل هذه الندوات فاذا بالأساتذة المنظمين يتعمدون اغفال اسمى وقد صرح بهذا أحدهم وهو من قطر شقيق وقال بصريح العبارة ما معناه بلهجته الخاصة التى تقتبسها المسرحية المصرية للاطراف :

ها قد أخذنا درسا لن ندعك تفتحين موسم المحاضرات ولن ندعك تستولين دوننا على كل الاهتمامات ..

وابتسمت . انه ثناء معكوف .

حدث هذا كله سنة ١٩٦٨ .. العام الأول لى فى ليبيا

وكان مساء ..

صحوت من نومى فزعة على ألم لم يلبث أن أعقبه دفقة من الدم تخرج من فمى وفزع أولادى معى وجرى الصغار هنا وهناك وكانت الفيلا نائمة الا الشقة التى يسكنها انجليز عندهم حفلة ومدعوون . طرق أطفالى الباب عليهم فهبوا لنجدتى حملونى فى سيارتهم الى المستشفى الليبى وانتظروا حتى تلقانى الأطباء .. وهو عمل لا تصفه الكلمات لأن فى ليبيا ليس هناك شىء اسمه تاكسى يستدعى فى النهار فما بالنـا فى ساعة متـأخرة من الليل .. كان من الممكن أن أنزف وسط أطفال يدركون جيدا على حداثة سنهم أننا غرباء عن وطننا وأهلنا وأنى فى ذلك الوقت بالنسبة اليهم أم ووطن وأب وأهل كان ابنى فى السابعة من عمره وابنتى الصغيرة فى الحادية عشرة والكبيرة فى السادسة عشرة .

أخذ الجيران الانجليز الطفلين الصغيرين وتولوا تهدئتهم أما أختهما فقد تجاوزت سنها السادسة عشرة وكبـرت فجـأة وطالت قامتها الى مستوى الحدث . صحبتنى الى المستشفى وتماسكت لا أقول تحلت بالهدوء بل أقول أنزل عليها ربى السكينة وهى بطبيعتها رقيقة المشاعر ، حنون تتوهم من حنانها من لا شىء .. لا أنسى أنها فى طفـولتها لاحظت عليها مدرستها الاطراق مع الضعف الصحى بعد تورد ونشاط لاحظته المدرسة أحسسته قبلها بقلب الأم وبدأت أطوف على الأطباء . فاذا بالكل يجمع على خلوها من أى مرض عضوى .

جمعتها فى حضنى وسألتها : ما بها ؟ فانفجرت فى البكاء وجن قلبى الذى تعلق بشفتيها :

ـ قولى

ـ خايفة تموتى

وأدركت أوهامها وأدركت أنه عمق حبها لى وشدة تعلقها بلغا حد الوهم . والحب ان زاد عن حـده ، ترهق النفس الأوهام وأفهمتها هذا

لا فارتاحت وسكن وجيبها وبدأت أدارى عاطفتي نحوها حتى ترى الحياة الاخرى وحاولت أخلق اهتمامات لهـــا وصداقات صغيرة بين تها فى الدراسة ·

هذا موضوع آخر ولكنه نعميق لخطوط الحدث ·· الذى واجهته وأكبر ى فكرتى عنها حتى تلك اللحظة أنها أشدهم حاجة الى فحين أقول كبرت فجأة فان التعبير لم أخلقه بل خلقته اللحظة أنها أشدهم حاجة حين أقول انها كبرت فجأة فان التعبير لم أخلقه بل خلقته اللحظة فملا ·

عرفت بعدئذ أن الأطباء قرروا نقل دم لى ووضعى تحت العناية المركزة ين أنه الخطر معلق ٢٤ ساعة وعرفت طفلتى هـذا فظلت الليل كله ل بين غرفتى وحجرة الطبيب نسأله عن شىء تتلهف على أمل ومضت عات كالدهور وكتب الله لى الحياة وبدأت الصغيرة التى كبرت فى سواد تتصل بوالدها فى القاهرة ومثلها فعـــل صديق حميم للأسرة هو سى الدكتور على كامل وكان أستاذا مصريا بجامعة ليبيا · وحضر ى على عجل ·· كان متهدما وهو الذى كان يباهى بالشـــباب متفكها د ، وجادا كالمتفكه ·

ولم تكن أسرتى وحدها هى التى اهتزت لمرضى بل أحسست الألم ارکة والمحبة من المصريين جميعا فى ليبيـا ومن الليبيين أيضا أدباء حفيين وكبار أهل البلد وطلبتى وأولياء أمورهم كان عميد كلية المعلمين بلسى الاستاذ أمين الحافي يأتى يوميا الى المستشفى ومعه وكيل الكلية · ى الأساتذة من مختلف الجنسيات ·

أما المصريون فقد اعتبرنى كل منهم مســـئوليته الخاصة · لم يغب منهم أحد مرة فتحت عينى فى الصباح فوجـــدت فى مدخل حجرتى انا كبيرا لا أعرفه يقرأ لى القرآن فى تبتل وهمهمة · ثم انصرف ·

زارتنى يوميا سيدة مصرية متواضعة لا أعرفها وأخذت تمسح شعرى ما وتدعو لى دون أن تذكر اسمها ·

كان أحد المستشارين المصريين فى ليبيا يرســـل زوجته كل يوم من الى جانب سريرى من الصباح الباكر حتى الظهيرة ·

لقد تجمع طلبة كلية المعلمين فى فناء المستشفى وأصروا على أخذ دم لى · وأفهمهم الاطباء أن الدم لا يؤخذ الا من فصيلة مماثله وأنه نع

هـذا قد تم نقل الدم لى ولكن أحدهم قال انه سـوف لا يبرح المستشفى الا اذا أخذوا لى دما ، منه ولو يريقونه بعد هذا المهم يشعر أنه أعطانى من نفسه وبكيت ٠٠ بكيت كثيرا من التأثر ٠

وجاء أحدهم وكانت له عين واحدة وليست سليمة وجلس الى جوار سريرى وأخذ يبكى منتحبا وعبثا حاولت تهدئته فلم يكف عن البكاء الا عندما بكيت أنا ٠

وأحببت ليبيا أكثر وارتبطت بطلبتى أعمق وأعمق فوق ما كان بينى وبينهم من وثاق وأعماق ٠

ولم أجد تعبيرا أوفى وأقدر على رد الجميل الا تمسكى بوضع الامتحانات وأنا فى سرير المرض ٠ أنا وحدى التى أعرف استعدادهم وحجم تحصيلهم فى كل مادة من مواد الأدب فلا أتركهم لأستاذ يحتكم معذورا الى المنهج وحده دون سائر الاعتبارات ٠

وكما أصررت على وضع الامتحان تمسكت بالتصحيح وتم هذا كله فيما بين المستشفى وبيتى هناك فى طرابلس ٠

وكان حادث مرضى هذا كافيا للاعتذار لليبيا وعودتى الى مصر ولكننى بعد الاجازة الدراسية قررت العودة عاما آخر تعبيرا عن الشكر أعود بعده الى مصر أو أودع بعده ليبيا لا بسبب المرض ولكن فى كامل صحتى اختيارا للعودة وايثارا لمعنى غال أحرص عليه ٠

فى نهاية العام الثانى لى فى ليبيا قدمت خطاب استقالة واعتذار الى العميد على الرغم من أن مدة عقدى مع الجامعة أربع سـنوات ٠٠ ووسط محاولات لاهثة من مختلف الجنسيات للبقاء استنفادا للعقود أو تجـديدا لها ٠٠ وحاول العميد في مودة صادقة ورجاء ملح أن يثنينى عن الاستقالة ٠٠ وبكل الود تمسكت بها ٠٠ رفع الأمر الى مدير الجامعة الذى استدعانى بدوره محاولا صرفي عن الاستقالة ولكنى شكرت واعتذرت ٠

وفى يوم جاءنى أثناء المحاضرة موظف فى الادارة يقول ان السفير المصرى على التليفون ٠

حدد لى سفير مصر موعدا فى السفارة لمقابلته ٠ وذهبت فى الموعد وفاتحنى فى موضوع الاستقالة ونهى الى أن الجامعـة لجأت اليه ليحاول التأثير على كان بادى الغبطة والزهو وان حاول اخفاء مشاعره ٠

قلت له : ما الذى يسعدك سفيرا لمصر ، أكثر أن ترجوك الجامعة فى

استبقاء أستاذ مصرى أم نطلب اليك استبعاده ؟ ٠٠ ان البعض سامحهم الله يحسبون المصرى متهافتا ، من خصاصه على المال يسعى اليه فى أى مكان ويرضى من أجله بأى وضع ٠٠ فدع مصريا يقول : لا ولتأت « لا » على لسان المرأة المصرية ٠

وانفرجت أساريره وتهلل وجهه ووافقنى ٠

ونزلت القوائم فى الجامعة فاذا بأسماء كثيرة من مختلف الجنسيات أمامها عبارة استغنت عنه ٠٠ أنهت الجامعة عقده ٠

حين كتب أمام اسمى : بكل أسف اعتذرت عن الاستمرار ٠

بل أقامت ليبيا الرسمية والشعبية حفل تكريم لى فى فندق

جراند أوتيل دعت اليه أساتذة الجامعة فى طرابلس وبنى غازى والكتاب والصحفيين والوزراء وكبار الشخصيات وبعض السيدات الليبيات المشتغلين بالتعليم أو بالخدمات الاجتماعية ٠

ومن الطريف أن بعض الليبيين بصراحة الليبى وتلقائيته قال :

فى هذه الحفلة : لم أصدق حين بلغتنى الدعوة الى هذا الحفل حتى جئت وها أنا ذا أشاهد بعينى تكريم السيدة المصرية الدكتورة نعمات مع أن الاستاذ فريد أبو حديد مكث فى ليبيا اثنى عشر عاما ثم عاد فلم نقم له حفل تكريم ٠

وابتسمت بين مشاعر مختلفة كانت نموذج فى نفسى ليتهم أقاموا حفل تكريم قبلى للأديب المصرى (فريد أبو حديد) فهو أستاذى بالقراءة أنه أحد جيل العمالقة الذين نهلت من أدبهم قبل أن يصير لى قلم ٠

ان التكريم ، فى الحقيقة لمصر ، قبل الأسماء جميعا ٠

وحان يوم السفر فأوقدت الحكومة مندوبا يودعنى فى الميناء

ورأيت الأرض المصرية قبل أن تتحرك الباخرة فقد كانت الباخرة مصرية بل اسمها (الباخرة مصر) ٠٠

وعدت ولم تنقطع صلتى بليبيا فأهلها وطلابها لم تنقطع عنى رسائلهم وزياراتهم معا ٠٠ كان طلابى عندما يحضر أحدهم الى القاهرة يسعى من توه الى بيتى ٠٠ قال أحدهم مرة : هذا البيت فى شعورى هو السفارة الليبية التى تقوم على بعد أمتار منه ٠٠ هذا البيت سفارتى ووجهتى ٠

ومرة زارنى انسان شيخ لا أعرفه وقال أنه والد الطالب محمد الذى درست له فى ليبيا ٠

وكتب لى مرة أحد طلابى بعد عودتى بعدة شهور يحكى لى نزاعا حدث بينه وبين زميل له كان طالبا عندى مثله فكتبت للاثنين معا وأصلحت بالرسائل بينهما ٠

وكتب لى طالب ألم به طائف من مرض هل يذهب الى العلاج فى الخارج أم أرى رأيا معينا ٠ وكم من قضايا طرحها طلابى الليبيون فى رسائلهم لى بعد عودتى الى مصر فأعيشها معهم وأناقشهم فيهم وأشاركهم الحل ٠٠ وتلغى السطور . المسافات ٠ وأدرس فى مصر وأحاضر وأكتب ويزداد رصيدى من القلوب والعقول وهو حظ عظيم دونه الثروات والعروض ولا تبرح لبيبا ذاكرتى بأهلها وأيامى بها ٠

ويزورنى كبير ليبى ويودع عندى أمانة ثمينة يغالى بها ٠٠ لا يسألنى عنها صكا ٠٠ ولا تزال عندى الى اليوم ٠٠ وكلما فاتحته فى شأنها فى احدى زياراته للقاهرة ، قال : لقد اخترت لها المكان الأمين وكفى ٠ ويأسرنى هذا كله ٠٠ وتختلف السياسات وتشتد الأزمات أو تنفرج ولكن ليبيا الأرض والانسان لا ينزعها من نفسى خلافات أو سحابات أو عرض يزول ٠

۱۹٦۹/۹/۱

صحونا من نومنا على لهجة غريبة فى الاذاعة الليبية وأنصتنا جيدا ٠٠ انها الثورة ٠

لقد وضع الجيش يده على السلطة ٠٠ وأسلم زمام الأمر اليه سريعا ٠ وبدأت البيانات الثورية تتوالى ومنها حظر التجول ٠٠ ومنها وهو الأهم قفل المطارات وموانى ومنافذ ليبيا الى أجل غير مسمى ٠

لقد تم العزل ٠

أصبحت مصر أبعد بعدا ٠

صار أحباؤنا فى جانب ونحن فى جانب وزاد حرماننا وعذابنا عذابا ٠٠ كل اتصال بمصر موقوف ٠٠ لم تعد نسمة تهب علينا من مصر فى خطاب أو تليفون ومع هذا تفكيري كله كان في قلقهم لا قلقي ٠٠ كيف

وصلت الأخبار اليهم ؟ وما وقعها عليهم ؟ صار همى سماع اذاعة الشرق الأوسط ٠٠ وعلى التحديد ، نشرة الأخبار لأتبين طريقة وصول الأخبار اليهم ٠ كانت المحطة تذيع الأحداث فى غير مبالغة بل هادئة تطمئن ٠٠ وحمدت الله ٠

وحمدت الله مرة ثانية لأنى قدمت أوراق حنان قبل قيام الثورة وحظر التجول ٠

فينان وأحمد الى جانبى مشغولان بلعبة الشطرنج ٠٠ وأحمد الله فى سرى لانشغالهما باللعبة عن القلق والتفكير٠٠والتفتت الى الصغيرة بوجهها الخمرى الجميل تقول :

ـ انها تجربة عشتها ٠٠ لم أشهد فى حياتى ثورة ولم يكن لى علم بها كيف تتطور فيها الأحداث ٠٠ ها قد شهدت ثورة من الثورات ٠٠ ان وصف الصحف لا يحضر الى الذهن صورة كاملة ٠٠ مثلا ثورة السودان ٠٠ كانت بالنسبة الى البعد مجرد خبر فى الصحف ٠٠ أما الآن فاننا نعيش الأحداث نفسها ٠

ان نظرة متأملة على الشرق الأوسط تكشف بوضوح زعامة مصر للمنطقة حتى فى الثورات ٠٠ فجميع الثورات العسكرية قامت بعد ثورة مصر سنة ١٩٥٢ العراق ٠٠ السودان ٠٠ الجزائر وأخيرا ليبيا ٠

حتى الأناشيد الحماسية التى تتخلل البيانات الثورية من مصر ٠٠ وأناشيد مصر ٠

١٩٦٩/٩/١٢

جرس التليفون يدق ٠٠ من يكون ؟ لقد طالت عزلتنا ٠٠ من يكون المتحدث ؟ لقد حاولنا الاتصال بعاصمتنا القاهرة مرتين فكان الجواب استحالة الاتصال ورضنا بالبأس أو تجرعناه ٠

رفعت السماعة ولشدة فرحتى ٠٠ أنها القاهرة ٠ وبعد قليل سمعت زوجى وابنتى وأكدا لنا قدومهما بمجرد فتح المطار ٠٠

كان حديثهما أول حديث مصرى الى طرابلس كما عرفت فيما بعد

ثم عادا فاتصلا مرة أخرى مؤكدين قدومهما يوم ٩/١٦ ٠

١٩٦٩/٩/١٦

ذهبت مع الطفلين الى المطار ٠

وصلت الطائرة المصرية وتعلقت عيـــوننا بكل قادم ولكن الركاب جميعا خرجوا من المطار ٠٠ ووصلت الطائرة المصريه الثانية وتعلقت عيوننا من جديد بكل قادم وسألت من قلقى كل من يمر بنا هل هناك مسافرون آخرون ؟ وكم من أسئلة لا معنى لها حتى لم يبق بالمطار أحد غير الموظفين العاديين ٠

ذهبت الى مكتب شركة الطـيران العربية بالمطـــار وطلبت كشوف المسافرين بالطائرتين قرأت الأسماء مرة بعد مرة ٠٠

لم يبق الا أن نعود أدراجنا الى المنزل فى قلق عاصف ٠ وما كدت أصل حتى هممت بالخروج سعيا الى مكتب التلغراف فنادانى طفلاى ٠٠ القاهرة على الخط ٠٠ وبلعت ريقا جف فى حلقى وجفت معه شفتاى ٠

وماكدت أسمع زوجى وابنتى حتى انفجرت فى البكاء ٠

لقد تأخر مجيئهما لأن الدادة ألغيت تأشيرتها الممنوحة لها من السفارة الليبية أو أصبحت غير ذات موضوع ٠٠

١٩٦٩/٩/١٨

اقتربت من الموقد لأشعل شمعته فانطفأت ٠ أشعلها مرة ثانية ثم انطفأت وتقدمت الى الموقد لأشعلها للمرة الثالثة والاخيرة فقد ضقت به وكانت هى الأخيرة فقد هب الموقد فى هبة مروعة ٠

صرخت من الفزع وصرخت صغرتى فزعة معى ٠

كان الجو صـــيفا وكان ثوبى بلا أكمام فاحترق ذراعاى مع وجهى وتساقطت رموشى ولسعت النار رقبتى وصدرى ٠

نادت ابنتى جارتى المرضة الانجليزية فحملتنى الى اسعاف المستشفى حيث أسعفت وأعطونى حقنة مسكنة ورجعت الى بيتى ٠ وخف الينا مصرى صديق هو الدكتور على كامل وزوجته وفي الحال ذهبا الي الطبيب المصرى الدكتور الباز فأحضراه ٠٠

ونظر الجميع الى والأسى والأسف على وجوههم فانا لم يمض على خروجى من المستشفى فى حادث النزيف المعوى غير ثلاثة شهور ٠

واقترب منى الدكتور البيار وطلب الى ألا أستعمل الأدوية التى حملتها من المستشفى وكتب لى أدوية جديدة وحقنا أيضا ٠

وأخبرني الدكتور البيار أن حروقى ستورم فلا داعى للانزعاج فان الحالة بمضاعفاتها ستزول باذن الله ٠ وقال بلهجته المتمكنة :

ــ ستنسى يوما هذا الحريق ٠

ولكنى لا أحسب أنى سأنساه ٠٠

لا أحسب أنى سأنسى فزعى وفزع ابنتى الصغيرة التى كانت تبكى منفطرة وأسألها مذهولة :

ــ أنا احترقت ؟

فتقول فى براءة والهول يلف وجهها : أيوه يا ماما ٠٠ روحى المستشفى ٠

معلش ٠

معلش يا حبيبتى الصغيرة ٠٠ الحمد لله ٠

أقولها الآن وحتى فى ذلك اليوم العصيب قلتها ٠٠ قلت الحمد لله فلطف بى الله ٠

١٩٦٩/٩/٢٥

اليوم موعد قدوم زوجي وابنتى من القاهرة ٠ لقد أكدا هذا فى (التليفون) يوما بعد يوم ولكنى من وهمى لا أصدق ٠ لا أصدق حتى أراهما بعينى ٠

ومرة أخرى ذهبت ومعى الطفلان الى المطار ٠٠

ربطت كفى ولبست ثيابا تغطى الحروق تماما ٠٠ واحتلت على الحواجب والرموش التى سرقتها النار بالكحل المصرى والظلال فبدت عيناى مصريتين ٠

لقد قابلني أفراد من معارفنا مصادفة في هذا اليـــوم فذهلوا من الدهشة كيف عدت سريعا الى ما كنت عليه .

وفى المطار وضعت شالا حريريا على ذراعي ويدى اليمنى وقلت في نفسي ألوح بهما عندما أراهما بيدي اليسرى . وفى زحمة الاستقبال سوف نفوتهم ملاحظة الحقيقة .

وجلسنا فى المطار وأسأل عن موعد قدوم الطائرة أقصد الموعد التقليدى لشهرة الطائرة المصرية فى ليبيا بالتأخر عن الميعاد فقائل يقول تصل فى التاسعة وقائل يقول فى العاشرة .

وفى الثامنة وخمس وعشرين دقيقة وصلت طائرة أحسست نحوها احساسا خاصا مع أن المحيطين بى من المنتظرين كانوا يخلعون عليهـــا جنسيات مختلفة الا الجنسية المصرية .. وتقدمت من باب الدخول المعهود ففتحت ذيل الطائرة بألوانه الثلاثة .. وبهللت .. انها الطيران العربية أى الطـــائرة المصرية .. ووقفت وأطلت لهفتى تتفرس القادمين .. وفى تقديرى أنى سأقف ربع ساعة على الأقل حتى يهل هلالهما لأن اجراءات الجمرك فى المبنى الآخر طويلة كما جربتها فاذا بى بعد نصف دقيقة أراهما يمرقان من الباب .

وفى طريقنا الى البيت لاحظت ابنتي التى أخذت مكانها الى جوارى برباط يدى فقالت حبيبتى فى نبرة عميقة تشع حنانا وحبا ..

سلامتك .. مال ايدك ؟

فقلت لها قولا مبهما لونا من الهروب حتى لا أزعجها .

كان زوجى يجلس فى المقعد الأمامى للسيارة الى جوار صاحبها الذى جاملنا بانتظارهم فلم يلحظ شيئا .. ولكننا ما كدنا نغادر السيارة حتى قال : ما هذا ؟ ماذا حدث ؟

ـ شيء بسيط والحمد لله .

ولكن عندما دخلنا ، ألحا فى السؤال حتى عرفا كل شيء .. كانت عيونهما تقطر أسى ولكنى أضعت الموضوع بالسؤال عن مصر ومن فى مصر وأخبار مصر .

١٩٦٩/١٠/١٧

اليوم موعد عودة زوجى الى القاهرة • اشتقنا القاهرة •• متى ياالهى أجد نفسى فى بيتى متى أعود الى دارى وحديقة دارى والشجرة الصديقة التى ترسل أطفالها أى أغصانها تلعب مع الهواء فى شرفتنا الكبيرة • متى أعود الى بيتى التى تضج فيه الحياة فالتليفون لا يكف عن النداء ، وجرس الباب لا يكف عن الرنين ، ألو المشاغل الحلوة ، والضيوف والمكتبة والموسيقى ويتهادى فى هذه اللحظات صوت أم كلثوم شجيا نديا :

— كفايه بأه تعذيب وشقا •• ودموع فى فراق ودموع فى لقا •

هل هى صدفة ؟

١٩٧٠/٢/١٧

صبراته

مدينة ليبية على البحر أسسها الرومان فى ليبيا قديما • بينها وبين حدود تونس عشرون كيلومترا تقريبا • وبينها وبين منطقة سكننا تسعون كيلومترا •

كان النهار صحوا والجو دافئا والسماء صافية والشمس ماتعة وممتعة •

كنا نسير وراء سيارة أسرة مصرية صديقة حتى لا نخطىء الطريق •

وصلنا صبراته ووقفت السيارتان أمام المتحف هناك ودخلنا المتحف رفوف من الزجاج عليها شذرات أشياء أو نثارات فخار أو قدور وآنية فخار وتذكرت الاعجاز الذى تضعه متاحفنا مكدسا فى زهو ساذج أو غافل •

تذكرت الترصيع والتكفيت والحفر والنحت وتذكرت روائع المتحف المصرى والقبطى والاسلامى

تذكرت سقارة وادفو والاقصر وأسوان وأبو سمبل وصلى قلبى صلاة لم يسمعها أحد الا صاحبها •• كنت مع ذكر الله فى لحظة صمت •• ويسألنى أولادى والمحيطون بى أسئلة مختلفة ولكنى لم أكن معهم كنت

فى متحف آخر على بعد ۳۰۰۰ ثلاثة آلاف كيلومتر ٠٠ كنت أراها النيل يتدفق وفى قلبى كنت أرى مصر فان كل شىء تراه عينى فى غيرها يزيدنى احساسا بها وحبا فيها ٠

لم أفتح عينى على صبراته الا بعد أن غادرنا المتحف ٠٠ رأيت صبراته على البحر ٠٠ بقايا مدينة قديمة ولكن الأعمـــدة الكثيرة ومبانى المسرح وبقـايا ساحة المحكمة كلها كانت تحـدث بأن هذا المكان كان مدينة كاملة أو مستكملة ٠

١٩٧٠/٣/٣١

تفضل صديق ليبى فدعانا الى مشاهدة بعض معالم طرابلس ٠ ذهبنا الى عين زاره ثم الى تاجوره ٠ المنطقتان متشابهتان ٠ أرض رملية حمراء مزروعة أرض تصعد فيها السيارات وتنحدر ميزت عينى فى عين زاره عينا كبريتية يتصاعد منها البخار أو يتطاير بخارها مع الماء المتصاعد ولكن العين يذهب عطاؤها فى الأرض كلها نافورة للتسلية ٠٠ حتى النافورة حولهـا أناس يشاهدونها أما هذه فتقف فى المكان كالمهجـــورة لا تحظى بلفتـه أو انتباه ؟

وفى تاجورة عين أخرى يحيط بها سور متواضع منخفض ٠٠ وتذكرت عيون مصر الكبريتية انها قياسا ، أحسن حظا ٠٠ كم فى ليبيا من كنوز الطبيعة وأهلها عنها ، ساهون ٠

وفى تاجورة وما بعدها كان سور قاعدة الويلس الامريكية بأسلاكه الشائكة أو منارات الزجاج عليه ٠ وشكله الرهيب يمتد على طول الطريق وكأنه يتحدى مشاعرنا ٠

كنا اذا بعدنا فى منعطف أو طريق جانبى اذا به أمامنا من جديد كأنه يتعقبنا ٠٠

كان اليوم عيد جلاء القوات البريطانية عن قاعدة طبرق ٠ وقتئذ قلت فى ابتهالة صامتة : متى يخرج هؤلاء أيضا ؟ الى متى ترزأ شعوبنا بالقواعد وأصحابها ؟

من هذه القاعدة خرجت الطائرات المغيرة على مصرنا سنة ١٩٦٧ وفى هذه القاعدة البغيضة تمرن اليهود وتدربوا على ما فعـــلوه بنا ٠٠ لن ننسى ٠

لقد رأينا أشياء طيبة في ليبيا ولكن أحسن ما رأيته هو خروج الانجليز منها واني لمنتظرة خروج الأمريكان فى يونيه ٠ انى من أعماقى أحمد الله من أجل ليبيا ٠٠ أحمده من أجل غالينا مصر حى لا يحترق بها أعداؤها أو أعوانهم ويتهدد وجودهم ، سلامها وسلامتها ٠

مولد اديبة :

نظرت الى طاسى فى ايمان بها وقد لاحت فى خاطرى ، فكرة أكبر منها كثيرا ٠٠٠

ـ ما رأيك يا فيان ٠٠ فى أن تكتبى ؟

ـ أكتب ؟ أكسب ٠٠ ماذا تقصدين يا أمى ؟

ـ تكتبين وتنشرين ٠٠ انك أديبة ألا تعرفين ؟

ولمعت عيناها وكأنها وجدت طرف الخيط الذى نبحث عنه ٠

ـ أمى ٠٠ حقا أنا أكتب وأنشر ؟ ٠٠ أصدقينى الخبر ٠

وصمتت لحظة وقالت كمن يؤكد الخبر ؟

ـ طيب عن أى شىء أكتب ؟

ـ اكتبى مثلا ٠ تحت عنوان مذكرات طالبة ٠

ـ لا ٠٠ ان الطالبة عالمها محدود ٠٠ أكتب مذكرات فتاة عصرية ٠

ـ أخشى أن تفسر كلمة عصرية فى بلد محافظ كليبيا تفسيرا غير بسيط ٠

اكتبى مذكرات فتاة فحسب ٠

ـ أريد أن أوقع كتابى باسم نفرتيتى ٠٠ ذلك الاسم المصرى الجميل الرقيق الذى يفعل فعل السحر فى أوربا ٠

لماذا لم يطلقوا على منذ مولدى ، اسم نفرتيتى ؟

وهنا اشتركت حنان فى الحديث وقالت : لماذا لم تطلقوا على اسم (تاى) أو (مريت) أو نفرتارى ؟ كيف غابت عنكم هذه الأسماء الجميلة المصرية الصميمة ٠

ـ ولكننا اخترنا ، لكما ، اسمين معبرين جميلين ‥ حسان ‥ فينان ٠

ـ ولكن نفرتيتي ـ ناى ـ مريت أبعد مدى ٠

الى هذا العمق بلغ حبهما لأمهما مصر ‥ مصريتان رواهما النيل

وأمسكت فينان أو نفرتيتي كما اختارت لنفسها ، بالقلم وأخذت نكتب ٠ وفى أقل من ساعة كتبت صغيرتى حلقتين ، صغيرتين بالطبع ـ من مذكراتها فى سلاسة ويسر وبلاغ ‥ وكانت احداهما تحليلا لكتاب (يا ابن آدم) للكاتب المهجرى « ميخائيل نعيمه » ٠

كانت هناك بضعة أخطاء نحوية ٠ وفينان لا تحب النحو ولا تستسيغه ٠

أصلحت لها الأخطاء ولكنى لم أمس التعبير وأسلوب الصياغة لأنها لا تحتاج شيئا ٠

ولاعتبار آخر هو تأكيد بحقتها فى نفسها ٠

لقد سلمت من تعثر أو تردد أو قلق المحاولة الأولى لقد كتبت الصغيرة ذات الحادية عشرة فى رسوخ قدم واقتدار ٠

لك الحمد ياربى ٠

اليوم ولدت لى أديبة ‥ أقول لى ؟ ولدت لمصر المنجبة ‥ هى التى صنعتها على عينها ‥ أقلتها وروتها ، ونمتها ، ونفحتها بأكسير عشرات القرون الحضارية ‥ ان وراء فينان ألوف السنين من التعمق الحضارى والحس الحضارى ٠

ولدت لمصر ، أديبة ٠

وقد ظهر أول مقال لها فى ١٧/٤/١٩٧٠ فى (جريدة الثورة) وهى الجريدة الأولى فى ليبيا وفى عدد الجمعة وهو عدد خاص تدخر له المقالات الممتازة !! مقال فينان فى أعلى الصفحة الأدبية داخل مربع كبير واسمها داخل مستطيل متشابك كزخرفة بمستطيل آخر ٠

ونظرت الى التوقيع المستعار (نفرتيتي) وسرحت قليلا ٠ لقد نمنت كما عرفت لو أنها وقعت باسمها الحقيقى ليراه أستاذها بالمدرسة ‥ أستاذ اللغة العربية ‥ لم تفكر فى القراء الجدد ‥ كل ما يهمها أستاذ اللغة

العربيه بالمدرسه . انها طفله لاتزال على الرغم من نضجها الباكر ..

عندما رأت فينان الصفحة زغردت عيناها .. كادت تطير من الفرح . لقد فعلت أنا ، هذا ، قبلها .. وهل هذا قليل ؟ ما أكبر نعمتك يالهى ..

وبعد قليل وصلت حنان من الكلية وأطلعناها على الصحيفة فتهللت وكادت تقفز من الفرح والتفتت الى أختها الصغيرة وقالت فى براءة الملائكة وطيبة القديسين :

ــ أنا فخور بك .. فخور أن لى أختا أديبة واحتضنتها وقبلتها ..

كم تأسرنا حنان بطيبتها ونقائها وطهر قلبها ..

لم تعرف الغيرة التقليدية بين الاخوه قلوب أبنائى .. لم أسمع من أطفالى يوما ، كلمة « اشمعنى » .. لم ينفس أحدهم على أخيه ، شـــيئا مهما كان .

وظلت فينان بنت الحادية عشره ، تكتب كل يوم عمودا .

وذات يوم كنت أجلس فى غرفة الأساتذة فى الجامعة فاذا بهم يتحدثون متسائلين فى دهشة واعجاب معا : من تكون صاحبة العمود الجديد ؟ ويرد أحدهم :

ــ أرجح أن تكون مصرية من توقيعها .. من يوقع باسم نفرتيتى غير مصرية ؟

ــ ويتقافز قلبى من الفرح وأستبيح لنفسى عذرا فى الاستماع بل استرقاق السمع لأنى لا أريد الاشتراك الصريح فى الحديث حتى لا تنم على أمومتى .. وجاهدت طويلا ولـــكنى مالبثت أن قلت فى زهو الأمومة : انها ابنتى .

من الطريف أن الصحيفة كافأتها عن كل يوم عشره جنيهات وفرحت الطفلة بحفنة من نقود نوضع فى يدها دفعة واحدة ولكنى قلت لها .. احتفظى بهذا الميلاد الثانى .. بهذه الذكرى الغالية طول عمرك ؟

ـ وكيف يا أمى ؟

ــ جسميها فى شىء لا يبلى .. اشترى لك بها شيئا ذهبيا حتى ولو لم تلبسيه بصفة دائمة ولكنه يظل عندك تجسيدا لهذه السعادة .

وقد كان

واختارت طفلتى عدة لعب ذهبية وحليات نجمعها سلســـلة واحدة لا تزال تحتفظ بها وتعتز بها وأنا أكثر اعتزازا ٠

ذكريات عن ليبيا

١٩٧٠/٣/٤

اليوم أول يوم دراسى بعد عطلة نصف السنة فى كلية طرابلس مدرسة فينان وأحمد ٠ وفى الساعة الثانية بعد الظهر عاد ولداى ٠

قالت فينان وكان أحمد قد دخل حجرته ليتخفف من الكتب التى زادت عن حقيبته ٠

ـ ما أحسن وأجمل خبر يمكن أن تسمعيه وتشتهى أن تسمعيه ؟

قلت لها بلا تردد

ـ انتقل أحمد الى السنة الرابعة ٠

ـ قالت نعم ولكن انتظرى لاتظهرى فرحتك الآن لنحتفظ له هـو بدور البشير ٠

وسيطرت بالكاد على فرحتى من أن تنطلق ٠ ودخل أحمد حجرتى وزف الى بنفسه النبأ ٠ تهللت وزغردت عيناى وقلبى معا ٠٠ لولا الزكام فى ذلك لعانقته وقبلته كله كله ٠

لم يبق على انتهاء العام الدراسى غير ابريل ومايو ولكن المدرسة بنظامها الانجليزى لا تتقيد بالزمن ٠ فالطالب اذا ساءت مستواه ، الفرقة الأعلى ، نقله اليها ٠٠ وقد كان ٠ نقل أحمد الى السنة الرابعة ٠٠

أمنية وحلم لى حتى يستطيع أن يلتحق عند عودتنا الى مصر بالسنة الخامسة الابتدائية سيرا فى طريقه المرسوم باذن الله ٠

لقد كان أحمد عند مجيئنا الى طرابلس منقولا فى مصر من السنة الثانية الى السنة الثالثة ٠ وفى طرابلس دخل الفرنسيسكان سنة ثالثة ٠ ولما كانت مدرسة الفرنسيسكان ليس بها فصل رابع ، فقد ألحقناه بكلية طرابلس ٠ وكان نبوغ فينان فيها قد مهد له الطريق الذى كان ، قبلا ،

شائكا .. ولكن كلية طرابلس بالنعرة الانجيزية لايمكن أن تقبل طالبا محولا من مدرسة أخرى فى الفصل نفسه بل لابد أن تنزله فصلا باعتبار التعليم فيها أعلى مستوى ووفقا لنظامها الذى يأخذ بالسن فمن دون التاسعة يدخل سنة ثالثة . وكان أحمد فى مستهل العام الدراسى (أكتوبر ١٩٦٩) . دون التاسعة كان على التحديد ثمانى سنوات ونصفا.

لم يكن أمامنا الا التقبل فليس فى طرابلس مدرسة انجليزية غيرها. ولكننى كنت واثقة فى الله أن أحمد سيثبت وجوده وسيفرض نفسه بنفسه .

ومضى شهر وشهران وثالث وجاء فبراير الذى يتم أحمد فى ٢٦ منه . التاسعة وهنا أخذ الأمل يخايلنى بالحاح . وبدأت أفكر فى وسيلة أتوفق بها الى كلية طرابلس لنقل أحمد لاعتزامى العودة الى مصر وحاجتى الى مستند رسمى يشفع له فى دخول السنه الخامسه بمدرسة بورسعيد » . بالقاهرة .

وبينما أنا فى التفكير اذ ربى فى التدبير كمايقول أهلنا فى الريف وفى أول يوم بعد عطلة نصف السنة يخرج أحمد صباحا فى السنة الثالثة، وعاد الى لفرحتى فى السنة الرابعة .. شكرا لله .

أستلم أحمد كتبا جديد كبيرة ولكنه لم يتهيبها بل أقبل عليها فى زهو النجاح وحماسة الفرحة يتعرف عليها ويقرأ فيها مستكشفا .

١٩٧٠/٤/٩

اليوم « أبيض » فى كتاب أم كلثوم وأستعين على العمل بالراديو الى جانبى . أسمعه من آن الى آن من محطات مختلفة .. سمعت من محطة تونس أواخر حفلة حضرها رئيس الوزراء فيها واذا بالسلام القومى عندهم نشيد ! حماة الحمى .. النشيد المصرى ! وبين تونس ومصر ، فى ذلك ، جفوة سياسية ان لم يكن أكثر .. ولكن المنطقة كلها فى الفن وخاصة الموسيقى والغناء وجهتها مصر .. وواجهتها فى ليبيا . السلام القومى نشيد (الله أكبر) .

كنت فى رحلة مع طلبة الجامعة الليبية فاذا غناء الطلبة أناشيد

مصر ٠٠ أحيانا يوجهونها الى ليبيا وكثيرا ينشدونها كما هى ٠ ويبتسم قلبى وهم يقولون فى انسياق مع طبيعة النشيد :

ـ مصر يا أم البلاد ٠٠٠

انها مصر ٠

١٩٧٠/٤/٢١

سمعت ممن كانوا بليبيا سنة ١٩٤٧ أن اللغة السائدة فى ذلك الوقت كانت الايطالية وكانت اللغة العربية تائهة فى زحام اللغات الأجنبية المتصارعة على الأرض الليبية حتى أنه فى الأيام الممطرة كانت اللافتات التى تثبت فى الشوارع تقول :

بى شوى ٠٠ لما مبلوله الأرض مالسه !

أى تمهل فالأرض ملساء من البلل ٠

بماذا نفسر هذا ؟ هل نقول الاستعمار ؟ نعم الاستعمار ٠

ولكن مصر منذ أواخـــر القرن التاسع عشر تعانى من الاحتــلال الانجليزى وفى سنة ١٩٤٧ ٠ لم تكن قد تخلصت منه ، بعد ٠٠ ولكن اللغة العربية فيها كانت آمنة قوية ، لها كتاب وكتب ودواوين وأسفار ٠

لقد حفظت مصر اللغة العربية على مسيرة التاريخ وسير الأحداث بل هى التى أنقذتها من الضياع والهوان ٠٠ واضطلع أزهرها بهذا الدور الخطير وحده ٠

ان اللغة مقوم من مقومات الأمة ٠ والدين مقوم من مقوماتها ٠٠ وحفظ مصر لهذين ، دور حضارى بعيد المدى ٠

وهذا دور مصر على مسرح التاريخ والأحداث ولم تختف الأضواء عن قسماتها أبدا ٠

زيـــارة

زارنا الصديق الأديب الليبى الأستاذ / مصطفى على المصراتى ٠ ووجدنها مناسبة ، أسأله عن حقيقة تاريخية تضاربت فيها الأقوال وهى قصة الشهيد « عمر المختار » مع الايطاليين هل شنقوه ؟ أو القوا به من

شاهق بعد أن أركبوه طائرة وهي القول السائد حتى قال به شوقي في قصيدته التي رثى بها عمر المختار وقال به المغفور له الأستاذ / البشرى في قطوفه أو في رسالته الساخرة الى جرازياني ٠

وقال الأستاذ / المصراتي :

ـ قصة الطائرة أشاعها وأذاعها الوطنيون للاثارة السياسية لاثارة شعور الانسان العربي والانسان في كل مكان ضد الايطاليين المستعمرين ٠ ولكن الذي حدث أنهم حاكموه محاكمة صورية سريعة ثم أودعوه السجن يوما وليلة اجتمع به أثناءها جرازياني على انفراد ولوح له بالوعد والوعيد فلم يثنه عن عزمه ويقول الأستاذ المصراتي محقا ٠

ـ هذه هي البطولة والخلود ٠٠ لقد كان وحده لايسمعه أحد ولا يحرسه شهود مواطنون له ٠٠ فلم يستعطف ولم يساوم ولم يتزحزح شعره عن موقفه ٠٠ وان حواره مع جرازياني ليكتب بمداد من نور ليضيء طريق الأجيال القادمة وطريق الحرية في كل مكان ٠

ولكن جرازياني لم يحترم ترفعه ولم يحترم صموده وشجاعته ولم يحترم شيخوخة ذات التسعين عاما ٠٠ ولو كان عنده ، لا أقول خلق ، بل حس سياسي لفعل ٠٠ ولو تظاهرا بالعفو والرحمة ٠

ولكن جرازياني أمر بشنق عمر المختار وشنق على الفور ولكنه لم يمت روحا ومعنى ولم تمت المقاومة بل مات الاستعمار الايطالي ولحق به الاستعمار الانجليزي والأمريكي وخرجت ايطاليا من ليبيا وتقوضت القواعد في طرابلس ٠

١٩٧٠/٤/٢٣

دعانا شاعر ليبي (الأستاذ علي صدقي عبد القادر) الى حفل زفاف ابنه أو دعتنا السيده حرمه فقد وجهت الدعوة في بطاقة الدعوة باسمها ٠ وذهبنا الى فندق ليبيا بلاسي حيث مكان الاحتفال ٠٠ كان من الواضح أن الحفلة خاصة بالسيدات ٠ ذهبنا في الموعد استقبلتنا أم العروس هاهي سيدة في وجهها سماحة وطيبة وحولها أو جالسات على مقربة منها كوكبة من السيدات يبدو أنهن أقارب الأسرة ٠

كتمنا دهشتنا عندما وجدنا السيدات مغطيات بالذهب تلبس كل واحدة منهن كردانا من عشرين دورا يلي رقبتها ويصل حتى أسفل البطن ويمتد عرضا من الجانب الأيمن الى الجانب الأيسر ٠٠ كل هذا ذهب فى ذهب وعلى رأس كل منهن عصابه عريضة من الذهب والأذرع مغطاة بالذهب اذ تلاصقت الأساور والتحمت على أذرعهن ٠٠ وفى كل أصبع خاتم أى فى كل يد خمسة خواتم ٠٠ كبق تطيق كل منهن حمل هذا كله لا أدرى ٠٠ هل هو التحدث بنعمة الله واعلان الغنى ولكن الغنى قد يستعلن فى حجر كريم فريد ٠ وانتظرنا بشوق وصول العروس لنرى الزفة على الطريقة الليبية ٠

ووصلت العروس ودخلت كأنها احدى المدعوات لولا ثوبها الأبيض الجميل وطرحتها البيضاء وكان يصحبها الى المكان أخوها الصغير ٠٠ هو فقط الذى سمح له بالدخول لصغر سنه ٠٠ فبيت الحريم يحرم على الرجال الدخول ولو كان العريس الذى لايكمل معنى الفرح والزفة الا به ٠٠ عند العروس على الأقل ٠

وحاولت بعض الحاضرات أن يزغردن ولكن الزغاريد كانت مقطوعة لاتطرب ولا جلجلة فيها كأنها صيحات أطفال ٠

ونظرت الى حنان وفينان وقالت عيناهما الكثير ٠ وفهمت ما قالت العيون ٠ أين الزفة المصرية بحلاها ورواها ؟ ٠٠ أين جلجلة الفـــرح والزغاريد الحلوة الرنانة ٠٠ أين الشموع ؟ أين كل الذى يعطى الفرح اسمه وجماله ؟

ليس نقدا لفرح أحتفى بنا أصحابه ولكنه توارد خواطر يدفع نفسه دون أن يحجب عنا جمال العروس ٠ والعروس فى الفرح بهجتة ٠

تونس

تونس

ذهبنا اليها بالباخرة من طرابلس ـ ليبيا · كانت الأولى التى يسافر الأولاد فيها فما كدنا نصعد ظهر الباخرة حتى بدأت حركة ـ الاستكشاف من الفرسان الثلاثة لمسوا المكان بعيونهم وأيديهم معا ·

بدأ ميناء سوسه التونسى يبــدو للعين ·· وشيئا فشيئا تقترب المبانى وتكبر أى تقترب الباخرة من الشواطىء · وأعلنت الباخرة عن رحلة الى القيروان فكنا أسرع الركاب الى الاشتراك فيها ·

ركبنا السيارة من ميناء سوسه وقطعنا بها ستين كيلو مترا لنصل الى المدينة القيروان وهى من المدن الدينية المشهورة ·

وفى القيروان رأينا متحف السجاد ، وجامع أبى زمعه البلوى الذى استشهد فى فتح مصر أى الحرب مع الرومان فى مصر وزرنا ضريحه ·· وقرأنا له الفاتحه ·

من الطريف أن أعضاء الرحلة من الأجانب خلعوا نعالهم مثلنا وتهيأوا لدخول الضريح كما فعلنا ولكن القائمين عليه من التونسيين منعوهم ··· وظهر على بعضهم شوق الدخول والاستطلاع ···· كل ممنوع متبوع ·

وزرنا سوق المدينة وهو لمحة من خان الخليلى من حيث المعروضات مع فاروق الكيف والحجم ·

وأجمل وأجل ما رأينا فى مدينة القيروان مسجدها الكبير ·· مسجد القيروان أى مسجد عقبة بن نافع العائد الذى اقترن بشمال أفريقيا ·

وأحسست أن التاريخ زار هذا المكان ومكث فيه شهورا وأعواما بعد أن لبث فى مصر ألوفا من السنين شهد فيها تشييد الأهــــرام ونحت « أبو الهول » ونقش المعابد والمسلات ، ورفع المآذبه والقباب أيضا ·

وتونس شوارعها نظيفه ولغتها الدارجه كمثيلتها فى ليبيا · والمرأة التونسية ترتدى الفراشية أى الملاءة البيضاء كالمرأة الليبية غير أنها تطل منها بعينيها الاثنتين حين تكتفى الليبيبية بعين وتحجب الأخرى ·

وفى تونس ظاهرة سرتنا فمع ما بين السياسة فى مصر وتونس فى عام ١٩٦٩ فان التونسيين كانوا ما يكادون يحسون أننا مصريون حتى تتهلل وجوههم ويرحبون بنا حتى النساء العاملات فى متحف السجاد رحبن بنا ترحيبا كريما ٠٠ وكل واحدة تتسابق فى الرد على اسئلتنا حول صناعة السجاد ، فى اسهاب ، لونا من التحية ، أيضا ٠

وفى السوق وقفنا بمكتبة صاحبها أستاذ سابق فما كاد يتعرف علينا حتى سألنا فى لهفة عن الحالة فى القنـاة ٠٠ وطمأناه بملء المنـا المتوارى وأملنا الآمل فأخذ يؤمن ويدعو الله ٠

عدنا الى الباخرة ٠ كان البحر هادئا نقشت صفحته نقشا هندسيا فقد كانت مربعات صغيرة بين خطوط متوازية ومتقاطعة ٠٠ وقبيــل الغروب رأينا لأول مرة فى الرحلة طيورا تحوم فوق الماء ٠ وهى علامة قربنا من الأرض ٠ وهى علامة صادقة فبعد ساعتين رأينا على بعد عند التقاء السماء بالماء جبال تلفها غلالة شفافة من السحاب الأبيض لم يلبث الأصيل أن أشاء فيهـا ألوان الشفق ٠٠ هذه الألوان التى سكبها فى سخاء على وجه البحر فتورد ٠ وتفضضت أطراف الموج فى ناحية وتذهب فى ناحية أخرى وكأن الموجات فى مباراة مع حسناوات الباخرة ٠٠ فقد وجه الينا القبطان اليوم دعوة للعشاء توديعا للركاب فارتدت كل سيدة أجمل أثوابها لكأن البحر فى حفلة هو الآخر أقامها له الأصيل الجميل ٠

وجرت مسابقة لأجمل ثوب ٠٠ لأفكر فى دخول مسابقات أزياء بالطبع ولكنهم أعطـوا كل ثوب رقمـا ٠ فى السفر أحرص وأولادى على ارتداء كل ماهو مصرى وفى العشاء الباخرة كنت ارتدى ثوبا من أثواب خان الخليلى وشته أنامل مصرية مدربة على النمنمة والتفويف ٠٠ وما ان خرجت به من باب حجرتى حتى كثر التفات السيدات الاجنبيات من حولى٠

وزعت الأرقام على الراكبين أو اللابسيين وقيدت الأرقام وأمام كل رقم اسم الذى وجاء دورى وسجلت أمام رقمى وكان رقم (٥) اسم الزى لأن لجنة التحكيم ، أجنبية ٠

وبدأت الحفلة وأعلنت لجنة التحكيم وكان قد خرجت للمداولة ، ثم عادت ، النتيجة وكان الفائز بالجائزة الأولى ثوب (مصر) ٠٠ ثوبى

الندله مصر وحدة فيه غمر كانت الجائزة شـــنطة جميلة مصـــنوعة فى اليونان ..

انها ذكرى لطيفة واستهلال طريف للرحلة ..

وانتهت الحفلتان حفلة الباخرة وحفلة البحر الذى بدأ فى منتصف الليل رهيبا لايبدد رهبته الا أنوار متناثرة . بدأت تظهر من بعيد .. ونور منارة يومض على البعد .

لقد شارفت الرحلة نهاية مسيرتها .

طيبه

في مصر

رحلة المجد .. رحلة الأقصر

١٩٧٤/٩/٢

تحرك القطار في تمام السابعة مساء .. غادر القاهرة في طريقه الى الصعيد ديار المجد وديار الوجد .. وكلما أوغل في سيره ، أسدل الليل أستاره فلم تعد الرؤية متمايزة .. الوادى في غيبة الشمس متشابه فخلدنا الى السكون ولكنني نحو العاشرة ، دون أن أنظر الى ساعتي في حينها خرجت من غرفتي بالقطار الى الممر الضيق لعلى أرى (مغاغة) بلدتي الأولى .. وما هي الا دقائق حتى لمحت اللافتة العريضة تؤكد أن احساسي كان صادقا . انها (مغاغة) مر بها القطار مسرعا كأنه طيف أو كأنها حلم .. ومع هذا رأيتها .. القديم الذي بيننا أخصب اللحظات .. رأيتها المحطة هي هي لم يتغير فيها شيء .. الشجرة نفسها واقفة لم تمل وقفتها تلك كأنها تنتظر المجهول .. يراها الشوق فهي نحيلة .. المحطة هي هي .. حجرة الناظر بطلائها القديم .. البوابة التي كنت انتظر عندها طفلة مرور القطار لتفتح حتى أعبرها في طريقي الى المدرسة التي تقع على الجانب الآخر .. البوابة هذه المرة تنتظر مروري أنا لتفتح ويعبرها أطفال آخرون في سن أولادي .. انه موكب الأجيال .

ورأى أطفالي انفعالاتي الصامتة وجامدنني البنات بالتمني .. لو أن القطار وقف على مغاغة ! ولكن أحمد الصغير غلبته النكتة المصرية فقال : يبدو أن السائق حماته من مغاغة لهذا ولى مسرعا كمن يهرب بجلده .. ماذا يعرف الصغير بعد عن (الحماة) ! ولكن اسرافنا في التندر منها ، أعداه .. مسكينة .

القطار يتجه الآن الى محطة أسيوط ومن نافذة القطار تتابعت أمامي المناظر القليلة ، بيوت متواضعة تسف التراب أو أكواخ الطين لم يكن شامخا في كبرياء الا النخيل والنيل .. وكان الجبل يدنو من القطار

فيحجب عني المشاهد ثم يفسح له فأعود من جديد أتطلع الى المنظر المكرر ولكنى لا أمله بل أتملاه وأجمعه فى قلبى فعلى هذه الأرض ولدت ، كما ولدت من قبل عليها ، حضارة الانسان ·

لا نزال فى الليل الذى تولى عن الجبل حجب البلاد والأشياء حجباً كاملا اختفت تماما الاشباح التى كانت تجوس خلال النهار أقصد الاجسام النحيلة الهزيلة التى تدب أقدامها على الأرض من تحت أسمالها ·· أين أضواء المساء ؟ ·· أين أفراحه ؟ أين البيوت وثريات الكهرباء ؟ لماذا قل نصيب الصعيد من النور وهو الذى أرسل النور علوما وفنونا وفكرا وحكمة ؟ أكواخ الطين ضاعت معالمها لو صح أن لها معالم · وغرقت فى الظلام والصمت حزينة كاسفة نراءى منهـا على البعد أضواء شاحبـة عليلة تنبعث من لمبات الصفيح التى يسمونها هناك (لمبة صاروخ) من باب السخرية فيما أظن ·· فالذى يستعمل هذه الوسيلة الكئيبة البدائية لا يعيش فى عصر الصاروخ أو حتى الحمار ·

ولفنى الصمت أنا الأخرى ولكنه صمت يدوى فى داخلى ·· حتى أسيوط تجرعت قراها المرارة وهانت على أصحابها وعلى الحياة الكريمة الخليقة بالانسان ؟!

ومر أمامى شريط طوله عشرون عاما ووزنه ملايين الجنيهات ·· ألوف ضاعت فى الصحراوات والعداوات والصداقات والخزعبلات من كل نوع ··

وعينى على قرى أسيوط ، تذكرت بيروت التى رأيتها مرتين : مرة سنة ١٩٦٠ وكانت فيها لا تزيد عن شارع كلوت بك فى القاهرة ومرة سنة ١٩٧٣ وهى فيها حافلة بالمتاجـر والمنازل والشـوارع الحمراء والصفراء !!

لهفى على أسيوط أفزعها الخطر ·· وغيرها أترعها السهر وموسيقى الجاز ··

لهفتى على المنيا وأسيوط روعهما السيل وغيرهما أترعـه الخير أنفقته مصر أو أهدرته فى غفلة من الزمن والعقل ·· وفى غفلة أكبر منا نحن المنكوبين ·

ولم أكد أستقر فى القاهرة بعد الرحلة حتى توالت أنباء الطوفـان الذى جرف قرى المنيا وأسيوط معا لانها هشة لم يدعمها المـال ، أو

العقل ، أو العدل ، أو حب الأوطان ولو على القدر المغـــروس فى قلب الحيوان والطير حين يعشعش على صغاره لا أفراخ الآخرين ·

قرى مهلهلة كضمير مأفون ، منخوبة كتفكير مجنون ، مكروبـة كقلب محزون ، محروبة كصحراء أضناها الظمأ وهى صاحبة النيـــل والقنال والمال والأمر أو هكذا كان المفروض ··

لا وقت للتحسر ·

من أجل كرامة الحاضر ··

ومن أجل قدسية الماضى ·

ومن أجل الانسان المصرى فى الضفة الشرقية من النيل هذه المرة ·

ردوا على الصعيد الحياة حقوقا واجبة الاداء لا اعانات ولا مساعدات·

أعيدوا بناء الصعيد فقد بنى مدننا فى الحاضر وتاريخنا فى الماضى ·

انه مصر فأبناؤه من أولئك الذين يزرعون ويصنعـــون ويبنـون ويدفعون الضرائب ويدافعون عن الوطن فى الحرب ، ويصنعون الكلمـة فى السلم ويشكلون الحجر ويبعثون الوتر أنغاما فتحلو الحياة بهم ولكن فى عين الآخرين ··

الأقصر :

وصلها القطار قبيل السادسة ·· كانت المدينة نائمة لم تستيقظ فيها الا المحطة ·· وحتى هذه كانت هادئة فلا أصوات صاخبة ولا حركات عالية أو لاهثة ·· حتى الحمال تقدم فى هدوء وتناول الحقائب عنـــد نزولنا من القطار ووضعها على الرصيف ثم وقف ساكنا وكأنها مساعدة مجردة ·· فطلبنا نحن منه أن يصحبنا الى خارج المحطة حيث الحناطير ينتظمها صف طويل ·· وهنا أيضا لم يلح أحد ولم يفرض نفسه ·· نحن الذين تقدمنا الى أقرب حنطور ·· يبدو أن وقار التاريخ فى المدينة العريقة أعدى كل شىء بالترفع والتعفف ··

وصلنا الى الباخرة ايزيس الراسية على الشاطىء ·· من الشرفات وعلى السطح ·· كل شىء فيها يمنح اطلاله على النيل ·· انه ملك ··

ملك الملوك فالشاطىء الغربى الممتد أمامنا ·· حرم ·· ومثوى لسيتى الأول وتوت عنخ آمون والملكة تيتى ورجال دولتهم ·

النيل ساكن الصفحة ·· مويجاته ، لولا النهار لقلت انها تسرى ·· الشاطىء الغربى أخضر ·· الزرع فيه يعلو مدرجات متقاربة والجبل وراءه ·· الكل تلفه غلالة شفافة من ضباب الصباح ·· البدر ما زال فى المساء ينتظر طلوع الشمس ليغيب هو ··

مياه النيل بدأت تأخذ لونا ورديا فاتحا ·· انها طلائع الشعاع ·· حتى الثرى لونته الاضواء الوردية فتشربت سمرته بحمرة جذابة ·· وبدأ الجبل ينضو عنه غلائله فلم يعد جبلا واحدا كما يبدو للعين بل تلالا متتابعة فيها قمم صغيرة وتجاويف وأخاديد وغضون ينسال عليها الرمل والشعاع فيلمع جانب ويدكن جانب ثان ·· ويؤكد الاخضر على الشاطىء الاصفر وراءه ·· وكلما صعدت الشمس فى مرقاها الى السماء ، تبدى المنظر أكثر وازدادت ابتسامته اتساعا ··

بلغت الساعة السابعة فانبعثت من « ايزيس » موسيقى جميلة ناعمة ·· انها بلغتها تقوم « صباح الخير » ·

بدأ اليوم وأخذ النشاط يدب فى الباخرة ·· وفى الطبيعة أيضا ·· النيل موجاته الوسنانة بعد سهر الوهنانة بعد سفر بدأت تصحو وتتقافز فى سرعة الموجة تجرى وراء الموجة عايزة تطولها ·· اللنشات الصغيرة بدأت تعبر أمامنا الى الشاطىء الغربى مخلفة فى النهر طرقا كأنها أصبعا نحيلة خطت فى عسل أبيض سرعان ما يلتحم ويبدو العسل كلا واحدا ·· هكذا النيل مع القوارب التى تمخر فيه ·· ولأمر ما رمزنا الى الوجه القبلى (بالنحلة) ·

أرى أمامى لنشا صغيرا يقبع فى حضن الشاطىء الغربى وقد تعلق به فى حب كما يتعلق طفل بصدر أمه ··

حتى القوارب تحب النيل ·· تعشقه ·

حقيقة ان النيل يصحب مصر من أسوان حتى يصل بها ومعها الى شاطىء البحر الأبيض بل أن النيل يمتد لا الى جنوب مصر وحدها بل جنوب السودان ·· وقد يتصور انسان أن بوسعه أن يراه فى كل مكان وفى أى وقت على امتداد هذه المسافة ولكن لا ·· ان النيل من الحضور

وغنى الشخصية بحيث يبدو جديدا وفريدا فى كل مكان فهو فى الاقصر غيره فى القاهرة أو أسوان ٠٠ هنا فى الاقصر النيل والضفة الغربية الخضراء بنخيلها والتلال وراءها والسماء وراء التلال وفوقها ٠٠ « تركيبة » خاصة بالاقصر ٠٠ ثم الهدوء الذى يملى للنفس ، ويخلى بينك وبين هذه الجنة ٠٠ لعلهم ، لهذا ، اختاروا أن يودعوا الراحلين ، الضفة الغربية كمن يفتح لهم باب الخلد ٠٠

فى الأقصر وفى (ايزيس) انت والنيل والسماء والضفاف فى صحبة ٠٠ أنت هنا لحن فى السيمفونية الرائعة بضعة من هذا المنظر الرائع لا يحول بينك وبينه حائل من بعد أو عمل ٠٠ عملك هو أن تقرأه وتغوص فيه ٠٠ تصبره ويصبيرك ٠٠ هنا الكل فى واحد ٠٠

وهذا المنظر من الغنى والوفرة بحيث يبدو فى كل جزء من النهار جديدا مع توزيع الضوء وتركيزه هنا أو هناك ٠

ايزيس :

كم أنا سعيدة بها ٠٠ لقد راقنى الكثير من لفتات السياحة فى الخارج ٠ ومع كثرة ما رأيت تعطينى ايزيس « جديدا » الحمد لله ٠

فى السابعة صباحا انبعثت منها موسيقى ناعمة مسعدة هى تحية للصباح ودعوة للافطار ٠٠ من يريد ٠ قائمة الطعام كتب عليها « صباح الخير » ٠ طعام الافطار كان سخيا متنوعا يلبى سائر الرغبات ٠٠ الخدمة ـة دمثة ٠٠ وتذكرت فى بلد المجد « الأقصر » اننى فى رحاب الحضارة يعة التى بلغ من رقتها وانسانيتها أنها كانت تسمى الخادم : المجيب » ٠

الحجرات أجمل ما رأيت فى بواخر حتى الآن وقد ركبت بواخر شتى من جنسيات مختلفة وعلى أعلى المستويات ٠٠ ولكن الحجرات فى ايزيس أغلى وثارة وأنعم ٠٠ الحجرة مزودة بكل ما يتمناه انسان وكأنها شقة صغيرة فاخرة ٠ وتزيد ايزيس عن البواخر التى ركبتها بما فيها « اسبريا » أزرار الموسيقى حتى لتستطيع أن تتنفس موسيقى بها تنام وعليها تصحو ٠٠ موسيقى جميلة هادئة كأنها خلفية للوحة التى تعيش فيها كأحد خطوطها ٠٠

الأقصر حبيبتى ٠٠ حضن كبير دافىء يلملم حتى غربة الغرباء فما

بالك بأصحابه ·· بأبنائه ·· هنا يتوضأ الاحساس ليصلى القلب وتتبتل الروح التى علتها شوائب كثيرة من صراعات الكفاح فى الحياة ·

النوافذ فى ايزيس ليست (قمرات) صغيرة وكأنها عيون نظارات ولكنها بانوراما ·· اطار كبير واسع للوحة رائعة · الستارة على نافذة كابينتى جميلة الالوان كفراشة تستحم فى الضوء ولكنها غريمتى ·· اذ لا أريدها ·· لا أريد ذلك الجمال الذى يحجب عنى جمال النيل والنخيل والأقصر وقلت بغير حروف مع شاعرنا الجارم :

خلوا السجوف تذع مجلى محياها
وتنشر المسك من أنفاس رياها

من يملأ كوبى بها لاشربها وأغدو كونا وكيانا نفيسا كما شربت كليوباترة أثمن جوهرة بعد أن أذابتها فى كأسها فيما تحكى عنها الروايات أو الخيالات ·

الأخضر أمامى فيما يبدو لى نصف دائرة ·· ونحن فى وسط هذه الدائرة نقطة ولكنها ليست نقطة المركز كما يشاء غرور الانسان أن يصور نفسه ·

الساعة الثانية عشرة ·· الجبل متربع فى الضوء فى هيئة رابضة كصدر أبى الهول ·· انه حس الربضة والنبضة والاستشراف ·

فى وضح النهار اتضح شىء جديد فى الجبل ·· فى جانبه تجويف قائم كسور حصن وكأنه بنى بناء مرسوما ··

متعة أن تتملى النيل بمراكبه ومواكبه ·· مراكب الشراع ·· ومواكب الشعاع ··

بين الاقصر ومرسى مطروح

فى هذه اللحظة ملأ عينى ، الاقصر ، وملأ ذاكرتى ، مرسى مطروح التى غادرتها منذ أيام ·· تذكرت فى حضرة النيل وطيبة ، البحر فى (مطروح) و (عجيبة) ·

كان الطريق اليها سلسا ربع الساعة الأولى فى سيارة جيش ذات السقف القماش والمقاعد الطويلة المتقابلة ·

ولكن سلاسة الطريق واستواءه ، فترة قصيرة أوعر بعدها وأوغل فى الوعورة حتى كانت السيارة اللورى الغليظة (لعبة فى يديه) يرفعها فيرتفع تبعا لهذا صياح من فيها أو ينخفض دون أن يهدأ ..

وأخيرا وصلنا بعد ساعة مرت كأنها ساعات .. وما كدت نراها ، « عجيبة » ، حتى نسينا الطريق بوعورته وعذابه ودخلنا فى عالمها المسحور .. وكأننا الشاطر حسن الذى يتحدى الصعاب فى أساطيرنا الشعبية ليفوز فى النهاية بست الحسن والجمال ..

كانت فى عينى وعيون كل من رأوها ست الحسن والجمال .. رقيقة أنيقة .. كأنها من نفسها تسكن قصرا يعدون له البحار السبعة وان كنت لا أدرى سر اصرار أساطيرنا على العدد «٧» . لعله المقابل فى نظرها للسماوات السبع الواردة فى كتبنا المقدسة .

أن يكون الصخر شفافا رقاقا .. عجيبة .

وأن يكون الصخر منقوشا منمنما كالدانتلا ، بحساب دقيق أو هكذا يبدو للعين ، « عجيبة » .

وأن يكون الصخر ملونا بالضياء .. عجيبة ..

وأن يكون البحر والصخر والسماء فى اجتماع مغلق ، عجيبة .

نغمة عالية « عجيبة » فى لحن رائع يصل بها الى قمة .. ويلفنا الصمت .

وينهل النغم فى حنان وروعة .

ويشف الانسان كالمكان .

ولكنه يظل صغيرا حيث يتسع الفضاء ويترامى البحر .. هنا يغدو الانسان نقطة فى محيط .. هذه حقيقته ..

ومن الغريب أن هذه الحقيقة تغيب فى المدينة .. تغيب عنها ، وتغيب فيها .

فيصطنع الكبر ويمشى مرحا .. وكأنه يخرق الأرض أو يبلغ الجبال طولا .. ولعل القرآن اختار (بعد) الطول فى المقارنة ليكشف عن مدى ضعف الانسان فالانسان من الجبل فى قياس الحجم ذرة .

فما بالك بالمقارنة فى الابعاد الأخرى كالثبت والرسوخ والعمر الزمنى ومقاومة الأيام ؟ فالجبل لا يمرض ولا يهرم ولا يشيخ ولا يهدده شبح الموت ..

وبعد هذا ومع هذا يتكبر الانسان ..

ليته يتذكر فى هذه اللحظة « عجيبة » التى طفنا بها ..

انها للعيون صلاة .

وعدنا الى مطروح والجمال فيها يروع ويأسر ولكن « عجيبة » لا تنسى فجمالها له طابع متفرد وفريد .. وفى طريق العودة عرجنا على « الابيض » .. حيث يجود البحر بنحو كيلو متر مربع من الصفاء واللازورد والشفاف .

حيث ينعم البحر بالأمان والسلام فلا يخشاه حتى قليل السباحة .

انه كالاستاذ الكبير يحنو على الضعيف ويبارك القوى والكل منه فى حمى أمين ..

وكانت أشدنا شعورا بالجمال فى « عجيبة » والابيض ومطروح ، فتاة ألمانية تنزل ضيفة على أسرة مصرية صديقة .. تقول الفتاة انها لفت العالم ورأت شواطئه .. الكثير منها ولكنها لم تر فى حياتها كشواطئنا ..

كم هى جميلة مصر لو وجدت من يجلو جمالها ويصون نعمته .. جمال فى الشمال خلفته منذ قليل عند البحر ..

وجمال فى الجنوب أسعى اليه فى رحاب النيل .. فى رحاب طيبة أقدم واغنى مدينة أثرية فيما يعلم العلم حتى الآن ..

فى الأقصر .. زرنا معبد الكرنك من آثار الدولة الحديثة وهو يجمع معبد آمون وبتاح ومنتو .. يمر الداخل الى معبد الكرنك بين صفين من تماثيل .. طريق الكباش وكأنها الحرس .. ويتكرر هذا فى الداخل ان المكان يسيطر عليه روح البلاط .

وفى القديم كان هذا المعبد بالتشريفاتية أقصد طرق الكباش ، يمتد من شاطىء النيل غير أن الجزء الممتد من النيل الى بداية المعبد الحالى هدم أو تهدم .

أعمدة الكرنك تصعد الى السماء وتمعن فى الصعود ..

غابة من الحجر تتخللها السماء المصرية لتحدد خطوطها أكثر وتلون جوانبها بالظل والشعاع ..

مسلتا رع كأنهما صلاتان ترفعهما الأرض الى السماء .

تمثال توت عنخ آمون بصباه الباكر .. عيناه لا تزالان تشعان أو هكذا تبدو العينان ..

وأكبر من هذا كله وأقيم معانى الطهارة والتجويد والصبر ففى المعبد المصرى البحيرة المقدسة التى ترمز الى انبثاق الحياة من الماء للتطهير والاغتسال الشامل لا الأطراف فقط .. غسل الجسم وغسل القلب ليملأه طموحا .

وفى المعبد المصرى زجاجات العطور من رفة الحضارة وكم من بلاد ، فى المقابل ، فى ذلك الوقت حتى فى أوربا ، كانت تهيم فى الادغال والظلام ..

وفى المعبد المصرى ، البهو المفتوح حتى لا يدخل بهو الأعمدة المفضى الى قدس الأقداس ، عامة الناس خوفا أن يكون بينهم من لم يغتسل أو من أكل بصلا .

فى المعبد المصرى الاحتفال بالميلاد والاحتفال بتجديد الحياة .

فى المعبد المصرى حجرة الرصد .. لقد نظروا الى السماء كيف رفعت ، ونظروا نظرة فى النجوم من غير سقم واهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر .

وفى المعبد المصرى مقياس للنيل ..

وفى المعبد المصرى التكامل والتطابق المثل فى رسم العين فى بروفيل الوجه كاملة والصدر كاملا حتى يحيا صاحبها كاملا فى العالم الآخر .. ولهذا حين يرسم المصرى عدوه يرسمه ناقصا مبتورا ليحرمه الخلود .. من غير سباب وألفاظ عارية .. حتى الهجاء ريشة وفكرة .

كان المعبد المصرى للالهة والملوك ولكنه يسجل الحياة اليومية المصرية لأصحابها ولشعبهم .. حتى الألعاب الشعبية التى تعرفها الازقة والحارات مسجلة عليه .

هنا التاريخ بلا حدود .. التاريخ يغلف المكان بنفاسة القدم . انه مذاق خاص لا تعرفه بلاد كثيرة أكثر منا مالا ولكنها تعرف ان مال الدنيا لا يشترى العراقة ..

هنا أحداث التاريخ المجسمة تملأ المكان . وكأن الكثرة أورثتنا الزهد فى النفائس فتركناها على الأرض وهى السنون والماضى والذكرى والكفاح الطويل والمرير . وهى الفن والحضارة . ولو ظفر متحف الموفر أو لندن مرة أخرى بحجر من الأحجار الملقاة على الأرض بلا حساب ، لحوطه بالزجاج وشد به انتباه المشاهدين .

لقد رأيت طريق كباش آخر خارج المعبد فى أحد شوارع الأقصر وعلى جانبيه البيوت .. ماذا كان مكان هذه البيوت ؟ حتى الماعز رأيتها تعلو الأحجار الأثرية ؟

ويستغل هذا باعة الآثار المقلدة بايهام الأجانب انها اصيلة وتأكيدا لهذا يلفونها ويتظاهرون ببيعها فى الخفاء .. !! ماذا يعنى هذا ؟ كذب ساذج أو صدق رخيص فالذى يبيع تاريخه انما يبيع وطنه ونفسه .

منذ لحظات كان على باب المعبد رجل عجوز ينفخ فى الناى وانبعث الشجى وكأن التاريخ هو الذى يمسك الناى الحزين

المعبد والمسجد

معبد الأقصر :

وهو معبد آخر لآمون وزوجته موت وابنهما خنسو .. ثالوث آخر بعد أوزوريس وايزيس وحورس .

وفى المعبد تمثال لرمسيس الثانى وشاعره بنتاؤر الذى سجل انتصاراته على أعمدة معبد آمون .. كم سجل الشعر والشاعر .

وفى معبد آمون مسلة لرمسيس هى أخت لمسلة الكونكورد بل أعلى قامة .. لعل محمد على لم يلحظ هذا الفرق حين أهدى المسلة الى فيليب ملك فرنسا .

وفي معبد آمون تعانق البردي واللوتس رمز اتحاد الشمال والجنوب ٠

لقد رمزوا أيضا الى مصر العليا بالنحلة ٠

ورمزوا الى مصر السفلى بنبات السوت والرمزان متعانقان ٠

كل شيء في مصر دافيء حتى الرموز ٠

لقد حاول البطالمة أن يضيفوا الى معبد آمون فتقامأت الأعمدة كأنها خدم للاعمدة الكبيرة ٠

وفي معبد الأقصر ، مسجد « أبو الحجاج » ، ولأمر ما شيد مقام لأبى الحجاج ومسجده على ركن من فناء معبد الأقصر أو طيبة ٠

وكانت (طيبة) تحتفل بعيد الاله آمون السنوى حيث كانت تخرج السفن من المعبد ، وهى تحمل تماثيل الاله المقدسة ، ورموزه الخفية ، فتجرى في مياه البحيرة المقدسة يحيط بها كهنة الاله ، وحملة المشاعل والبخور وهم ينشدون أغانيهم ٠ ويرأس المهرجان الملك كما يقول الأستاذ محرم كمال ٠٠وكان ملك مصر يصاحب الاله آمون وزوجته موت وابنهما خنسو فى رحلتهم على النيل ٠ والشعب من حولهم قد امتلأ حماسة وحمية يتهلل فرحا ٠٠ والنبلاء يعتلون عرباتهم والجنود تتتابع صفوفهم وتتوالى ، والاعلام والبنود عسكرية ودينية ، ترتفع وتتماوج على حين يرقص الزنوج فيصدر عن النواقيس الصغيرة المعلقة الى رقابهم رنين جلجلة خفيفة ٠ ويزيد المنظر عجبا ما يقوم به المهرجون واللاعبون من حركات القفز والنط متفقة ومنسجمة مع أصوات الجلاجل المقدسة التى تحركها الكاهنات فى أيديهن ٠

وهكذا يتحرك الموكب بطيئا متمهلا يغمره فيض من البهجة والسرور حتى يصل الى ضواحى معبد الأقصر ثم تشق القوارب الصغيرة المقدسة طريقها داخل المعبد فتتقدم لهاالقرابين العظيمة ٠ ويدخل الملك الى الهيكل فيطلق البخور ٠

ثم يعود الموكب بنظامه السابق فى طريق العودة الى آن يصل الكرنك ٠٠

وقد سجل معبد الأقصر هذا كله على جدرانه بالرسوم والنقوش ٠٠

ومن يراها اليوم ثم يشاهد مهرجان أبى الحجاج لا يعز عليه أن يلمح التشابه العجيب بين المهرجانين جملة وتفصيلا ٠

وليس الغريب كما يقول الأستاذ محرم كمال هو وجود مسجد لسيدى يوسف أبى الحجاج بالأقصر ولكن الغريب أن يبنى هذا المسجد على ركن عال من معبد الاله آمون بالأقصر ٠ وأن يضم هذا المسجد الى أجزائه ساحة يوضع فيها قارب أبى الحجاج أو سفينته ، وأن يكون حلول سيدى أبى الحجاج بمعبد آمون الذى انتزعه منه قد جعله خليفة له يرث عنه ما له من صفات وما اشتهر به من مناقب وما عليه من واجبات ، وما له من حقوق وعادات ٠ وكما كان الاله آمون فى زمن الفراعنة يخرج فى احتفال مهيب من معبده مرة فى العام فى سـفينته المقدسة يطوف أرجاء مدينته التى يتولاها بحمايته ورعايته ، فان « سيدى أبا الحجاج » يخرج هو أيضا مرة فى كل عام فى اليوم الرابع عشر من شهر شعبان المكرم فيطوف فى مدينته المحبوبة (الأقصر) فى احتفال يتضمن أكبر عيد محلى يقام فى هذه البلدة ٠ ليطوف مهرجان أبى الحجاج يحمل السمات نفسها القديمة ٠٠ المظاهر نفسها ٠٠ الطابع نفسه ٠٠ المكان نفسه ٠٠ التفاصيل نفسها ٠

فاذا حل الموكب أخرج القارب « ذا الألوان » ثم وضع على عربة ذات أربع عجلات ٠٠ وقد غطى هذا كله بقماش ملون هو الذى كان يغطى مقبرة أبى الحجاج أما الأقمشة التى تغطى المقابر الخمس الباقية فانها تفرش على ظهور خمسة جمال تكون قد اتخذت زخرفها وازينت ٠٠ أما من يمتطى ظهور هذه الجمال فهم أعضاء أسرة الحجاجية ٠

هكذا يكتمل الجمع عند المسلة التى تقوم أمام معبد الأقصر أى عند ميدان الساحة وفقا للتقاليد ، ويتكون الجمع من اثنين من ضباط البوليس وعشرة من رجال السوارى وخمسين من جنود المشاة ٠ يلى ذلك الجمال الخمسة مزدانة بأجمل زخرف وزينة قد غطيت ظهورها بالأقمشة الملونة التى كانت تغطى قبور الأولياء ، ثم هى تحرك رءوسها مزهوة فتدق الأجراس الصغيرة المشدودة اليها وتتيه رءوسها بريش جميل علق عليها ٠٠ على حين يهلل الرجال الذين امتطوا ظهور الجمال مكبرين بلا اله الا الله ، الله أكبر ، الله أكبر ، ويرتفع صوت مؤذن المسجد داعيا الناس الى الصلاة على النبى ، وحمد الله والثناء عليه ٠

ويتلو ذلك مشايخ الطرق وأعضاء أسرة أبى الحجاج وقد حمل كل فريق منهم علما ذا ألوان متعددة وكلهم ينشدون أناشيدهم فى الاشادة

بذكر أبى الحجاج ومسجده ·· وفى وسط حلبة الأناشيد والتصفيق والتهليل والتكبير واطلاق البنادق يتقدم قارب الولى فى هدوء وتمهل تحيط به الأعلام · ويجتاز هذا الجمع الحاشد الذى يبلغ منه الفرح مبلغا يفوق حد الوصف حتى لتراه يندفع الى القارب يحاول لمسه للتبرك به وبقداسته ·

وهكذا يتقدم الموكب ويسير متمهلا تارة ومتوقفا تارة أخرى ·· يعترضه فريق من الناس من حين الى حين وهم يرقصون أو يذكرون الله ·· ثم هو يتوقف عنده كل مقام لولى من الأولياء ليقرأ الناس الفاتحة ويثنوا على الله وعلى وليهم أبى الحجاج الذى يزور زملاءه الأولياء ·

بهذا وصف كتاب (آثار حضارة الفراعنة فى حياتنا الحالية) موكب أبى الحجاج · ومن الوصف تلمح عيوننا : القارب ــ معبد الأقصر ــ الجنود ــ الأعلام ــ الأناشيد ــ الشعب المبتهج ــ التبرك بالقارب حتى الأجراس الصغيرة بلغت سمع مصر الحديثة على بعد الزمن وطول الأحقاب ·· الزمن العداء الذى لحقت بـه خطى موكب آمون المتمهلة ·· لم يخلفها بل واكبته الى مصر الحديثة فقارب الحجاج يتقدم (فى هدوء وتمهل) تماما كما كان يفعل قارب آمون ·

أعياد ومراسم تمتد عبر الزمن من مصر القديمة لتتواصل مع أعياد مصر الحديثة التى تبدو امتدادا لها وتتخذ فى الحديث كما اتخذت فى القديم ، النيل وشواطئه وسفنه ، مسرحا لها ومجالا ·

والنيل فى الصعيد شعبى ·· الذى يتمتع به هو الشعب الحقيقى الذى صحبه وتعامل معه منذ القدم ·· الفلاحون الذين تطل بيوتهم عليه أقصد أكواخهم الطمبية المتواضعة القصيرة القامة ·

هنا الانسان والحيوان والمكان فى صحبة يتبناها النهر · فامرأة ملأت جرتها صاعدة ·· وبقرة نازلة فيه تغمر نفسها بمائه فلا يظهر منها غير رأسها أو جزؤها الأعلى فيما يبدو لنا من بعيد ·· وجزر تتوسطه وجزر أخرى جانبية كأنها فى طريقها الى الشاطىء ·· ومراكب شراعية تتهادى فيه وزوارق بخارية أسرع مشية وأعلى صوتا ·· وبواخر مثل ايزيس التى نستقلها عبره ·

كم ألوف السنين يشهد هو هذا المنظر يروح ويأتى غيره ويظل هو الباقى ·· كم وسع صدره من أسرار ورؤى ولا يبوح ·· له حكمة

علمها أبا الهول فوعى عنه الدرس ·· ومن هنا آمن مثله بالصمت ففى ظله يختزن الصامت الكثير فينير أصحاب الكلام ويحير ألبابهم ·

فى الطريق الى ابيدوس

الباخرة (ايزيس) فى طريقها الى نجع حمادى ·· نسمع على البعد الأطفال على الضفتين يصيحون ويلوحون ·· لعلها فرحة حقيقية أو هز الرتابة على الأقل ·

الساعة تقترب من الواحدة بعد الظهر ·· ايزيس نمر الآن بالمنحنى الكبير الذى تقع عليه اسنا ونجع حمادى ·· الجزر ومجموعات النخيل نتتالى ·· ها نحن نقترب من كوبرى نجع حمادى ·· رسونا عليه · مرساه حديقة غناء تتدرج هابطة الى الشاطىء ··

بتنا فى نجع حمادى لنصحو فى صبيحة اليوم التالى على حركة فى الباخرة ·· انها تستعد للابحار ·· بدأت تتحرك فى طريقها الى ابيدوس ··

النخل على الضفتين ولود ·· ما أكثر ما رأت العين نخلة متفرعة كأنها أم تفرد ذراعيها ليتعلق بهما صغارها ·· وحين اقتربنا من قنا كانت المراكب ملأى بالفخار ·· القرى بيوتها الطميية نزحف الى الشاطىء تتجمع عنده ·· تطل عليه ·· تشرب من النهر بجرارها وعيونها ·· جزر فى النهر ·· وايزيس وقوارب وضفاف خضر هى أيضـــا نيل أخضر ·· أليست منه ؟

بعض الأجانب من الجالسين على السطح لبسوا جاكتات وبعضهم جلس فى الشمس ·

نمر فى العاشرة والثلث تحت كوبرى قنا ·

كل هذا الجمال يسعى اليه الأجانب من جميع أنحاء الدنيا ولا نعنى به نحن ولا أقول نحتشد له ··

جمال لا تغنى عنه القاهرة بعد أن حجب صفاءها الزحام والدخان والضجيج والكد والسباق ··

معبد ابيدوس :

حرم مقدس فى مصر القديمة حيث دفن أوزوريس ٠ والمعبد قائم فى مدينة البلينا أو العرابة المدفونة التى ، كما يقول أستاذنا العقاد ، لم تدفن أبدا تحت التراب ٠

على باب المعبد وقفت سيدة انجليزية فى الثمانين من عمرها هى « آم سيتى » كما تسمى نفسها أو يسميها أهل البلدة ٠٠ وقد جاءتها هذه التسمية من ناحيتين أنها تزوجت مصريا وأنجبت منه ولدا أسمته « سيتى » ولكن الأقوى فى التسمية أنها تقدس معبد ابيدوس الذى بناه ملك مصر سيتى الأول ٠٠ هل تصدق أنها حين تتقدمنا الى داخل المعبد تخلع نعليها ؟

بنى المعبد سيتى من الأسرة التاسعة عشرة وأكمله ابنه رمسيس الثانى وأشرف على نقوشه وزينته ٠ وبمناسبة النقوش والزينة أسجل أن زائر المعابد نادرا ما يجد جثة طفل اللهم الا البنت وغزالتها فى المتحف البريطانى ٠

لقد رأيت على المعابد ما يشير الى أنهم كانوا يتركون الأطفال عرايا حتى سن الثانية عشرة ٠٠ يتركونهم للشمس والهواء ٠٠ كان الطفل فى هذه السن يذهب الى المدرسة عاريا وفى يده زجاجة لبن ٠

فهل هذا هو السر فى صحة أجسامهم وعقولهم ؟

وتقول أم سيتى أن المعابد المصرية والحضارة المصرية انفردت برسم النجوم ولم يكن هناك تلسكوب ٠

فى معبد ابيدوس رأيت الالهة موت ترضع الملك ٠٠ كانوا يحيون حياتهم فى ولاء كامل للحياة ٠

وفى معبد ابيدوس رأيت المرأة كبيرة الأطباء ورئيسة العمال ٠

رأيت رمسيس حين كان فى العاشرة من عمره وقد قام والده سيتى بوضع التاج على جبينه وعدا بالملك ٠٠وان كان رمسيس يعلل هذا بأن والده كان يشتهى أن (يرى جماله) ٠٠

ولكن الذى رأيته فى معبد ابيدوس ووقفت أمامه طويلا هو أسماء الملوك من مينا الى سيتى ٠٠

هنا تسجيل للتاريخ والحفاظ عليه ٠

والتسجيل حاسة تاريخية ٠ انه حفظ الزمن أنه لون من وعى مصر الاجتماعى صاحبه المثل : (التعليم فى الصغر كالنقش فى الحجر) ٠ انه مثل لا يقوله غير فنان نحات ٠ والتذكر بالتسجيل أو النقش صفة مصرية ولدت الحاجة الى الكتابة وفى لغتنا اليومية لفظ (قيد) بمعنى أكتب وأحصر حتى لا يهرب المعنى ٠

وفى معبد ابيدوس ظاهرة التجويد والصبر ٠٠ والبحيرة المقدسة فى المعابد المصرية ظاهرة أيضـــا أنه وضـــوء كامل للجسم كله ٠٠ ليتطهر ٠٠ غسل للقلب يملؤه طموحا ٠

وآية الحرص على النظافة ٠٠ البهو الخارجي أو الفناء المفتوح للعامة ممن يخشى أن تعلق بهم رائحـة الأطعمة الدارجة من بصـــل وسـمك وغيرهما ٠

على أن البهو المفتوح لا يفصله عن بهو الأعمدة فواصل حقيقية اذا استثنينا معبد دندرة لأن الرومان اصطنعوا فاصلا حجريا بين الاثنين ٠

ومعبد دندرة بنى فى ١٨٠ سنة بدأ فى عهد البطالمة وانتهى فى عهد الرومان ٠ وتستقبل العين منه البوابـة الضـخمة ذات الجانبين الشامخين ينفتح بعدها المكان ٠

ودندرة اسمها المصرى تنترا وتنتريس حرفت الى دندرة فى العهد العربى ٠٠

ودندرة معبودتها حتحور الهة الحب والجمال وصـاحبة المعبد ٠ وأعمدة المعبد عليها رأس هاتور أى رمزها ٠٠ والمعبد مملوء بالنقوش ٠ كان يرافقنا رجل يحمل فانوسا ليكشف الرؤية ٠ فى أى نور نقشت اذن ؟

على أن نقش أعمدة دندرة غارق فى تفاصيل لم يكن النقش المصرى الخالص يعنى بها ٠٠

والأسقف فى المعبد تزدان بالنجوم والنيل وبالمعبد ٤٢ حجرة تحت الأرض منقوشة غير الحجرات العليا ٠ يوصل اليها سلم هو فاصل دقيق ومحير فالدرج يتوالى على مسافة بضـعة سنتيمترات ولهذا يريح فى الصعود والهبوط وعدد درجاته ٣٦٥ درجة اشارة الى عدد أيام السنة عندهم ٠٠

فى العهد المصرى كانت مصر ٢٨ مقاطعة ولكنها في العهد البطلمى كانت ٤٢ مقاطعة فهل يطابق عدد الحجرات عدد المقاطعات ؟

يد التخريب تعيث فى بعض أجزاء المعبد الذى سرقت منه لوحات ونفائس ٠٠ ولكن القاعدة فى الترميم خوف المحو أو اختفاء المعالم ٠ ولا يلجأ الى الترميم ما دام الأثر قد بقى منه ما يكفى للدلالة عليه ٠

ومن حجرات معبد دندرة حجرة الميلاد ٠٠ ميلاد العـام الجديد وفى سقفها الآلهـة موت الهـة السماء تشغل السقف كله وترسـل الأشعة فيه ٠

وفى حجرة أخرى الالهة موت ومربع فيه الجنين والرحم والسائل والخلاص ٠

وحجرة أوزوريس وبهذه المناسـبة يلاحظ أن الآلهـة والملوك لا يتحلون بذقون ٠٠ الذقن الالهى يكون مبروما أما الذقن الملكى فيكون مقوسا ٠

أما حجرة الرصـد فالسقف تبدو فيه الأبراج السماوية ، على أن اللوحة الأصلية قطعت وهى الآن فى اللوفر ، والموجود الآن بديل حديث ٠

كم لوحات اقتطعت من دندرة ٠٠ نوع من المحنة تمر به آثارنا ولكن نفاسة ما بقى فيها عزاء وفيها اثارة أيضا ٠

ومن رسم دندرة ملك مصر يعلو الأسد ٠٠

وهكذا مصر فى قوتها تفترس الأسـد ٠٠ وفى ضعفهـا تفترس الأرض ٠٠

وفى معبد دندرة كليوباترا تقدم القيصر لايزيس راجية أن ينـال بركتها ٠ انها ايزيس التى ركعت لهـا كليوباترا بعد هذا قائلة :

ايزيس ينبـوع الحنـان تعطفى
وتلفتى لضراعتى وسـؤالى
انى وقعت على رحـابك فارحمى
ذل الملـوك لمجـدك المتعـالى

وشىء تلحظه العين فى الرسوم المصرية ٠٠ أن بروفيل الوجه أى جانبه ترسم به العين كاملة حتى تبعث كاملة وكذلك الصدر ٠ ولعل

هذا يفسر تعمدهم رسم أعدائهم مبتورين دعاء عليهم بالحرمان من البعث والخلود .

انه الايمان بقوة الكلمة وسحرها .

بقى أن أقول أن قرية دندرة بنيت على مرتفع فى الرمال بعيدا حتى لا يضيعوا خيطا من الأرض الزراعية ..

آه لو دروا كيف نذبح الآن الخضرة لنقيم مكانها علب الكبريت أى العمارات الجديدة !!

الصوت والضوء فى الكرنك

مساء الخميس :

الصوت والضوء فى الكرنك

وسقطت الأضواء على أركان المعبد ولم تخب يوما .. المعبد الذى فجر انبهار نابليون وهو الفاتح فقال : ان المصريين القدماء لم يكونوا بشرا مثلنا .. ان الذين بنوا هذا لا بد أن تكون لهم قامات العمالقة .

وجاء بعده شامبليون ليقول كلمة العلم بعد اكتشاف وتحقيق :

ان أعظم كلمة فى أى لغة من لغات العالم هى « طيبة » .

وانبثت الأنوار فى أرجاء المعبد وأضــــاءت الأعمدة .. وعكست أضواؤها على رؤوس النخيل .. فضة سائلة .. وانبعثت أصوات الكهان عميقة تتخلل الموسيقى .. وأصوات الجموع التى اجتمعت على الشاطىء تحتفل بالفيضان .. ووسط هذا كله انسابت كالحرير أو النغم الجميل أصوات العذارى اللائى شفهن الوجد فى أغنيات رقيقة للأحبة .

(كل مياه النيل لا تطفىء ظمئى اليك يا حبيبى) .

والحبيب به مثل ما بها من الظمأ واللهفة . انه يقول :

لا شىء

لا شىء يمكنه أن يحول دونى

والوصول الى محبوبتى على الشاطىء الآخر
لا شيء
حتى التماسيح الراقدة هناك
لا تملك أن تبقينا بعيدا عن بعضنا
سوف أذهب رغم كل شيء
وسوف أسير على الأمواج
بينما يطفو حبها فوق الماء
ليحيل اللوج الى أرض يابسة
وتمتد تحت قدمى
ويستحيل النهر الى بحر غرام
أن تراها
أن تراها قادمة اليك
كل هذا الجمال
فرحة العمر
ولن يأخذها منى شيء
حتى الزمن
لن يأخذ منى فرحة مراها

★ ★ ★

رحلة محفوفة بالمخاطر
انه يتمتم :
قلبى يصلى لك يا رع
يا اله الشمس
من أجل أن تكون رحلتى أمنة وسريعة
حتى يمكننى أن أراها
وهى تسير متباطئة على شط النهر
ها هو ذا قد وصل ٠٠ وتهلل الجميلة فى فرحة :
معك هنا فى « ميرتو »

كأننا أصبحنا فى هليوبوليس !
نعود الى حديقة الأشجار
وصحبة الأزهار فى أحضانى
واذا نظرت الى ظلى فى البحيرة
والأزهار ملء ذراعى
أراك تأتى على أطراف أصابعك
من خلفى ، لتقبلنى
وينعشك العطر فى شعرى
فاذا أحاطتنى ذراعاك
أشعر وكأننى لست هنا
وكأنى أصبحت امرأة فرعون ٠

أغنية منسوجة من خيوط الشعاع وسمرة النيل وشذى الأزهار وصفاء البحيرة ٠٠ أغنية بلون الفرح دافئة نشوى ٠٠ هادئة مقطرة ٠٠ حلوة كالسكرة كم بينها وبين ما نسمع الآن وما سوف نسمع غدا ٠٠

ما زلنا فى عرض الصوت والضوء بالكرنك ٠٠ ويرتفع صوت التاريخ جليلا مهيبا كالأعمدة ، ممتدا كالساحات ، سامقا كالمسلات ثابتا كالمعابد ، قديما كالزمن على هذه الأرض ، زاخرا كالنيل ٠٠ صوت حاول شوقى أن يحكى عنه بعض معانيه فى أبياته :

وليس الخلد مرتبة تلقى	وتؤخذ من شفاه الجاهلينا
ولكن منتهى همم كبار	اذا فنيت مصادرها بقينا
وأخذك من فم الدنيا ثناء	وتركك فى مسامعها طنينا
جلال الملك أيام وتمضى	ولا يمضى جلال الخالدينا
مشت بمنارهم فى الأرض روما	ومن أنوارهم قبست أثينا
فكانوا الشهب حين الأرض ليل	وحين الناس جد مضللينا
تعالى الله كان السحر فيهم	أليسوا للحجارة منطقينا

نعم ، لقد أنطقوا الحجر وحضروه وثقفوه حين نقشوه ورووه من المعنى فانتقل من الصخر الى حجر كريم ٠٠ محظوظ الحجر المصرى فلم

يرو حجر من احساس غني بالقيمة مثله ولهذا فهو ملىء بالرؤى ، ومشحون بنبض القلب الذى شكله ونقشه بالنور ..

كم وشوشت مصر الحجر وأترعته أسرارا ومشاعر فكان عملها لونا من التطعيم الذى تحسبه مقصورا على الصدف والعاج .

وانتهى العرض .. كل شىء يمضى (ولا يمضى جلال الخالدينا) .

الشاطىء الغربى

هناك على الضفة الأخرى من نيل الأقصر حيث يقوم الدير البحرى أى المعبد الجنائزى لحتشبسوت . انه معبد للحياة لا للموت فيه أسماك البحر الأحمر على اختلافها وأنواع النباتات مما جلبته بعثة بنت . وفيه الشجرة السرية .. والحنة فى الميزان . فيه سقف القبو ودقة الأعمدة فى النقوش والطفل يغطس فى المياه المقدسة وهو ما يقابل التعميد فى المسيحية فيه النجوم عرف الرسام منطقة تجميع الضوء فيها ..

وفى البر الغربى مقبرة راموزا الوزير الأول لاخناتون .. وعلى الجدار رأينا الموكب الجنائزى للوزير . متاعه محمول على الأعناق بل متاع جديد للآخرة .

السيدات والدموع والشعر المنثور .

وفى هذا المعبد تغطى الجدار بالحجر الجيرى لليونته وتشربه للألوان فيها بعد وسهولة تفريغ ما حول الرسوم ثم طلاؤها بالألوان .

ويحكى المعبد خروج اخناتون بدينه الجديد من طيبة الى تل العمارنة .

كان كبراء المصريين يتوسلون بالمعابد والنقوش والقرابين للظفر بحياة أخرى .. وهنا يطل سؤال : ما حيلة الفقراء ممن لا يستطيعون بناء المعابد ؟ والجواب أنهم يعتقدون أن الملك ملكهم اله وابن الاله وأنه سيعطيهم مما عنده .. وأنه سيحميهم ويمنحهم لحياة الثانية ولهذا يبنون له وهم راضون لانهم انما يبنون ، بمعنى آخر ، لأنفسهم فضلا عن التقرب وعبادة البطولة .

وفى البر الغربى مقبرة منا MNA وزير تحتمس الثالث ..

مسجلا عليها تلقينة ما يفعل ولا يزال المصريون الى اليوم يقومون بعد الدفن بعملية تلقين الميت.وهذه الطقوس الجنائزية القديمة من تلقين ·· وأخمسة وأربعين ·· لا يعمل بها فى غير مصر ·

والمقبرة كسائر المقابر مسرح للحياة ·· فالطيور والأسماك فى لوحة الصيد · وهنا نشهد خروج الزوجة مع زوجها فى الصيد والوقوف خلفه وتحويطه بذراعيها لحمايته · لقد سجلت معابدنا الحب الكبير بين المرأة والرجل فى لمسة اليد واحتواء الذراع ·

ان العلاقة بين الرجل والمرأة فى الفنون التشكيلية فى العالم أعمال معدودة ولكنها فى مصر موضوع كامل غنى مميز ، لقد كرمت مصر المرأة بالدير البحرى ومعبد نفرتارى ·

وتأتى ساعة الحساب يزنون القلب بالأعمال ففى الكفة الثانية من الميزان معات رمز الخير والعدل والحق ·· ويسجل الاله تحوت اله الحكمة ·

ان الانسان المصرى القديم يقاس بالقيم ·· لقد تركوا نفائسه ومتاعه وكل ما يحمله معه الى قبره مما تصوره جدران المعابد وقاسوه ساعة الحساب بالقيم الحقيقية ·

وفى مقبرة نخت Naght بالبر الغربى نرى الزرع والحصاد وعصير النبيذ حتى مصفاة الشاى وجدناها فى مقبرة توت عنخ آمون · وفى وادى الملكات مقبرة تيتى من الأسرة ١٩ ــ ٢٠ ·

ومقبرة الأمير امنحر خبشــــف Aimen norghob chef ابن رمسيس الثالث · ويتجلى فى هذه المقبرة زهو الألوان وجمال الوجوه وصفاؤها من السعادة والرضا ··

ولكن كنوزنا بالبر الغربى نهب مباح حيث الحراسة شبه معدومة مالذين يخفرون النفائس رجال ضعاف ماديا وبالطبع معنويا فالفقر فى المال فقر فى كل شىء كما يقول المازنى ·

والأقصر ·· طيبة بشرقها وغربها أكبر مدينة اثرية فى الدنيا ·· حتى ليبدو الأحياء حاشية للموتى يعيشون على تاريخهم ·· على آثارهم ·· على التعريف بهم ·· على زوارهم ·

ورمسيس الثالث آخر الأقوياء وله بالبر الغربى مدينة هابوحيت

يطالعنا فيها فناء مفتوح ثم آخر وكل منهما فيه جانبان من الأعمدة المربعة عليها تماثيل أوزوريس وجانبان من التماثيل البردية ٠

أما مقبرة سيتى الأول ففى وادى الملوك عمارة منحوتة فى الجبل من عدة طوابق تحت الأرض تصعدها نازلا عمارة كل شبر فيها منقوش مكتوب ملون ٠٠

ان التصوير بأنواعه أسلوب مصر فى الفن فالآلهة مجسدة ومصورة ٠٠ واللغة مجسدة ومصورة والفكر والكتابة ٠٠ والفن صور متلاحقة فى غنائية موسيقية هى نوع من الجلال الأنيق هنا فن مصر الذى فيه روح النبات يتراءى للعين فى نبض تيار دافق ٠ ويخرج الحجر عن صمته لينطق ٠٠

حتى الفنون الصغيرة مدرسة الحياة وعنوان جلدها وأنسها معا واثتناسها أيضا ٠٠ فنون الابرة والحلى ليست صغيرة مادامت تمارس من أفق الحياة المتطلعة ٠ ولقد كانت المهد الذى نشأت فيه تلك الأعمال الرائعة الكبيرة من مرود الكحل خرج الدير البحرى بادراك العلاقة بين الأشياء الصغيرة والكبيرة ٠٠ لينتهى الى الجليل العميق انه الرباط الجامع يؤلف بين أشتات القلوب ٠٠

هل تمضى هذه الأعمال من أعمال الفن المصرى ؟

لا ٠٠ ستبقى لأن البقاء فيها ٠٠ توحيه وتحتويه ٠٠

بعض المؤرخين وعلى رأسهم توينبى وشبينجلر يرون أن الحضارة المصرية انتهت وانحسرت موجتها وجاء بعدها مد موجات أخرى ٠

من الشائع أن الموجة والموضة الفنية عمرها سنتان فى رأى تجار الفن على الأقل ٠٠ هذه الفنون تعتمد على الطرافة والمفاجأة والاستحداث وهى فنون يجوز أن يقال عنها مضت وانقضت ولكن الفن المصرى يتمتع بنوع من البقاء بما هو متجدد حاضر منتصر على الزمن مستقر فوق الأحداث استقرارا لم يصنعه الحجر والكتلة ولكنه استقرار قار فى نفس الفنان الخالق وفى روح المكان ٠ قد تتفتت الكتلة فى الفن المصرى ويظل عزيزا منيعا متجددا ٠ لقد تهشم أنف أبى الهول وما زال محتفظا بشـــهادة محضره ، على الوجود الكامل وكأن لا مساس ٠ انه فى صمته مكبر لمعانى السكينة والسلام والاستقرار ٠٠

هذه السكينة التى يعشقها الشرق ٠٠

حين كانت أوربا تتسابق فى الفتك من سنة ١٩١٤ الى سنة ١٩١٨ كانت الهند تشغل الدنيا ببساطة وسماحة غاندى وشاعرية تاجور .

ان الهند تعرف الثقافة بلفظة « سنسكريت » أى التطهير والتغيير وايقاد الحماسة والتهذيب وتحقيق الكمال . ان كلمة « اليوجا » معناها النظام .

اننا اذا نظرنا الى مثال هندى وآخر مصرى ، نجد خطا مشتركا هو الاستقرار والسكينة غير أن نظرة التمثال الهندى الى الداخل وكأنه يريد أن يعرف الكون من خلال نفسه . ولكن نظرة المصرى الى الخارج ليعرف الكون والماوراء .

والنظرة المصرية شغوف بالطبيعة الخارجية تستوعب الحقائق العليا للمرئيات الخارجية وما وراءها .

روح مصر متعلقة بالمقـــدس .. بالمحل الأعلى .. لهــذا كانت حضارتها دينية . أما روح الهند فخير ما يمثلها الرقص الهندى الرقص عندهم فلسفة وديانة ولغة .. ولهذا كان فن الهند كله فنا راقصا دائب الحركة فى غير اضطراب .

موج زاخر بلا شطآن ..

فن غير خرافى وان كان مغلفا بوشى الخرافة المزخرف .

بينما أوربا فن عقلانى يمثله « بوسان » فكل قطعة عنده محسوبة .

الفن الهندى نابع من الغابة والجبل والحية والنار والشجرة بينما نجد الفن الأغريقى فن مدينة . وحدود المدينة عند الأغريق أن أهلها جميعا يغطيهم فنون المسرح وعلوم المنطق والجدل . ونجد عصر النهضة فى أوربا ، عنده الشخصية الرئيسية أو الموضوع الرئيسى : « الموديل » أى الجسم العارى .. وهو نفسه موضوع الأغريق والرومان حتى سيادة المسيحية .

ولكن الفن الصينى ، الكون ، فيه هو الأساس .. وكذلك الفن المصرى .. الانسان والحيوان هو الأساس فى الفن المصرى وهو بهذا فن كونى ..

الصين والهند ومصر نظرتها كونية .

والفن الصينى أيضا فن اجتماعى وهو شقان يكمل كل منهما الآخر

وان بدأ متناقضا معه شــق يدفع الى الالتزام ·· الى الحقل والبيت والمجتمع ويمثله « كونفوشيوس » وشق يدفع الفرد الى الخروج الى السحب والجبال ومنابع المياه ويمثله « لاوزا » · فالقلب الصينى المتأثر بالحكيم لاوزا ، تلقاه فى جداول الماء وسامقات الجبال وهائمات السحب ومسالك الدروب الطويلة ·

النظرة الأوربية مركزها الانسان ولهذا اهتمت طويلا بالجسم عاريا ولكن النظرة الشرقية صينية أو مصرية مركزها الكون زهرة ذهبية فى ردهة أرجوانية من مدينة اليشمة ·

ولكى تحس الفن الصينى لا بد لك من قدرة سماع حركة الفرشة على الحرير · وقد يرهق رائيه لرفعة ما فيه من مشاعر الصفاء والرقة · ومثله فى هذه الخاصية ، الفن المصرى ·· حتى ان الاسلام عندما أراد أن يصنع شيئا فى مصر انتقل الى شيء آخر فما أمامه قمة ليس عليها زيادة لمستزيد ·

فى اسنا ·· نفحنا هواها وما نعسنا

كيف ينعس من يرى معبد اسنا وأعمدته مكتبات

وكيف ينعس من يرى معبد اسنا بجماله الأنيس وكبريائه المنيف وجلاله المتعالى لرفعة فيه وترفع على رفق ورحمة تسرى وتشع من خلاله فتملأ القلة ·· قلب رائية بالنور والفرح والعشق والبشر والسهر فالمحة لا ينام ··

كيف ينعس من يرى معبد اسنا وأعمدته مكتبات مسطورة أو صحف منشورة ·· مكتبات دينية ·· انه ايمان مصر بالدين وبالكتابة معا ·· ايمانها بالفنون فقد صــوروا مليكهم يرقص ممسكا بآلة السنستروم لاغرو ان موسقت مصر الأديان الســماوية بعد هذا حين دخلتها وحين دخلت فيها ·· فموسيقى مصر الكنيسة (أقدم مدرسة موسيقية معروفة فى العالم) · بل تكاد تكون أغناها أيضا بما انبثقت عنه من موسيقى مصر القديمة التى تحمل أسماءها الى اليوم ألحانا ··

يقول الفيلسوف الاسكندرى فيلو (ان بعض الألحان الشائقة الى الآن فى الكنيسة المصرية تحمل أسماء بلاد قد اندثرت منذ عهد بعيد ·· فاللحن السنجارى نسبة الى بلدة ســنجار التى تقع شمال محافظة الغربية وعرفت منذ أيام رمسيس الثانى · وكانت تحوطها الأديرة فى

العصر القبطى . وكذلك الاتريبى نسبة الى اتريب القديمة بالقرب من الديرين الأحمر والأبيض بمنطقة أخميم) .

وفى الاسلام وضعت مصر أسس التصـــوف الاسلامى على يد ذى النون وهو أول من أنشد شعر الحب الالهى فى سلاسة وعذوبة تسرى الى النفس فتأسرها حين كان شعر أبى على الروزبادى يشق فهمه ويتطلب الوقوف على مصطلحات الصوفية لادراكه .

وعلى طريقة ذى النون فى الحب الالهى سار ووصل ابن الفارض . وفيه مثله من مصر رقة الاحساس وشفافيته ، وهو بهذه الصفة سلطان العاشقين . ومصـــر بهـــذه الصفة فيه صاحبة فن فى التصـــوف ورفه حضارى . ولم يعرف عن غير ابن الفارض أنه احتشد للغناء وألوان الفن حتى لينشد أشعاره انشادا من ولعه بالنغم والتطريب .

ولم يعرف عن غير ابن الفارض أنه غنته الجوارى فطرب حتى رقص على دقات الدفوف وأنات الشبابة .

حتى أسلوبه نابع من مصر .. من مدرسة البهاء زهير ثم مدرسة الشعب بأزجاله ولغته الجارية .

وأسلوب ابن الفارض فى الشعر اتسم بالرقة والظرف والصفاء وحيوية العاطفة والومض . وقد شغلت (تائيته) الشراح حتى المخالفين له فى الرأى فكثرت شروحها وتشعبت .

وحب مصر للنغـــم يفسره دورها الذائع فى علم القـــراءات . فعن (ورش) المصرى أخذ علماء المغرب عن تلميذه (أبى يعقوب) الأزرق ابن عمرو بن يسار المصرى وأخذ الأندلس عن عبد الصمد بن عبدالرحمن ابن القاسم المصرى .

وفى القراءات موسقت مصر الدين بطبعها الفنان .

كتب الشيخ البشرى مقالا عن (تقاليد مصر فى الفن) جاء فيه أن متقدمى القراء فى مصر (لا يبدأون قراءتهم الا من البياتى ، وبه دائما يختمون) . ويعلل هذا بأن (البياتى هو نغمة البلد الاصيلة ، أو هو من أصـــل النغم التى تتقلب فيهـــا حناجر المصريين . ففى الحق أن هذه النغمة ، فوق سعة آفاقها ، وتقبلها لكثرة التصرف والتلوين ، فان المصرى يجد من الاستراحة اليها والأنس بها ، ما لا يجد لكثير) .

وبعد القرآن يأتى الأذان . وعمل مصر فيه يحدث عن التناسق

والهارمونى فى ذوقها . فان جميع مؤذنى المساجد فى القاهرة كانوا كما يروى الشيخ البشرى فى كتابه « قطوف » اذا ظهروا المآذن للهتاف بالأولى أو « الأولة » ـ ومن أولة الآذان هذه ابتدع بيرم . فيما أرجح ، حين تشرب الروح المصرية ، ألوان الأولة فى الغناء ـ وقفوا وقد ارهفوا آذانهم ،وعلقلوا أنفاسهم فى انتظار الأمر الذى يصدر اليهم عن مئذنة الشيخ صالح أبى حديد بالنغمة التى يجرون بها الأهازيج لليلتهم .. فاذا جلجل مؤذن الشيخ صالح بنغمة الرصد مثلا ، أسرع مؤذنو المساجد حوله بالصياح بها ، وأخذ أخذهم مجاورهم ومن تقع للأسماع أصواتهم ، وهكذا فلا تمضى دقائق الا والقاهرة كلها تجلجل بنغمة الرصد . واذا بدأ بالبياتى ، أو بالحجاز ، أو بالسيكا ، الخ فهكذا وما شاء الله كان آ

وان دل هذا على شيء فانه يدل على أن أهل مصر أو سكان القاهرة على الأقل ، أصحاب فن ، وأهل ذوق ، وعشاق تطريب .

حقا (الذوق ما فاتش باب النصر) كما يقول أهلنا فى أمثالهم .

حقا (اللى عمل مصر كان فى الأصل حلوانى) .

ومن تقاليد مصر فى الفن .. فن الذكر المصرى فقد كانت مصر تجعل له قائدا هو بمثابة ضابط الايقاع . ومن مشاهير المصريين فى هذا الباب السيد على الركبى . (كان اذا جلس أعلام المنشدين لشأنهم فى صدر المجلس ، جعل يدير أساليب التنغيم بالذكر تنغيما فنيا يهيىء لأولئك المنشدين أداء مهمتهم على أدق القواعد وأحسن الوجوه . ولقد يصرفهم هو فى فنون النغم ، بتوجيه الذاكرين الى هذه الناحية أو هذه الناحية ، مسرعا مرة ومتمهلا أخرى ، ضابطا الوحدة بنقرة بخاتمه الفضى على حق سعوطه النحاسى . فكان بحق أكفأ « مايسترو » رأته العيون فى هذه البلاد) .

* * *

ومعبد اسنا منخفض عن سطح المدينة كثيرا .. لأنهم كانوا يضنون بالأرض الزراعية أن تبنى عليها المدن .. كانوا يعرفون حرمة النبات فلا يئدونها .

وفى اسنا البائعات المتجولات البسيطات من نساء الصعيد يجدن الفرنسية والانجليزية باللقانة ، أو على الأقل بالقدر ، الذى يسع أسماء

معروضاتهن من الثيــاب والخمر ــ بضــم الخاء ــ (الطرح) والمناديل وأسعارها والرد على مساومة الزبائن ٠٠

وكذلك الأطفال من البنات والبنين ٠

وكذلك الشيوخ ٠

وتذكرت بعثة (بنت) التى أوفدتها ملكة مصر حتشبسوت وكيف عاد أفرادها يحملون من ألطاف بلاد الصومال ، اللغة أيضا فقد التقطت البعثة المصرية اللغة الصومالية ٠٠

ان للمصريين ولعا باللغات وقدرة فيها ، منذ القدم ٠

وعند قناطر « اسنا » مرت باخرتنا « ايزيس » من الهويس ٠ وهو فتحة كبيرة فى أقصى اليمين من القناطر ٠٠ فتحة بعرض الباخرة فقط وكأنها فصلت عليها تفصيلا ٠ ودخل قائد الباخرة الفتى الأسمر ذى الجلباب الأبيض والعمامة البيضاء ٠٠ دخل الهويس بنعومة فائقة ، وبقدرة فائقة ٠٠ ويتحدث طاقم الباخرة عنه أنه أبرع من دخل الهويس٠ ويحكون أن ضابطا بحريا أكاديميا أخذ ثلاث ساعات ليدخل بمشقة فى الهويس الذى دخل منه الرجل الخبير فى دقائق وبثقة !!

دخلت البــاخرة الهويس وأغلق خلفهــــا الباب فغدت بين بابين عريضين ٠٠ ثم أخذ رجل فى أعلى القناطر يدير عجلة مثبتة فى القناطر لترفع الباب أمامنا قليلا تحت سطح النهر حتى يرتفع منسوب الماء فى الحوض الذى نقف به وترتفع معه باخرتنا حتى يبلغ الماء تحتها منسوبه فى النهر خلف الباب الأمامى ٠ وحينئذ فتح لها الباب وخرجت من الهويس ٠٠

نحن الآن فى تمام الساعة الثانية بعد الظهر ٠٠ ايزيس تمر ، ونحن جلوس الى مائدة الغداء ، تحت كوبرى ادفو ٠

وما أن يهل شهر توت حتى يظل الناس ولمدة ثلاثة عشر يوما يفدون على « ادفو » التى تعيش هذه الآونة من السنة عيد اللقاء المقدس ٠٠ حيث ينظم المصريون القدماء زيارة سنوية تقوم بها (حتحور) حاجة الى رحاب زوجها فى ادفو ، وقد أصبح أمر الزيارة عيدا رسميا منذ أيام (تحتمس الثالث) أسموه : « اللقاء الطيب » ٠ وكانوا يحتفلون به احتفالا كبيرا ٠ فيخرج كهان ادفو بتمثال معبودهم (حورس ــ

بحدتى) ـــ وهو غير حورس بن ايزيس وأوزوريس وان كان المصريون مزجوا بينهما فى كثير من الأحيان ـــ ليلقوا زملاءهم من كهان دندرة الذين يحملون تمثال « حتحور » على زوارق النهر · فاذا استقر الجمع فى ادفو ، ظلوا أياما يحتفلون بهذا اللقاء · يقربون القربان وينشدون الأناشيد لاهين فكهين بالغناء والموسيقى · وكان على كبار الموظفين أن يسهموا فى الاحتفال بالعيد وأداء طقوسه ومناسكه · وكان على الأغنياء أن يفتحوا بيوتهم للوافدين ويأووهم ويضمخوهم بالطيب ويقدموا اليهم الطعام والهدايا لاســـعادهم ·· حتى اذا انتهى هذا الحج ، عادوا الى ديارهم راضين موفورين ·

ويعود كهان دندرة ، بعد قضاء مناسك الحج ، بتمثال حتحور الى معبدها ·

فى مصر القديمة كان حورس رمز الحق والجهاد ·

وحتحور رمز الجمال والامومة ·

ورع أى الشمس ·· النور ·

وأوزوريس أى النيل ·· والخصب ·

الدين فى مصر القديمة من خلال الملموسات والمرئيات يتخلل هذا فترة تجريد كان فيها اخناتون يناجى الهه قائلا : (أنت فى قلبى) ·· ألم يقل القرآن الكريم ان الله أقرب الى الانسان من حبل الوريد ؟

لقد قصرت الدولة القديمة حق البعث على الملوك ومن هنا التفانى فى بناء الهرم ·· لعل الملك الاله فى الوقت نفسه ، يجود بالبعث على البناة من شعبه ·· ومن هنا أيضا حزن العامة الشديد عند الموت لان الموت نهاية بلا بعث ··

ثم قامت الثـــورة على الدولة القـــديمة ·· واكتسب ســـواد الشعب حق البعث كالملوك هنا ظهرت عبارة (لا تغضب الاله الذى فى داخلك) وهى تقابل فى الاسلام ، الآية الكريمة نفسها (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) ·

لم يعد الاله فى الخارج فقط بل حل فى الداخل ·

ان مصر وعاء حضاري صبت فيه أفريقيا وآسيا قديما ثم أوربا

حديثا .. ومصر تغترف ما تريد وتترك ما تريد ولكن فى ذاتية متميزة خلاقة .. بصمتها واضحة على كل شىء .

رسالات السماء لم تهبط عليها فأولى بالأنبيــاء والرسالات أقوام فى حاجة اليها ولكن من عرفوا (معات) أى الحق والعدل والخير .. ومن عرفوا التوحيد وسبحوا للقوى الأعظم ليسوا فى حاجة الى هداية ، حاجة غيرهم اليها .

لقد اهتدوا .

لقد وصلوا واتصلوا ..

وبعد الديانة المصرية القديمة جاءت المســــيحية وتحررت من الاقليمية ، وتجردت من الأشياء .

وجاء الاسلام يردد « الله تعالى » وفى كلمة « تعالى » هذه سمو على الأشياء وعلو على الصفات ..

أرأيت ؟ لم ينقطع التيار الحضارى عن مصر .. تواكبت على هذه الأرض ، القيم والمعانى والأديان ..

أقســم الله بالقلم ..
وقدست مصر الكتابة
انهــا كنــانة الله

معبد ادفو

وادفو اسمها المصرى القــديم (بجدت) . وفى معبد ادفو « سشات » الهة الكتابة وعلى رأسها نجمة .. ان الكتابة من السماء .. والكتابة نور يهدى كالنجم .. والكتابة مقدسة .

هكذا تقول مصر بغير حروف .

وفى معبد ادفو حيث لا توجد فى المعبد بحيرة مقدسة للتطهر ، توجد حجرة للتطهر يصب الماء فيها على الملك ، وحجرة أخرى للعطور .. وفناء حورس والمزاريب فيه .

كم للعين فى معبد ادفو : آثار الراهب ، وحجرة المركب المقدسة،

ومقباس النيل ، والقارورات الزجاجية من المملكة القديمة ٠

ان معابد البطالمة تقليد تام كامل لمعابد مصر ٠ الالهة كل اله مقاطعة ، يحمل على رأسه رمز المقاطعة ٠ ولكن الاله حابى ، اله النيل له ٤٢ صورة ٠ على كل صورة رمز مقاطعة ٠ وكأن حابى أبو المقاطعات كلها وصاحبها على السواء ٠

أما الاله (ست) فقد صوروه على هيئة فرس البحر ورسموا أرجله اثنتين اثنتين حتى يحرموه الحركة الطليقة أليس عدو «أوزوريس» رمز الخصب والخير ٠٠

وفى سقف معبد ادفو فتحات لاستقبال الضوء وتشكيله أيضا ٠

فى معبد ادفو صخرة من الجرانيت جيء بها من أسوان وشكلت ناووسا ٠٠

فى معبد ادفو ، البهو المفتوح كل عمود يختلف عما يجاوره ويماثل العمود أمامه فى الصف المقابل ٠

والموسيقيون صف أيضا ٠٠

وقد بنى البطالمة أيضا معبد كوم امبو ٠٠ وعلى الرغم من هذا التقرب كله ، قامت الثورات المتصلة ضد البطالمة ٠

فى معبد ادفو يأخذ الاله سوبك ، اله كوم امبو مكانه على اليمين ٠٠ والى اليسار الاله حوريس ٠

وفى معبد ادفو ، أدوات التحنيط ، والأنابيب الزجاجية المدرجة، والمقص ، والملقاط ، والمشرط ، وسائر الأدوات الطبية ٠

وفى معبد كوم امبو حجرة لموميات الحيوانات ٠ التماسيح فيه تكاد تكون حية ٠٠ لقد أعزوا الحيوان ٠٠

الحياة اليومية المصرية مصورة ومسجلة على المعابد تسجيلا كاملا ٠٠ بل كل ما يدور بخلدهم حتى أحلام اليقظة ٠٠ فمثلا يرسمون الأسد يأكل ذراع العدو أو يرسمون الأسرى ٠٠ نصفهم الأعلى فقط حتى لا يبعثوا باعتبار الجسم ناقصا ٠

من أعلى المعبد النيل والنخيل والمدينة والمعبد منظر يسعد العين حين تطالعه أول مرة ٠

غادرنا كوم امبو فى طريقنـــا الى أسوان ٠٠ الطبيعة واحد يتعدد ٠٠ الأخضر ألوان ومدرجات ٠٠ الضفتان تتبادلان الزروع والنخيل ٠٠ الجبل الرملى على اليمين والجبل الأحمر (الحديد) على اليسار ٠٠ الجبلان يحتضنان النيل ٠ ويحوطانه خاصة اذا خلا الشاطئان أو أحدهما من الزرع أو قلت كثافته أو قصرت قامته ٠٠

القطار على الأرض يمرق بسرعة ، ويدخل فى الجبل ٠٠ أنوبيس قادم من الاتجاه الآخر ٠٠ النيل من كوم امبو الى أسوان ينعرج كثيرا ٠

اليهـا ٠٠ الى أسـوان
بلد السـد العـالى وبلـد العقـاد

فى القطار وفود مسافرة الى أسوان ولم نكن وحدنا ٠٠ كانت جموع النخيل تبدو لعينى من نافذتى بالقطار الموعود وفودا مسافرة الى أسوان الا باسقات متفرقة قامت على حراســة النعمة المنشــورة على بساطنا الأخضر ٠٠ وكأن المساء مسافر الى أســوان لتغفو فى سكونه بعد كدح النهار ٠٠ كل شىء كان مسافرا معى الى أسوان لرى النيـــل ٠٠ ليرى الآثار ٠٠ ليرى التاريخ ٠

وأغفيت حين لفنا الليل وتعذرت الرؤية وظـــل القطـــار ساهرا وحده ٠٠ سائرا وحده وكأنه خاطر سار أو خيال سانح أو أمل يومض فى الظلام وفجأة وقف القطار وقفــة طالت ونفــذت ببصرى وفضولى من زجاج نافذتى فاذا بنــا فى محطـــة البلينا واذا ذكرت البلينا ذكرت (العرابة المدفونة) حيث يقوم معبد أبيدوس وحيث تعيش قصة حية ، ففى العرابة المدفونة انجليزية تقدس الآثار الفرعونية وتجيـــد اللغـــة الهيروغليفية قراءة وكتابة وتعيش منذ ثلاثين سنة تتعبد فى معبد أبيدوس وتعبد خاصة أوزوريس وايزيس وتقدم لهما القرابين ٠ وهى اذا دخلت عليهما المعبد ٠٠ دخلته حافية القدمين من اجلال ٠٠ هذه السيدة يطلقون عليها هناك اسم (أم سيتى) ٠ نسبة الى سيتى الأول الذى بنى معبـــد أبيدوس للاله أوزوريس والالهة ايزيس ٠٠ وسيتى الأول والد رمسيس الثانى ٠٠

وتعيش السيدة من مرتب تخصصه لها مصلحة الآثار ٠

وبعد اغفاءة طويلة فتحت عينى على صباح وردى تكســو غـلائله

قامات الأشجار وتتوج شفوفه ذوائب النخيل ‥ وكأن الشروق ببدعه سحر الركب فدبت الحركة فى القطار ثم تزايدت حتى استيقظ النوام وتبادل الصحب تحية الصباح على موائد الافطار ٠ وفرغنا وتطلعنا من جديد فاذا بنا نسير بين جبلين يكادان يطبقان على القطار ومن فيه ‥ وأين النيل ‥ جبال ورمال قلما تقع العين منها على مظهر حياة ٠٠٠ ويمرق القطار مسافة طويلة حتى نرى العين من بعيد طفلين قائمين كأنهما نبتا لساعتهما وسط هذا القفر ليقطعا السكون المريب ويبددا الوحشة أو امرأتين ضامرتين لوحتهما الشمس بل قددتهما حتى ليخيل للرائى أنهما آتيتان من القبور بعد هجعة طويلة فلو توقف القطار فى هذه اللحظة لسألناهما سر الغائبين ، وهل مصر مصر كما عرفتاها ‥ ليطمئن الفراعين الذين أرادوها خالدة فنزل على حكمهم الزمان ؟ ٠

وبعد (الخطان) و (الأعقاب) ‥ وبعد الشوق الى الخضرة والنيل ٠٠٠ انفرجت الجبال ودخلنا أو دخل بنا القطار فى واد ذى زرع وسمعت صوتا يهتف « هاهوذا » والتفت الى يمينى حيث صدر الصوت فاذا (النيل) فى هذا المكان أبيض ساكن الصفحة كالمرآة ، هادىء الأنفاس رقيق الشمائل شأن الكبير الواثق من نفسه ، المستعز بأرضه ، الساكن فى حوضه المالك ليومه وغده ، لم تزعجه الأنباء عن تغيير مجراه لأننا حين نفعل سيغير هو بدوره تاريخنا وقيمنا ومفاهيمنا ووجه الحياة على وادينا تماما كما فعل فى الماضى ‥ ان دوره لم يتغير ٠ هو هو البطل وراء كل عمل نأتى به ٠٠٠ اننا لكى نغير المجرى كم سهرنا على خدمته وكم كدحنا لتعميقه ورسم طريقه الجديد ‥ أليس معنى التغيير اذن أنه شغلنا الشاغل كشأنه دائما كشأوه أبدا أليس معنى التغيير أننا نضن به على البحر ونغالى بكل قطرة فيه ألا تعيش بيننا ويجرى فينا دما وحياة وخصبا وغنى ووفرة ٠ ؟

وقبيل أسوان امتلأ الطريق على الجانبين بالصخور الكبيرة كأنها فيلة قد انفصلت عن الجبل فى تمرد ظاهر ‥ ان المصرى جبار اذا نفدت طاقة احتماله ‥ أنه عندئذ لا يقف فى طريقه شىء حتى الجبل ‥ صخور لبا طابع ولها قسمات ولها شخصية فى جلستها القابعة على حافة الطريق كالأسود الرابضة تتفرس القطارات ‥ والناس ‥

« اهرام كله كتوبه » اننا فى أسوان الآن وهذا النداء اللطيف يهتف

به صبى أسمر على صحيفة « الاهرام » ان مواطننا الأسوانى يعنى ان العدد ملىء ٠

ها هى أسوان ٠٠ الشاطىء صبغته حمرة الحديد حتى دوائب النخيل حمراء ٠ قمم الجبال وراء النخيل حمراء ٠٠ مدينه مشرقه أسوان كأنها بنت الشمس ٠٠ النيل فيها غيره فى أى مدينه مصريه ٠٠ هنا النيل لم يفرغ بعد من معركته مع الصخور ٠٠ جنيات كثيرة تعترض مجراه ٠٠ صخور كبيرة سمراء يكاد يكون بعضها على هيئات ادمية حتى لكأن مجموعاتها فرق لجيش محارب ولكن النيل لا يخشى بأسها حتى مراكبه الصغيرة ذات الشراع تغدو وتروح على مرأى منها ٠٠ انها تلهو فى حمايته وتتخطر فى حماه ٠٠

❋ ❋ ❋

وأقلتنا سيارة الى الفندق أو الى المدينة السياحية الجديدة مدينـــة النيل السياحية فندق هو فيللا أنيقة تناثرت حواليهـــا فى الحديقـــة أحواض الزهر والأكشاك الخشبية الشاعرية ٠٠ الفيللا تقوم على ربوة تطل منها على النيل ٠٠ وجبل أحمر يتوهج بالحديد وجبل أصفر لا أدرى سره والنيل من هذه البقعـــة والمبـــانى محدقة به والنخيل رانيات اليه ، حانيات عليه مولعة به أشبه بالخلجان والبحيرات ٠٠ فهو يطوق مبنى ويلتف بالآخر ويدور بشاطئه فى انصـــاف دوائر ليستقيم من جـديد ويلامس سفح الجبل ويداعب بمويجاته أعجاز النخيل ٠٠ ان نهرنا الخالد ذو أفانين ٠٠ من حديقة « مدينة النيل » تستطيع أن تتملاه تخلد اليـــه كتراكت القديمة أما كتراكت الجديدة فيخيل اليك أنها أخفت فيه بضـــا وكشفت بضا كما يقول شوقى عن أنس الوجود ٠٠٠ على الشاطىء الآخر النخيل يدعوها الجبل لتصـــعد ولكنهـــا لا تمضى فى سيرها على السفح بضعة أمتار حتى تقف زاهدة فى الجبل مشغولة عنه بالنيل ٠٠٠ وعلى الشاطىء الآخر بين النيل والنخيل والجبل قام مدفن أغاخان الذى شدته مصر اليها حيا وميتا ٠٠٠ ما أخلق سنوحى بالحب والاشفاق حين شق عليه النفى خوفا من أن يموت بعيدا عن مصر ويغسل بغير مائها ويدفن فى غير ترابها ٠

وفى الحديقة مدرجات فرشت وردا يتسابق فى الصعود على ضـــوء فوانيس حالمه ولمبات ملونة والمكان كله قطعة من الجنة يسود فيها الهدوء

ويرف الورد ويميس النور فيطفو كل شيء ويغدو شفافا كالطهر نبيلا كالخير كريما كالنيل ٠

ورتبت أن أزور السد ولم تكن ظهــرت آثاره الجانبية بعـــد أو حجبت الرؤية ٠

السد العالى :

الطريق اليه شريط ناعم صاعد فى الجبال على الجانبين ٠٠ جبال حمراء من كنوز الحديد ٠

فى طريقنا اليه مسلة صغيرة يبدو أنها تعبت من الوقوف فنامت ٠٠ مسلة ينسبها البعض الى حتشبسوت وينسبها البعض الى رمسيس الثانى ٠٠ هى يكفيها أنها مصرية ٠٠ هذه أكبر ٠٠

بعد أن وقفنا بالمسلة فى ســلام طائف عدنا الى الســيارة وبعد دقائق من سيرها هتف الدليل اغمضوا أعينكم ٠٠ وفتحناها ثانيـة بناء على دعوته أيضا فاذا بالمكان صخور أحجاما وألوانا وأشكالا شتى ٠٠ أترانا على سطح القمر ؟

يرافقنا أيضا فى رحلتنا دليل آخر ٠٠ انها سمراء مصرية فارعة تحب التاريخ وتحفظ عهوده كتلميذة نجيبة ٠

نحن الآن أمام السد ٠ شلالات الماء فى اندفاعها تشف وتخف حتى كأنها شلالات من نور أو بخار أبيض ناصع ٠

وراء السد ، البحيرة ٠٠ والبحيرة معلم سياحى لولا بعوضة الجامبيا التى تعيش فيها الآن يملى لها ركود الماء فى البحيرة فاذا دبت الحيــاة فوقها بالسكنى وجدت الناموسة غذاءها فى دم الانســان وهنا الخطر الأكبر حيث يمكن أن يموت الملايين بملاريا الجامبيا التى تنتشر عدواها من انسان الى انسان ٠

لهذا يجب أن نفكر فى وسيلة عملية تحرك الماء فى البحيرة وتحرك الطمى الذى يترسب فيها ويخرج بعدها الماء خاليا من الطمى أى من الخصب ٠

انقصم الجبل وغدا شطرين بفضل الحديد والنار والعقل ، والارادة

التى صنعت من الحديد والنار والحجر ودرات الرمال عملا كبيرا لو أن الدراسة العلمية تجاوزت الحماسة له الى الآثار الجانبية وامتدت الى أبعاد مستقبلية شاملة بالغة الخطورة وهو موضوع كبير ٠

انحدرت قبل المياه فى مجرى القناة الجديدة التى رسمت للنيـل ودخلت الانفاق التى سينفذ منها ٠ وبعد عودتى جرت المياه فيها ولا أزال أذكر هذه اللحظه ٠ وقد رأيت السد بعد هذا كثيرا ولكن الرؤية فى ذلك اليوم لها وقع خاص ٠

هناك فى ساحة الانفاق آلات كثيرة تعمل بالنهار فى وهج الشمس وبالليل فى ضوء المصابيح ٠٠ آلات لها أفواه وآلات لها مقابض وآلات رافعة وآلات ٠٠ ضاغطة وكلها كوحوش الأساطير تعمل عملها فى نهم ٠٠ الحياة فى هذا المكان ٠٠ رهيبة غالية ٠٠ تحسب بالدقائق والثوانى ٠٠ والناس رسوم متحركة والأصوات أصداء والألفاظ هواء كل شىء يطويه المبنى الكبير الذى يسير بالآلة والانسان معا حتى العمال على كثرتهم لم يزاولوا غناءهم التقليدى الذى يصحب الأعمال الشاقة ويهونها ان العمل الرهيب فى موقع السد لا يترك لهم طاقة لغيره فلا غنـاء ولا كلام أنما حركة فى صمت وكدح فى صبر ٠٠ وصراع فى معركة الحياة كصراع النيل مع القفر أو صراع (أوزوريس) مع (ست) ٠٠ صراع فى أصرار ولكن هذا كله لم ينس ثلاثة من العمال ذكر ربهم فانسلخوا من الضجة ليقيمـوا ٠٠ الصـلاة ٠ وانسلخت بدورى من الضجة القائمة لأتأملهم وصلى قلبى لهم أولئك المؤمنين بربهم المؤمنين بوطنهم ايمانا يترجمونه أعمالا مجيدة تمكن له فى الأرض وتحسب له فى التاريخ وهو أغلى ألوان الايمان ٠٠ ان هؤلاء البسطاء أكرم على مصر بما يعطون فى صمت ٠٠ بما يبذلون من دم القلب وعرق الجبين ٠٠ انهم صناع الحياة فيهـا وان حملت الأعمال فى النهاية أسماء غير اسمائهم ٠

وبعد السـد الذى بنته سواعد كبيرة وعقول كثيرة وأموال كثيرة سعينا الى سد آخر رفيع شامخ جبار لا يقدر بمال ٠٠ سد باذخ من صنع عقل واحد وفرد واحد ٠٠ نعم عباس محمود العقاد ٠٠ هناك على أبرز مكان من أسوان بين المعالم السياحية للمدينة التى تجمع الماضى والحاضر يقوم ضريح يجمع قيمنا الغالية ولا أدرى كيف ٠٠ ضريح يحج اليه كل من أقام بأسوان أو حتى ألم بها وسوف يتسع العمران بأسوان ويزداد امتداد وسوف يقام فيها للصناعة صروح ٠٠ كثيرة ولكن أعلى صروحهـا

وأغلى ذخائرها سيظل عباس محمود العقاد بقدر ما تأصل فى نفس الفنان من اعلاء للفكر واجلال للعقل واحتفاء بالقلم وعبادة للفن وتوقير للعلم وولاء للموهبة ووفاء لصاحبها .

سيتغير كل شيء فى أسوان الحياة والأفكار والمجتمع ومعالم المدينة حتى الجبال ويظل ثابتا كالعهد به عباس محمود العقاد لأنه تاريخ والتاريخ دائم ولأنه فكر والفكر قائم ، ولأنه قلم والقلم سائر ولأنه عصامية من طراز نادر ولأنه موهبة على مستوى رفيع ولأنه جامعة ولأنه شرف لجيله ومفخرة مصرية لسائر الأجيال .

وبعد طوافى بضريح العقاد زرت بيت العقاد البيت الذى شهد مولد العظيم الذى جاء مع النيل من أسوان لينشرا بين الناس رسائل رحمه تحيى موات الأرض . والنفوس وتمرع حياة الناس والعقول ثم استقل النيل بالأرض ، ورقى العقاد الى السماء وحسن ما اختار جوارا وطاب رفيقا .

رأيت الحجرة الفسيحة التى كان العقاد يعقد بها ندواته فى أسوان عصر الاثنين والجمعة من كل أسبوع ورأيت المقعد الذى كان يجلس عليه والناس من حوله الواقفون يربون أضعافا على الجالسين الى جانبه والجالسين بين يديه . كان العقاد يحل بأسوان فما يكاد الناس يتسامعون بمقدمه حتى تتدفق جموعهم على مجلسه وتهرع وفودهم الى داره فلا يبقى فى الطابق السفلى موضع لقدم .. أنه ابن أسوان وأبوها فكل من فيها يدعوه « أبويا العجاد » .

ورأيت فى الطابق العلوى مكتبة العقاد بأسوان .. انها مجرد فرع من مكتبة القاهرة وراعنى عطل المكتب من أوراقه المحبرة وأكداس كتبه المقروءة والمنتظرة دورها .

ورأيت حجرة العقاد الخاصة وقد ترك فيها كل شيء كما خلفه آخر مرة .. ملابسه معلقة وعصاه .. كل شيء يبدو منتظرا كأنه قادم اليه من القاهرة وما درى أنه سافر منها الى أسوان منذ أمد قريب .. بعيد ..

والدور العلوى مخصص للعقاد حين كان يسافر الى أسوان وتستطيع ان تكتشف هذا بنفسك فكل شيء مرتفع القامة مثله رفوق الزجاج على الأحواض .. ومراياها .. الأزرار فى الجدران .. الشماعات (المشاجب)

الأثاث ، حتى الأدوات ضخمة غير نظائرها عند الناس ·· وابتسمت من بين دموعى ·· لقد لحقت عملقته الاشياء التى تنتمى اليه ··

واستوقفنى فى بيت أسـوان صور أسـوان ·· كل معلم من معالم أسوان تضمه لوحة زيتية فالخزان والمقيـاس وأنس الوجـود وجزيرة النباتات · مهما طاب الجو فالصور تؤكد لك أنك فى أسوان أو تزيد دهشتك أنك فى أسوان ·· الى هذا الحدكان كان « أبويا العجاد » متعلقا بمسقط رأسه · كما كان مسقط رأسه متعلقا به اذا أخذنا بدلالة الصور هنا · ففى كل حجرة صورة للعقاد وفى كل ردهة صورة ·· للعقاد ·· وكم من صورة رسمها له أو رسمه فيها الفنان صلاح طاهر ، ان مدرسة العقاد فيها الرسام كصلاح طاهر والموسيقى كالشجاعى أليست جامعة ؟

وبين الصور صورة كان العقاد يعتز بها صورة زيتية من رسم صلاح طاهر أيضا انها صورة طفلة نائمة أناملها الصغيرة البضة تمسك أطراف الغطاء ودوائر شعرها المخملى تلقى على وسادتها البيضاء ظلالا رقيقة مثلها ووجهها كله تغسل براءته وطهره بحرا من آثام العالم ·· كان العقـاد المهيب يحب الطفولة وكان قلبه قلب طفل فى النقاء والصفاء ·

وقد حكى لى العقاد فى حياته حكاية لها دلالة كبيرة على أعماق ·· صاحبها ·· روى لى أنه رجع من جنازة ابنة صفيه المازنى وقد اتخذت صرامته قرارا لا يحيد كالعادة وهو الا يتزوج لكى لا يقف هذا الموقف الجريح لكى لا تدفن نفسه نفسه ·· لكى لا يوسد الثرى بضعة منه أعز شيء فيه وظل فترة يردد : كيف احتمل المازنى دفن ابنته ؟ كيف وكثيرا ما سئل العقاد عن سر عزوبته فكان يصنع للسائلين الجواب ·

وزارنى رسول من مصلحة الآثار فى منزل العقاد فطلبت له القهوة كأنى فى بيتى ألست مصرية · وكان العقاد قيمة لمصر ·· لنا ·· اذن هذا البيت بيتى ·· بيت كل مصرى ·· بيت كل أديب لأنه كما يقول كل أسوانى سمعته بيت ··· « أبويا العجاد » ·

أستاذنا العقاد يدعونه فى أسوان وأنا معهم : أبويا العجاد ·· فى المنيا أيضا نعبر عن الاحترام الكبير بلفظة الابوة ·· وهكذا أجدنى فى أسوان أدعوه أبويا العجاد ، وأدعوه فى القاهرة أستاذنا العقاد ·· انه الأب الأستاذ ·

لقد بدأت محافظة أسوان تصحو بعد عشر سنوات وتبنى الضريح

.. لقد رفعت السماء العقاد وتقاعست الأرض فلم يرتفع ضريحه .. استطاعت السماء أن ترفع العقاد بكل ثقله الفكرى والفنى والأدبى .. وعجزت الأرض عن أن ترفع الطوب والأحجار ضريحا .

وكم بين القارورة والعطر

وكم بين الدن والسلاف

بين الدن والدنى

ولكنى أرى البناء قائما الآن والعمال يجدون فيه .. رجوت من سائق السيارة السياحية أن يقف بى أو يقف لى أمام الضريح .. ونزلت وتقدمت اليه وقرأت الفاتحة فاذا بالعمال يأخذون فى قراءة الفاتحة وكانت نظراتهم تقول كلاما كثيرا .. تريد أن تقص .. أن تتحدث عن صاحب الضريح .. لولا أن السيارة السياحية تنتظرنى لطاب لى أن أستمع اليهم .. أن أستمع عنه ..

وحين وقفنا على شاطىء النيل فى انتظار القوارب لتحملنا الى معبد فيلة سألنى السائق مغتبطا عن سر نزولى واجلالى لرجلهم العقاد .. وبدأ هو ومن حوله يقصون فى زهو سيرته والتفاف أسوان حوله ، وفترات حضوره اليها .. ويصمتون قليلا فأتحدث أنا عنه فى القاهرة ..

ويحضر الزورق فتنفض ندوتنا الصغيرة .

أغا خان

أخذنا الزوارق الى ضريح أغا خان .. انه يقوم على ربوة عالية فى أسوان .. لقد اختار الرجل مدينة الضوء الماسى مشتى له فى الحياة ومثوى بعد الحياة .. نحن نوقل كما يقول المرحوم فريد أبو حديد صاعدين فى الربوة .. ما أجمل أسوان من هنا .. لم ير أسوان من لم يرها من فوق الربوة . كما لم ير القاهرة من لم يرها من ربوة سقارة .

من على الربوة .. النيل هنا وجه آخر مختلف تماما .. الصخور فى عرض النهر وعلى جانبيه مجموعات كبيرة .. صخور جرانيتية ضخمة كأنها هياكل حيوانات .. ومجموعة كأنها تماثيل رابضة أو منتصبة .. ومجموعة كأنها فرقة من الجنود لابسى الخوذات .. وصخرة ضخمة بارزة فى النهر كأنها أبو الهول غير أن الفنان لم يشكل الرأس بعد ..

النيل في أسوان يبذل جهدا كبيرا .. انه يمشى مثقلا بالصخور .. وحين يحطها عنه ، يسير مرهقا من فرط ما حمل وبذل .. ولكنه كالعظيم الراسي يخفى تعبه ويتجمل بالهدوء ويتحمل الجهد راضيا لان فيه سعادته وفيه رسالته .

ورست الزوارق على الشاطىء الآخر .. وأخذنا طريقنا الى ضريح أغا خان .. طريق صاعد يستدير حلقات .. وكلما أمعنا في الارتفاع دار من جديد وكأنه بلا نهاية .. وصعد معنا بيت أغا خان الى منتصف الربوة تقريبا حيث وقف وتركنا نصعد وحدنا ..

وتذكرت صعودنا في حي مونمارتر في باريس . وأخيرا وصلنا فجلسنا حوله ننتظر خروج فوج السياح بداخله واذا بأسوان تبدو من أعلى الربوة مدينة أسطورية أو موضوعا ملونا للرسام والشاعر .. النهر يبدو من أعلى الربوة ، هوى الناس والطبيعة فالجزر الخضراء تتناثر فيه .. والجبال بألوانها حمراء وبيضاء تدخل فيه وتخرج منه .. والصخور الرمادية تشكيلات شتى .. والقوارب الصغيرة كطيور الماء .. والبيوت والمآذن والقباب يلتمس كل منها اطلالة على النهر العظيم .. وعلى عالمه الكبير ..

دخلنا الضريح بعد أن طلب الينا أن نخلع نعالنا على الباب ..

قاعة مستطيلة مفروشة بالسجاد الأحمر وقد غطيت بغطاء من قماش أبيض يلقى عنها وطء الأقدام .. وهذه القاعة قامت على أعمدة من الجرانيت .. يليها الضريح من الرخام الأبيض الناصع البياض . وقد علته النقوش وزينت جوانبه بالآيات القرآنية .. الضريح يبدو وكأنه علبة كبيرة من خان الخليلي صيغت من رخام لا من خشب وأصداف ..

في الضريح دفتر لقيد الأسماء .. كتبنا أسماءنا وكتبت هذه العبارة ..

« زيارة تحية لرجل اختار مصر مثوى له وفاء بوفاء .. » .

لاغا خان وصية عاطرة .. فكل الذى يطلبه من الدنيا صاحب الملايين أن تضع زوجته على قبره وردة حمراء كل يوم !

هل هي مجرد وردة ؟ أم رمز ؟ ويرجح هذا اختيارها حمراء .. هل يريد أن يذكر زوجته بحبهما كي لا تنسى ؟

على كل حال لقد أثبتت الأيام أن البيجوم سيدة كريمة وفية ٠٠ لا تزال السيدة تضع عليه وله الوردة الحمراء فاذا سافرت عهدت الى تابع أن يضعها يوميا فى الميعاد ٠

تذهب الملايين وأصحابها وتبقى المعانى الكبيرة ٠٠ وما أكثر الذين يعجزون عن فهم هذه المعانى الكبيرة واحتوائها حين تجمعها وتؤديها وردة صغيرة حمراء ٠

نزلنا الربوة ٠٠ وأخذنا الزوارق الى جزيرة النباتات ٠ وفيها سرنا بين صفين من الأشجار الطويلة من النخيل المستجلب من كوبا وغيرها ٠٠ أشجار نحيلة ممشوقة كراقصات الباليه كما تشبهها ابنتى الصغيرة ٠٠

زهور وطيور وطرقات مرصوفة ونضرة يانعة ٠ كم تستريح العين الى هذا الجمال الجميل ٠٠ ولكن الدليل وهى سمراء مصرية ، طلبت الينا أن نستقل الزوارق الى حيث ترسو (ايزيس) ٠

وعدنا الى ايزيس وكانت طيور « أبو قردان » جماعات جماعات عائدة الى أوكارها ، أشجار الشاطىء ٠٠ وكان منظرها من بعيد حين ألقت نفسها على الأشجار بعد اجهاد الطيران كأزهار بيضاء تتوج هام الشجر ٠٠

كان المساء جميلا نديا غنيا بكل ما يسعد الاحساس والعين والروح ٠

ينقص أسوان البوليس السياحى فان عدده فيها ووسائله لايتناسب مع حجمها السياحى والتاريخي ٠٠ لايتناسب مع قيمتها الحاضرة لا سيما وأن ظاهرة البقشيش بين الأطفال امتدت اليها !! هل هى الحاجة تدفعهم ! ربما وهل نسيت اسنا ٠٠ هذه المدينة العريقة وصلنا بمعبدها شارع بدائى ٠ لماذا لا يكون الطريق من الباخرة الى المعبد ممهدا مرصوفا نظيفا جديدا قديما فى آن ؟ أى تكون مساكنه وحوانيته على الجانبين حديثة العهد بالبناء مصرية الطابع ٠٠ وبدلا من أن يلاحق الباعة المتجولون والأطفال ، السياح ببضاعتهم على أيديهم ، تنظم هذه المعروضات فى الشارع المؤدى الى المعبد بشكل مهذب يحفظ البضائع ويحفظ قبلها كرامة أصحابها وكرامتنا معهم ؟

لقد رأيت فى اسنا مما يعرضه هؤلاء ، مصنوعات يدوية جميلة ودقيقة الصنع كالشيلان المنسوجة على النول ، والقبعات « الكورشيه »

.. وغير هذا بأسعار زهيدة ، يقدر السائح الأجنبى كم تكلف فى بلده باعتبارها شغل يد . لماذا لا نشجع هذه الصناعات وننميها ونصدرها دعاية لنا . وامتصاصا للبطالة والفقر والفراغ فلا تعد الأيدى الصغيرة بحاجة الى طلب البقشيش ؟

لقد أعطت هذه الأرض للانسان ما لا يقدر بمال فكيف يستجدى فيها أبناؤها المليمات .

أكبر من هذا كثيرا اسما .. وأعظم من هذا أسوان .. بلد المجد وبلد أبويا العجاد ..

ماذا تقول رسائل الشوق ؟

نحن فى عرض النيل فى طريقنا الى معبد فيلة .. وفى عرض النيل أيضا صخور ضخمة كأسود رابضة تحرس التاريخ .. قمم متراصة من الصخور بينها مجموعة شكلتها الطبيعة بصورة لا تشك لحظة أنها تمثال بوذا .. وفى أمريكا شكل الفنان التشكيلى صخور الجرانيت بجبل رشمور Rusmore من سلسلة الجبال السوداء بولاية داكوتا Dakoto وجوها تمثل الرؤساء الأربعة الكبار :

واشنجتن — جيفرسون — تيودور روزفلت — لنكولن — فأصبحت معلما سياحيا وكانت لا تصلح حتى للتسلق .. كانت كما مهملا .

والغريب أن المثال الفنان صاحب الفكرة Cutzon Borglam جطزون بورجلان استوحى الفكرة من تماثيل قدماء المصريين المنحوتة بالكامل فى الجبل على طول شاطىء النيل بل قلدها تقليدا (أنظر كتاب Wonders of The World لمؤلفه الألمانى Ronald Goock ترجمة Kate Reddick

عندنا الفنانون التشكيليون يشكون الزمان والمكان فهل يأتون الى عندنا يشكلون هذه الصخور ليصنعوا منها جبل رشمور ، ثانيا ؟

وصلنا الى معبد فيلة .. معبد ايزيس الهة السحر أم حورس .

فيه حجرة الميلاد وفيه مقياس النيل ..

العين ترى سور الانقاذ والعمال يروحون ويغدون يرفعون الأحجار .

تجرى فى المعبد عملية شفط الماء ·· وعلى طرف آخر من الجزيرة عمال آخرون يسوون المكان لاستقبال معبد فيلة ·· معبد ايزيس ··

الخزان القديم لم يبق من فتحاته فوق الماء الا أقواس صغيرة يخرج منها الماء ·· ثم سور فوقها من البناء القديم ·· انه يبدو الآن وكأنه كوبرى ··

وفى أسوان شهدت جزيرة فيلة التى ظن قدماء المصريين فى وقت ما أن منابع النيل أربعة نغذى النهر فى جزيرة فيلة هذه ولعل السر فى ذلك ان مسألة التثنية عند قدماء المصريين (مصر السفلى والعليا وغيرها ·· قد حدث بالمصريين الى الاعتقاد ان له منابع أربعة (اثنان شمالا واثنان جنوبا) ·

وكان الفراعنة يتصورون المنابع الأربعة فى أربع جرار تهديها ربة الشلال (سته) ·

وكما اتخذ كل معبود ذكر من بين الآلهة المصرية زوجا له ، كذلك ذكر ·· المصريون للنيل أزواجا منهن :

١ ــ نخبيت التى كانت تعبد فى الكاب ربة مصر العليا ·

٢ ــ نوت

٣ ــ موت (زوجة آمون) الأب الروحى لفراعنة مصر ايام الأسرة ١٨ ·

٤ ــ ايزيس

وكلها تتقارب فى الصفات وتتفق فى الأمومة ···
فنخبيت أى (البيضاء) ترى وهى ترضع فرعون من ثديها ·· وموت كانت أما لهم وتحمل صفة الأمومة ·

وايزيس كانت اما معروفة كذلك ··

ويبدو أن فكرة تعدد منابع النيل كانت خاصة بهم ···

ومنبع فيلة هذا يفصله أرمان على هذا النحو ؟ :

« هناك على حدود بلاد النوبة ، حيث يخترق النيل آخر حواجز الأحجار الصلبة ، التى تفصله عن مصر ، يقع عدد من الجزر الصخرية بالقرب من الشلال وعلى احدي هذه الجزر يقوم معبد فيلة الفخم ،

الذى اشتهر فى العالم بأسره فى العهد الاغريقى بانه أهم معابد ايزيس، والذى ظل باقيا على حالته تماما حتى عصرنا الحاضر ، ولكنه تعرض للدمار فى الأيام الأخيرة ٠

وتقع بالقرب من جزيرة فيلة جزيرة أخرى ، هى بجة الحالية ، وكانت تعتبر كذلك من الأماكن المقدسة للديانة المصرية ٠٠ فمن جهة كانت المكان الذى وطأته مرة أخرى الالهة الوحشية تفنوت من أرض الوطن واستحالت فيه الى حاتحور الودود وفقا لأسطورتها القديمة ٠٠ ومن جهة أخرى كان يوجد فى بجة قبر أوزوريس ، وكان يعتبر فى العهد الاغريقى فى مقدمة الأماكن المقدسة . ولم يكن فى مصر العليا اذ ذاك قسم أعظم من أن يقسم الانسان ب « أوزوريس التاوى فى فيلة » ٠ وكان هذا المكان الذى يضم قبر أوزوريس يسمى « أباتون » ، أى الحرم وذلك لأنه لم يكن يجوز فى هذا المكان أن يقلق راحة الاله أحد ٠ وكأن الطبيعة قد قدرت أن يكون هذا المكان بالذات معبد أوزوريس ، وذلك لأن المصريين كانوا يعتقـدون أن فى الماء الجارى هنا يوجـد أحـد الينبوعين اللذين يتفجر منهما ماء الفيضـان جالب الخصـب والنماء ، وقد كان يسمى « ماء بجة النقى » ــ ولما كان أوزوريس ٠٠ يشرف على كل ما يكفل الخصب ، كان يعتبر أيضا انه هو الفيضان نفسه ٠ وكما كان يقول كهنة فيلة ، لقد كان أوزوريس « النيل الكبير الذى يخلق الحب بفضل ما فيه من ماء » والذى ينبت الأشجار والأزهار من رشحه (عرقه) ٠

لهذا كيف أمكن أن يكون لأوزوريس قبر أفضـل مما كان له فى « أباتون » ٠ حيث كان يمكن ان يعود للظهور فى هيئة فيضان جديد فهو كالنيل « يولد فى حينـه وتتجدد أعضـاؤه كل عام ٠ واذا كانت الأسطورة تذكر انه لم يدفن فى « أباتون » الا جزء من أوزوريس وهو ساقه اليسرى ، فلم يكن من ذلك بأس ، وذلك لأن الكهنة ظنوا ان هذه الساق هى أحد ذينكم الينبوعين وتمثلوا كيف ينبثق الماء منها فاترا ٠٠ متفجرا ٠ أما « أباتون » نفسه فقد تمثلوه جبلاية كهف غائر يقر فيه أوزوريس على هيئة النيل ويحرسه ثعبان ٠"

ولم يكن النيل مادة غنيـة للأسـاطير بنفسه فحسب ، بل كان أيضا وراء أساطيرهم عن غيره من الظاهرات والأشياء ٠٠ كان النيـل وراء أساطيرهم عن الشمس والقمر والنجوم والأرض أيضا (١)

ولما ثبت فى نفوسهم ان نيلهم ينبع من اليفنتين (فيلة) راحت

(١) كتاب (النيل فى الأدب المصرى) للدكتوره نعمات أحمد فؤاد ٠

فيلة هذه فى التاريخ بفخر عظيم فقد كان يحج اليهـا الأثيوبيون والنوبيون « البليميون » الذين ظلوا على ولائهم لها حتى بعد انتشار المسيحية فى مصر • وظلت فيلة تتمتع بالأسر الروحى الى أن أمر الامبراطور جستنيان بايصاد المعبد وحبس كهنته ونقل تماثيل الالهة الى القسطنطينية •

أما جزيرة بجه فهى فى اعتقـاد قدماء المصريين أول مكان وطأته حتحور • وأن أوزوريس نائم عند منابع النيل هذه •• والنيل يجرى من بين ساقيه •

وأوزوريس فى مهجعه يمثل عندهم المنبع والكهنة يقولون بحرمته، فلا يجوز طبل ولا زمر ولا يطؤه أحد والصيد حرام فيه •• وظلال هذا الامساك عن تعاطى الخمر فى الفترة قبل عيد القيامة •

ويقال ان حتحور اغتسلت فى ذلك المكان عندما بكت •

والنيل عندهم له يوم فى السنة ينام فيه ، والسعيد من يحظى منه برشفة أثناء نومه ففيها روح من قوة ، ونفحة من حيـاة ، ولمحة من جبروت •• والشقى من دنا من النيل ساعة يقظته •• انه عندئذ يطويه •

كما كان قدماء المصريين يعتقدون هذا ، نرى فى الصعيد المصريين المحدثين يقولون : فلان يمسح الريال بفركة من أصابعه •• وتسألهم كيف ؟ فيقولون عن ايمان انه قد مسه عرق الصبا ، لاعتقادهم انه فى ليلة القدر يقف الماء فى النيل لحظة ، فمن يشرب منه فى هذه اللحظة يمسه عرق الصبا • وهو كما ترى امتداد لاعتقاد مصر القديمة فيه •

تقف اليوم عند هذا المعلم من معالم أسوان لنستكمل الحديث عنها فى الباخرة حتى نصل معا الى المعبد العظيم « أبو سمبل » •

عـدنا وأفكارنا الى ايزيس الباخرة •• متعة الرحلة لا يسـاويها هم البحيرة واذا بنا نرى على الشاطىء المقابل كوخا أحسب أنـه خال من الهم •• وهل يعرف صاحبه البسيط شيئا عن بعوضة الجامبيا ؟

أقول كوخا ؟ انه فى الحقيقة صخرة ضخمة يعيش فى جوفها رجل كأنه من أهل الكهف •• الصخرة العجوز مثل صاحبها تعابثها المويجات الطفلة فلا تعبأ بشقاوتها بل لعلها سعيدة بها من أجل العظيم الخالد الذى يملك الشاطئين •• وصاحب الكوخ يملك قاربا صغيرا يرسو كالصخرة

على الشاطىء ·· حين يستأجره الناس ، يمضى صاحبه بهم ·· ثم يعود فيسنده الى الشاطىء ويستند معه ·· وهكذا اليوم كله ··

كوخ على النيل وقارب فى مثل هذا الموقع من المدينة العالمية (أسوان) غنى كبير ·· ان الرجل البسيط أغنى من رجل يملك قصرا وسيارة فى مكان آخر ·· ان القرب المجرد من النيل نعمة وثراء كبير ··

ليس الكوخ وحده ·· وراءه حزمة من بيوت صغيرة متواضعة تتملى النيل فى أمان وفرحة ·· عن يمينها ويسارها غابة من النخيل ووراءه جبل أصفر ·· آه لو تدرك نفاسة موقعها هذه البيوت المحظوظة على تواضعها ، لعرفنا أن ترابه يزن مثقاله ذهبا ··

نحن ، ننتظر الغروب ·· السماء فيها غمام خفيف مغشى بالنسمة ·· السحاب والشمس من ورائه يشكل منظرا عجبا ·· كأن طاووسا نشر جناحيه ·· والجناحان فى صفاء الأزرق غير أن أطراف الريش مفضضة فى بريق النور الذى ينهل من الشمس الغاربة ·· قرص الشمس يمثل رأس الطاووس الجميل ·

بعد قليل بدأت ألوان الشفق الأحمر والأصفر بمدرجاتهما يتباريان فى الانعكاس على الأفق الرحيب ·· الجبل والنخيل والنيل تشهد المباراة فى سعادة غامرة لأن النور من كل لون يزيد جمالها تألقا ·

الباخرة أوزوريس قادمة من الشمال أى من الأقصر الى أسوان ـ المسائل نسبية ـ حيث تتأهب لرحلة العودة ··

أطلقت الباخرة أوزوريس من بورى صوتا خاصا · فتهللت (ايزيس) وأطلقت من بورى ساريتها ، أصواتا جميلة للتحية ·· كأن الباخرتين بينهما من الحنان ما كان بين ايزيس وأوزوريس فى الماضى ··

سعادتى مضاعفة بهذه الرحلة من سعادة أولادى بها ·· لقد أردت لهم أن يشاهدوا الآثار ويتربوا فى عزها ·· فى عز مصر ·· وقد نجحت أو نجحت الرحلة ··

أدركوا جيدا بالصورة والتشكيل كيف ارتقى وطنهم بوجدان الانسان من الغثاثة الى أفق المعني دون احتقار للجسد أو احتكار للمادة ·

لمسوا موهبة وطنهم فى العمارة .. التى شرح أفكاره بها وأودعها أسراره وفلسفته .. رأوا بأعينهم مصر أمهم تترجم بالتشكيل عن أعماق الانسان فى ذرى قلما يترجم عنها الكلام . فالاسلوب ليس الألفاظ ولكنه نمط فريد وعزيز من الادراك .

أدرك أولادى أن تاريخهم شىء آخر غير ما لقنوه فى المدرسة .. أعادوا قراءة تاريخهم من خلال الأعمال والدلالات .

لمسوا ادراك الحضارة المصرية نعمة الأسرة فى مثلها الأعلى بيت وأم وأب وابن .

ايريس — أوزوريس — حورس .

موت — آمون — خنسو .

عرفت مصر الأسرة بمعناها الخاص .

وعرفت مصر الأسرة بمعناها الأشمل والأكبر .

فقد رأى صغارى فى المعبد المصرى ، « حورس » يشترك مع سيت قاتل أبيه فى رفع رمز الوحدة !!

أمام مصر الأعداء والأصدقاء أسرة .. وهى وحدها الأم والأب .

ان الأسرة بمفهومها المصرى العريق بؤرة حضارية يتشرب المرء فيها شعورا قويما ومقوما .. رحيما ومنعما .

فى الأسرة المصرية التى مثلتها المعابد لمســـنا جميعا الوعى الحى الساهر والعزم اليقظان .. وعى ووعاء يتحول فى عصور الافول الى محافظة وجمود ورتابة .

لقد ترك أولادى الاهرامات فى الجيزة ليروها فى الأقصر وأسوان مسلات شامخة .. وهل المسلة الا هرم مرفوع على قاعدة عالية تلملم أطرافها لترتفع الى السماء ؟

رأى صغارى « أوزوريس » يقبض بيد على السوط ، وباليد الأخرى على رمز العقل أى القوة والحكمة .. واذ رأوا تعلموا .

رأى أولادى النفس المصرية قد وضعت القلب فى كفة . وفى الكفة الأخرى علامة الحق معات ورمزها ريشة .. وسألوا فى حيرة لا تخفى

وكثيرا ما تصلني الأسئلة بهم أكثر ٠٠ ان تركيز مصر على القلب ووزنه بالريشة اشارة الى رؤية مصر للقلب انه بالصفاء والشفافية يوزن ويقدر لا اللحم والدم ٠٠ ألا يذكرنا هذا بالحديث الشريف : (ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم) ٠

وبالآية الكريمة (الا من أتى الله بقلب سليم) لا بنساء الجوامع والصدقة رئاء الناس ورياء السلطان ٠

نعم القلب يوزن بالريشة فى مصر ٠٠

فليس الدين فرعا من التجارة بل لا بد للمتدين أن ينضو عنه أسمال النفس ، البالية ٠

رأى أولادى (نفرتيتى) و (نفرتارى) و (موت) فى زهو الجمال فاذا الجمال فى الرأس المرفوع فى استقامة وترفع وورع واحتشام ٠٠

الشعر يترى كالغيث فى رأس ابيدوس ، أو يتتابع موجات فى رأس المرمر ٠

حس الزينة والأناقة دون الخضوع لها ٠

يعرفون من الاسلام الآية (خذوا زينتكم عند كل مسجد) ويرون من الفن المصرى احتفاله بالزينة تحلو بها الحياة وتبسم ، وتنعم بها الصرامة وتترقرق ٠ ان الفن المصرى صارم الخط ورائع اللطف معا ٠

والتربية الحقيقية هى اكساب الأولاد عادات فكرية ٠

ان ما رأوه مقولات ومقالات تشكيلية تحمل رسائل شوق من الماضى الى الحاضر ٠٠ وقد قرأ أولادى وتعلموا ٠٠ الكثير فى هذه الرحلة وسمعوا الكثير أيضا ٠ سمعوا سائحة فرنسية تقول : (كيف طاوعنا قلبنا حتى ننقل آثار مصر الى متحف اللوفر ؟ انها أجمل وأنفس فى أرضها ٠٠) ٠

وسائحة بلجيكية همست فى عمق : المستقبل لهذه الأرض حين يزحف الأفول الى أوربا ٠٠ كم حدثونا عن اسرائيل ٠٠ الآن عرفت مصر ٠

وقالت سائحة بلجيكية أخرى : « يقابلنا فى مصر كثيرون فقراء ولكن الفقراء الذين نقابلهم فى الشارع ، والأغنياء الذين نقابلهم فى

الفنادق أو البواخر ٠٠ الكل طبيعتهم سهلة ضاحكة ودود ٠٠ لقد زرت روسيا فلم يكلمنى أحد ٠٠ لا أذكر أنى سمعت ضحكات ٠٠ حتى الألوان التى يلبسها الناس قاتمة ٠٠

ان الطيبة وصفاء النفس رزق أيضا وخير كثير ٠٠

ان المصرى الذى يظفر بهذه الرحـــلة فى حاجة الى عزلة هادئة ليستعيدها ويعيد ترتيبها فى نفسه ٠٠ فى شعوره ٠٠ لتصير جزءا من نسيجه ليثرى ٠

* * *

كنت على الباخرة ايزيس مع الناس أى السائحين الأجانب ولكنى فى رحلتى من أسوان الى المعبد العظيم (أبو سمبل) كنت على الباخرة (الدكة) وحدى مع النيل ٠ فقد كان الفوج السياحى القادم من الغرب ليستقل الباخرة معى من أسوان الى المعبد لم يصــل القاهــرة بعد ٠ وأبرقت الوزارة الى مركز الآثار بأسوان أن تتحرك الباخرة فى موعدها المحدد ٠٠

أسبوع وحدى على صفحة النهر أصحو فأفتح عينى عليه وأنام على موعد معه فى الصباح ٠ كانت حجرتى بالباخرة (الدكة) كبيرة تملك الرؤية من الجانبين وكأنها والنهر فى مستوى واحد ٠٠ ففى الصباح تطل على من النوافذ مويجاته الصابحة كأطفال مدللة تداعب أما عاشقة أو أطل عليها أنا بعيون جذلانة تقول فى صمت « صباح النيل » ٠٠ صباح الخير كله والنعمة والحياة حياتنا مصريين على طول التاريخ ٠

انك لا تستطيع أن ترى وجه مصر خالصا صافيا منورا الا من على الهضبة ، أو على النيل ٠٠ هناك تتبدى لك مصر لا تشبع العين من سناها ٠٠ هناك تتجلى لك مصر بامتداداتها التى تستغرق البصر والحس والفؤاد جميعا ٠٠

من أعلى الهضبة أو من على النيل تشعر فجأة أنك أغنى انسان فى الدنيــا ٠٠ تشــعر أنك تملك هــذا الوادى الأخضر والرمال الذهبية والسماء المتهللة المتلألئة ٠٠ تملك النيل ٠٠

بل ان شعورك بالملكية أقوى من عقد التمليك ٠٠ ان الوادى بنهره وخيره وطيره وسمائه ونوره وحلاه ، أنت نفسك ٠٠ ان المصرى جسما وروحا وشعورا وسلوكا وأسلوب حياة انما صيغ من هذا الوادى ٠٠

انه عطاء مصر ·· منها خرج ·· منها مادة وترابا كما يخرج الطفل من بطن أمه فيه من دمها وصفاتها وسماتها ·

وما أسعدنى مصرية رأت وجه مصر من القدسين معا ·· رأيته من أعلى الهضبة ورأيته على صفحة النيل ·· رأيته وتمليته ونهلت منه أسبوعين كاملين على النهر أعيش معه فى النهار واسهر معه فى الليل وأنام فيكون آخر وجه تمليته وأصحو فيكون أول وجه رأيته ·· وعلى الرؤية والنهـــل والتملى ، رجعت وبى ظمأ يجدد هوى العين · وفى قلبى من حبها ، شوق يؤجج شعلة الروح ··

لقد قام الكثيرون برحلات على النيل ولكنى ألاحظ أن المصريين منهم عاشوها فحسب ولكن الأجانب سجلوها · حقا ان أســـاتذة الجغرافيا عندنا أفاضوا فى الكتابة عن النيل ولكنها الكتابة العلمية المقننة التى تحجز فيض النفس الفنانة ·· ومن أجل هذا تحيا كتابتهم بين طلابهم وأهل الاختصاص ·

ولست أزعم ، ولا أستطيع ، أن رحلتى هذه جامعة ·· انها مجرد رحلة ، للعلم منها الحقائق الواقعية ، وللانســـان منها ما يفيضه هذا النهر من مشاعر وانطباعات · ان قيمتها فى (مصريتها) فهى رحلة مصرية تبين عن مشاعر المصرى نحو النيل وتعكس صورته فى عينه ·

هذا النيل شد اليه عبر القرون والبلاد كثيرا من الانظار والرحلات والأقلام والفنون ما بين مفتون بكشف مجاهله أو تصوير معالمه أو كتابة تاريخه ، أو قصته مع الطبيعة والانسان · ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر ويلككس W. willcocks وهيرست H. E. Hurst وألان مورهيد Alan Moorehead فى كتـابيه (النيـــل الأبيض) و (النيـــل الأزرق) ، ولودفيج Emill Ludwig والكســندر موريه Alexandre Moret وشيلو Chélu وفرناند لبرت Fernand Leprette والبان فنبرت Elian Y. Finbert وشارل بلانك Charles Palanque

هذا غير كتب الرحلات مثل (النيل يمر ببلادى) للكاتبة بلانكايرا فيرا وغير الفصول التى عقدت على (النيل) فى كتب الأنهار وغير الكتب الفنية التى نقلت عن النهر الفنان ما أبدعه ·· من لوحات ورؤى · وأنا هنا ألمح كتاب The Nile تأليف اليوت اليزيفون Ediot Elisofon المصور العالمى الذى حاضر فى الفن والتصوير فى المتاحف والكليات فى

جميع أنحاء العالم ، والعضو بكلية علوم الحفـائر والأجناس بجامعة هارفارد ومن هنا تتمثـل قيمة كتـابه الذى يضم ٢٠ صـورة ملونة و ١٨٤ لوحة مصورة ، فى قدره كاميرته الخارقة على تعمق المنظر ونشره على عيوننا فى حساسية لا حـد لها ٠ فقد صور المؤلف المنـابع وتدفقات المياه من زواياها المختلفة ثم تدور الكاميرا القادرة فى جنوب السودان وتمضى مع النيل الأبيض وتصعد فى السودان والنوبة العليا ثم ندخل النوبة السفلى أى النوبة المصرية حتى اذا بلغت أسوان كانت قد سجلت الصورة رقم ١٤٦ وهى لجزيرة فيلة ٠ ثم تنتشر الكاميرا فى (الوادى الأخضر) لتسجل آثار كوم امبو وادفو وطيبة والدير البحرى ودندرة وابيدوس وأبو تيج وبنى حسن والفيوم ودهشـور وممفيس والجيزة حيث تشمخ الاهرامات الثلاثة وأبو الهول ٠ ثم صور القاهرة الاسلامية والحديثة وقطاعات مختلفة من الوجه البحرى حتى اذا وصلت الاسكندرية جمعت الصورة الأخيرة ، الثغر الجميل ، فى منظر يلفه الليل ويغمره ضوء القمر ، التقط المنظر للاسكندرية من البحر فى الجزء الشرقى من المدينة عند كامب شيزار ٠

وهكذا يقطع الأجانب آلاف الأميال ، والأيام ، ليصـوروا النيـل أو يكتبوا عنه ما لم نتكلف مثله نحن أبناء النيل الذى يجرى النيل فى عروقنا دما ويسرى فى قلوبنا هوى وهو فى حاضرنا وماضينا شريان الحياة المصرية الأكبر ومجلاها ٠

ان قصتى مع النيـل أو رحلتى على النيـل من أسوان الى معبد (أبو سنبل) وما حول المعبد ، لها حديث طويل ٠

مع النيـل

بدأت الباخرة تتحرك ٠٠ تتهادى ثم تسير فلوحنا لمعبد كلابشة الذى تم نقله على الشاطىء الآخر نقلته وأعادت تركيبه ألمانيـا الغربية هدية لمصر ٠٠ وعلى جلال فيه وروعة لا أقف بالوصف عنده فقد أفرد له مركز تسجيل الآثار كتابا محلى بالصـور والنقوش مزودا بالحقائق التى تغنى طالب المعرفة أو زهو المصرى أو هواة الآثار ٠

★★★

الباخرة تجرى أمام قرية أمبير أول قرية هاجرت وكانت هجرتها سنة ١٩٣٠ عند تعلية خزان أسوان للمرة الثانية ٠

ان شاطىء النيل النوبى تتناثر عليه النجوع ببيوتهـا البسيطة المتواضعة بيوت سقوفها قباء حتى لاتكون الشمس عمودية عليهـا بل تتوزع الحرارة على الجانبين مسائرة بطراز البيوت فى أسوان القديمة ٠

ولم نكن بعدنا كثيرا عن أسوان حتى رأينا نجع العمدة ٠ وفى هذا النجع كان يقوم معبد (دابـود) وقد تم نقله فى صيف ١٩٦٠ ، عند انخفاض المياه الى جزيرة أسوان ولم تتم اقامته بعد ٠

ومرت الباخـرة بقرية دابود ونجـع مريس ونجوع فى الشرق والغرب ٠٠ وقد هاجرت (دابود) فى ١٨ أكتوبر سنة ١٩٦٣ وكانت هجرتها البداية الأولى لعملية التهجير من بلاد النوبة الى كوم امبو حيث الاراضى واسعة وصالحة للزراعة ٠

ويقول علماء الجغرافية التاريخية ان أول طمى من الحبشـة اكتشف في قرية السبيل بكوم امبو ويرجع تاريخ هذا الطمى الى العصر الحجرى القديم الاعلى ٠ ولما كانت بعثة بيل الأمريكية متخصصة فى عصر ما قبل التاريخ فقد اكتشفت فى كوم امبو ٠٠ أصدافا وأشجارا متحجرة وعظاما لحيوانات عرف بها هذا العصر ترجع الى عصور سـابقة لعصر ما قبل التاريخ ٠ وقد عثروا على هذه الأشياء فى بحيرة تسربت مياهها على اثر انكسار قديم وكانت قبـلا يعيش الناس على ضـفافها ويغذى البحيرة مجريان من مياه السـيول التى كانت تسقط على جبال البحر الأحمر وقد جف المجريان وأصبح يطلق عليهما الآن ٠٠ واديين ٠

وفى بلاد النوبة من هذه القرى ٤٥ وحدة تستعد (كوم امبو) لاستقبالها فى بيوت جديدة أوسع وأصـح ولكنهم يشقون نفسـيا بالهجـرة ٠٠ ولو فى بادىء الأمر حتى يتأقلموا ، وتألف نفوسـهم الاستيطان ٠ انهم يؤمنون بالنيل ٠٠ يودون قربه ٠٠ يشتهون لو عادوا وأعادوا بنـاء بيوتهم أقصد أقبيتهم ولو على مسـافة بعيدة يلمحون منها النيل لمحا ان فاتتهم الرؤية القريبة ٠٠ ويقدر العارفون بهم رجعـة الكبرين منهم بعد استقرار المنسوب الجديد للنيل عند البحيرة الصناعية خلف السد ٠

الباخرة تمر الآن بنجوع لم يبق منها الا بعض أشجارها ٠ والا بعض قصصها ٠ نسيت سيدة بعض حاجياتها فى عملية التهجير فعادت من (كوم امبو) الى أسوان ومن هناك استقلت قاربا شراعيا الى نجعها وانتظر

القـارب فصعدت المرأة فداهمتها الكلاب التي خلفها الناس وحدها فى النجع المهجور وكان الجوع قد أصابها بسعاره ٠٠ واذا جاعت الكلاب هاجم بعضها بعضا ٠٠ ويبدو ان هذه الخطوة تستقبل وصول السيدة فخطت عند رؤيتها الخطوة الأخرى وراحت ضحيتها المرأة المسكينة التى لم يشعر بها ركاب الزورق الا متأخرا فلما حفوا اليها وجدوها مزقا ٠

الباخرة تمر الآن أمام نجع (دوشي) بعد ان رحل عنه أهله وقد زارت هذا النجع الصحفية الفرنسية مدام (لاكوتير) فى أكتوبر سنة ١٩٦٠ ٠٠ وجاست بين البيوت فلاحظت ان أهل الدور جلهم من النساء عدا ثلاثة شـيوخ أقعدتهم السن فلم يلحقوا بالرجال والشباب الذين يلتمسون الرزق فى المدن الكبيرة فسمت كتابهـا عن بلاد النوبة (بلد بلا رجال) وقد ترجم الى الانجليزية ٠

لا أرى نجوعا بعد بل صخورا معلقة لايبدو عليها أثر الخوف من هذا الوضع ·· وصخورا تبدو من بعيد كمظاهرة من الناس يهتف فيها خطيبها ·· تماما اناس يبدو بعضها حاسر الراس والبعض الآخر على رأسه قبعة · اناس فى هيئات شتى ووقفات ·· مختلفة وفقا لاحجام الصخور صغيرها وكبيرها مما ينسبه للعين · وصخورا على شكل تمثال تل روما وصخورا على شكل مؤتمر · وصخورا تشكل سوقا فى النيل له زحام ويتداخل فيه الناس بعضهم فى بعض ·· هذا جالس وذاك واقف وثالث يلوح بيده ·

هاهى ذى قرية (دهميت) وقد رحل عنها أهلها مع الراحلين ·

كان رفيقى فى الرحلة نوبيا فكان وجهه يتهلل كلما رأى باخرة سودانية قادمة ويقف يلوح لها · ان أجمل مافى الانسان مشاعره ·· أشياء لاتكلفه شيئا ولكنها تفعل المعجزات : لفتة ·· ابتسامة ·· كلمة حانية ·· لمسة يد ·· لمعة عين ·· دمعة لقاء أو وفاء ·

وفى الطريق قابلنا بواخر قادمة من السودان ومن الطريف ان البواخر السودانية تحمل أسماء الأبراج ·· عطارد ·· المريخ ·· الزهرة ·· القطبى · النوبة ·· (وكان اسمها الأصلى بريطانيا) ·

هذا حين تسمى مصر بواخرها التابعة لمصلحة الآثار بأسماء فرعونية أسماء ملوك أو معابد ·· **فرمسيس** وهى باخرة مخصصة لكبار الزوار

والدكة : باخرتى التى حققت حلما غاليا من أحلامى الكبيرة، والباخرة (شيخ البلد) نسبة الى تمثال شيخ البلد الموجود فى المتحف المصرى ·

والعوامات : (جرف حسين) ـ (ممنون) و (بيت الوالى) والتسمية هنا من عند الاهالى الذين رأوا المعبد على شكل بيت فسموه بيت الوالى وعرف نجعهم أيضا بهذا الاسم : بيت الوالى ·

و (زوسر) و (امحتب) ـ وزير زوسر و (قصر ابريم) ·

والجرارات : احمس ـ تحتمس ـ سيتى ـ فرطاسى ـ دندور (اسم معبد فى بلاد النوبة) الدر (نسبة الى معبد الدر) ـ دابود (نسبة الى معبد دابود) ·

الصنادل الآلية : أبو عوده (نسبة الى معبد « أبو عوده » وهى تسمية أطلقها الأهالى أيضا ·

كلابشه : (نسبة الى معبد كلابشه) ·

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الصنادل غير الآلية : التى تجرها الجرارات وهى :

السبوع - (نسبة الى معبد السبوع) ، عمدا (نسبة الى معبد عمدا) وهناك لنش (أبو سمبل) .

حتى البواخر السياحية سمت مصر منها :

ايزيس - لوتس - ممفيس - نفرتارى - أوناس (اسم ملك من ملوك الأسرة الخامسة) .

اللنشات الطائرة : كليوباترة - نفرتيتى .

★ ★ ★

(الدكه) باخرتنا تمر الآن أمام قرية (امبركاب) وقرى دابود ودهميت وامبركاب تقع على ضفتى النيل معا .

لم يبق من القرى الا أسماؤها والصمت المخيم على بيوتها المنزوعة النوافذ لعلها للذكرى ببيوت كانت منذ بضع سنين تضج بالحركة فقد كان أصحابها أهل طرب ودس فبيوت النجوع مزدانة حتى من خارجها وبعض زينتها الأطباق الصينى اليابانية يعلقونها على الجدران الخارجية للمنزل وفتيات الأسرة يملأن الجدران بالرسوم والنقوش . ان الانسان المصرى فنان بطبعه لاتحجب روحه الشاعرة الفقر أو قسوة الطبيعة وضنها عليه . ان هذه النجوع حين كانت آهلة كانت تستمد حاجياتها الضرورية من زوارق شراعية هى بمثابة حوانيت متنقلة تأتيها من أسوان. ومع هذا الشظف كانت نفوسهم تتفتح على الفن .

اننا الآن أمام معبد قرطاسى (نقل المعبد فى صيف سنة ١٩٦٠) ويقع على بعد ٤٥ كيلو مترا تقريبا من خزان أسوان ويعتبر من أجمل معابد النوبة وبه أربعة أعمدة يتجهان على شكل الزهور أبدع الفنان نحتها حتى غدت تستوقف كل عين . وكم أثار هذا المعبد الصغير من اعجاب واهتمام الزوار ورجال الآثار على سواء .

(والى الجنوب من هذا المعبد كما يقول مركز تسجيل الآثار يوجد عدد من المحاجر التى قطعت منها الأحجار التى استخدمت فى بناء معبد فيلة وقد وجدت نقوش كبيرة باللغة اليونانية فوق صخور هذه المحاجر كما توجد مقصورة تسترعى النظر باللوحات المنقوشة على واجهتها)

باخرتنا تسير فوق قلعة رومانية غطتها مياه الفيضان .. كم فى صدرك يانيل من قصص وأشياء .

وفى هذه المنطقة أيضا محاجر للحجر الرملى ومن هذه المحاجر بقى معبد فيلة فى أسوان الذى سمى فيما بعد باسم (أنس الوجود) .

ومعبد أنس الوجود بنى للاله ايزيس ويرجع تاريخ انشاء جزء منه الى العصر البطلمى وهو يقوم فى جزيرة فيلة . والمعبد عبارة عن مجموعة معابد وأقدم جزء فيه يرجع الى عصر الملك (طاهرقا) من ملوك الأسرة الخامسة والعشرين المصرية النوبية . ويليه فى القدم معبد (نحتنتبو الأول) من ملوك الأسرة الثلاثين المصرية من العصر المتأخر

أما التسمية (أنس الوجود) فتقف وراءها القصة العربية (أنس الوجود والورد فى الاكمام) التى بنى لهما أبوها قصرا منيعا لم ير مثله الراؤن (١) فى جبل الثكلى القائم فى وسط بحر الكنوز (وذلك الجبل لايقدر على الوصول اليه أحد الا بالمشقة) (٢) ثم تمضى القصة فى سردها وتمضى باخرتنا فى سيرها بعد ان نلمح وجود قصر فى البحر يشكل وجه شبه قريب بين معبدنا وبين قصة ألف ليلة وليلة، يسهل معه تفسير التسمية العربية للمعبد المصرى .

(الدكة) تمر بنا من (باب كلابشة) وهو أضيق مكان فى المجرى فى بلاد النوبة وكان التفكير فى السد العالى يتجه اليه لاقامة السد هناك ولكن التفكير انصرف عن هذه المنطقة لبعد المسافة بما يوازى تقريبا ٥٠ كيلو مترا عن أسوان وصعوبة الانشاء من كافة نواحيه هناك .

كما اتجه التفكير يوما الى مد خط حديدى من أسوان الى مدينة حلفا ولكن الاستعمار واعتبارات سياسية أخرى اعترضت طريق المشروع فتعثر ثم توقف .

وفى هذه المنطقة معبد (طافا) والاسم القديم (نافيس) كما كان الاسم القديم لكلابشة (تاليس) .

وقد نقلت أحجار معبد طافا الى أسوان ولم يتم تركيبه بعد وكان هناك معبد اسمه طافا الجنوبى حددت مكانه البعثة التسيكية صيف سنة ١٩٦٢ ولكن الكشف لم يتيسر للباحثين لأن الطمى فوقه عمقه ستة أمتار .

---

(١) الف ليلة وليلة .

وعند معبد طافا لاحت قبة بيضاء هي قبة الشيخ (بحر) واليه يسعى النوبيون من كل صقع في ١٥ شعبان من كل عام فتأتى المراكب عليها جموع الرجال والنساء • يذبحون له الذبائح •• ومن الطريف ان زواره يأتي كل منهم بأربعة أحجار يرصها بعضها فوق بعض علامة أو ذكرى كما كان زوار معبد ايزيس في أبيدوس التي تسمى اليوم (العرابة المدفونة) مركز البلينا محافظة سوهاج يتركون لوحات يسجلون عليها تاريخ الزيارة وغرضها أو الشكر على أمنية تحققت أو رجاء مجاب وفي الدولة الحديثة الفرعونية استن المصريون القدماء تقليدا فكان الملك عندما يموت •• يزيرون جثمانه ابيدوس ثم يعودون به ليدفنوه في الأقصر • ويبدو ان قبة الشيخ بحر تمثل اليوم دور ابيدوس في مصر القديمة •

وفي هذه المنطقة مغارة في الجبل يخلد اليها المشتغلون بالآثار •• ووراء الجبل بقايا دير مسيحي وهو دير صغير غير معروف•

نحن الآن نمر بمنطقة كلابشة وهي أخطر منطقة في الملاحة لامتلاء المجرى بالصخور وأهل كلابشة أكثر الناس اجادة للضرب بالبنادق ووراء هذا قصة فان أسراب الطيور التي تسمى الكركي (ويطلقون عليه الكرك) وهو طائر يشبه البجع وطائر البلسان وتهاجر أسراب هذه الطيور من المناطق الباردة في أوربا وروسيا الى المناطق الحارة فتبدأ رحلتها من مناطقها في الخريف لتصل الى مصر في الشتاء وتصل منطقة النوبة وخاصة كلابشة ، لتعود في الصيف الى مواطنها في الشمال • وكما يلتقط الطائر الحب ، يلتقط أهل كلابشة هذه الطيور برصاص بنادقهم تحية لقاء ويشاركهم في هذه الهواية أهل امبركاب •

وهناك نوع آخر من الطيور يكثر في بلاد النوبة فعلى الحدود بين مصر والسودان وهي آخر منطقة النوبة المصرية ، جموع من البط البري والأوز الذي يطير هنا وهناك على جانبيك اذا قدر لك ان تعبر هذه المنطقة بزورق شراعي • ومن الطريف ان هناك ربوة وديرا مسيحيا يطلقون عليه (قصر الوز) •

واسم (كلابشة) اسم نوبي مصدره الاسم (كلوبجو) ومعنى كلو « حجر » ومعنى (بجو) عريض •• فكلو بجو أي الحجارة العريضة ثم حرفت فصارت كلابشة •

ومن الطريف (طريف الرحلة هذه المرة) ان باخرتنا تمر الآن بمدار السرطان الذى يمر بمنطقة كلابشة ..

* * *

نحن فى الطريق الى معبد (بيت الوالى) الذى بناه رمسيس الثانى.

ومعبد بيت الوالى أحد معابد ستة بناها رمسيس الثانى فى بلاد النوبة وهى من الشمال الى الجنوب :

١ ـ بيت الوالى وهو على مسافة ٥٧ ك.م من أسوان الى الجنوب.

٢ ـ جرف حسين وهو على مسافة ٩٠ ك.م من أسوان الى الجنوب.

٣ ـ وادى السبوع وهو على مسافة ١٥٠ كم. من أسوان الى الجنوب.

٤ ـ الدر وهو على مسافة ٢٠٨ ك.م من أسوان الى الجنوب .

٥ ـ ، ٦ ـ معبدا (أبو سمبل) وهما على مسافة ٢٨٠ ك.م من أسوان الى الجنوب تقريبا .

نقف الآن بباب بيت الوالى .. وسوف نلتقى فى رحابه .. فى الصفحات التالية .

بيت الوالى

ومعبد بيت الوالى أحد معابد ستة بناها رمسيس الثانى فى مسافة ٥٦ كيلومترا جنوب خزان أسوان ويتكون من :

١ ـ الصالة المفتوحة أو الفناء الخارجى حيث رسم الفنان المصرى على الجدار الأيسر أعداء رمسيس الجنوبيين وقد حاربهم فرعون وانتصر عليهم فدانوا له وقدموا اليه الهدايا من الذهب والزراف والأسود ومنتجات الجنوب . لتقربهم اليه زلفى .

وعلى الجدار الأيمن رسم الفنان المصرى أعداء ملكه ، الشماليين، وقد انصاعوا له والتمسوا الى رضاه الأسباب من هدايا وطرف .

ومن الطريف ان النقوش تصور (رمسيس) ـ على الجدار الأيسر ـ وقد تحمس للحرب وشمر لها كما يقولون فربط لجام فرسه في وسطه لتتفرغ يداه للطعن والضرب .

وفى الصالة الداخليـــة عمودان من الطراز البروتودورى • يرجع تاريخهما الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد وهذه الأعمدة سابقة على الأعمدة الدورية التى عرفتها اليونان فى القرن السادس قبل الميلاد نقلا عن مصر •

وفى مواجهة الداخل الى صالة الأعمدة طاقتان أحدهمـا الى اليمين والأخرى الى الشمال بكل منها ثلاثة تماثيل تمثل الملك رمسيس الثانى فى الوسط من بين الالهة (عنفه) والاله (خنوم) انه منطقة أسوان خالق البشرية والذى كان يمثل برأس كبش ومن بين الالهة (ايزيس والاله حورس سيد (باكى) المنطقة المعروفة الآن باسم كوبان •

ويلى الصالة الداخلية حجرة صغيرة تسمى قدس الأقداس وهى أقدس مكان فى المعبد حيث يوضع تمثال الاله •

وفى قدس الأقداس فى معبد بيت الوالى نقش يمثـل الالهة عنفه ترضع (رمسيس) وعلى الجدار الآخـر الالهـــة ايزيس ترضـــــع (رمسيس) أيضا •

ومعبد بيت الوالى من المعابد التى حولت الى كنائس فى العهـد المسيحى •

كما حول معبد دندور الذى بناه الامبراطور أوغسطس الى كنيسة وبينه وبين معبد بيت الوالى حوالى ٢٢ كيلومترا ومعبد دندور به نص باللغة القبطية يشير الى تحويله الى كنيســـة وبه كثير من الرســـوم القبطية •

والعمل فى بيت الوالى يجـرى بهمة مصرية لتقطيعه ونقله وقد غطيت النقوش ، البارزة والغائرة بالشاش الأبيض حتى لاتخدش أثناء عملية النقل وهى التى أبدع الفنان المصرى نقشها ورسمها حتى غدت المحافظة عليها دين وطن ومسئولية عصر أمام تاريخ الانســـان وقبل حضارة الانسان •

والشباب المصرى المثقف فى المناطق الأثرية سعيد بعمله بين أمجاد ماضيه غير ان ما يقلقه هناك انما هو نقص الرعاية الطبية فطبيب القاهرة المجرب يأبى أن يترك عيادته وأمنه الى المناطق النائية حيث المســـتقبل أمامه غامض ولو أجزلت له العطـاء ، والطبيب حديث التخـرج يلهث

وراء القاهرة حيث يجد فيها رضا خياله ٠٠ يقول محدثى المهندس يحيى شكرى ان المقاولين يعرضون مرتبا ١٥٠ جنيها فى الشهر ٠ أليس هذا مجزيا ؟ بل ومغريا ؟ هى ان المصران الاعور مثلا هاجم أحدنا أولدغته حشرة مؤذية ماذا يصنع ؟ ثم يبتسم فى هدوء ويقول الله كفيل بحمايتنا ٠

وأرى العاملين بالمناطق الأثرية من شبابنا المثقف الجاد الواعى العميق الايمان بمصر خليق بالرعاية الشاملة ولعل الرعاية الطيبة من أبسط حقوق المواطن المصرى بل الفدائى الذى يعيش بين الصخور يستنطق الحجر ويستكشف الأثر ٠

★★★

نحن الآن أمام قرية (أبو هور) أجمل قرى النوبة وقد استطعت ان أتبين ٠٠ نقوشها البسيطة الجميلة ٠٠ انها مستمدة من البيئة حرلها فالوحدات الزخرفية فيها قوامها سمكة ٠٠ باخرة ٠٠ مركب ٠٠

ويتسع النيل حتى يخيل اليك ان عرضه طولا فاذا بلغنا حافة الجبل المتربع فيه لمحت النيل يدور بالحافة أى ان المجرى له بقية خلف الجبل كأنه نهر آخر ٠٠ كم كافح هذا النهر العظيم ٠

وفى منطقة (مرواو) يربض الجبل على شكل أسد جاثم الى جانبه أسود فى مثل هيئته وكأنه نموذج مضخم من طريق الكباش ٠٠ والنيل يتدافع فى ثقة كأنه جيشا من مياه يغزوه ويقلم أظافره ويطوقه كمن يضرب حوله حصارا ٠

ومن الطريف ان أهالى « أبو هور » و « مرواو » و « ماريه » ظنوا أنفسهم فى مدن القنال الثلاثة بور سعيد والاسماعيلية والسويس ٠

وبين قرية مارية وقرية قرشة وينطقها أهلها جرشا توجد قلعة سباجورا ٠٠ وهى قلعة رومانية (أواخر العصر الرومانى) ٠

وهذه القلعة قامت بالحفائر فيها بعثة ايطالية أربع مواسم متتالية سنة ١٩٥٨ ، سنة ١٩٥٩ ، ١٩٦٠ ٠

وتقابل « قرشه » قرية جرف حسين على الضفة الغربية وفيها معبد جرف حسين وهو معبد الاله بتاح ويقع على مسافة ٩٠ كيلومترا من

خزان أسوان ومعظمه منحوت فى الصخر ٠٠ والى الجنوب من المعبد خمس مشايخ :

الشيخ عبد الجليل ـ الشيخ عبد الرحيم ـ الشيخ سعد ـ الشيخ يزيد والشيخ أزيد ٠

وعند قرية توشكا غرب فى الجنوب من عنيبه شركة يوجوسلافية تقوم بابحاث على التربة هناك حتى تتوصـل الى مبدأ امكان حفر ترعة تغذى (الوادى الجديد) بدلا من الآبار ـ الذى يقع الآن فى الجنـوب الغربى من أسيوط ٠

نحن الآن أمـام كشتمته ويشتهر أهلهـا بفراهة الطول ٠ وعلى الضفة الغربية قرية الدكة وفيها أربعة آلاف فدان استصلحت وكانت تروى بالطلمبات ولكن أهالى الدكة هجروا أيضا وسـوف تغمر المياه الجديدة هذه الأرض الجديدة التى كانت تجود بالليمون والمانجو من أجود الثمار ٠ وبالدكة معبد يقع على الضفة الغربية للنيل على بعد ١٠٧ كيلومتر جنوب خزان أسوان كان يعبد به الاله (تحوت) اله الحكمة كما عبد به خنـوم وايزيس ٠٠ وبالمعبـد نقوش من عهـد حتشبسوت وتحتمس الثالث وسيتى الأول ومرنبتاح ٠ وبه رسـوم تمثل القديسين حيث حول المعبد الى كنيسة ٠

ولسنا وحدنا فى ركاب النيل الآن فالليل معنا ٠٠ تتملاه نجومه مثلنا ٠٠ الليل والنيل وبقايا الوان الشفق وراء الجبل منظر جميـل مشحون بالأسرار ٠٠ ويعمق الليل ويعمق وتكشف دكنته فتبدو قطع الظلام من بعيد على صفحة النيل كالجبال ٠

وبعـد الدكة قرية (العلاقى) وهذه القرية كانت بهـا المحاجر والمناجم التى كان الفراعنة يستخرجون منها الذهب الذى كانوا يسمونه ثوب واليه ينسب اسم النوبة أى بلاد الذهب وهناك أغنية نوبية تقول :

(دهب نوى ونوبه) ومعناها يا اسم الدهب يانوبو ٠

والتاريخ يذكر قيام الملك « جر » أحد ملوك الأسرة الاولى ، بحملة بحرية ، وصل فيها الى « بوهن » حيث ترك لنا نقشا على صخور جبل الشيخ سليمان ، يوضح المعارك البحرية التى انتصر فيهـا على القبائل هنـاك ٠

وقد زاد اهتمام الملوك بالنـــوبة السفلى بعد هذا التاريخ وذلك لأهميتها كطريق للتجارة الى الجنوب ، ولغناها بالذهب ، والأحجـار والأخشاب · وقد كشف حديثا عن محاجر « الديوريت » الواقعـة شمال غرب « توشكه » وعرف لأول مرة المصدر الذى جاءت منه تماثيل الملك خفرع التى عثر عليها فى معبده بالجيزة ، كما عرف أيضـــا مصــدر الأوانى (الديوريت) الجميلة التى شاعت على عهـد العصر العتيق ؛ كما وجدت فى هذه المحاجر أسماء بعض ملوك الدولة القديمة مثل خوفو وسحورع وأسيسى مما يدل على اهتمام ملوك هذه الدولة بجلب الأحجار من هذه المحاجر) (١) ·

وبعد العلاقى قرى « قورته » و « المحرقة » وبعد المحرقة «السيالة» و « المضيق ثم وادى السبوع وبالمحرقة معبد صغير من العصر الرومانى رقم ١٩٠٨ · وبهـــا قلعـــة من العصر البيزنطى » وهو يقع على بعد ١٥٠ ك·م من أسوان وبه ثالث معابد رمسيس الثانى فى بلاد النوبة (مرتبه من الشمال الى الجنوب) ·

وينفرد معبد وادى السبوع بأكبر عدد من أبناء وبنات رمسيس الثانى تراهم على جانبى الفناء المفتوح ، وبه عشر تماثيل على الجانبين تمثل الملك على هيئة الاله أوزوريس وعلى جدران هذا الفناء نجد صور جميع أبناء وبنات رمسيس ·

ولما ان المعبد قد حول الى كنيسة فى العصر القبطى فاننا نجد مدخل صالة الأعمدة على الطراز القبطى يعلوه صليب · والاضـافات القبطية فى البناء كانت مبنية باللبن ·· كالمذبح الذى نراه فى صالة الأعمدة · وبالطبع عند نقل المعبد سيقام على صورته الفرعونية فقط وقد جاءت بعثة يوجوسلافية ونظمت النقوش القبطية نقلا علميا قبل ازالة المبانى الطينية ·

وصالة الأعمدة بها اثنا عشر عمودا مربعا نقشت على جوانبها مناظر تمثل الملك فى علاقاته مع الآلهة المختلفة ·

أما قدس الأقداس بهذا المعبد فعلى جداريه الأيمن والأيسر منظران يمثل كل منهما الملك رمسيس الثانى يقدم القرابين ويحرق البخور أمام قارب مقدس تدل الأبحاث على ان أحدهما للاله آمون والآخـر للملك

---

(١) كتاب « مشروع انقاذ آثار النوبة » ·

رمسيس الثاني كاله ٠ والمعروفان لكل اله من الالهــة الرئيسية فى مصر الفرعونية قارب خاص عليه القادوس الذى يحوى تمثال الاله ٠

وفى الطاقة بالجدار الغربى من قدس الأقداس نجد صورة بالألوان للقديس بطرس بعد ان قام الأقباط فى العصر القبطى بازالة التماثيل الثلاثة التى كانت قبلا ومنها تمثال للاله آمون رع ملك الالهة والذى أقيم من أجله المعبد ٠ وعلى جانبى الطاقة صورتان لرمسيس بالتاج الملكى يحمل الزهور فيبدو الآن كما لو كان يقدم القرابين للقديس بطرس

وعلى الجدار الشرقى لقدس الأقداس والذى به المدخــل صــورة لرمسيس فى حضرة الالهــة موت زوجــة الاله آمون رع ملك الالهــة على جانب ٠

وصورة لرمسيس فى حضرة الالهــة حتحور على الجانب الآخـــر (على يمين الداخــل الى قدس الأقداس صورة لرمسيس أمام الاله رع (حور آختى) أى الشمس فى شرقها وقد بنى رمسيس الثانى معبد (أبو سمبل) من أجل هذا الاله ٠

والى يمين الداخل الى قدس الأقداس وفى الصالة المؤدية اليـه منظر يمثل رمسيس الثانى أمام الاله رع حوراختى ورمسيس الثانى كاله والالهة أبو عاسى والى اليســار منظر آخـــر يمثل الملك أمام الاله آمين سيد الكرنك والملك كاله و ٠٠ الالهة موت زوجة آمون ٠

وعلى جانبى صرح معبد وادى السبوع تمثالان للاله رمسيس وقد امتــد أمامه صفان من الأســود يعلو الجسم منها رأس رمسيس لابســا التاج الموحد رمزا الى انه فى قوة الأسد من حيث الضلاعة الجسدية الى جانب عقل الانسان وقوة لملك الحاكم ٠

وهذان الصفان من (الســباع) وراء تسمية المنطقة التى أطلق عليها ٠٠ أهلها (وادى السبوع) ٠

وقد غمر النيــل الآن الصفين فلا يظهر منهما الا التيجان وكأنه تراجع عن امارة العز ورمز الهيبــة والجــلال ٠٠ كم أعطيت يا وهاب وكم أبقيت ٠

وفى وادى السبوع ســـد العمال طريقــا معبدا مرصــوفا طوله ٥ كيلومترا من المعبد فى موضعه الحالى الى المكان المزمع اقامتـــه فيه وهو غرب الموضع الحالى وقد تم هذا الطريق ٠

وفى ساحة المعبد عمال كثيرون ينشرون الحديد وعمــال ينقلون أعمدة الخشب الغليظة وعمال يتعايشون مع أحجرة وآخرون مع رسومه ونقوشه حتى ترابه يحسب له حساب ٠

ووراء العمــال مهندســون مصريون وكيمائيون وأثريون ومرممون يحملون الاجازات العاليـــة والجميع يعــرفون القيمة الحقيقية للمعبد فلا يبرحونه الا بالمناوبة ٠

وفى وادى السبوع لفت انتباهى (بيت الغفير) برسومه وزخارفه حتى ليسأله عنه كل من يزور وادى السبوع لشهرته فى المنطقة ٠ وقد هجره صاحبه مع من هاجر ٠٠

وقد حرص المقاول الايطالى فيشيا على شرائه منه ٠

وبعد وادى السبوع تقع قرية المالكى وأظهر ما فيها بنــاء لمدرسة هجرت هى الأخرى ٠ نحن الآن أمام قريتى شاتورما وسنكالى وعندها يسير النيل فى انثناءة شبيهة بانثناءة قنا ٠

ثم (مررنا أمام قرية كورسكو ومما يذكر ان أهلها مازالوا بها لم يهجروها بعد ، على ان هناك قرى جنوبها هاجر أهلها ٠ الجبــال فى هذه المنطقة رءوس مثلثات والأشجار غرقى ٠٠ والنخيل غطس غير انه يشرئب من آن الى آخر فيخرج رءوسه على صفحة الماء ٠

وفى هذا المكان طابية كان السياح قبل التعلية الثانيـــة للخزان يصعدون اليها الجبل يحملون النظارات المعظمــة ليروا منها شروق ٠٠ الشمس ٠٠ ويقال ان هنــاك طريقا ٠٠ للقوافل فى الصحراء بين كورسكو وأبو حمد فى السودان ٠ ولعل الأغنية النوبيـــة تؤيد هذا ومطلعها :

من كروسكو الغيب شديت أبو حمد جبل النميمة طبيت

والغيب هنا معناه الغروب ، شديت أى شددت الخطى للسفرة ٠٠ والنميمة أى النوم وطبيت أى وصلت وبهذا يكون المعنى العام ان القائل بدأ رحلته من كروسكو عند الغروب فوصل (أبو حمد) قبــل النوم أى ليلا ٠

نحن الآن فى طريقنا الى قرية (أبو حنضل) وبهذه المناسبة أقول ان النوبة قسمان ٠٠ هما موضوع حديثى القادم فمن حق النوبة ان يفرد لها الحديث ٠

النوبـــة

وقفنا بالحديث فى المرة السابقة عند قسمي النوبة ، وقســـماها هما :

١ ــ النوبة العليا

٢ ــ النوبة السفلى وهى النوبة المصرية

النوبة السفلى المصرية : وفيها ثلاث لغات :

١ ــ اللغة العربية

٢ ــ اللغة الكنزية

٣ ــ اللغة الفادكا

اللغة الكنزية : ويتكلمها الاهالى من شمال أســـوان حتى بلـدة (المضيق) ٠ وهى لغة حامية فيها بعض الالفاظ العربية ٠ وهى لغـة الحديث بين أصحابها وليست لغة كتابة اذ انهم فى مكاتباتهم يستخدمون العربية ٠ وأصحاب هذه اللغة سموا (الكنوز) نسبة الى (كنز الدولة) كان أيام الحاكم بأمر الله شخصا معارضا فاضطهده الحـــاكم ففر الى الصعيد فجعل الحاكم جعلا لمن يقبض عليه فقبض عليه حاكم منطقـــة أسوان فكافأه الحاكم بالطبع ٠ ويبدو أن المصريين تندروا عليه كعادتهم فسموه (كنز الدولة) اشـــارة الى المال الذى قبضـــه من الحاكم ثمنـــا لوشايته ، وسموا أتباعه (الكنوز) ٠

اللغة الفادكا : وهى شائعة فى المنطقة من قرية أبو حنضـــل حتى الجندل الثانى المعروف باسم الشلال الثانى وهى لغة حامية كاللغـــة الكنزية غير انها تغلب عليها الطابع التركى أو المملوكى ٠ ولهذا قصة ٠٠ فعندما اقترف محمـــد على مذبحة القلعة ٠٠ المشهورة فر المماليك والالبان الى الصعيد ومنها الى بلاد النوبة وتجمعوا فى منطقة (ابريم) على مقربة من عنيبة وهناك اختلطوا بالاهالى وتزاوجوا معهم ٠ ومما يذكر ان الجمال فى هذه المنطقة عالى النسبة وله طابع جميل فالبشرة الخمريـــة المشوبة بصفرة خفيفة رقيقة تزيدها شقوفا وحلاوة ، والعيون السود ، والشعر الفاحم ٠

والاسماء هناك تسمع بينها (أغا) و (الكاشف) وغير هذا كثير

من الألفاظ التركية نجدها في لغــة الفادكا كمــا أن بينهما وبين اللغــة الكنزية ألفاظ مشتركة ٠

ولغة الفادكا لغة كلام فقط لأنهم يكتبون بالعربية ٠

هذا من حيث اللغات أما من حيث الطبيعة فالنوبة المصرية قسمان أيضا :

القسم الشمالى (البحرى) وهو جدب غالبا ٠٠

القسم الجنوبى وهو مزروع فيه زرع ونخيل ٠٠

أما النوبة السودانية فهى تبدأ من وادى حلفا أو على التحديد بلدة (فرس) حيث أنقذت البعثة الهولاندية كنيسة فرس ٠

وصلنا الآن قرية (أبو حنضل) التى يتكلم اهلها لغة الفادكا ٠ على البعد أرى انسانين كأنهما عصوان سوداوان يدبان على الأرض أرجح انهما من الصيادين لأن الشاطىء عندهما يركن اليه قاربان صغيران من قوارب الصيد ٠

وبعد قرية (أبو حنضل) مرت باخرتنا أمام قريــة (الديوان) ويلاحظ أن اسم القرية عليه الطابع المملوكى التركى ٠

نحن الآن امام قرية (الدر) وكانت قديما قبل انشاء خزان أسوان عاصمة النوبة وفى الدر معبد لرمسيس الثانى وفيها مسجد وفيها مدرسة ابتدائية ونسبة التعليم بالدر مرتفعة نسبيا (بين الذكور بالطبع) ٠

ويقابل الدر فى الغرب (توماس) وقرية توماس دون سائر قرى بلاد النوبة ٠٠ ستهجر الى اسنا وذلك أن كثيرين من قريتى تومـــاس وعافية ، هاجروا من تلقاء أنفسهم الى اسنا عند التعلية الثانية للخزان واستوطنوا بها ٠ فلما جاء التهجير الجديد ، احست توماس ، اسنا ، أقرب البلاد اليها ٠

وتضم قرية توماس نجع الشيخ داوود ٠

وعلى صخور توماس سجل قدماء المصريين فى عهد الدولة القديمة نقوشا كثيرة تنم على اهتمامهم بالنوبة السفلى وقد عثر فى توماس على نصوص ترجع الى عهد ملوك الاسرة الخامسة والسادسة لابل استشرف اهتمام مصر بالنوبة فى عهد هذه الاسرة الى اكتشاف مجاهل أفريقيــة

فوصلت الى الشلال الثاني ثم امتد النفوذ المصرى حتى « كرمه » عند الشلال الثالث • وعند « كرمه » هذه بنى امتمحات الأول •• قلعة كما يعزى الى سنوسرت الأول بناء قلعة « كومان » لفتح مناجم الذهب فى وادى العلاقى •• واتصلت عناية الملوك الفراعين بالنوبة حتى بلغت هذه العناية ذروتها فى عهد رمسيس الثانى صاحب معابدها المشهورة التى تختلف الدنيا فى أشياء كثيرة وتتفق على انقاذها وتذهب الدول مذاهب شتى وتبتقى عندها أثرا نفسيا تعتز به حضارة الانسان •

الآن أتوقف قليلا وأصف معبد عمدا والطريق الى عمدا على يمين السايح اليه جبل أملس رماله حرير أصفر فى لون المشمش تسطع عليه الشمس فتجعل لونه براقا • وعند القمة تطل رءوس صخور بنية اللون ولكن الجبل فيما يلى النيل قطيفة برتقالية وكأنه حلية للضفة المدلة بالنهر العظيم •

ويلى هذا فى شبه قوس ، جبل تعلوه بيوت صغيرة وأشجار صغيرة •• تكسو الجبل طبقة رمادية اللون فى مواضع منه ، وفى مواضع أخرى طبقة صفراء وتلمس الشمس المنظر فتجعل الرمادى على البعد بنفسجيا مشربا بحرة ، وتجعل الاصفر قرمزيا • ويتكرر المنظر على يسارى فيخيل الى أن الجبل يطوق النيل ويجعل من ذراعيه دائرة حوله ، فما نكاد نصل الى محيطها الموهوم حتى تنفرج ذراعا الجبل أمام الدافق المنساب فيمضى فى موكبه ونحن فى رحابه •• والجبل فى خدمته لا يزال فهو يقف آنا ممتثلا ويبدو أحيانا على شكل صف من وحوش ضخمة رابضة فى تربص تقوم على حراسة النيل •

أما معبد عمدا فقد بناء الملك تحتمس الثالث من ملوك الاسرة الثامنة عشرة من الدولة الحديثة ويعتبر تحتمس أعظم ملك مصرى يعتز به تاريخنا سواء فى فتوحاته الحربية أم الانشائية •

وقد مات العظيم تحتمس ولم يكمل معبد عمدا فأكمله ابنه امنوفيس الثانى ثم تحتمس الرابع •

وفى مدخل معبد عمدا تضح الثنائية المصرية فعلى يمينه الملك تحتمس الثالث لابسا تاج الوجه البحرى (الأحمر) فى حضرة الاله

حورآختي وعلى اليسار نجد تحتمس لابسا تاج الوجه القبلى ·· فى حضرة الاله حورآختى ·

وفى المدخل من الداخل نجد (خراطيشا) تحمـــل اسماء (من معات رع) وهو سيتي الأول والد رمسيس الثانى الذى نقش اسمه على معبد عمدا · وكانت هواية رمسيس الثاني نقش اسمه على المعابد ·

ويلى المدخل صالة الأعمدة وفيها ستة أعمدة ، وعلى الجدار الأيمن من صالة الأعمدة نجد الملك تحتمس الثالث فى حضرة الاله خنوم ثم صورة « تحوت » فى يده قلم على بروز فى الحائط · وتحوت اله الحكمة والمعرفة فى مصر القديمة وكان فى عصر من العصور يعتبر وزيرا للاله رع · وفى هذه الصورة يرمز الفنان المصرى لتحوت بطائر الابيس كما يرمزون للاله تحوت بالقرد ·

ومن الاله تحوت جاء اسم (التحامسة) فموس معناها مولود · وتحتمس ·· (تحوت موسى) معناها مولود الاله تحوت · ويذكرنا هذا بموسى (موسى ى) أى هاتوا المولود هتفة فرعون عندما رقى اليه الخبر فى القصة المعروفة ·

والاله تحوت هو الذى اتخذته جامعة القاهرة شعارا لها ·

فاذا تجاوزنا صورة اله الحكمة رب القلم وجدنا صورة أخرى له وهو يسجل سنى حكم الملك فى شجرة تسمى الشجرة المقدسة والشجـــرة المقدسة (ظاهرة) نراها فى كل المعابد ·

ثم تحتمس فى حضرة الاله حتحور ·· ثم فتحة مكتوب عليهـــا الدعوات ··

وعلى الجدار الغربى من الصالة الملك تحتمس الثالث بتاج الوجـــه البحرى فى حضرة الاله خنوم ذو رأس الكبش والاله يعطى رمز الحياة الى الملك ·

ثم تحتمس فى حضرة الاله حور آختى ثم فى حضرة آمون رع ملك الآلهة ··

ثم تحتمس فى تاج الوجه البحرى ثم تحتمس فى تاج الوجـــه القبلى ··

وعلى الجدار الايسر الملك تحتمس فى حضرة الالهة ايزيس ثم الاله أمين رع ثم الاله تحوت ثم الملك تحتمس الثالث ٠

ثم تحتمس الثالث بين الاله حورآختى والالهة سانت زوجة الاله خنوم ٠

وبعد هذا ندخل صالة مستطيلة على الجدار الغربى فيها ثلاث مداخل تقضى الى ثلاث حجرات صغيرة ٠

الحجر الأولى : على جدارها الأيمن نجد الملك امنحتب الثانى فى حضرة الاله رع حور آختى ٠

وعلى الجدار الأيسر نجد الملك تحتمس الثالث فى حضرة الاله رع حور حورا ختى ٠

وعلى الجدار الغربى الملك امنحتب الثانى فى حضرة الاله آمون رع ٠

الحجرة الوسطى : على الجدار الأيمن نجد الملك تحتمس الثالث فى حضرة الاله آمون رع والالهة سانت والاله حور آختى ٠

وعلى الجدار الغربى لوحة تذكارية تسجل تاريخ بناء المعبد ٠

وعلى الجدار الأيسر امنحتب الثانى فى حضرة الاله آمون رع ثم فى حضرة الاله حور آختى ثم فى حضرة الآلهة حتحور ٠ وفى نهاية هذه الحجرة نجد مدخلين على يمين ويسار يفضيان الى حجرتين صغيرتين كانتا فى الحقيقة جزءين من الحجرة الأولى والحجرة الثالثة ثم عزلا عنهما فى العصر القبطى ٠

الحجرة الثالثة : وبها صور للملك فى حضرة الآلهة المختلفة ٠

ويلاحظ ان نقوش هذا المعبد وكتاباته بارزة ٠

ومعبد عمدا يعتبر من أكبر المعابد الموجودة فى النوبة كما انه أول المعابد التى شوهت فى عصر الملك اخناتون الذى كفر بالآلهة ونبذ الاله آمون ودعا الى عبادة الاله آتون أى القوة التى تحرك قرص الشمس ٠ وهو أسمى ما وصل اليه تفكير الانسان قبل الرسالات والأنبياء ٠

ومعبد عمدا من المعابد التى تحولت الى كنائس ولنقوش معبد عمدا أهمية تاريخية ٠

نحن الآن أمام قرية (عافية) وفيها عملت البعثة الهولندية ٠ أرى

سربا من البط أبيض الرءوس والرقاب أسود الجسم سابحا فى النيل في وحـــدة متآلفة كمـا تخرج نسـاء الريف جمعا يتهادى • وأمـواج النيل قمم طفله خضراء يتناسعن صفوفا صفوفا فى رأى العين وأحيانا يبدو النهر الجميل المعشوق كأن صفحته حرير أخضر من (كاروهات) متحركة أو ريجات مرتعشة وقد نثرت عليها الشمس نقطا كبيرة فضية بريقهـا خاطف كالبدرة ولكن التى نلقيها هنا أم (العريس) •

وبعد قرية عافية قرية (قتا) ثم قرية (ابريم) ثم قرية (عنيبة) وقد أصبحت عنيبة مركز النوبة بعد الدر • وفيها مستشفى كبير ومدرسة ثانوية داخلية ومركز بوليس ويعقد بها مجلس قضائى كل أسبوع اذ يأتى اليها قاض من أسوان يفصل فى المشاكل العادية اذ لا تقع بالنوبة جرائم • وفى عنيبةمشروع الطلمبات وبها أرض مستصلحة • وبها من الآثار مقبرة (بنوت) حاكم الاقليم فى عصر رمسيس •• السادس •

والى الشمال من عنيبه توجد مقبرة اهتم بها الخبراء وأوصوا بنقلها• مقبرة لا تزال نقوشها تزهو بألوانها وان لم يبق منها غير غرفة صغيرة تلك هى مقبرة بنوت الذى نحتها فى الصخر فى عهد الملك رمسيس السادس•

وهذه المنطقة التى تضم (عنيبه) و (قصر ابريم) منطقة أثرية كان الفراعنة •• يرتكزون عليها فى الدفاع عن الجنوب وأحجـارها تحتفظ بأسماء الملوك تحتمس وطبراقة كما تحتفظ صخور منطقة معبد الليسيه الذى بناه الملك تحوتمس •• الثالث بنقوش يرجع تاريخها الى عهـــد الدولة الحديثة •• وبين الليسيه وقصر ابريم نقوش من الأسرة الحادية عشرة •

وفى جنوب قصر ابريم كنيسة صارت الى مسجد وان ظلت تحتفظ بطابعها المعمارى وقد أوصى الخبراء بنقلها •

وأخيرا هناك هياكل ابريم وعددها خمس لملوك مصر :

تحوتمس الثالث ورمسيس الثانى والملكة حتشمبسوت وتحوتمس الثالث وامنوفيس الثـــانى الذى تمثله النقوش فى عزة الفراعين يتقبل الجراية من أهالى الجنوب ••

❋ ❋ ❋

وقرى توماس وعافية وابريم وعنيبة وفرقندى ، لم تهاجر بعد ومن

المناطق التى تنتظر دورها فى الهجرة (بلانة) ثان وثالث وجزء من (أبو سمبل) ٠

نحن الآن أمام قرية (الجنينة والشباك) والاسم كما يبدو شاعرى وطريف وربما تزيد طرافته اذا عرفنا ان هذه القرية ليس بها (جنينة) اذ انها تقع على الضفة الشرقية للنيل ٠ وقد سارت الأخبار هذه الأيام بأن أهالى الجنينة والشباك يعيشون فى قصة حبيبة اليهم ٠ فقد أصروا عندماأزمعوا الرحيل على أن يصحبوا معهم طفلا عاش فيهم منذ قرن مضى كالحلم الوردى أو الطيف السارى فتعلقوا بذكراه تعلقا يمتزج فيه الحب بالتوقير الذى يحيله الزمن كلما تقادم الى كرامة تلتقى عندها الحقيقة مع الخيالات والأوهام ٠

هذا الطفل أصبح عنوانا فى صحفنا اليوم بوصفه (الميت الوحيد الذى هاجر الى النوبة الجديدة) ففى قرية الجنينة والشباك الجديدة (كان الجثمان يسير فى مشهد مهيب تحف به الزغاريد ودقات الطبول٠٠ بدلا من الصراخ والنحيب ومع ذلك فقد كان فى مقدمة المشيعين مندوبون عن وزارة الاسكان ووزيرة الشئون الاجتماعية ومحافظ أسوان ورئيس مجلس مدينة كوم أمبو وعشرات من رجال الشرطة وألوف من أهالى النوبة الذين جاءوا لتوديع الشيخ الميرغنى الى مقره الأخير) ٠

ولم يكن الشيخ الا الطفل الذى لم يتجاوز الثانية من عمره حين صحبه والده الحسيب النسيب السيد محجوب الميرغنى شيخ الطريقة الميرغينية فى سفره الى السودان واختار أن ترسوا الباخرة على قرية الجنينة والشباك ليواصل رحلته وعند عودته توفى صغيره فى الباخرة فقرر الوالد المحزون دفنه فى نفس المكان الذى صلى فيه عند ذهابه الى السودان وسماه « محمد الكبير » ٠

وينسج الخيال الشعبى حول لفظة « الكبير » هذه قصة لا تخلو من غرابة على طرافتها فأهالى النوبة يؤكدون لمن يتساءل أن يخهم الطفل كان يرفض الرضاعة فى شهر رمضان فاذا حل موعد الافطار أقبل الطفل على رضعته كما يقبل الصائم على طعامه فى ميقاته المعلوم ثم يصمت الراوى وكأنه يتساءل بدوره ، أليس عذرنا واضحا فى التشبث به ؟؟ أليس من حقه الاجلال والتوقير ؟؟

على أن هذه ليست المرة الأولى التى ينقل فيها الطفل الشيخ من

مرقده فقد نقل جثمانه للمرة الأولى عام ١٩٣٣ عند التعلية الثانية لخزان أسوان • فقد أخطر النوبيون الجهات الرسمية وطلبوا اليها نقل الجثمان من مكانه الى مكان أعلى من منسوب المياه بعد التعلية (وحضر مندوب من الحكومة ومأمور المركز وطبيب الصحة الذى أمر باحضار شهود لرؤية ممن حضروا الدفن حتى يتأكد من أن السيد محمد الكبير مدفون فى هذا المكان •• وفعلا استدعينا اثنين كانوا على قيد الحياة عمر كل منهما ٩٠ سنة الأول اسمه عابدين غيبة والثاني اسمه داود محمد موسى وقرروا كتابة ان هذا القبر هو قبر الحسيب النسيب محمد الكبير •• وبعد استجوابهم أمرت الجهات المسئولة باستخراج الجثة •• وبدأنا عملية حفر الأرض حتى وصلنا الى الجثة وكانت الدهشة عندما رأيناها كما هى وكأنها دفنت بالأمس •• فقد رأينا النصف الأعلى من الجثة كما هو والنصف الأسفل سليما ولكنه منفصل عند المفاصل فرفعناه ووضعناه فى كفن جديد ونقلناه الى ارتفاع بعيد عن منسوب المياه) •

ومن الطريف والغريب أن أهل عنيبة ، حين انتشرت الملاريا بالنوبة سنة ١٩٣٤ طلبوا نقل الجثمان اليهم باعتبار عنيبة مركز النوبة فرفض أهل الجنينة والشباك الا اذا انتقلوا معه جميعهم الى عنيبة فألغى نقل الجثمان •• الى هذا الحد يغالى أهل النوبة بشيخهم الصغير الكبير فاذ ينتشر الوباء يفكر قوم ، فى مقام الروع ، فى الشيخ الميت دون الأحياء ، وفى غمرة الخطر المحدق يشغل آخرون به عن أنفسهم فيرفضون نقله ويتبعونه أن القلب الانسانى أعلى شىء فىالدنيا اذا أحب واذا دان بالوفاء •

ويبدو أن النيل فى هذه المنطقة يدلل قراه كما نذلله • فبعد (الجنينة والشباك) مررنا أمام قرية (مصمص) وهى تذكرنا بالأستاذ مصطفى أمين فى مطلع حياته الصحفية •

وتقع قرية (توشكا) على الضفتين •• أما الشرق ففيه مقبرة أثرية ل (حكانفر) أى الحاكم الطيب وقد نهبت •• وحكا نفر كان حاكم المنطقة أيام توت عنخ آمون •

وفى أيام توت عنخ آمون كان هناك نبيلا من النبلاء اسمه (حوى) •• وحوى هذا له مقبرة فى الأقصر • وقد وجد فى مقبرة (حكانفر) صورة له تمثله وهو يقدم القرابين الى حوى ليقدمها الى الملك•

وقرية توشكا كان بها مشروع طلمبات شرقا وغربا •

وبعد توشكا تأتي قرية (ارمنا) وارمنا اسم قديس قبطي ٠

نحن في الطريق الى (فرقندى) سفح الجبل الذى يطل على النيل لونه برتقالى وهو مخطى الصفحة حتى ليخيل اليه انه من طمى لا رمال٠ وعندما ينتهى السفح البرتقالى نجد لافتة صغيرة كتب عليها (فرقندى) يكثف عندها النخيل ٠

ويلاحظ أن بيوت فرقندى سقفها مسطح لأنهم يستخدمون فيه جريد النخيل الذى تسخو به منطقتهم ٠

البيوت التى تكاد تكون خالية والتى كانت خالية تمثل الفن الشعبى أصبحت الآن تخدم فنا لآخر فهى فى الغروب تصنع من الشاطىء الذهبى وشفوف الأصيل والجبل والنهر والنخيل الباقى على العهد ، لوحات فاتنة يعرضها النيل الفنان ٠

ومن بعيد لمحت عينى على الجبل عربة تسير ٠٠ وراءها اثنان فى ملابس ٠٠ فرعونية زاهية ٠٠ يا الهى انها عربة رمسيس الحربية وانه هو فى ملابسه الزاهية وبزته ووقفته ٠ وهالته أيضا ٠٠ أحلم هو ولكنى فى النهار وفى تمام يقظتى الموكب يقصد الشفق الوردى الذى يلون الجبل ويذهب صفحة النيل وخشعت روحى ماذا أرى ؟ فراعنة يا الهى ؟ وهتفت برفيقى أنظر فقال : أين ؟ قلت هنالك ٠٠ قال : ماذا ؟ عربة وراءها اثنان فى زى فرعونى ٠٠ ومرة أخرى أخذ يردد أين أين لا أرى شيئا ٠٠ ولكنى كنت أرى كالمذهولة ٠٠ كنت أرى رأى العين فأخذت أردد بدورى : هناك ٠٠ هناك ٠٠ ها هى ٠٠ عربة ٠٠ تسير ٠٠

وكانت الباخرة قد اقتربت من المكان الذى رأيت فيه ما رأيت فلم نجد شيئا ٠٠

مازال هذا المشهد حيا فى ذاكرتى وشعوره وسيظل بألوانه الزاهية ٠٠ بنوره بروعته ٠٠ بدهشته أقصد بدهشتى أنا بروعى ٠٠ ان معابدهم مبثوثة فى هذه المنطقة لم ٠٠ لم لا يكون ما رأيت حقيقة ٠٠ لقد رأيت العربة ٠٠ رأيتها تسير رأيت رمسيس ولم أكن فى ذلك الوقت أفكر فى المعابد ٠٠ كنت فى هذه اللحظة مستغرقة فى النيل المتألق فى أفراح الأصيل واذا بعينى ترى ما رأيت ٠٠ هل شبه لى من امتلاء نفسى بهم خاصة فى هذه الرحلة ؟ ٠٠ هل الأغصان بأوراقها ٠٠ والشفق من خلفها صنعت من بعيد هذا المنظر ؟ ربما ولكنى رأيت العربة تسير ٠٠ رأيتها تسير ٠٠

ومرت فترة صمت طويلة كنت فيها هانئة سعيدة وكنت فيهـا حائرة شبه مرهقة كانت ألوان من الشعور ولا أتبين منها شيئا أولا يبين لى بينها موقف ·· هل رأيت ؟ نعم ريت ·· أحقا ؟ نعم حقا وصدقا ·· ألا يمكن أن يكون خيالا ؟ ولكنى رأيت العربة تسير ·· رأيتها تسير ·

* * *

الليل وبقايا الشفق وبقايا حديث وبقايا صمت والجبل شبه خط مستقيم كأنه لا تضاريس به هل نام النيل وشرب منه الجبل فى هـذه اللحظة قصة عرق الصبا ؟ ان قومنا فى الصعيد يعتقدون ان النيل ينام لحظة فى ليلة القدر والسعيد من شرب منه فى هذه اللحظة فانه يهبه من القوة ما يستطيع معه أن يمسح الريال بفركة من صابعه كما يقولون أما الشقى فهو الذى يقترب منه ساعة يقظته انه عندئذ يطويه ·· وهـو صدى لاعتقاد مصر القديمة فيه فقد كان أسلافنا يقولون بأن للنيل يوما فى السنة ينام فيه والسعيد من يشرب منه فى هذا اليوم انه يمده بفيض من القوة وروح من حياة ·

من بعيد تلمع نجمتان على صفحة الماء ·· اننا الآن موعودون بمعبد· (أبو سمبل) · النجوم تكبر وتكثر انهـا الآن جبـل من الثريات على صدر النيل من بعيد ·

الأنوار الآن تبدو دائرية ·· دائرة من النور وسط النيل يقابلها على الضفة اليمنى شريط من النور ·· هل عاد أوزوريس وهل النور لمعة عيون ايزيس من الفرح أو ابتسامات هانئة سعيدة يشرق بهـا وجه حورس ·

السماء فوقى تلمع فيها فجأة نجوم كثيرة الجبل الآن يبـدو أمامى كأنه استعرض فى النيـل على شـكل كوبرى ضخم يعـلو ثلاث شوارع مائية ·· وعلى البعد تقف عوامة مضيئة لقصر مسحور من قصور الأساطير كل شىء حولى أسطورة على النيل مسطورة فى النهر الخالد مسحورة ·

أبو سمبل ·· أنا أكتب واقفة اجلالا للملوك أبناء الشمس ·

أبو سمبل وقد عكست عليه أنوار الكشافات المغروسة فى الرمال عند قدميه ·

عيني وقد تجمعت فيها حواسي كلها ·· عيني تطل منهـا روحى ، على ملكي رمسيس الثاني ·· لولا ضخامة التمثال لقلت لـكم انى أراه ولكن هل يمكن أن يكون هذا الوجه من الحجر ·· انه وجه حي ·· وجه منعم ملامحه صافية ·· عيون هانئة قريرة وشفاه ريا جذلانة تكمن فيها ابتسامة ينم عنها بشر الوجه كله ويخفيها أو يداريها ولا يواريها ، وقار الملك وجلال الفراعين ·

رمسيس وله الجلسة مطمئنة واثقة وسمت مستقر ظافر ·· أليس في ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون ؟؟

ان الأولين والآخرين فى خدمته أولئك نحتوا معبده فى الجبـل وهؤلاء يقومون الآن بصيانته ورفعـه فوق الجبـل والى جانبـه الجميلة نفرتارى كما اشتهى واختار ·

ان مصر مولعة بتخليده فى القديم والحديث ·

أنا لسعدى ، فخورة مبهورة ولـكنى لست وحـدى فالعمال أمامي يعملون في جو روحي وتسرى الى أذني من على يمين وشمال الفاظ : حضارة ··· فن فأتلفت فاذا القائل اولئك الذين لوحتهم الشمس وشقق أرجلهم الحصى والرمال ·· أولئك الكادحون المجهولون الذين يصنعون التـاريخ بانقاذهم التاريخ ··

آمنت بالانسان المصرى الأول ·· الذى روض الصخر وصادق النهر وتحدى قوى الطبيعة على قلة وسائله ونقل الأحجار ورفع البناء ورسم ونقش التماثيل لها شفاه ترى وعيون تبتسم ·

وآمنت بالانسان المصرى الحاضر الذى آل على نفسه أن يستخلص من الجبل معابده غير عابيء بالصعاب لأنه يعرف انه حفيد أولئك الذين لم يقف فى طريقهم شيء على طول التاريخ ·

وآمنت بالانسان فى كل مكان فحولى فى كل مكان أحل به وجوه مختلفة الألوان ، جاءت من وراء البحار تسعى للشرف الكبير انقاذ حضارة الفراعنة أى حضارة الانسانية ·

معبد أبو سمبل

والاسم القديم للمنطقة (أبشيك) ·· غير ان هناك قرية فى الشرق اسمها أبو سمبل وقد شاع تسمية المعبد باسمها ·

وقد سبر المهندس المصرى القديم الجبل وفتح قلبه ليتربع فيه معبد مليكه بين ثلاث طبقات صخرية ٠٠ السفلى صلبة لتكون بمثابة الأساس للمعبد والعليا مثلها صلبة لتحتمل الجبل فوقه أما الوسطى فرملية لينة ٠٠ يسهل تشكيلها ٠٠ الى هذا المدى بلغ علمهم بطبقات الأرض (الجيولوجيا) وهذه الدلالة قيمة كبيرة من قيم هذا المعبد العظيم ٠

كما نحت المعبد بحيث تشرق عليه الشمس أول ما تشرق فى ميقات معلوم من شهر أكتوبر وشهر فبراير يقدر أن الموعدين يمثل أحدهما مولد رمسيس أى (عيد ميلاده) ويمثل الآخر عيده الثلاثينى أى بلوغ حكمه الثلاثين عاما وكان ملوك مصر من يبلغ منهم هذا الأمد فى الحكم يحتفل به احتفالا كبيرا واعدا ٠

وقد ظلت الشمس على موعد مع المعبد آلاف السنين لا تتقدم ولا تتأخر ولا تتحول ولا تريم ٠٠ الى هذا المدى بلغ علمهم فى الفلك وهذه الدلالة قيمة كبيرة من قيم هذا المعبد العظيم ٠

نحن الآن أمام المعبد الكبير التى بلغ ارتفاع واجهته ٣٣ مترا وعرضها ٣٨ مترا معبد رمسيس حيث تطل علينا من عليائها تماثيله الأربعة التى يبلغ طول التمثال منها عشرون مترا ٠ ويعلو المدخل تمثال للاله حور آختى اله المعبد متوسطا التماثيل ٠٠ الأربعة يعلو هذا صفان من النصوص الهيروغليفية عبارة عن أسماء وألقاب رمسيس الثانى وفوق هذا صف من القردة رافعة أيديها الأمامية محيية اله الشمس عند الشروق ٠

وبين يدى الملك تماثيل لزوجته نفرتارى وأمه وبناته وأبنائه ٠٠ والى اليمين واليسار اله النيل (حابى) ٠

فاذا دلفنا الى المعبد وطالعنا الجدار الشرقى على يمين رأينا ٠٠ (رمسيس) لابسا التاج المزدوج وفى يده دبوس القتال وقد تجمع أعداؤه تحت قدميه يسترحمون ٠٠ بأكف ضارعة ٠ وأمام رمسيس الاله حور آختى ٠

وفى منتصف الحائط صف من بنات رمسيس وعددهن تسع تحمل كل منهم الصلاصل (السستروم) ثم رمسيس فى حضرة الاله أتوم (اله ظهر فى رأى قدماء المصريين على تل فى محيط وخلق من نفسه الهين

السماء والأرض فتزوجا وخلفا اثنين تزوجا وأنجبا أوزوريس ـ ايزيس ـ ست ـ تفتيش) .

ثم رمسيس فى حضرة الاله خنسو اله القمر ثم رمسيس فى حضرة الاله (مين) اله التناسل ثم رمسيس فى حضرة الاله حور آختى والآلهة سخمت .

وعلى يسار الداخل رمسيس فى حضرة الاله آمون رع وبينهما الأسرى الشماليون والجنوبيون .. وفى وسط الجدار صف من الأمراء وعددهم ثمانية ثم رمسيس فى .. حضرة الاله حور آختى ثم رمسيس فى حضرة الاله بتاح ثم رمسيس فى حضرة الاله آمون رع ، ثم رمسيس فى حضرة الاله آمون رع والالهة موت .

صالة الأعمدة :

وفى صالة الأعمدة ثمانية تماثيل لرمسيس من الطراز الأوزيرى فهى فيما يلى الجانب المطل على الممر على هيئة أوزوريس وهذه الأعمدة مربعة قدت من الصخر وعليها رمسيس فى حضرة الالهة المختلفة وخاصة الاله آمون رع والاله حور آختى وسقف الصالة مزين تارة بالصقر المجنح وتارة بالنجوم ..

وعلى جدران صالة الأعمدة نجد مناظر حربية تمثل رمسيس فى حروبه مع أعدائه فى الشمال والجنوب . ولعل أروع نقوش المعبد العظيم معركة قادش ورمسيس البطل يجندل أعداء مصر فينهارون ما بين صريع ، وجاث على قدميه يستغفر ، وضارع الى الالهة المصرية أن تتشفع له عند الملك الجليل . ان المصرى ليدخله الغرور لا محالة والزهو والفرحة وهو يرى رمسيس ، نسيت أقول والحب ، قد شعر للمعركة وكل ما فيه قد استحال شبابا منقضا حتى لجام جواده قد شده الى وسطه لتتفرغ يداه للطعن والنزال .. وقد صوره الفنان المصرى يطأ بقدميه رقبة عدو ويطعن بيده آخر ويمسك باليد الأخرى .. تلابيب ثالث . لكأن المعركة لا تزال قائمة فقلبى يخفق من أجله وعينى تزغرد له ، ولهفتى ايهى على خطاه .. لقد لهثت أنا على بعد المعركة وبعد السنين وهو ماض كأبطال الأساطير لا يتوقف ولا ينال أعياء .

ان الجدار الشمالى من صالة الأعمدة صفحة عريضة من تاريخ مصر

تصور كيف زحف جيش مصر الى مدينة قادش بعرباته الحربيـة فيقهقر عنها جيش الحيثيين ويعود رمسيس بعد معركة فاصلة ظافرا معتليا عربته يمشى فى ركابه مع من مشى ، الأسد أسده الأليف ويعود الى عصره مظفرا ليقول أليس لى ملك مصر والحيثيين ..

ان الفنان المصرى العظيم يمثل رمسيس العظيم فى الأعمال الجاهدة ولا أثر للجهد عليه كأنه يأتى شيئا عاديا بل شيئا سهلا . فلا عضلات نافرة كالتى تبدو فى التماثيل اليونانية والرومانية .

وفى الجـدار الشمالى من صالة الأعمدة نجـد حجرتين استعملتا مخازن . وفى الجدار الغربى من هذه الصالة نجد ثلاثة مداخل المدخـل الأيمن يفضى الى حجرة مستطيلة بالجـدار الشـمالى منهـا نجد حجرتين طويلتين كانتا مخزنين . وعلى هذا النسق المدخل الأيسر .

أما المدخل الأوسط فيفضى الى صالة مربعة بها أعمدة مربعة على الجدار الأيمن والأيسر نجـد الملك رمسيس واقفا ومرتديا الزى الملكى يحرق البخور وتقف خلفه الملكة نفرتارى وفى يدها الصلاصل وأمامهما الكهنة حالقى الرءوس حاملين القارب ــ المقدس .

ومناظر هذه الصالة كلها مناظر دينية تمثل (رمسيس) تارة مع الثالوث المقدس لطيبة آمون وموت وخنسو .

ثم رمسيس فى حضرة الاله (مين) اله التناسل .

وعلى الأعمدة رمسيس فى حضرة الاله آمون الذى يحتضنه . كمـا نجد الالهة موت والالهة حتحور .

وبالجدار الغربى من هذه الصالة مدخل يفضى الى قدس الأقداس الذى يتصدره الآلهة الأربعة .. رع حور آختى ثم الملك رمسيس ، واضعا موضع الالهة ثم الاله آمون رع ثم الاله بتاح اله الصناع والفنانين وبين هذا الحرم وبين المدخل نحو ستين مترا × تقطعها الشـمس فى أيام معلومة من شهرى أكتوبر وفبراير من كل عام لتمثل بين يدى آلهة مصر الأربعة وتضىء الجباه الشماء التى أضاءت الدنيا .. وملأتها نورا ومجدا وعلما وفنا وقيما عالية يشرف بها الانسان فى مصر .. فى كل مكان يقدس الحضارة ويجل التاريخ .

هذا هو معبد أبو سمبل أجمل معابد مصر وأعظم بناء أودعه انسان

ضمير الصخر ليعد كما قال المدير العام لليونسكو فى ندائه ، (من أروع المنشآت المعمارية فى العالم) وقال الاستاذ جازولا (انهما « معبدى أبو سمبل » لا يخصان فقط الذين شيدوهما بل يخصان التراث الثقافى للانسانية جمعاء) (١) ٠

أما المعبد الثانى فقد بناه رمسيس لزوجته الأثيرة نفرتارى والهة المعبد الالهة حتحور ٠ والمعبد شكل فى الصخر وفى واجهته على جانبى المدخت ست تماثيل منها أربعة لرمسيس الثانى على وجهه ابتسامة مزهوة وفى عينيه ثقة وفرحة وفى وقفته اعتداد وعزة ، أستطيع أن أجزم أن فرعون موسى ليس وحده الذى قال (أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى) كلهم قالوها ٠ بل قلتها أنا فى سرى والعلن آلاف المرات ما أسعدنا بمصر وطنا يجرى فيه كل هذا النهر العظيم ٠

وعلى يسار المدخل تمثال للملكة نفرتارى ٠٠ نفرتارى الجميلة ترفع فى يدها آلة موسيقية تعلوها رأس الالهة حتحور وعلى يمين نفرتارى تمثال لرمسيس على رأسه التاج المزدوج وعلى يسارها رمسيس على رأسه التاج الملكى ويفصل التماثيل خراطيش ٠

يقف الى جانبى الملك الأمراء والأميرات الأعزاء عنده وأقربهم الى نفسه يسعى أمن حرخبشى اف أى سيف الاله آمون ٠

وعلى يمين المدخل ثلاثة تماثيل أيضا تتوسطها نفرتارى والى جانبيها رمسيس لابسا تاج الوجه القبلى ٠

صالة الأعمدة : وبها ستة أعمدة مربعة على الجانبين والأعمدة مربعة ٠٠ الجانب المطل منها على الصالة ينتهى عند القمة برءوس حتحورية أرى على جانب العمود الملكة نفرتارى انها جميلة حقا ممشوقة هيفاء عذبة القسمات خليقة حقا بحب الملك العظيم ٠٠ عينى لا تريد أن تتحول عن الصورة غير ملوم فيها الملك الجبار ٠

على الجدار الأيمن رمسيس الثانى لابسا تاج الوجه البحرى ممسكا بيده دبوس القتال يضرب به عدوا ٠ وعلى يمينه صورة للاله رع حورآختى ووراءه وقفت نفرتارى ٠٠ الجميلة ٠ كيف صور المصرى الفنان نفرتارى

---

(١) مشروع انقاذ آثار النوبة ص ١٨ ٠

فى شفوفها فلم يحجب الحجر الشفوف ولا ما وراءها • كيف طوع المصرى الحجر فيلس بل انصاع فحمله من الايحاءات واللفتات والبسمات والنظرات والحركات ما أراد له أن يروع به •

وعلى الجدار الشمالى رمسيس يحمل زهورا ويصب ماء أمام الاله خنوع ذى رأس الكبش يليه الملكة نفرتارى تحمل فى يدها آلتين موسيقيتين تقدمهما للالهة حتحور •

ووراء رمسيس الاله بتاح اله منف اله الصناع والعمال والفنانين •• وفى أقصى اليمين رمسيس أمامه عدد من القرابين ••

وعلى جوانب الأعمدة المواجهة للجدار الشمالى الاله خنسو اله القمر ثم الالهة موت الهة الحرب زوجة الاله آمون رع ملك الالهة ثم تمثال رمسيس • وعلى الجانب الآخر من العمود تمثال الاله حورس منطقة (ميعام) أى عنيبة ••

وعلى جانب عمود الالهة موت الملك رمسيس يقدم القربان بخورا وعلى جانب حورس كوبان (١) •

وعلى عمود الاله خنسو ، الاله خنوم له رأس كبش • ومن الناحية الأخرى الالهة ايزيس على هيئة الالهة حتحور ويفرق الأثريون بينها فى هذا المعبد بالكتابة •

وعلى يسار المدخل الاله آمون رع ثم رمسيس يؤدب أحد الخارجين عليه من الجنوب ثم الملكة نفرتارى •

أما الجدار الجنوبى فيمثل (رمسيس) فى حضرة الالهة حتحور التى تحمل فى الصورة آلة موسيقية حين حمل هو رمز العيد الثلاثينى لحكمه •

يلى هذا رمسيس بين الاله ست والاله حورس منطقة أيام •

يلى هذا الالهة عنفت زرجة الاله خنوم تقدم لها نفرتارى زهور اللوتس بيد واليد الأخرى بها الصلاصل الموسيقية •

يلى هذا رمسيس بالزى الرسمى يقدم رمز العدالة . الالهة ماعة الى الاله آمون رع ملك الالهة •

---

(١) كوبان نجع من قرية العلاقى •

الأعمدة على يسار المدخل :

العمود الأول على واجهتيه نفرتارى وعلى الواجهة الثالثة الاله حورس اله منطقة بوهن التى تقع فى حلفا عند الشلال الثانى ٠

العمود الثانى :

على واجهته الاله تحوت اله الحكمة والمعرفة ٠٠ وعلى الواجهة الأخرى الالهة ماعة الهة الحق والعدالة وعلى الواجهة الثالثة الالهة سانت زوجة الاله خنوم ٠

العمود الثالث :

على واجهته الملكة نفرتارى وعلى الوجهة الأخرى الالهة حتحور ٠ وعلى الواجهة الثالثة الالهة (ور كاووت) ٠

الجدار الغربى :

الجدار الغربى : من صالة الأعمدة به ثلاثة مداخل تفضى الى صالة مستطيلة أصغر من صالة الأعمدة ٠

والمداخل الثلاثة على يمينها ويسارها نجد الملكة نفرتارى فى حضرة الالهة حتحور ٠

أما المدخل الأوسط فعلى يمينه رمسيس بتاج الوجه البحرى وعلى يساره رمسيس بتاج الوجه القبلى ٠

ثم نفرتارى فى حضرة الالهة موت ونفرتارى تقدم اللوتس والبردى قربانا ٠

الصالة المستطيلة :

تلى صالة الأعمدة وأجمل منظر بها نجده على جدارها الشرقى وهو منظر ٠٠ التتويج وفيه تبدو نفرتارى بين الالهة ايزيس والالهة حتحور وهن ممسكات بعلامة الحياة (عنخ) ٠

وعلى الجدار الشرقى من الصالة المستطيلة منظر آخر يتمثل فيه رمسيس ووراءه نفرتارى تحمل زهرة اللوتس والصلاصل وأمامه الالهة وتا ـ ور) ٠

أما الجــدار الغربى ففى أعــلاه ثالوث اسوان الالهة خنوم وعنقت وسانت •• وأمامهم الملكة نفرتارى الرقيقة تقدم زهور اللوتس وتقــدم معها مائدة حافلة باللحوم والخبز والطيور قربانا •

يلى هذا رمسيس بالتاج المزدوج فى حضرة الاله حور آختى • والى اليسار رمسيس فى حضرة الاله آمون والملك يقدم له اناءين قربانا • كما يقدم رمسيس فى الطرف الأعلى من يســـار ، اللوتس قربانا الى ثالوث أسوان •

أما الجدار الجنوبى من الصــالة المســتطيلة فأظهر ما فيــه البقرة الحيوان المقدس للالهة حتحور وأمامها نفرتارى تقدم اليها الزهور قربانا •

فاذا ما خلفنا الصالة المستطيلة وجدنا قدس الأقداس وفى صدره تمثال للالهة حتحور رمزا لحنان الأمومة • ومن الطــريق اذا ما واجهنــا الجدار الشمالى من قدس الأقداس اننا نجد رمسيس الملك يقدم القربان الى رمسيس الاله ووراءه نفرتارى • أى انه يقدم الى نفسه القرابين •

وعلى الجانبين من باب قدس الأقداس نجد الاله حابى اله النيل وقد صوره الفنان ممتلىء الجسم امارة نعمة ورغد ووضع على رأسه اللوتس والبردى نباتية •• التقليديين •

أما الجدار الجنوبى فيشرق بالملكة نفرتارى تقدم البخور للالهة موت والالهة حتحور •

قصة مشروع انقاذ معبدى (أبو سمبل)

منذ القرن التاسع عشر والمهتمون بحضارة الانسان وآثاره الأولى تتجه عنايتهم الى معبد (أبو سمبل) ففى أوائل ذلك القرن ازاح «بلزونى» ــ وهو ايطالى الجنسية ــ الرمال عنه ثم تبعه فى منتصف القرن التاسع عشر أيضا ، « لبسيوس » الألمانى فأكمل تنظيف المعبد ولم يغفل صيانته مربيت أما مصلحة الآثار فقد عمدت الى بناء حوائط فى أعلى الجبل لمنع تسرب وانسياب الرمال على واجهة المعبد ومدخله •

اقترن مشروع انقاذ معبدى (أبو سمبل) ببناء الســد العــالى فان وصول منســوب الماء ستين مترا أعلى من منسوبه العادى يعنى غمر آثار النــوبة واغراقها • وكم ببلاد النــوبة من معابد ومقابر ومدن قديمة فى الرمال •

وقد أهابت الحكومة المصرية بمنظمة اليونسكو أن تقف وراء مشروع الانقاذ ، فوجهت اليونسكو نداء الى الدول والجامعات والهيئات العلمية المعنية بالآثار • وذلك فى الحقل التاريخى الذى أقيم فى مقر منظمة اليونسكو بباريس فى ٨ مارس سنة ١٩٦٠ ومما جاء فى نداء المدير العام لليونسكو •

(بدأ العمل فى بناء السد العالى ، الذى سيحول وادى النيل الأوسط الى بحيرة واسعة فى خلال خمس سنوات ، مما يهدد بالغرق أبنية عظيمة تعد من أروع المنشآت المعمارية فى العالم) •

وليس من السهل الاختيار بين تراث الماضى ورفاهية شعب يعيش فى ظل هذا التراث ، الذى يعد من أعظم ما خلفه التاريخ •

لهذا لم يكن غريبا ان تتوجه حكومة الجمهورية العربية المتحدة وحكومة جمهورية السودان الى منظمة اليونسكو ، تطلبان محاولة انقاذ الآثار المهددة • وتلك الآثار التى ربما تضيع فى غد قريب ، ليست ملكا للبلدين المؤتمنين عليها فقط ، بل هى ملك للعالم كله ؛ وللعالم الحق كل الحق فى ضمان بقائها ؛ ويجب عليه ان يقوم بحمايتها •

وفضلا عن ذلك ، فان الأمر ليس مجرد انقاذ شيء مهدد بالضياع بل هو أيضا اكتشاف ثروة لاتزال خفية ، واخراجها الى النور ، فهو أمر يستمتع به الجميع وبذلك نرى ان عهدا جديدا قد فتح للتقدم الرائع والثراء الكبير فى ميدان الدراسات المصرية القديمة ، وبدلا من ان يحرم العالم من جزء من روائعه الفنية فسوف يعود الأمل الى الانسانية بأن نكتشف روائع اخرى ، لا زالت مطمورة ومجهولة حتى اليوم •

ان هذه القضية النبيلة تستحق منا كل استجابة ، لا تقل عنها حزما ونبلا ومن أجل ذلك ، فأنى اوجه ، بكل ثقة ، الدعوة الى الحكومات والمعاهد والمؤسسات العامة والخاصة ، والى الرجال المخلصين فى كل مكان للاسهام فى انجاح هذه المهمة التى لم يسبق لها مثيل فى التاريخ ، كما أدعوا الى تقديم الخدمات •

واخيرا • (مصر هبة النيل) وهى جملة اغريقية قديمة •، انتشرت وتعلمها عدد لا حصر له من الطلاب • فعلى شعوب العالم أجمع ان تتحد

اليوم الكيلا يطوى النيل فى قاعه ، بسبب المشاريع البناءة التى ترمى الى زيادة الخصب ومنابع القوى ،العجائب التى ورثناها نحن الأجيال الحاضرة من أجيال طوتها الدهور منذ أزمنة سحيقة ٠

* * *

وقد اشترطت مصر شروطا ٠

١ ٠ الدولة التى لا تسهم فى مشروع الانقاذ لا تعطيها مصر مستقبلا امتياز الحفر فى اى منطقة فى مصر ٠

٢ ٠ الآثار المكتشفة من حفائر بلاد النوبة تقسم مناصفة على ان تحتفظ مصر بما لا نظير له عندها ٠

٣ ٠ تهدى مصر خمس معابد للدول التى تبذل مجهودا كبيرا ٠

وقد سجلت وزارة الثقافة والارشاد القومى فى كتابها (مشروع انقاذ آثار النوبة) للسيدة « بيكسون » مندوبة الفيليبين انسانيتها الرفيعة التى تبدت فى المجلس التنفيذى حين مس قلبها ما خلفت مصر من روائع النقش والنحت والعمارة فقالت (انه من الامور المؤثرة فى النفس أن تشعر الجمهورية العربية المتحدة بانها مضطرة لان تمنح بعض كنوزها جزاء عمل من واجب الدول القيام به ، وانى لأتمنى ان لاتضطر الجمهورية العربية المتحدة للتنازل عن بعض معابدها ، فان خروج هذه المعابد من الاقليم المصرى يفقدها قيمتها اذ ما تركت بيئتها الجغرافية)٠

كما أعلن مندوب البرازيل اثناء نظر المشروع تنازل بلاده عن نصيبها المتبقى فى ميزانية المنظمة وقدره ١٢ر٨٠٠ دولار امريكى لصالح انقاذ آثار النوبة وبهذا اعتبرت البرازيل اول من أيدى مساهمة مادية فى مشروع الانقاذ ٠

وفى سنة ١٩٦٠ بدأ المشروع يأخذ دورا ايجابيا وبدأت البعثات الأجنبية والمصرية عملها وقدمت تقاريرها الى منظمة اليونسكو ٠

وقام مركز تسجيل الآثار بتسجيل المعابد تسجيلا علميا دقيقا وشرعت مصلحة الآثار فى عملية فك بعض المعابد فقامت فى صيف سنة ١٩٦٠ بفك معبد دابور ومعبد قرطاسى ومعبد طافا ٠

وقد تم نقل هذه المعابد الى أسوان وأعيد بناء معبد قرطاسى فى شتاء سنة ١٩٦٣ بجوار منطقة السد العالى غربا ٠

أما معبد دابود وطافا فلم يتم اعادة تركيبهما وهنا نذكر لبولندا انها كانت من أولى الدول التى أبدت رغبة نبيلة فى تقديم المهندسين لمساعدة مصلحة الآثار ، فى نقل هذين المعبدين ·

كما قامت مصلحة الآثار فى صيف سنة ١٩٦٢ بنقل المعابد الآتية

دندور ـ الدكة ـ المحرقة ·

وتم نقل معبد دندور الى أسوان أما معبدا الدكة والمحرقة فموجودان الآن (بعد فكهما) فى منطقة وادى السبوع ·

كما اضطلعت الحكومة الالمانية بفك وتركيب معبد كلابشة هدية لمصر وقد تم نقله فى صيف سنة ١٩٦١ ، سنة ١٩٦٢ وأعيد بناؤه سنة ١٩٦٣ بجوار منطقة السد العالى ·

ابو سمبل

مر مشروع انقاذ (أبو سمبل) خاصة بمراحل عدة وقدمت من أجله مشروعات عدة تناولها كتاب (مشروع انقاذ آثار النوبة) لهذا نعرض هنا للقضية الكاملة فى مشروع الانقاذ ·

المشروع الايطالى :

قدم مهندس ايطالى يدعى بيير جازولا مشروعا يقضى برفع المعبد كتلة واحدة وذلك بوساطة روافع ترفع المعبد ٦٠ مترا ويوضع فى مكان مماثل لموقعه ·

المشروع الفرنسى :

قدم بيت هندسى عن طريق مهندسه الفرنسى ويدعى كوين مشروعا يقضى ببناء سد يقى المعبدين ·

وقد عرضت اليونسكو المشروعين على مصر لتختار فاستدعت مصر خبراء من جميع بقاع ·· العالم وشاهدوا المعبد على الطبيعة ليتحققوا من صلاحية كل من المشروعين ·

ومن المؤسف ان الموضوع دخل فى مناقشات لها خبىء يستهدف السد العالى ·

وفى نهاية المطاف انتهى الخبراء الى تفضيل المشروع الايطالى ومعنى هذا ان التكاليف تبلغ ٨٠ مليونا من الدولارات .

رفضت الدول الكبيرة دفع نصيبها فى المشروع أى روسيا انجلترا ، أمريكا ، فرنسا .

تقدمت مصر بمشروع أقل نفقة من المشروع الايطالى .

وتقدمت فرنسا بمشروع آخر .

أما المشروع المصرى فيقضى بتقطيع المعبد واعادة ترتيبه وتركيبه.

وأما المشروع الفرنسى فيقضى بادخال المعبد داخل عوامات حتى اذا ارتفع منسوب الماء ارتفعت العوامات وارتفع المعبد بارتفاعها .

عرض المشروعان على اليونسكو فوافق الأعضاء بأغلبية على المشروع المصرى .

وقد طرح المشروع المصرى مناقصة عالمية فتقدمت الى مصر شركات ايطالية ، وفرنسية وأمريكية والمانية فرسا العطاء على شركة هو ختيف الآلمانية وهى الشركة التى قامت بتنفيذ مشروع كهرباء خزان أسوان .

وستتقاضى هو ختيف ١٠ مليون جنيه مصرى .

وقد بدأ العمل باقامة سد تكاليفه ٢ مليون جنيه ولو ان المشروع بدىء بتنفيذه من سنتين لأغنانا عن السد المزمع اقامته بما يكبده من تكاليف .

وهذا السد يستغرق بناؤه سنة أما تقطيع المعبدين وعادة بنائهما فيتم فى تقدير الخبراء سنة ١٩٧٠ .

وشركة هوختيف تعاونها شركة أطلس المصرية التى تقوم ببناء مدينة سكنية .. للموظفين والعمال .

وهى تستخدم كثيرا من العمال الفنيين والمهندسين المصريين .

ويشرف على تنفيذ العقد المكتب الهندسى المصرى لانقاذ أبو سمبل وهو تابع لوزارة الثقافة والارشاد وفى المكتب الهندسى خبراء استشاريون

استقدمتهم مصر من السويد من بيت هندسى كبير اسمه ف ب ب ·

وقد وافق المستشارون على العمليات الجارية · ويقيم اثنان منهم بأبى سمبل ·

ومن أجل (أبو سمبل) دخل معرض توت عنخ آمون فى أمريكا وسيزور هذا المعرض كندا وأوروبا لهذا الغرض ·

ومن أجل (أبو سمبل) المعرض المصرى فى اليابان للآثار الفرعونية · ·

وقد تبرعت الحكومة الأمريكية بمليون جنيه لنقل المعابد الصخرية ·

آثار النوبة

المعابد :

دابود ـ قرطاس ـ طافا ـ بيت الوالى ـ كلابشة ـ جرف حسين دندور ـ الدكة ـ المحرقة ـ السبوع ـ عمدا ـ الدر ـ الليسيه ـ مقاصير ابريم ـ أبو عوده ـ معبد (أبو سمبل) ·

وقد تم نقل بعضها وتركيب الآخر ولم يبق الا جرف حسين ـ الدر الليسيه مقاصير ابريم ـ أبو عوده ·

وقد كانت المعابد كلها يلحق بها فصول لدراسة الكهنوت كما حول كثير من المعابد الى كنائس فى العصر القبطى كمعبد (وادى السبوع ومعبد (أبو عوده) كما حولت بعض الكنائس بدورها الى مساجد بعد انتشار الاسلام فى هذه البقاع وان ظلت أديرة على عهدها فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر ·

القلاع الأثرية والحصون :

١ ـ قلعة ساباجورا ·

٢ ـ كوبان (لم يبق منها شىء) ·

٣ ـ اخمندى ·

٤ ـ قلعة قصر أبريم ·

٥ ـ قلعة جبل عدا ٠

٦ ـ قلعة الشيخ داوود (توماس) ٠

وقد أقيمت القلاع فى النقط الاستراتيجية على طول خطوط المواصلات فى النيل وقد سجل مركز تسجيل الآثار منها : الفنتين ـ بجة ـ عنيبه ـ فرس ـ سرة ـ بوهن ـ بوهن الجنوبية ـ مرجسى ـ شلفق ـ آورونارتى ـ قمة ـ سمنة الرئيسية سمنة غرب ٠

ويبدو ان هذه المنطقة كانت عرضة للغزو حتى ان ملوك الدولة الوسطى أقاموا فى منطقة الشلال الثانى وحدها سبع قلاع باعتبارها حدا جنوبيا لمصر ، وقد بلغت أهمية هذه المنطقة حدا جعل لمراء الجنوب يسمون « حراس الباب الجنوبى مما يدل على أنها كانت ذات مكانة خاصة من الناحيتين التجارية والحربية » (١) ٠

المقابر :

وأهمها مقبرة بنوت ٠

الجبانات الأثرية :

فى مناطق عنيبه ـ ابريم ـ عدا ـ قصر الوز ـ بلانه ـ ارمنا ـ توشكا ٠

لننتقل بعد هذا الى الحديث عن البعثات الأجنبية والمصرية التى ساهمت فى مشروع انقاذ آثار النوبة ٠

البعثات الأجنبية والمصرية التى ساهمت فى مشروع انقاذ آثار النوبة من سنة ٦٠ ـ ١٩٦٤

١ ـ **بعثة مركز البحوث الأمريكية :** فى منطقة جبل عدا جنوب (أبو سمبل) وقد عملت موسمين سنة ٦٣ وسنة ٦٤ ٠

٢ ـ **بعثة جامعة شيكاجو :** فى منطقة بلانه وقسطل وقد عملت فى

---

(١) كتاب « بلاد النوبة » وزارة الثقافة والارشاد ٠

مواسم سنة ٦١ ، سنة ٦٣ ، سنة ٦٤ (الموسم أربعة شهور وتفضل عادة شهور الشتاء) ٠

كما قامت بعثات لمصلحة الآثار عام ١٩٥٧ و ١٩٥٨ بحفر الجبانات الملكية فى قسطل وبلانه التى لم تكشف عنها بعثة الأستاذ أمرى أستاذ المصرولوجيا بجامعة لندن عام ١٩٣٤ وذلت نتائج الكشف كما يقول كتاب (مشروع انقاذ آثار النوبة) ٠ « على انه لاتزال هناك آثار غنية ، حتى فى المواقع التى تناولها من قبل معول الحفار » ٠

٣ ــ بعثة جامعتى بنسلفانيا وييل معا : عملت فى مواسم سنة ١٩٦٠ ، سنة ١٩٦١ ، سنة ١٩٦٢ ، سنة ١٩٦٣ ، سنة ١٩٦٤ فى منطقة توشكى وارمنا جنوب عنيبه ٠

٤ ــ بعثة جامعة ييل : وهى بعثة أخرى قامت سنة ٦٤ بمسح أثرى للمنطقة كلها شرقا من ادندان وهى آخر قرية مصرية فى الجنوب تقع على الحدود بين مصر والسودان ، الى كروسكو ٠

وقد قامت قبل ذلك أى سنة ٦٣ بجس منطقة كوم امبو تمهيدا لتهجير النوبيين اليها واستصلاح الأراضى الزراعية ٠

٥ ــ بعثة جامعة مدريد : عملت فى منطقة توماس ومصمص أربع مواسم من سنة ٦١ ، الى سنة ١٩٦٤ ٠

٦ ــ البعثة النمساوية : عملت فى منطقة السيالة ثلاث مواسم من سنة ٦٢ الى سنة ١٩٦٤ ٠

٧ ــ البعثة التشيكية : عملت بادىء الأمر فى منطقة طافا سنة ١٩٦١ ثم فى منطقة كروسكو سنة ٦٣ ٠ وهى الآن تقوم بمسح أثرى من كلابشة الى كروسكو ٠

٨ ــ البعثة الروسية : عملت (بالعلاقى) سنة ٦٢ ، سنة ١٩٦٣ ٠

٩ ــ البعثة الهندية : عملت موسما واحدا وهو موسمى سنة ٦٣ فى منطقة عافية ٠

١٠ ــ بعثة معهد الآثار الألمانى : عملت فى موسم سنة ٥٩ ، سنة ٦٠ فى منطقة عمدا (شمال معبد عمدا) وفى صيف سنة ٦٣ وقد قامت

بحفائر في أساسيات معبد كلابشــة بحثا عن أشياء دفينة تحت المعبد وقد عثرت على حجارة معبد يعتبر أقدم من معبد كلابشة .

١١ ـ بعثة معهد الآثار الفرنسي :

وقد قامت بحفائر في منطقة معبد السبوع سنة ٦١ ، سنة ١٩٦٤ أي موسمين ..

١٢ ـ البعثة اليوجوسلافية : قامت بنقل نقوش الكنيسة التي كانت موجودة في معبد وادى السبوع ، وكذلك نقوش كنيســة (أبو عودة وذلك أواخر سنة ٦٣ وأوائل سنة ١٩٦٤ .

١٣ ـ بعثة ستراسبورج : قامت بحفــائر في قرية الشيخ داوود احدي قرى منطقة توماس موسمين سنة ٦١ ، سنة ١٩٦٤ .

١٤ ـ البعثة الانجليزية : قامت بمجهــود جبار يعتبر أول مسح لا أثرى للمنطقة من وادى حلفا حتى الشـلال الأول وذلك في موســمى سنة ١٩٦٠ ، سنة ١٩٦١ ، ثم قامت بحفائر في منطقة (قصر ابريم) في موسمى سنة ٦٣ ، سنة ١٩٦٤ .

وقد وجدت البعثة الانجليزية مسجدا كان أصله كنيسة ثم حول الى جامع وجدوا به سلما كشف تنظيفه عن كنيســة يرجع تاريخهــا الى العصر الذى وقعت به موقعــة الشهداء حين كان المسيحيون يلجــأون الى التخفى ويبنون كنائسهم تحت الأرض وقد وجدت البعثة قسيسا مدفونا بملابسه وفى جيبوبه كتابان باللغة القبطية ستقوم البعثة بتقويتهما حتى يمكن قراءتهما . كمــا وجدت البعثة أوراق بردى .. ومخطوطات قبطية ويونانية وعثرت على لفة كبيرة من الورق يبلغ طولها بضعة أمتار ويرجع تاريخها الى العصر القبطى مكتوبة باللغة العربية لم تنشر بعد نشرا علميا. كما تعرفت البعثة الى اسم امنحعت الأول منقوشا على الجدار ويؤيد هذا الرأى القائل بأن أمه نوبية ، ومعنى امنحعت :

الاله آمون في المقدمة أو الاله آمون يرشدنى .

واسم المدينة باللغة اليونانية (بريموس) وقد أخذ اليونان الاسم سنة ١٩٢٧ قبل الميلاد تقريبا عن الاسم الفرعونى (عم) الذى تطور الى برعم (بر بيت) ثم برم .

فقال اليونان بريموس ثم بريموس وجاء العرب فقالوا ابريم ..

وتجت هذه الكنيسة وجدت البعثة الانجليزية كنيسة أخرى يفضى درجها الى مدخل خارجى يرجح انه كان مدخلا سريا ٠

١٥ ـ البعثة الهولاندية : عملت بالمنطقة شمال معبدى (أبو سمبل) فى موسمى سنة ٦٣ ، سنة ١٩٦٤ وقد اكتشفت فى هذه المنطقة كنيسة بها نقوش تمثل القديسين والكنيسة مبنية من اللبن والحجرات مغطاة بالرمال مما ساعد على حفظ النقوش بها ٠

١٦ ـ البعثة البولاندية : قامت بحفائر سنة ٦١ فى دابود بعد ان كانت مصلحة الآثار قد قامت بنقل المعبد سنة ١٩٦٠ ولكنها لم تجد شيئا ٠

١٧ ـ بعثة جامعة القاهرة : برئاسة الدكتور عبد المنعم أبو بكر ٠ وقد قامت بحفريات فى منطقة عنيبه من سنة ١٩٥٩ حتى سنة ٦٤ وقد عثرت على مبان من العصر المتأخر ما بين ٦٠٠ سنة ، ٧٠٠ سنة قبل الميلاد ٠

كما عثرت على أوان وعقود وجبانة من الدولة الحديثة ٠

١٨ ـ البعثة الايطالية :

فى سنة ٥٩ ، سنة ١٩٦٠ درست قلعة سباجور أو قلعة أخمندى دراسة علمية ٠ وفى صيف سنة ٦٢ ، سنة ٦٣ عملت البعثة الايطالية بقلعة كوبان شرق الدكة ٠

١٩ ـ بعثة متحف تورينو بايطاليا :

عملت موسمين ، موسم صيف سنة ٦١ والموسم الثانى صيف سنة ١٩٦٢ ٠٠ وقد قامت بحفائر فى قرية دهميت وعثرت على لوحات حجرية مكتوبة وقامت بدراسة بعض المقابر التى قام الدكتور أحمد فخرى بكشفها سنة ١٩٣٠ عند التعلية الأخيرة لخزان أسوان ٠

وقد سبقت هذه البعثات ، بعثات أخرى مصرية وأجنبية فى القرن العشرين وخاصة منذ بدأ التفكير فى انشاء السد العالى (١) ٠

وبالمناطق الأثرية فى النوبة ، غير البعثات ، شركات عدة فهناك شركة بشور للمقاولات ومجالها :

---

(١) انظر كتاب « مشروع انقاذ آثار النوبة » ص ٢٦ ـ ٢٧ ٠

بيت الوالى ـ معبد وادى السبوع ـ مقبرة بنوت « حاكم بلاد النوبة فى عهد رمسيس السادس » ـ عنيبه ٠

وتتولى معبد عمدا شركة فرنسية تعاونها شركة مصر للاسمنت المسلح ٠

وأظهر الشركات فى المنطقة شركة (هوختيف) (١) الألمانية وان كانت فى الحقيقة شركة مساهمة من جميع الدول ٠

وقد ظفرت شركة هوختيف بامتياز مشروع رفع « أبو سمبل » ٠

وشركة هوختيف هذه هى التى نفذت كبرياء خزان أسوان سنة ١٩٥٦ ـ سنة ١٩٥٨ بعد العدوان الثلاثى وكان المشروع فى يد شركة مرسيليا الفرنسية من سنة ٥٣ ـ سنة ١٩٥٦ ٠

وعند معبد أبو سمبل تتحرك اسطورة حية وجه مصرى سمح لوحته الشمس ترف عليه دائما ابتسامة طيبة ٠٠ الوجه والابتسامة لحجار مصرى يناديه المهندسون والخبراء مخلصين « الريس حبشى ويعاملونه وهم المثقفون والأعلون فى سلم التمدن الاجتماعى معاملة الاتباع للرئيس ٠ لكل مشكلة عنده حل ولكل سؤال جواب هكذا يعتقدون ويقولون ٠ وليس الأمر وقفا على الهندسة والبناء والأحجار بل الطب أيضا يلجأ النازلون بساحة أبو سمبل ، كلهم اليه من متعلمين واميين فهو يجبر الكسور ويطيب للملدوغ وسيظل وحده صاحب هذا الأمر حتى تنتقل وحدة طبية صغيرة الى المكان السحيق ٠

وأقبل الرجل من بعيد وتدافعت الأصوات والأصابع كلها تقول : الرئيس حبشى ٠ حسبته فى الأربعين من خطوته السريعة المتدفقة وقامته المنتصبة ووجهه المتورد وبشرته المستوية وبشره الفياض وأكثر من هذا استبانته بالصعاب التى نفغر لها أفواهنا من الدهشة ٠

وكم من قصص للريس حبشى :

---

(١) اسم هوختيف من مقطعين هوخ بمعنى « عال » تيف بمعنى « عميق » ، والاسم مشتق من طبيعة عملها فى الأنفاق تحت الأرض والكبارى العلوية ٠٠ فوقها ٠

وهذه قصة :

كان ذلك سنة ١٩٤٧ حين خرجت بعثة في مهمة الى معبد هيبس في الواحات الخارجة لترميمه · ولم يكن الطريق معبدا أو ممهدا فاستقل أفرادها عربات الحدود · وسار الريس حبشي وعماله وأسراتهم ومعه المهندس ابراهيم عبد العزيز فاختلفا على الطريق وانصاعت الرحلة لرأى المهندس بالطبع فلم تبلغ الغاية لانها ضلت الطريق دونها وتعطلت السيارة فتحرك الريس حبشي من جديد وتطوع ·· الاستطلاع · ولمح طريقا سار فيه وحين كر راجعا استهدى جبلا آخر فضل بدوره طريقه وظل ضالا ثلاثة أيام كانت البعثة أثناءها بلغت الحدود وأبلغتها وقامت الحدود بابلاغ مصلحة الآثار · وخفت الطيارات تجوب المكان بحثا عن الرجل الجواب

وفي فترة انقطاعه عن الركب لمح سيارة كبيرة محملة بالصفائح فجر نفسه اليها يتوكأ على عصاه أغبر أشعث فخافوا منه حتى أطلقوا سيقانهم للريح وهو ينادى بهم مستنجدا حتى زايلهم الخوف ورقوا له فعادوا أدراجهم ·

ويبتسم الريس حبشي من قسوة الانسان أحيانا ، ويقول : عرفوا قصتي فطلبوا الى مقابل مساعدتهم ان انقل الصفائح التي كانوا خلفوها حين ولوا هاربين منى ، الى سيارة النقل التابعة لهم · انا الذى لا أقوى على حمل جسمي الواهن من الجوع والطريق ·

— وماذا صنعت ياريس حبشي ·· ؟

— ان المضطر يا ابنتي مجبور ·· امتثلت للأمر وحملت الصفائح المملوءة بكل ضعفي ·· بكل عذابي ··

وروى لى الأستاذ عبد الحفيظ عبد العال كبير مفتشي الآثار وأمين منطقة الأهرام المنتدب انه حين تقرر نقل آثار تونة الجبل والمنيا الى مبنى المطافي في ملوى لتخزينها ·· حدث ان تخلف ناووس من حجر الجرانيت الرمادى في الشارع أمام تفتيش الآثار بملوى · وحدث بعد هذا ان انتقل التفتيش الى شقة على النيل وتركوا الناووس اعتمادا على نقله وعدم امكان سرقته ·

ويبدو ان النووس راق أطفال الصعيد فدار لعبهم حوله ··

وذعر صاحب البيت فكتب الى مصلحة الآثار طالبا نقله اخلاء

لمسئوليته فطلبت المصلحة الى كبير مفتشى الآثار نقله الى المخازن الجديدة أى مطافى ملوى · يقول الأستاذ عبد الحفيظ عبد العال :

أحضرت عمال تونة الجبل ورئيسهم السيد بشارى من قفط وأخذنا فى نقل الناووس فى الساعة الثامنة صباحا ، الى المخازن ·

واقترح رئيس مجلس مدينة ملوى الدكتور ناجى سيف النصر ان يوضع أمام مدخل مجلس المدينة وهو فى الطريق الى المخازن (المطافى) فسررت لانه يوفر جهدا كبيرا ·

ولما لم يكن عندنا ونش فقد وضعناه على درافيل (مواسير) تستند الى حصيرة من ألواح الخشب تجرى عليها · وأخذ العمال يسحبونه بالحبال حينا ويدفعه آخرون ·

واستمر العمل من ٨ر٥ صباحا الى ٥ر٥ مساء والشهر رمضان والجو حار والمسافة خمسون مترا فاعتبرناه عملا عظيما حتى بلغ من سرورى اننى نفحت العمال مالا تقديرا لجهودهم ·

ومر عام وجاءت عملية نقل آثار فى ملوى ·· فكتب المفتش الذى عهد اليه بالناووس ، الى مصلحة الآثار راجيا نقله الى المخازن اخلاء لمسئوليته وهنا وقع العبء على من جديد ولم أجد بدا من مصارحة المسئولين ·

لا ·· ابحثوا عن مهندس ينقله بوساطة ونش أو كلفوا الريس حبشى بنقله · ليس لهذا الأمر غيره ·

(فكلفوا) الريس حبشى واستدعوه الى ملوى لنقل الناووس ·

ونظر الريس حبشى الى الناووس ونظرنا اليه ماذا عساه فاعلا ولم يطل انتظارنا لقد اختار الرجل العنيد أربعة من عمال تونة الجبل الذين سبق لهم العمل فى نقل الناووس ·

وبدأ الريس حبشى العمل الساعة ١٢ ظهرا وبعد ساعة ونصف أى فى الواحدة والنصف كان الناووس داخل مخازن المطافى بقى ان نعرف ان المسافة الثانية كانت ضعف المسافة الأولى ·

ــ كيف ··· ؟

ــ احضر الرجل الخبير درافيل أكبر قطرا واستخدم ثلاثة درافيل

بدلا من اثنين ووضعها تحت الناووس على مسافات فى وقت واحد وبدأ رجلان من أمام يشدان الناووس بالحبل حين كان حبشى والعامل الثالث يدفعانه من الخلف وكلما خلا الدرفيل الخلفى أسرع « الريس » بوضعه أمام الناووس ، هذا وحركة السحب والدفع مستمرة ٠

وفى استحياء واكبار معا يقول الأستاذ عبد الحفيظ : لقد استخدمت أنا درفيلين فكان الناووس فى تدافعه الى الأمام يقع على الأرض من خلف فنحضر (عتلة) ونرفعه من الأرض ونحمله على الدرفيل الأمامى ريثما نضع الدرفيل الثانى فى الامام هذا فضلا عن ان كثرة عدد العمال يحدث ارتباكا ٠٠

والآن يضطلع الريس حبشى بنقل اللوحات الضخمة فى معبد أبو سمبل وعددها ٦٥ لوحة يبلغ وزن الواحدة منها عشرات الأطنان ٠٠ ويمرح ببصره الى مقر شركة هوختيف التى ستتقاضى ١٠ مليونا من الجنيهات مقابل نقل المعبد ويبتسم وأسمع ابتسامتيه تقول بغير حروف :

آه لو عهدوا بالمعبد الى ٠٠

ولكنها شركة هوختيف أما هو ٠٠ فرجل بسيط اسمه ٠٠ حبشى٠

البحر الأحمر

فى البحر الأحمر

انه غيرك يا نيل ليس فيه وداعتك وعذوبتك وانسيابك والضفاف

انه جبار قاس على عادة البحار وان كان أخفهـا وطأة خاصة فى خليجيه .

القوارب يانيـل تتهادى بالشراع ، وتستلقى على صدرك فى دلال يملى لهـا حنانك ، وتباركها رحمتك وتزفها نسائمك وتحدوها أشجار الصفصاف والنخيل ، على الضفاف وحقول الذهب ، أما القوارب فيـه فخائفة مذعورة كقلب الأم .. والموج فيه عات قاس كطبع الطغاة .. يرفع ويفض لا يثبت على حال .

كان الله فى عون الرجال البحارة .. انهم يواجهون حياة قاسـية عنيفة محفوفة بالمكاره والمخاطر .. وفى هذه اللحظات يكبر الرجل فى عين المرأة .. هذه تجربة لا تقدر عليها .. لون بطولى من العمل لا تستطيعه .. من أى طعام يتغذى هؤلاء الذين يجالدون العواصف والريح والأمواج .. والبحر .. هذه السواعد التى تجذب الحبال المفتولة طورا وتتعلق بها حينا وتتدلى منها آنا وتتسلق عليها أحيانا .. هذه السواعد من أى مادة براها خالقها ؟ .

لشد ما يرتفع ثمن لقمة العيش فى بعض الحالات والأمكنة والأعمال .. ويجلس سكان المدن والعواصم ـ ومادروا ـ يتحدثون عن رطوبة الجو وحرارة الصيف أو برد الشتاء ، وملل الفراغ الخ .. هذه التفاهات التى تشغل الخليين .

والفنارات فى البحر هى الشىء المعلوم المحدد وسـط هذا العالم المجهول السحيق الغور البعيد الأعماق .. انها علامة انسانية وسـط مظاهر الطبيعة المحيطة بها من سماء وماء وجبال وسحب وكأن الفنـار يستشعر الألفة حين تتراءى له السفينة فهو يرسل الومض متتابعا هتفة مشوق وتحية صاحب .

وكالقادم من سفر يحمل الطيوب والألطاف والعطايا تحمل الباخرة الى الفنار ما يغنيه أياما وترسل اليه فى عرض البحر على ظهر قارب يشق العباب اليه ثم يعود لتأخذه الباخرة بين يديها ثم ترفعه الى صدرها كطفل حيث يسكن اليها ويسكن عندها حتى يلوح فنار جديد فيتهيأ للنزول من جديد ·

والفنارات فى البحر الأحمر دنيا أخرى ، انها تقوم على شعب مرجانية من عجيب أمرهاانها فى المياه أشد صلابة من حجر الصوان فاذا خرجت منه تفتت · فهى كالسمك الذى يلهو عندها ، لاتعيش الا فى الما ·

والفنارات رتشد الى مكان الشعب حتى تتجنبها البواخر فلا تتحطم عليها ثم هى تؤدى بعد هذا رسالة الضوء وتحيى بالنور ·· ولكن الذين يعيشون فيها ينسلخون من العالم المعمور فى وحدة قاتلة فقليل منهم من يعرف كيف يقطع الوقت الذى يقطع سيفه الكثيرين أو يقطع أعصابهم فكم من حالة تروى بين رجال البحر عمن كادت عقولهم تذهب من رجال الفنارات ·

ومع هذا فكل شيء نسبى اذ يغرى تضاعف المرتب بعضا منهم على العمل بالفنارات تحت ضغط ظروفهم المطبقة ·

ومن رحمة الله بهم انهم يتناوبون كل أربعة شهور ·

وفى البحر الأحمر جبال ملونة تتشكل فى أثواب السحاب كالطيور التى تبدل أفواف ريشها ·· ان هذه الجبال تعيش فى بحبوحة من الأفق الذى يكسوها فى كل ساعة من ساعات النهار والليل غلالة شفة تتكسر عليها أضواء النهار وتهوم فوقها أحلام المساء · وهى على البعد تبدو كأنها مرسومة رسما على طرف الأفق عند التقاء السماء بالأرض ·

جبال ولكنها على الرغم من اسمها فيها انسباب ورسوخ فى الوقت نفسه حتى آثار التعرية فيها منسابة · انها تبدو لعينى كأنها شلالات من رمال رمادية عليها من الأفق طرحة حرير من التل ·· دائما الجبال فى هذه المنطقة محجبة ولو بشفيف من ألوان السماء أو شعاع الضياء ·· ألأنها فى الصعيد تخضع لحكم البيئة ؟ ··

وتدنو صحراؤنا الشرقية من البحر الأحمر بين حين وآخر ناهدا على

صدرها أهرامات صغيرة تزهو فى الشمس وتبدو فى الظل كلوحة معلقة بين الأرض والسماء ٠

وفى الليل رأيت باخـــرة تتلألأ بالأنوار ٠٠ كانت بعيدة وكانت باخرتنا تتأرجح على صفحة البحر ـ تتأرجح فى عصبية ـ فبدت لعينى الباخرة الأخرى كأنها هى التى تعلو وتهبط ٠ وقد ضاءل منها البعد فكانت كأنها لعبة أطفال تحركها خيوط فى كف صغير عابث ٠

وفى البحر الأحمر لنـــا موانى لعـــل أهمها الغردقة عاصمة محافظة البحر الأحمر ، ويقولون أن اسمها يشكله لفظان : خور ـ جده لما بينها وبين جدة من طريق اتصال ٠٠ ويقال انه نسبة الى نبات « الغردق » الذى ينمو شيطانيا فى هذه البقعة من الصحراء ٠

أهم ما فى الغردقة معهد الأحيـــاء البحرية حيث ترى العين عوالم شتى من الأسماك والشعب المرجانية كانت تعيش فى البحر ٠٠ عوالم تروع بالألوان والأحجام والأشكال والتباين والطبائع والمزايا ٠٠ ولو أن المشاهد يفوته الكثير فى زحام التكديس الذى يفرضه ضيق المكان ٠

ان المعهد كسائر متاحفنا يفتقد فن العرض المغرى الجذاب ٠

ومن معالم الغردقة أيضا فندق هيلتون بموقعه الفاخر على بحر من الزمرد ، وبمبناه الدائرى الأنيق وبلمسات الفن فى كل شبر فيه

من كان يظن أن مثل هذا الفندق النائى غاص بنزلائه حتى لا تجد مكانا خاليا به ٠٠ ومن هم نزلاؤه ؟ ٠٠ انهم الأجانب من كل صقع جاءوا الى مصر ٠٠ الى الغردقة حيث يجف الهواء ويطيب ، ويفتن الماء ويتجدد ألوانه ، وتبتسم السماء وتصفو صـــفاء النفس المصرية السمحة المتفكهة دائمـــا ٠

ومن البحر الأحمر والصحراء الشرقيـــة يخـايل العين المصرية أمل واعد تبشر به بريمات البترول هنا وهناك فى منطقة الطور وبير مرجان، على طول الطريق تنتشر البعثات اليابانية والأمريكية وراء الذهب الأسود٠

انى أحلم من الآن بذلك اليوم الذى تتفجر فيه ، فى الصحراء المصرية عيون البترول وتتفجر معها الطاقات المصرية ٠٠ طاقات البنـــاء والذكاء والعمـــل ٠٠

يارب ٠٠

والباخرة فى البحر كالانســـان لها اسم وجنســـية وموطن هو المرفأ الأم ٠

وهى تسجل كالعقار الثابت وتتحرك كالمنقول ٠

ولكل جزء فى الباخرة اسم بالطبع ولعل أطرف هذه الأسماء :

القمرة : أى الحجرة ٠

والمشى : أى غرفة القيادة ٠

والشرك : أى حجرة الآلات (الماكينات) ٠

وأمتع ما فى البحر قيادة السفين ٠ ان هذا اللون من القيادة تجربة انسانية نفيسة ٠٠ انها حس حضارى ووجدان انسانى وذوق ٠

عملية تقدير وتدبير يجب ألا تخطىء والا ضاعت الحياة ، لا حياة واحـــدة ، بل حيـــوات كثـــيرة ٠٠ ان قيادة الباخرة كالطيارة ، خير مرب للشخصية بتجسيمها مسئولية صاحبها ، فقبطان الباخـــرة هو المسئول الأول عن كل أعمال طاقم الباخرة ٠٠ قد يخطىء غيره ولكن يســـأل هو لا يشفع له حق طبيعى فى النوم أو الراحة أو المناوبة ٠ وهذا اللون من الحساب لا يوجد فى أى عمل آخر ٠ ان الخطأ فى الأعمال الأخرى قد يحمل على المرءوسين باعتبارهم أداة التنفيذ ولكن الأمر فى الباخرة مختلف جدا ٠٠ ان قبطان الباخرة ، المنبع ، الذى ينبثق عنه كل تصرف ٠٠ كل من فيها يصدر فى أعماله باذنه فهو صاحب الخطأ والصواب ٠

والقبطان اذا بلغ عرض البحر له جميع سلطات الدولة ، يستطيع أن يحبس ويستطيع أن يحكم بالاعدام على المتمرد ٠٠ يستطيع أن يزوج ويستطيع أن يفض المنازعات ٠٠

انه الوحيد الذى يجمع بين السلطة التشريعية والتنفيذية والقضائية ٠٠ حتى اذا خرج من المياه لاقليمية ودخل مياها أخرى انتقلت السلطة الى الســـفارة المصرية فى البلد الأجنبى فاذا عاد الى المرفأ الأم انتقلت السلطة الى حكومته ٠

قد يكون قبطان الباخـــرة زوجا وأبا ولكنه فى البحر ينسى كل شىء الا المسئولية الجسيمة المنوطة به ٠٠ والماثلة أمام عينه دائما ٠٠ هذه

المسئولية ترهقه ولكنها ترفعه في عين نفسه وتزيد ثقته بها .. انه بطل يجالد الطبيعة ويواجه الأخطار .

وبقدر قلقه بقدر انتصاره عندما يعود سالما بمن معه .

انه فى حاجة الى جرعة كبيرة من الايمـان تشد من أزره حين تصله بالله .. انه هنا كالطبيب علمه وحده ، مهما عظم أو رسخ ، لا يكفى .

أكبر من علم الانسان .. توفيق الله .

هذا الشعور بالحاجة الى الله .. الى الايمـان به ينزع بالقبطان الى السمو النفسى .. يرفعه اليه .. انه يعتقد فى قرارة نفسه أن الخطأ .. أى خطأ يوهن علاقته بالله فيتخلى عنه .. ان الفكرة الشائعة عن (زوجة كل مينا) قد تصدق على بعض البحارة ممن يكدحون ولكنهـم لا يسألون أو تهون مسئوليتهم ، ولهذا ينفضون متاعبهم فى كل مرفأ .. ان الذى يفصـل بين الحيـاة والموت . خيط رفيع فى مفهومهم ودوافعهم فما تكاد مباهج الدنيا تلوح لهم حتى يقبلوا عليها يعبون منهـا ظامئين .. ولكن القبطان لا .. انه عالم آخر ..

وتنسى الحياة الصاخبة خطر الضابط البحرى بل تظلمه وتحسبه قليلا ثم يتسنى لها أن تخبره فتندم وتصـحح فكرتها ثم تعود فتنساه من جديد .

وللبحر حرمات وتقاليـد فاذا قابلت باخرة ، باخرة أخرى أطلقت صفارتها أو البروجى ثلاثا تحية لها . ويبدأ التحية أحدث القائدين رتبة فيرد الأكبر وينهى هو التحية أولا .

ومن تقاليـد البحر أن المركب التجارى يحيى أولا المركب الحربى برفع العلم .

هناك ما هو أثمن من المال والتجارة .

وحيتنا على القرب باخرة عائدة من اليمن ، ومع التحية رفعت العلم .. ومع العلم ارتفعت أيدينا ملوحة لأبنائنا العائدين .. شيء واحد هو الذى نزل .. انه دموعنا .

كانت رحلتى هذه على البحر الأحمر سنة ١٩٦٦ بالباخرة (عايدة وكان أحدث مرة زرت فيها البحر الأحمر سنة ٨٣ ماذا رأيت ؟

رأيت مصر فى الغردقة

كثيرون يرون ، مصر ، .... القاهرة .

والقاهرة أم المدائن ولها فى القلب المصرى ، وقدة ، نتوهج على القرب والبعد .

ولكن مصر هى القاهرة ، وكل مدينة مصرية ، وأربعة آلاف قرية ... مصر هى : السهل ، والجبل ، والوادى ، والصحراء ، والسماء ، والأرض مصر هى : التراث . والقيمة ، والماضى ، والحاضر ، والمستقبل مصر هى : الانسان ، والمكان ، والزمان .

مصر كبيرة معنى ومبنى ...

ولهذا رأينها فى الغردقة

هذه المدينة القديمة ، الجديدة ، مدينتى كالمنيا .. كالقاهرة ... انى ، مصرية ، أملك الوجهين ، والصحراوين ، والبحرين ، والنيل هو بحر ، ونهر ، وأنهار وجنات وعيون .. أملك هذا كله بدون عقد تمليك ما بى حاجة اليه .

الغردقة أو « حورجت » اسمها المصرى أى أرض حور .. ارض حورس .. ومن هنا اسمها المحور (حور جدا) الذى صار الى « غردقة ».

انها مدينة قديمة .. وانها مدينة جديدة .. لقد رأيتها قبلا ، منذ ست سنوات ولكنى هذا الاسبوع رأيت جديدا فى كل مكان بها .. رأيت مدينة عفية فتية تحلم بالمستقبل وهى التى تعتز بالماضى رأيت المشروعات، تجسيدا على الأرض ، ونبضا فى القلب . رأيت كورنيشا عرضه ٤٠ أربعين مترا .

رأيت صناعات وفنونا شعبية . رأيت مدينة نظيفة على الساحل وفى الداخل ... الحى الشعبى بها ، ليس به ورقة على الأرض رأت أذنى الهدوء ، وسمعت عينى السكينة .. ليس فى الغردقة قمامة صوتية أو من أى نوع . وعرفت السر ..

لقد دعا محافظها ، سكانها وأهلها الى الاحتشاد لتنظيفها مرة واحدة

فظلت نظيفة منذ ذلك اليوم .. فالقاعدة القائلة (ما أصنعه يصنعنى) صادقة دائما .. وقد صنعوا هذه القيمة فحافظوا عليها .

ويذكرنى هذا بيوم (سوبيتك) فى روسـيا وهو آخر يوم فى الخريف عندهم وفيه يخرج الناس جميعا وعلى رأسهم رئيس الاتحاد من السادسة صباحا حتى السادسة مساء .. ويشترك مائتان وأربعون مليونا فى جميع أوراق الخريف المتناثرة ويزيحون الثلوج السـاقطة والمتراكمة فيتنفس النخيل الأخضر ويبدأ الربيع وقد لبست أرضهم ثوبا أخضر جميلا رائعـا .

ويرفض الجميع أن يتقاضوا أجرا اضافيا أو أساسيا وتذهب حصيلة هذا اليوم الى صندوق التنمية .. ومن هنا يحافظ كل مواطن على المصنع والمسرح والسينما والشارع لأن المال العام ، ماله وعرق جبينه .

وبهذا تتحقق أغراض كثيرة وكبيرة فى وقت واحد .

عندنا أجهزة تعرف ما تحت الجلد أو تزعم هذا فليتها تعرف خرائب المكان كخرائب الانسان .. وليتها تعرف من دمروهما معا .. وليتهـا تعالجهما معا .

للغردقة أحلام كبيرة بحكم مساحتها الكبيرة وطاقة البحر فيها وبكارة الطبيعة ، وبكارة الاحساس الذى لمسته فى كل من رأيته من أهلها ، لا ينقصها الا المال وهو شىء مذهل حقا اذ الغردقة أغنى المحافظات موارد .. فيها وحدها ٨٠٪ ثمانون فى المائة من البترول المصرى . ان مصايد الأسماك فيها وما يتصل بها من صناعات تكفى لسد حاجة مصر كلها بل التصدير أيضا ..

وغير هذا كثير وفير ثم تفتقد الغردقة المال لا لأنه غير موجود ولكن لأن الميزانية العامة توزع على المحافظات حسب عدد السكان !

وبهذا تستقطب أجهزة القاهرة المال والاصلاح فتنهار مرافقها أكثر لأن عامل الجذب اليها يزداد بينما لو وجهنا هذا المال الى الريف (بحقه) والى المحافظات الواعدة ، لخففنا الضغط على القاهرة التى حجب الزحام والقتام والارهاق والضغوط جمالها ، وصباحتها ، ونفاستها ، أيضا .

أغنى المحافظات فى الطبيعة ، أفقرها فى واقع المال ! مرة أخرى أقول : هل مصر هى القاهرة فقط ؟ ان المال لا يكون بنسبة عدد السكان

فحسب بل بنسبة طاقة التنمية فى المكان فان العائد فى النهاية لمصر كلها ٠

ان الغردقة ومن ورائها الصحراء الشرقية ــ منجم مصر الأول كما يقول الدكتور جمال حمدان ــ بثروتها المعدنية من ذهب وأحجار كريمة ومحاجر المرمر والسماقى الامبراطورى والبروفير الارجوانى حيث يضم جبل الدخان ووادى الفواخير كتلا من الجرانيت الأبيض والاسود النادر التى بنى منها الرومان معابد روما ٠٠

(والواقع ان دور هذه الثروة المعدنية كان أساسيا فى صناعة الحضارة المصرية قبل التاريخ وبعد الفرعونية ، مثلما هى حيوية واستراتيجية اليوم فى صناعاتنا الحديثة المعاصرة ٠) شخصية مصر ٤٧٨ ٠

الغردقة والبحر الأحمر طريق مصر ونافذتها ومنفذها الى آسيا وأفريقيا ٠٠ يقول الجغرافى الكبير الدكتور جمال حمدان :

(من المحقق أن الصحراء الشرقية ، على الرغم من كل شىء ، كانت طوال التاريخ طريقا هاما فى شبكة اتصالات مصر بالعالم الخارجى ، أهم على الأقل من نظيرتها الصحراء الغربية بالتأكيد ٠ لقد كانت ممرا أكثر منها مقرا ، واقليم حركة أكثر منها اقليم استقرار ٠ وبهذا جمعت بين طرفى متناقضة مثيرة ، وان لم نكن غير مألوفة ، وهى أنها صحراء عزلة ، انظر ص ٤ ولكن اقليم عبور أو مرور) شخصية مصر ص ٤٨١ ٠

ويقول : (٠٠٠ ساحل الصحراء الشرقية ، من وجهة نظر مصر ، هو أثمن ما فيها تقليديا ، ومن أجله كان عليها أن تعبر الصحراء بلاتردد، وعلى الأول على الرغم من كل معوقاته أقامت سلسلة موانيها عبر التاريخ ، وعلى الثانية على الرغم من كل وعورتها فرضت شبكة طرقها التاريخية بلا كلل ٠) ص ٤٨٢ ٠

الغردقة بهذا كله ، وراء حضارة مصر القديمة بانجازاتها الباتعة والرائعة ٠ فهل يكون لها فى الحديث الخطر نفسه ، والدور نفسه ؟

ان العالم الدكتور جمال حمدان يقول :

(ان التعدين فى الصحراء الشرقية تطور من المعادن النفيسة أساسا فى الماضى الى المعادن الصناعية فى الوقت الحالى ، من الذهب والفضة والفيروز والزبرجد الى الفوسفات والحديد والبترول وبعض المعادن الاخرى

الصغيرة • وقد صحب هذا التطور انتقال فى مراكز التعدين من قلب الصحراء وداخلها بعامة الى ساحلها بصفة خاصـــة حيث تتركز معظم ركازات ورواسب المعادن الجديدة) ص ٤٧٨ •

ان الغردقة هذه بكل ما أسلفت ، مساحة عريضة ليقظة شاملة ، وانطلاقة جديدة • (فاذا أمكن حل مشكلة المياه فلسوف تكتمل الثورة البشرية والعمرانية المحلية الصغيرة التى وضعت جرثومتها أدوات الحضارة الحديثة ، لتتحول الصحراء الشرقية يوما ما من صحراء عزلة الى أكثر من اقليم مرور ، لتصبح « جبهة ريادة » جديدة على جبهة مصر الشرقية) ص ٤٨٦ •

ان **الغردقة خامة نادرة للسياحة** التى غدت صناعة وفنا وعلما •

السياحة العلاجية : بطاقات المكان من شمس ورمال ومياه معدنية وبحر ونباتات طبيعية ، وطينة الشعب المرجانية •

وسياحة تاريخية : بدءا مما قبل الأسرات ومرورا بعصـــور مصر التاريخية انظر ص ٥ •• كلها بما تضمه من آثار فى امتداد موصول •

وسياحة دينية : بما فيها من أديرة مسيحية ، ومزارات اسلامية • دير انبا انطونيوس وانبا بولس بعيدا خلف منطقة خليج السويس فى الشمال ، ومعتزل الشيخ الشاذلى فى منطقة بير شاذلى فى الجنوب •

والغردقة طريق طبيعى مباشر سريع الى الحجاز ارتكازا الى «سفاجة» حيث تتصل ب « جدة » و « ينبع » وما وراء هذا من تخفيض الزحام ، وتوفير استهلاك السيارات ، واستهلاك الطرق •

سياحة ثقافية : بما تضم من معاهد بحوث علمية وطبية •

سياحة شبابية : (الكارافان والمخيمات)

سياحة رياضية : من تسلق جبال ، وصيد فى الوديان والصحارى والغوص والتصوير تحت الماء ، والفروسية ، والرماية •• الخ •

هذه المحافظة التى تربو شـــواطئها على ألف كيلومتر حتى حدود السودان تفتقد الربط بينها وبين المحافظات الاخرى بل بين أجزائها نفسها بعضها ببعض •

وهى بحاجة ماسة الى شبكات طرق ، وشبكات مياه ، وشبكات الغاز ، وشبكات الكهرباء ٠

وهناك مشكلة جديدة أعنى تلويث الشاطىء . وتدمير الثروة السمكية وهو وزر يتحتم أن تتحمله الشركات التى تتمتع بامتياز التنقيب عن البترول وتتمتع بعائد البترول ، كما يحدث فى البلاد البترولية ٠

وعلى الرغم من هذا كله فان الغردقة التى كانت منذ وقت قريب أو بضع سنوات ، أشبه بقرية ، هى الغردقة التى تزخر الآن بالحياة والبناء والانشاء والتطوير ٠

والازدهار فى أى مكان يعنى أو يساوى ادارة رشيدة ٠ وتذكرت عصور مصر الذهبية على امتداد تاريخها كله ، واقترانها بحسن الادارة ٠

ان منجزات مصر الحضارية كان وراءها ادارة رشيدة ، وسديدة والا لما طرحت هذا العطاء بدءا من بناء الأهرام الذى تشهد معجزته بعبقرية الادارة التى أحكمت انتظام سير العمل فيه وكأنه سيمفونية لا نشاز فيها ٠

ومن حسن حظ الغردقة أنها لا تصدر صحفا حتى لا تهدر الوقت والمال فى المانشيتات والوعود ٠٠ انها تعمل فى صمت وفى جد وكد دائم ودائب ٠

والصمت الذكى جمع للنفس وميلاد للقيمة ٠

وفى الصمت يطرح الغراس الطيب فاذا الغردقة اليوم على وعد بجنة أكلها دائم وظلها فينان ٠٠

وكم فى مصر من جنات وعيون لو وجدت كالغردقة من يحبها والحب عطاء ٠٠ ويعيشها والعيش نداء ٠٠ ويحسها والاحساس تجاوب ٠



الحجـــاز

الحرم النبوى

فى غيبة طويلة عن مصر والانسان المصرى ، ومن أجله أرقرق الحرف، وأوثق الحدث ، وأحقق جوابا على سؤال حائر أسمعه بالعين أو الاحساس لأنى الى هذا التراث أنتمى بالكيان كله ٠

لم يكن غيابا بل حضورا مزدوجا ٠٠ سافرت من مصر الى الحجاز ثم الى المغرب ثم الى انجلترا ٠٠ كنت خارجها ، فيها ٠٠ وحديثى الطواف عن هذه الرحلات يقول ٠٠

أبدأ برحلة الحجاز ٠ رحم الله أستاذنا المازنى صاحب هذا العنوان الذى أعطاه أحد كتبه ٠٠

نحن فى طريقنا الى المطار ٠٠ اختناقات كثيرة كالعادة فى شوارع القاهرة حتى فى الزمالك حيث تبدو الجزيرة مترفة فى كل شىء ٠ ولكن تصادف وجود كراكة ضخمة تسد الطريق كوحش مفترس بين مستشفى المعلمين والنادى الأهلى أو هكذا بدت لى من ضيقى وخوفى على الموعد ، انها الطائرة وانها العمرة ٠ كانت الكراكة تفترس الوقت على الأقل ٠

وصلنا المطار نلهث ٠٠ موظف المطار قال نحاول ايجاد مكانين !! حيث وصلنا متأخرين ٠٠ رفضت هذا المنطق فى كلمات قليلة هادئة وان كنت متوترة ٠٠ ثم بسرعة بعد هذا وزن الحقائب ومراجعة الجوازات ٠٠ الموظف الآخر نطق اسمى أحسسـت به قارئا لى ٠ فلمى ليس وحده صديقى ٠٠ انه منبع ثر لصداقات تفتح لى كل طريق ٠٠ حمدا لله ٠

مضينا الى صالة الانتظار ٠٠ لم تمض ربع ساعة حتى جاء موظف المطار وطلب الى البطاقات الزرقاء المرفقة بالتـذكرة ٠٠ قدمتهـا له ٠ وأعطانى بدلا منها بطاقات حمراء الخاصة بالدرجة الاولى ٠ لم أدر مصدر هذا التكريم وهذه المجاملة من مصر أم من السعودية ٠٠ هذه وطـنى وتلك ، دينى ٠ انها فاتحة خير على كل حال ٠ أو براعة استهلال على رأى البلاغيين ٠٠ وتذكرت موظف المطار الذى لوح بعدم وجود أماكن !!

لا خير الا خيرك ٠٠ ولا اله غيرك ٠٠ لك الحمد ولك الرضا ٠

عند الخروج الى الطائرة جاء مدير من الخارجية واصطحبني وابنتي الى باب آخر خاص وركبنا سيارة صغيرة غير الاتوبيس لنصل الطائرة أولا ...

تكريم آخر ...

نخرج الآن الى الطائرة .. اختلج كياني بالدموع .

هل هو شوق الى مصر ولما أغادرها بعد .. برح الشوق ولم أبرح !! أم شوق الى الحجاز ؟ والشوق اليه غلاب .

في الطائرة ـ الدرجة الأولى ـ ما كدنا نجلس حتى دارت المرطبات فالفطائر فالحلوى فالقهوة العربية وهي شراب الحبهان زكية رقيقة اللون والنكهة .

بدأت الرحلة الساعة ٣ر٤٥ .. ما أن صعدت الطائرة حتى أحسسنا ببعض مطبات هوائية .

أمعنت في الصعود .

أحسست أني بين سمائين سماء فوقي صافية تتربع فيها الشمس وسماء تحتي من سحاب مندوف .. أكداس من قطن أبيض أو شبيه .

ترى أي أرض تحت هذا السحاب .. لكأنه جبال ثلجية .. اننا بالطبع فوق صحرائنا الشرقية ومنها الى البحر الأحمر .. البحر مرقش أو مرصع بالسحاب . يبدو أن السحاب يذوب في البحر .. غارق لشوشته .

من جديد عادت جبال الثلج . توارى البحر .. لا يؤنسنا الا الشمس .. معذورة مصر القديمة أن أحبتها ..

الشمس أقوى .. بددت السحاب الا قليلا .

أصف والطائرة تتأرجح يمينا ويسارا وأعلى وأسفل بل أكثر من هذا أمر الطيار المضيفات أن يأخذن أماكنهن في كراسيهن ويربطن الأحزمة وهذا نذير .

بعض الركاب لم يتناول طعامه من التوتر .. والبعض لم يصل اليه بعد الطعام ولن يصل لأن المضيفات ربطن الأحزمة .

صوت الطيار يعلن قرب الوصول ٠٠ باق ١٧ دقيقة ٠٠ وصلنا مطار المدينة فى أفراح الأصيل وسرعان ما أقبل الليل ٠

ما كدنا نخطو بضع خطوات حتى سمعت صوتا ينادى اسمى ٠٠ انه كما يخيل الى من زيه وسمته وصوته مسئول بالمطار تقدم لاستقبالى ونقدمنا ومعى ابنتى وسهل الاجراءات بالطبـــع ٠ وما كدنا نخرج من المطار حتى سمعت اسمى مرة أخرى ٠٠ هذه المرة ضابط برتبة كبيرة وشاب عربى نبيل قال انه مندوب الأمير ٠ وفتح لنا باب سيارة فارهة ٠٠ لقد أرسله الأمير عبد الله الفيصل من جده مقر اقامته الى المدينة ليستقبلنا باسمه ٠ يقول انه قطع المسافة فى خمس ساعات ٠

هذه هى المدينة ٠٠ وهذا هو الحرم النبوى يسير فيه المسلم طويلا فى كل اتجاه ثم لا يبلغ نهايته من أى ناحية أتاه ٠٠ انه مدينة النور ٠٠ ومدينة الناس هامش له وخلفية صورة عميقة الأبعاد ٠٠ كل شيء فيــه يبدو للعين المشوقة المشوقة ، صيغ من نور ٠٠ الأعمدة البيضاء الملساء نور ٠٠ الأعمدة الوردية تزيد النور نورا ٠٠ كل شيء حولى يروع ويأسر ٠٠٠٠ هو الذى كان لا يملك فى هذا المكان غير بيت متواضع من حجرتين وكان على نظافة فيه عالية ، زاهدا فى ملبسه وطعامه ٠٠ بسيطا فى حياته سمحا سهل الأكناف ٠٠ على خلق عظيم ٠٠ بالمؤمنين رءوف رحيم ٠٠ كل هذا البهاء له النقى الصفى السخى الوارف الظلال وما طلبه ولكن الله جزاه بصدقه فقد كان الصادق الأمين ٠

ما طلب بناء ولا قصورا ولا ملكا ولا سلطانا وباسمه عاش الملوك ٠٠ وبهديه عاش الشعوب ٠

والتقى على محبته واجلاله الحاكم والمحكوم وقلما يلتقيان ٠

ويذهب الناهبون صناع أقنعة العظمة وممثلوها ويبقى هو البسيط الزاهد ويزيد كل يوم خلودا ٠٠ بل يضعه كاتب لا يدين بدينه على رأس المائة الخالدين فى الشرق والغرب ٠

لم يكتب عن نفسه كتابا وكتب عنه الكاتبون فى الشرق والغرب فى كل عصر وجيل مكتبة كاملة ٠ ويهتف « كارليل » (لو لم يكن فى محمد الصدق ما بلغ هذا الشأو) ٠

ودلفت الى الروضة الشريفة حيث مثوى الأعظم العطرات ٠٠ وكنت لا أدرى بنفسى وأنا أفضى اليها خفيفة الخطى كانى أطير حتى وقفت فى

ساحتك ٠٠ قبالتك غارقة في دموعي ٠٠ من خشيتي بكيت ٠٠ من هيبتي لك بكيت ٠٠ من محبتي بكيت ٠٠ بكيت كما لم أبك من قبل أنا التي عرفت دموع اليتم ودموع الألم في حياتي وحياة وطني ولكن دموعي في حضرتك كانت دموعا عذبة بلا عذاب ٠٠ دموعا ندية فيها شوق وحنان وايمان ٠٠ ورأيت الناس يملأون المكان على سعته الوسيعة أتوا اليك أفواجا ومن كل بقعة اليك انتهوا من غربة وشتات لأنك كريم دارك للغريب واللائذ والزائر رأيتهم قيـــاما وقعودا من كل سـن ولون كـم هي راضـية مرضية الصلاة في رحابك وعرفت معنى أن يصلى الناس ما يشاءون في سائر أنحاء الدنيا واذا أمنيتهم والدعاء أن يظفروا بالصلاة عندك فيقول المشاهد للمصلى (حرما) ويجيب (جمعا) ٠

هذا الحرم بهالات النور وهذا الجمع الطهور مهما كانت ذنوبه من قبل فان دموع توبته بين يديك تغسل بحرا من الآثام ٠

يكفي أنهم صادقون بمحض ارادتهم جاءوا ٠٠ بملء حبهم جاءوا غير مساقين غير مدفوعين غير كارهين بل مشوقين وملهوفين ٠ طفت بك طاف دعائي وطاف صمتي وطاف فكري وانهلت بعد الدموع ، الذكريات أو كأني أراك في بيتك المصرى تعمره زوجك مارية القبطية الصعيدية وابننا منك ابراهيم وسمعتك توصي بمصر وأهلها خيرا لأننا لك أصهار ولابنك أخوال وسمعتك عندما تهدم بناء الكعبة ويشير عليك من حولك باستحضار بناء من فارس فتقول بل ادعوا لها بنائين من مصر وهي شهادة غالية لنا بأننا أهل بناء وانشاء وعمارة وحضارة ٠

ورأيتك وصاحبك مهاجرين من مكة الى المدينة والليل والألم والشجن وعذاب الجحود والكفور والملاحاة ويذكرك ذاكر بدعـــاء نوح على عداته (رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) فتأبى وتقول في هدوء الواثق بربه والواثق بنفسه ٠٠ تقول في سماحة الأخيار والأطهار (رب اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون) ٠

رأيتك في الغار تقول للصديق وقد لفه الصمت اللهيف لا تحزن ان الله معنا ٠٠ لم تتخل عنك طمأنينة النفس ٠

رأيتك تدخل المدينة فتنور وتغدو منذ ذلك الحين دون سائر المدن المدينة المنورة ٠ ويهدأ وجيبك ويسكن دبيب القلب ونمسح يد النعمى

آثار الشقاء وتسمع مضيفك ينادى ولديه متهللا ليظفرا برؤيتك : يا سالم ويا ياسر فتبتسم متفائلا وتقول : الحمد الله لنا فى الدار يسر ٠

ومن الذكريات التى تطيف بك ما صنعه رجلان صنعتهما على عينك وكم رجالا صنعهم الاسلام ، دين الانسان ٠

ويتهدى فى سمعى صوت الصديق وقد آلت اليه امامتك (أيها الناس أطيعونى ما أطعت الله فيكم فان عصيت الله فلا طاعة لى عليكم) جوهر الديمقراطية الحقة بلا قيد أو أذى أو انتفاخ أو انفساخ ٠

ويمر شريط الذكريات وأرى عطر التاريخ عمر صاحب كتاب القضاء الذى ناشد قاضيه أن يسوى بين الناس فى **وجهه وعدله ومجلسه** ٠٠٠ ولو طلب المساواة فى العدل لكفاه ولكنه ارتفع الى أفق رفيع لم يبلغ شأوه أحد حين تحرى المساواة فى الوجه أيضا بل أولا فليست المسألة حرفية العدل بقدر ما هى انسانيته واحترام كرامة الانسان ، كحقه ٠

وحاول حراس المكان الطاهر أن يسلكونى فى صفوف النساء أى بعيدا عن المقصورة الجامعة ولكنى أصررت على الاقتراب منها ولمستها بعينى ويدى فى تعبير عن الامتنان والعرفان بما أنى انسان أعطانى الاسلام من خلال الرسول وصاحبيه عز العدل والشورى والرأى والارادة ٠

والفاروق عمر الذى فرق الله به بين الحق والباطل له على دالة ، وله عندى جميل يعيش فى عقلى ووجدانى منذ ذلك اليوم البعيد من سنة ٦٢٠هـ حين عرضوا عليه فتح مصر فرفض ولكنهم سوغوا له الفتح بأنه دفاع عن النفس ضد الرومان الذين يحكمون المنطقة ومصر مركز قوة لمن يملكها ٠٠ والهجوم خير وسيلة للدفاع ٠

ومرة أخرى يقف العادل ثانى الخلفاء الراشدين الأربعة فقط ، يقف الى جانب مصر حين أمر جنوده ألا يمسوا الأرض فالأرض فى رأيه وضميره حق لأهلها واكتفى بالجزية التى كانت تمثل فى نظامه ضريبة دفاع ، يدفع المسلم أضعافها فى الزكاة فضلا عن تكاليف الجندية وحماية الثغور ٠٠ وهنا أشير الى أن المصريين لم يسلموا تخففا من الجزية فان الاسلام يترتب عليه بحكم فريضة الزكاة أضعافها فضلا عن ضريبة الدم التى يتفاداها الناس فى كل الشعوب والتى كنا الى أوائل هذا القرن نسميها « البدلية » ٠ أى البدل العسكرى ٠

لقد أسلم الناس فى كل مكان لا فى مصر وحدها ، انشراحا للاسلام وايمانا بعدله واقتناعا ببساطته وعمقه وصدقه معا ٠

أسلمنا يوم أعطى للمصرى درته وأمره أن يضرب ضاربه ابن عمرو ابن العاص واليه على مصر ساخرا من ابن الأكرمين ، مؤنبا فى قولة جامعة رائعة ٠٠ دافعة دامغة : (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهـــاتهم أحرارا ؟) ٠

أيهما أشد تأثيرا فى النفوس كلمة عمر أم فيالق الرومان ولو كانت حشود الأرض ؟

من أجل هذا كله كانت دموعى « نيلا » روى المقاصر وهى بالارواء والأنداء مقاصير ليست من الأرض بل سماء ما طاولتها سماء ٠٠

البيت الحـــرام

فى الطريق الى جدة : لكل بلد فجر ، وللمدينة فجران :

الرسول وهو نور متجدد بدد الظلم والظلام وفجر النهار .

ومن أسماء المدينة قديما « طيبة » هل راقت أصحاب منف الذين هاجروا فى الأسرة السادسة المصرية الى الحجاز فسموها طيبـــة ارواء للحنين ، وارضاء لاحساس مكين يلح على المصرى الجواب بعد المطاف مهما طوف وطاف .. رأينا الطريق الى جدة يكتنفه الجبال من يمين وشمال وأمام .. الطريق يخترق الجبل .. يضيق أحيانا ويتســـع أخرى .. الطبيعة قاسية جدا .. أحيانا تطالعنا شجيرات باهتة شابت خضرتها فهى مغبرة باهتة .

الطريق ممهد مضاء والسيارة فارهة ولكن حين هاجر الرسول عليه السلام من مكة الى المدينة تتوزعه ألوان من القلق ، وتتنازعه عديد من المشاعر .. أى وحشة لاقيتها يارسول الله .. أى عذاب كابدت .. أى صعب جالدت ولكنك صبرت وصابرت لأنك صاحب دعوة .. وصاحب فكرة .. وصاحب ضمير .. لأنك مصلح وهاد ورسول .

ولأنك صادق أمين عاشت دعوتك ، وطرحت رسالتك وأزهر عطاؤك وخلد اسمك على الأيام والأحداث والمحن .

وهذا هو الفرق بين أصحاب الدعوة وأصحاب العصا .

دانت بك العلماء .. والأقوياء والضعفاء .. والأحرار والأرقاء .. والبسطاء والأغنياء .. والمتواضعون والكبراء .. حين لا يدين بالعصا حتى الصغار والمتصاغرين الذين يخيفهم سطوتها ، أو تجذبهم منتها .. فيتساقطون على المن والأذى والقذى ويسقطون فى النهاية بسقوطها لا يبقى منهم ذكر ولا يحفل بهم تاريخ مبغوضين فى الدنيا والآخرة .. اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم ..

هان سعيهم وهانوا ..

ساعة ·· ساعتان ·· ثلاث ·· والجبال رابضة رابدة وحشني النيل والنخيل والجزيرة ·· وتذكرت قول ذلك العربي الذكي الذي قال لنا يوما مازحا كالجاد أو جادا كالمازح وكنا بعد الهزيمة نعيش شدة ترهقنا من أمرنا عسرا :

* تأخذون البترول وتعطون النيل وأم كلثوم ؟

وعلى القهر والعسر قلنا في كبرياء : لا ·

ألف لا يا حبيبة لن نرضى بك بديلا طعمنا الشـــــهد أو تجرعنا العـــــلقم ·

انك مع العسر واليسر ، مصر وكفى ·

* * *

نكمل الطريق الى جدة ··

ابتسمت ابنتي الى جانبي ولمعت عيناها ·· وسألتها بغير حروف فقالت : السيارة التي مرقت الآن مكتوبا عليها « الصبر طيب » · قلت ياصغيرتي بلدك رائد في كل ألوان التعبير حتى البسيط منه ·· غالبتها ، مصرية ، روح الفكاهة فقالت : ولكن صاحب السيارة لم يكتب « شابفك ياحرامي » فقلت لأن بلدك أيضا عاني طويلا من اللصوص ·

* * *

نمر الآن بمنطقة رابغ ·· البحر الأحمر على يميني غير بعيد ·· وغير بعيد أيضا شاطئه الآخر ·· شاطئي أنا حيث السويس ورأس غارب والغردقة وبرناس ·

بعض الجبال حمراء أي حديد ·· قلت لشاب سعودي متقف ثقافة رفيعة ليتكم تستفيدون بها فتقوم صناعة وصناعات ولكنه قال في هدوء خلي البال ، قال في طيبة :

ـ البترول مريحنا ·· لما يخلص نفكر في الحديد · ثم هناك دول دفيرة تعيش على صناعة الحديد أو تصديره لماذا ننافسها ؟!

مرة أخرى الجبل ·· هذا الجبل ليس له صديق الا أشجار قليلة وحفنة من البيوت في مدخل المدينة المنورة ·· هذه المدينة المفتوحة القلب منذ ذلك اليوم البعيد الغالي الذي استقبلت فيه الرسول وأمنته بعد خوف

وطمأنته وهدهدت آلامه ·· هذه المدينة الطيبة التى تكلأ كل شيء حتى الحجر ·· حتى هذا الجبل ·

حقا رأيت على مشارف جدة بيوتا صغيرة قابعة عند أقدام هذا الجبل وبعض أشجار أقصد نخيلا بعضه أخضر وبعضه أصفر الأوراق جف ماؤها ·· أصحابه هجروه فمات من الظمأ والقسوة ··

ما كدنا نخلف قرية الحسينية حتى ضاق الطريق وأطبق الجبل ··

رأيت على البعد ثلاث أعرابيات كأنهن ، فى اللون ، من جنوب أفريقيا ·· هل لوحتهن الشمس الى هذا الحد ؟

* * *

جبل بدر ·· هتفه ندت عن لسان محدثى العربى ·· قال هذا جبل بدر هل سمعت عنها ؟

وكيف ؟ ان بدر فى وجدان كل مسلم ·· هنا دارت معركة بين الحق والباطل ·· وانتصر الحق فى بدر ·· وانتصر فى أحد أيضا لولا ضعف النفس البشرية أمام الغنائم ولكن بعد بدر وأحد والخندق والحديبية ظهر الحق وظفر ·· وزهق الباطل وامحق أن الباطل كان زهوقا ·

من جدة الى مكة :

الطريق موحش تكتنفه الجبال · واذا كان موحشا على الرغم من الكهرباء والكبارى والمنازل والمدائن نرى كيف كان هذا الطريق قبل نصف قرن بل قبل عشرات القرون ؟ كان قفرا أجرد والآن يحسد الناس أصحابه ونسوا أنه تعويض عن عذاب طويل وحرمان أطول ·

بارك الله لهم فى الرزق الجديد بالعلم وحسن التدبير وذكاء الاستخدام ·

ان من يدخل الحرمين يحس أن البترول نعمة على المسلمين جميعا فكل هذا الاغداق المعمارى والقيمى على بيتين هما قبلة المسلمين على اختلاف ديارهم ، هو اضافة الى الوجدان المسلم والراية الاسلامية ·

ودخلنا مكة ·· انها طراز آخر غير المدينة وجدة ·· لقد توغلت مكة فى الجبل صاعدة ·· وذكرتنى مكة جبال أوربا حيث تأخذ البيوت مكانها على السفوح والمنحدرات كالقمم ·· طابع خاص لمكة لا تخطئه العين ··

ومدن الحجاز الثلاثة التى رأيتها على التوالى : المدينة ـ جدة ـ مكة ليس بها تراب أو ذباب ·· هنا غبطتهم ·

البيت الحرام :

الكعبة ·· مع خيوط الفجر الأولى سعيت اليه بعد سفر طويل · الطريق اليه مغطى بالناس الساعين المشوقين والمكان فيه مغطى بالطائفين الراكعين الخاشعين السجد الباكين ·· كل اليه مشوف ·· كل به يطوف كل به تتعلق عيناه ويداه ورجاؤه ودعاؤه وهيبته ولوعة دموعه من كل طريق اليه ·· من كل فج عميق اليه يهرعون مهرولين وزاحفين ، حثيث الخطى فى خفة وقعيد محمول فى محفة ·· اذا استبد الشوق بالمسلم اليه لا يعرف الصعب أو المستحيل ··

فى هذا البيت الله وحده الأكبر وهو وحده الأعلى وهو وحده الأعظم هنا تسقط الأقنعة كل الأقنعة تسقط الزيوف ·· حيث الانسان كل الانسان لا يستثنى غنى أو متعلم أو ملك أو أمير ·· الكل فى هذا البيت صغير صغير والعظمة لك ·· ضعيف ضعيف والقوة لك ·· عاجز عاجز والحول والطول لك امحت الفوارق والفروق كبيرها والدقيق · بل لعل أشد الناس خشوعا وخضوعا ·· بكاء ونحيبا الأشداء الأقوياء ·· لعل التكفير عن غرور الانسان ·· لعلها الحقيقة التى غابت فى زحام المدينة ·· لعلها الحاجة اليك ·· لعلها العودة الى رحابك ·· لعله اللواذ ببابك ·· لعل ·· كم تعلم ولا نعلم انك وحدك علام القلوب والغيوب ·

وطفت مع الطائفين وكبرت ورجوت ودعوت وسعيت وصليت وحين وقفت أمام الحجر الأسود حال بينى وبينه خلق كثير ولم أتحول بل انتظرت فرجة بين الصفوف ودنوت منه وقبلته لأن من هو خير منى قبله محمد رسول الله عليه السلام وبعده أمير المؤمنين عمر بن الخطاب والذى قال له (والله انى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أن رسول الله قبلك ما قبلتك) ·

وصليت فى مقام ابراهيم وصليت فى حجر اسماعيل ورأيت كيف تحنو الوجوه عليه وكيف تنحنى حتى الجباه الشماء على غيره لأنه وحده ذو الجلال والاكرام ·

هذا الملأ دوائر دوائر من الرجال وأخرى من النساء وأخرى من الأطفال أطفال لا يتجاوز عمر بعضهم بضع سنين يصـــلون في ملابس الاحرام ٠٠ أطفال قد لا يستوعبون كل هذه التلبيات والابتهالات ٠٠ بل قد لا يستوعبون ملابسهم نفسها لكن هذا المشهد لا ينمحي من نفس كل من يراه ٠

وجاء دور السعي بين الصفا والمروه ٠٠ شرف من الحجاره هنا وشرف من الجبل هناك وبينهما يسعى المعتمر أو الحاج ولكن المكان قام عليه بناء مهيب فالتقت الطبيعة بالانسان والمكان نهران أحدهما للســـعى والآخر للعودة وفى الوسط نهران آخران للمرضى أصحاب الكراسى وهنا رأيت ألوانا من البر ٠٠ ابنا يدفع الكرسى ساعيا بأمه بين الصفا والمروه وأبا يحمل ثلاثة من صغاره فى الكرسى ويدفعه أمامه ٠٠ انه لون من العطاء ٠٠ وما أقدر الآباء على العطاء ٠٠ ليت الأبناء يعرفون ٠

قد يستشعر الانسان الهيبة حين يدخل مشهد الامام الحســـين أو ضريح السيدة زينب أو مسجد السلطان حسن ولكن هذا المسجد ٠٠ البيت الحرام لون آخر من الاحساس مختلف جدا ٠٠ هـــذا بيت لكل الناس ٠٠ لكل الأجناس وما أن يدخلوه حتى تذوب فروق اللون والجنس ويصبحوا بنعمة الله اخوانا ٠٠ وقد لا تسعف اللغة لاختلافها وتفاوتها فتنوب العيون والأيدى فى التعبير ٠

وقد يجهد السعي بين الصفا والمروه ، الساعين مع ما يحسون به من راحة نفسية أن كتب الله لهم أداء هذه الفريضة التى تعز على الكثيرين جهدا ومالا ولكن وجه العبرة فيها اعلاء الانسان اما تعصف بها الحيرة وهى ترى وليدها يكاد يقتله الظمأ ولا تملك الا قطرة ثم الأمل بعد اليأس حين يبدل الله كربها أمنا وراحة وسلاما ويتفجر الماء من الصخر ومن المواقف ما يفتت قلب الحجر ٠

أما زمزم عين الماء الثره التى لا تغيض ٠ انها أحد معالم البيت وأمنية البعيد فدعاء المسلمين فيما بينهم حين تسود المحبـــة الشرب من زمزم والصلاة فى الحرمين ٠

ونودى للصلاة فاذا بهم يذرون البيع والتجارة حتى ولم يغـــادروا محالهم ولكنهم يغلقونها ٠٠ ويغص المكان بالناس على سعته ولكن هـــذا الاحتشاد ظاهرة دائمة موصولة حتى فى غير أوقات الصلاة ٠٠ اليه الناس

يوفضون آناء الليل وآناء النهار فاما صلاة واما اعتمـــار واما طواف واما تعبد واما تهجد واما راحة واسترواحة اذ الانسان يتملاه ٠

كم يروع البيت بعد الطهارة والعمارة ، بالنظافة وكم يضوع بالطيب وأتذكر مسجد الحسين وبصمة الاهمال لا تخفى وصوت النذير لزائره من كثرة نصائح الحراسة على المـال !! ما الذى صرنا اليـــه ؟ مع أن معظم المعتمرين مصريون ! ويلتزمون هنا بالنظافة والمواقيت والصوت الخفيض٠ ماذا عدا عما بدا ؟

ويربى الحمام ويطعم فى مكان آخر خارج البيت الحرام ولكنه يدفدف عليه ويحط عنده نظيفا مثله فلم يحدث أن تركت حمامة واحدة فضلاتها على كثرة ما يرفرف حواليه ويحوم ٠

(انا أعطيناك الكوثر ٠٠٠)

يفسر البعض الكوثر بالجنة أو بأنه اسم نهر فى الجنة ٠٠

ان الجنة يدخلها مؤمنون كثيرون وصالحون كثيرون ولكن ما أراه هو جنة على غير مثال ٠٠ اجماع هؤلاء جميعا جنة ٠٠ والحب والاكبار جنة ٠٠ وخلود الذكر جنة ٠٠ والأثر العالى الغالى الباقى على الحياة وبعد الحيـــاة جنـــة ٠

جنة البيت الحرام فى مكة وجنة الروضة الشريفة فى المدينـــة بل تمتاز على الجنة بأنها تقترن به وتنتمى اليه دينا وشخصا ٠

(انا فتحنا لك فتحا مبينا ٠٠٠)

أجل الفتح فتح العقول والقلوب ٠٠

مزارات المدينة المنورة

جبل احـد :

جبل عال يرقد فى سفحه سيد الشهداء حمزة فى قبر لا يميزه من سطح الأرض غير خط دائرى من الطوب على شكل مستطيل يشترك معه فيه ·· فى قبر آخر ، عبد الله بن جحش ·

وعلى مقربة منهما مقبرة أكبر حجما تضم ٦٥ شهيدا من شهدا أحد ·

مقابر لا يرتفع بها البنيان ولكن يرتفع بها « الانسان » الذى توسده ثراها ، ثريا تشرف به شجاعة القلب والضمير ·

ويحيط بهذه المقابر المزارات سور تطل عليه من ناحية الجبل بيوت حديثة من آثار زحف العمران ومن الناحيـة الاخرى بيـوت أثرية من مخلفات العصر التركى ·

وعلى يمين السور مسجد عم الرسول ، مسجد حمزة ·

وينبثق من جبل أحد تل يقال له (تل الرماة) الذى اختاره الرسول موقعا حصينا ، فى معركة أحد فلما تركوا هذا المكان سعيا وراء الغنائم دارت عليهم المعركة ·

وعلى مقربة من جبل أحد المدينة القديمة المتمثلة فى مجموعة النخيل والتلال ·

ويقال أنه سأل سائل : أين الحرم ؟

فجاءه الجواب : (ما بين جبليها حرم) أى أنها كلها حرم ·
وانها لكذلك ·

مسجد القبلتين :

مسجد صغير به قبلة شمالية كانت ترمز الى بيت المقـدس وقد طليت الآن تذويبا لمعالمها ·

وقبلة جنوبية زمزا لمكة المكرمة ٠

والمسجد محرابه متواضع ٠

وقد جدد بالطبع ٠٠ تقول هذا بغير حروف المراوح التسع المدلاه من سقفه وجهـــازا التكييف وعدادات الكهرباء ٠٠ والموكيت على الأرض والسجاد ٠

على باب المسجد رجال ونساء فى هيئة متواضعة يبيعـــون سلعا صغيرة ٠

قلت لطبيب مصرى يرافقنى فى هذه الزيارة : كيف يكون فى بلد البترول فقراء كهؤلاء ؟ وابتسم قائلا ليس فى هذا البلد فقير ٠

ان فى المكتب الصحى ـ وهو رئيس المكتب الصحى ـ عندى فراش تتقحمه العين ٠٠ زرى الهيئة الى درجة أننا فى قرارة نفوسنا نأنف أن نشرب من يده الشاى ٠٠ هذا الفراش الذى لا يحمـــل مؤهلا أو علما يتقاضى مرتبا ٤٠٠٠ أربعة آلاف ريال سعودى أى ألف جنيه مصرى اذا حظى الجنيه المصرى بأربعة ريال فى المقابل ٠٠ أى ما لا يتقاضاه أكبر موظف عندنا وهو رئيس الحكومة ٠ فالهيئة هنا ليست شرطا أو دليلا ان الحكومة هنا تعطى خريج الجامعة عند تخرجه خمسين ألف ريال توددا ليقبل وظيفة الحكومة !!

وتعطى الشـــــاب الذى يريد الزواج عشرين ألف ريال هدية أو تشجيعا على اكمال نصف الدين !! وهؤلاء الذين توهمتهم فقراء يأخذون الكثير من الحكومة ولكن ما يأتونه من حرف خفيفة نوع من التسلى أو زيادة الدخل لم لا ٠٠

لقد كنت واهمة ٠

وتذكرت قولى لصديق مصرى مرة أنظر الى الشارع الرخامى لقــد غطى الشارع بالرخام الأحمر الصناعى لوجود مادة عازلة للحرارة به أما رصيف الحرم وهو فى اتساع شارع فانه من الرخام الأبيض ٠٠ فلم يجارنى فى دهشتى بل قال ان هذا البلد يجب أن تكون الشوارع فيه طوبة فضة وطوبة ذهب ٠

بعض الناس يغبطون أهل الجزيرة العربية على الثراء الجديد ولكنى من قلبى أسعد بسعادتهم من حقهم أن يسعدوا ٠٠ من حقهم أن يعيشوا

بعد طول حرمان ٠٠ زادهم الله مالا بل انى أدعوه أن يعطيهم الى جانب المال حسن التدبير له ، وأن يعطيهم العلم لتتم نعمته عليهم ٠

المساجد السبع :

هناك سبع مساجد متقاربة فى المدينة لا يزيد مساحة الواحد منها عن صالة فى بيت كبير ٠٠ ويفسر القائلون هذه المساجد بأنها من انشاء سبع سيدات أردن بها أن تكون مقابر لهن وقائل يقول ان هذه المساجد لشهداء ٠

المساجد تحمل هذه الأسماء الكريمة :

مسجد « أبو بكر الصديق » ــ مسجد « عمر فاروق » ــ مسجد « سلمان الفارسى » ــ مسجد « على كرم الله وجهــــه » ٠٠ الخ وأكبرها جميعا مسجد الفتح الذى هو مسجد « الرسول » عليه السلام ٠

ومع هذا ففى المدينة المنورة مسجد آخر يحمل اسم « سيدنا عمر » بشارع قباء ومسجد « سيدنا أبو بكر الصديق » وهو على مقربة من مسجد الغمامة « مسجد الرسول » ٠ انه صديقه فى الدنيا والآخرة فى الحرم النبوى وفى المسجد ٠

مسجد قبــاء :

أول مسجد بنى فى المدينة المنورة وقد كتب عليه ــ فى الداخل ــ المسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه رجال يحبــون أن يتطهروا والله يحب المتطهرين ٠)

كما كتب (من تطهر فى بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه ركعتين كان كأجر عمرة ٠) ٠

مسجد قبا له روح ٠٠ له طابع خاص ٠ الأعمدة الرخامية المضلعة أضلاعا رفيعة بيضاء وواجهته من الداخل مضلعة تضليعا رفيعا على التوالى أبيض وأسود ٠

وفى المسجد على صغره دكة المرددين الخشبية على أعمدة رخامية ٠

وفى المساجد صغيره أو كبيره مكتبات قرآنية ٠

السقوف منخفضة

السقوف العالية والقبوات جاءت مع الثراء .. والثراء عمارة وبوابة الحضارة .

مسجد الغمـامة :

بنى فى البقعة التى ربى فيها الرسول طفلا ولوحظ أن هناك غمامة كانت تظلله أينما ذهب .

البقيـــع :

انه مثوى فاطمة الزهراء وابراهيم ابن الرسول صلى الله عليه وسلم وعثمان والعباس والحسن بن على وغيرهم وصفية عمة رسول الله عليـــه السلام .

والبقيع محاط بسور حديدى ولا يسمح بالدخول ولكن العين تقف به من خارج الأسوار .

* * *

وفى المدينة شارع يحمل اسم أبى ذر قريبـــا من شارع الحرم النبـــوى .

فى المدينة حركة انشائية واسعة . فى المدينة زراعة عمرانية .. زراعة مبان .

الأسماء فى المدينة اسلامية ذات ايحاءات عميقة ومريحة .. ومن الراحة حمام الحمى يرفرف أمام الحرم جماعات بل فى المدينة .

ومن الطريف أن فى المدينة أسماء مصرية خالصة : استديو الاهرام فندق شبرا ــ وفى الاذاعة السعودية صورة من البرامج المصرية (الكأس لمن) بل مسلسلات مصرية أو مسلسلات تنهج نهج المسلسلات المصرية بل تردد أسماء النجوم المصريين فى الحوار .

وفى المدينة شارع السكة الحديد وكان به خط حديدى يصل بين المدينة ودمشق وتركيا ثم يتصل بقطـــار الشرق السريع الذاهب الى أوربا .

ويقال ان النية تتجه الى احيائه الآن .

وفى آخر شارع قباء قلعة تركية غدت أطلالا .

ومن الطريف أن فى أحد ميادين المدينة قاعدة عليها « دلة » أى كنكة ٠

اذن القهوة العربية رمز ٠٠ وهنا استشعرت الخجل ٠٠ لقد كنت فى ضيافة الأمير عبد الله الفيصل آخذ فنجان القهوة ثم أتشاغل عنه حتى يمر الساقى ويجمع الفناجين ٠٠ ولما كانت فناجين القهوة تدور تباعا يتلو بعضها بعضا فقد لاحظ الأمير أنى لا أتناول ما بها من قهوة ٠ ولما حان وقت الغداء ودارت الفناجين قبيـل الجلوس الى المـائدة قال للساقى ضاحكا : انها لا تشرب القهوة ٠

❋ ❋ ❋

وأخيرا فى المدينة لمحت عينى لافتة من القماش على طريقتنا فى مصر مكتوبا عليها :

٢٠ مليون جالون من المياه العذبة لرفاهية المدينة !

المياه بالجالون رفاهية وبشرى ولو كانت ٢٠ مليون ٠٠ أى نعمة حبانا الله بك يا نيل ٠

غالية المدينة بما هى مثوى الأعظم العطرات ٠٠ ان الوجدان المسلم لا يريد أن يبرحها ٠٠ ولكن لابد لى من رؤية مزارات الحجاز فتحركت وتلفتت عينى كالشريف الرضى حتى اذا بعدت المعالم ولا أقول خفيت الطلول ، تلفت القلب ٠

بعد مزارات المدينة أقف عند مزارات الحجاز مع آن القاعدة ذكر الخاص بعد العام ٠٠ ولكنها المدينة المنورة ٠

مزارات الحجاز :

غار حراء حيث آوى اليه الرسول مع أبى بكر الصديق والصديق ٠ غار شكله خشبى وهو حجرى ٠ قمته كهف مميز ٠٠ به الآن شق ويتسلق الناس الى هذه القمة للاستطلاع أو الاستمتاع ٠٠ يصعدون مرة ولكن الرسول صعد مرارا للتهجد والتعبد ٠

أن يفعل الرسول هـذا قبل الرسـالة ٠٠ ويفعل ما فعل بعـد الرسالة ليس شيئا عاديا ٠٠

أنه أكثر من كبير بكل المقاييس ٠

جامع النمرة : وما وفر له من بناء وبهاء ·· نحن هنا حيث صلى الرسول صلاة الظهر ·· نحن بين وادى عرنه ووادى عرفه ··

جبل الرحمة : حيث صلى الرسول وخطب خطبة الوداع ·

به سلم واضح التهذيب · كل شيء مسته يد التيسير والتخطيط حتى الجبل أصبح مدرجا وقد انتشرت به أعمدة النور ·

بعض صخر جبل الرحمة كتبت عليه أسماء · واقتربت من الأحجار لقراءة الأسماء فأجدها لمصريين بدليل العناوين المذيل بها الأسماء !! اننا نحب الكتابة حتى ما كان منها عشوائيا أو فضولا ·

المشعر الحرام :

المزدلفة حيث تجمع الجمرات

فى هذا المكان المشعر الحرام أقيم فوقه مسجد فخم الآن ·

فى هذا المكان صلى الرسول بالمسلمين المغرب والعشاء قصرا وجمعا وانتظر حتى صلاة الفجر ·

كل شيء يبلور الآن ويأخذ الوضع اللائق به · ان أكبر نعمة أسبغها الله على الحجاز ، **الاسلام** · فكل « اسلامى » له الصدارة فى التفكير والتعبير ·· التعبير عنه ، والتعبير به ·

حتى الجمر تهيئه الحكومة بأحجام صغيرة نكاد نكون متساوية لتوفر على الناس جمع الجمرات ·

المذبح : وبه محرقتان لحرق لحوم الهدى ·

ثم نهدنا الى منى حيث مسجد الخيف ·· حيث صلى الرسول عليه السلام ، الفجر قبل أن يقف على عرفات ·

جمرة العقبة :

أى مجمر العقبة حيث يرمى الناس الجمرات فى هذا المكان أنشىء كوبرى دون أن ينسخ هذه الذكرى حيث حدد الموضع تحت الكوبرى بحيث يستطيع الناس أن يرموا الجمرات اذا وقفوا أسفل الكوبرى ويستطيع من يريد أن يرمى من أعلى الكوبرى وتنزل الجمرات فى الدائرة المقصودة ·

وفى مدخل مكة قبر السيدة الكريمة العظيمة « خديجة رضى الله عنها » العظيمة التى بعد التشبيه بها تطاولا الى تشبيه الثرى بالثريا ٠

السيدة العظيمة التى وقفت وراء الاسلام برجاحة العقـــل ودماثة الخلق وعمق الشخصية ثم بمالها الموروث فأنفقته فى سبيل الدعوة وخدمته لنشرها فكم من أرقاء اشترتهم ثم أعتقتهم ٠٠ انسانية ودينا معـــا ٠٠ وهبت وما نهبت ٠٠ ولا غرو فهى شريفة قومها ٠٠ خديجة بنت خويلد وهى خديجة زوجة الرسول العظيم ضمت المجد من أطرافه ٠

وعلى مقربة من قبر خديجة مزار المسلمين ، مقابر أعمام الرسول وفى شعب عالية بيت الرسول عليه السلام وقد بنوا فى المكان مكتبــة تسمى مكتبة مكة : لعلهم خافوا الافتتان لقد دانت به العلماء فى الحياة وبعد الحياة واقترن باسمه العلم والنور فى الحياة وبعد الحياة ٠

وفى الحرم يرى من أعلى الجبل مسجد بلال ٠٠ وكأنى على البعـــد أسمعه صوتا جميلا يسرى مع أنداء الفجر يتهدى بكلمة « الله أكبر » ٠

أين منه أبو جهل وأبو لهب وامرأته حمالة الحطب ٠٠ ذهبوا كالزبد وزهقوا كالباطل وهكذا كل جاهل وكل لهب ٠

أحـــد ٠٠ أحـــد

أنه ألم لها رنة فى التاريخ الاسلامى ان استمساك بلال بالحق بعد أن ظهر له نوره ، واصراره عليه ، موقف يستمد منه أصحاب المبـــادىء مهما لقوا من عنت وعناء ٠٠ انهم بصمودهم الصابر ، وصبر الصامد أقوى الأقوياء ٠٠

جمادى الآخر ١٤٠٢

أبريل ١٩٨٢

المغــرب

الدار البيضاء

الليل رهيب غامض فى البحر والجو أى الطائرة ٠

أقلعت بنا الطائرة المغربية من مطار القاهرة فى الخامسة والربع صباحا ٠

لم يؤنس الليل الا نور القاهرة ٠٠ دائما من الطائرة تبدو حبيبتى عقدا من اللآلىء على صدر الليل ٠

وأمعنت الطائرة فى التحليق وأمعنت القاهرة فى البعد ٠٠ وأمعن الشوق اليها فى قلبى ٠

وتنفس الصبح وأزهرت السماء بالأزرق الصافى وتلاقى خط الأفق بالبحر الذى كان يغطيه السحاب وكأنهما سماءان أو صدفة لؤلؤية ونحن بطائرتنا فى جوفها ٠

واقتربت الطائرة من المغرب فوزعت علينا المضيفة بطاقات التعريف ٠

ومن الطريف أن خانة الميلاد كتب فيها (تاريخ الازدياد) حسنا أن يكون المولود ، اضافة ، لا عددا ٠

بدأت الأرض تظهر صخرية ، متفاوتة الارتفاعات تتخللها مربعات وأشكال تكعيبية من الخضرة تتناثر فيها البيوت تبدو من عل كلعب الأطفال ٠ وكبرت اللعب فى عينى ٠٠ انها دور جميلة مشرقة ٠٠ الطائرة تدنو من الأرض ٠ هبطت فى المطار ٠

رأيت كورنيش الاسكندرية فى الدار البيضاء حتى الأسماء (شاطىء ميامى) مثلا ٠٠ والمكتبات : دار الفكر ودار الكتاب ومكتبة المعارف ٠٠ وهناك معهد وادى النيل وحى المحمدى ٠

الدار البيضاء مدينة بيضاء يزيد بياضها نصوعا ، اللون الأخضر ٠٠ حدائق وأعنابا ٠٠ الحدائق جزء من البيوت الصغيرة كالقصور والفيللات ٠

الحدائق فى عين ذئاب وحديقة الحيوان فى (عين سباع) هذه المدينة الرقيقة أخلق بها عيون المها لا الذئاب ولا السباع ٠

على الرغم من أن المدينة جديدة ، ويعتبرونها أوربية الا انها مغربية الطابع ٠٠ حتى محطة السكة الحديد بيضاء مغربية ٠

أما المدينة القديمة فهى أيضا نظيفة واحدة الارتفاع ٠٠ بيضاء ٠ من العادات الطيبة فى المغرب من ولعهم بالنظافة ، انهم يطلون البيوت ، كل عام ٠

والبيوت القديمة بداخلها حديقة ونوافدها من الزجاج الملون والحديد المطروق ٠٠ الأحياء الشعبية وحى « الانفا » بثرائه يستويان فى المحافظة على اللون الأبيض ٠

حتى منطقة المعامل نظيفة وهادئة هدوءا ملحوظا بالقياس الى مناطق المعامل ٠

حتى المنطقة الفقيرة دمثة لا أصوات عالية أو نابية ٠ السائلون فى المغرب يكاد وأحدهم يهمس فى أذنك بدعاء لطيف خفيض (الله يرحم الوالد) ٠ ونساؤها يلبسن الخمار (البيشة) والخمار أسود وألوان ٠

ومن طرائف المغرب التى طالعتها بدءا بالدار البيضاء انهم يطلقون على الكنيسة (مسجد للاجانب) ٠ وهى تسمية فيها الاحساس بوحدة المعابد ٠ كل دار عبادة عند أصحابها ، مسجد ٠٠ انها سماحة الاسلام ٠

وفى المغرب يبدلون التاء ، طاء ، طاكسى ـ طوطال ٠ وهو التاكسى الصغير ولونه أحمر أما التاكسى الكبير فلونه أبيض ـ موسيطانيا ٠

ويسمون الأوقاف ، الأحباس أى يحبسون الخير عليها ويخصونها به ٠

ودار المحكمة : مجمع المحاكم ٠

الشهود : العادلين ٠ فى ايحاء جميل ومن أجمل الأسماء التى استوقفتنى مدرسة اسمها « الأنامل الذهبية » ٠

والشارع : الشريعة وفى تونس يسمون الشارع : النهج ٠

وبمناسبة الشارع . الطرق فى المغرب سهلة موطأة الاكتاف
هناك زجاجات أو أعناقها .. وندت عن ابنتى رنة ألم .. قالت :
قسونا على القاهرة .. لم نعرف لها حقا .. مسخنا الجميلة كر
فى كل شيء .

وأحسست بألم أعرفه .. فطالما احسست به كلما رأيت ا:
عليها فى الشكل أو الروح .

العين فى المغرب لا تلمح عساكر مرور الا على مسافات بعيدة ـ

حين يستقيم الناس لا محل للسلطة .

الطربوش فى المغرب يعلو الرءوس بقية من العصر العثمانى .

السيراميك والفسيفساء فى القصور ، دانتلا بالألوان .

الفوسفات بترول المغرب ومعه الموالح ويطلقون كلمة موالح
الفاكهة والخضر .

وفى (المحمدية) مصانع تكرير البترول .

وفيها فندقان كبيران أحدهما : الميرديان .
وبيوتها قليلة الطوابق ذات طابع واحد وبيضاء أيضا .

وعلى طول الطريق ، القوى بيضاء .

قلما يزاحم اللون الأبيض فى المغرب لون آخر اذا استث
مراكش « الحمراء » .

الطريق من الدار البيضاء الى الرباط حوير .. وهو اتجا
أخضر الجانبين أزهر . ولكنه فى « الصخيرات » حيث القصر الملك
يصير واحدا .

وأهل المغرب لا يتكلمون على لافتات القماش .

وفى المغرب نهر أم الربيع ينحدر من جبال الأطلس ويصب
المحيط الأطلسى قريبا من مدينة « صويرة » .

ويبلغ طوله نحو ستمائة كيلو متر .

أنت أنت الله اله الناس .

وكل بلد تعتز بشيء من صنعتك وتبقى أنت بعد هذا الصانع الأكبر والمنعم الأكبر على الانســـان فى كل مكان وزمان ما أكرمك يا وهاب وما أعظمك لك الملك وحدك ٠٠ ملك السموات والأرض فى الدنيا ٠

ومالك يوم الدين أى العالم الآخر فى استقطاب رائع لمعانى الثواب والعقاب والحساب والجنة والنار ، فى بلاغة منقطعة النظير ٠

ومالك هذه سيطرة كاملة تامة ٠

من أجل هـــذا كانت الفاتحة وآية الـكرسى من آيات الكليـــات **فانت الله الذى لا اله الا هو** (**وحدانية**) **الحى** (ومن عداك موقوت يموت) القيوم الذى يقيم كل شيء فهو يحكمه ويملكه بالحكمة والعدل والعلم ٠

لا تأخذه سنة ولا نوم يقظة دائمة ٠٠ نوعية مستحيلة على غيره ٠٠ حتى السنة ــ بكسر السين ــ لا تأخذه ٠

يملك من فى السموات والأرض (وبوبيه) ٠

من ذا الذى يشفع عنده الا بإذنه (ملك الناس ٠ اله الناس) ٠

يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم (محيط) ٠٠ ولا يحيطــون بشيء من علمه (كل شيء قاصرا أمامه ٠٠ ليس له كفوا أحد) ٠

وسع كرسيه السموات والأرض (هو فى كل شيء ٠٠ وفى كل شيء تراه)

ولا يئوده حفظهما (قادر) ٠٠

وهو العلى (أعظم الرفعة) العظيم ٠٠

ما أعظمك وما أكرمك ٠٠

أبريل سنة ١٩٨٢

الرباط

الطريق الى الرباط حرير اوتوستراد أخضر الجانبين أزهر ٠

وتقع فيه أو عليه « المحمدية » حيث مصانع تكرير البترول ٠

وفى المحمدية ، فندقان ، أحدهما الميرديان ٠

وبيوتها قليلة الطوابق ذات طابع واحد وبيضاء أيضا ٠٠ فلما يزاحم ، اللون الأبيض ، فى المغرب ، لون آخر ٠٠

رأينا فى طريقنا نهر « أم الربيع » ينحدر من جبل الأطلس ويصب فى المحيط الأطلسى قريبا من مدينة صويرة وطوله نحو ستمائة متر ، والنهر فى المغرب يطلق عليه « الوادى » ٠

كل بلد يعتز بعطية من عطاياك ٠٠ من صنعتك ٠٠ وتبقى انت يا الهى بعد هذا الصانع الأكبر والمالك الأكبر والمنعم الأكبر على الانسان فى كل مكان وزمان ٠ ما أكرمك وما أعظمك لك الملك ولك النعمة ٠

« الصخيرات » حيث القصر الصيفى للملك ٠ الطريق هنا يصبح واحدا ٠٠ بعد قليل رأينا المحيط الأطلنطى ٠

ها مدخل الرباط عمارات جديدة مستديرة ٠ الفتحات أنصاف دوائر ٠٠ الطوابق محدودة ٠٠ اللون أبيض عاجى ٠ والطراز الدائرى طابع الرباط ٠

الرباط هى العاصمة الادارية حين تشكل « الدار البيضاء » الدار البيضاء العاصمة الاقتصادية ٠

فى مدخل الرباط محطة عامة للسيارات ومثلها فى وسط المدينة حتى لا يثقل الزحام ، المدينة ٠

وفى الرباط حديقة للحيوان وحديقة عامة كبيرة والشوارع خضراء ظليلة ينعم بعضها بجزيرتين كليهما ذات صفين من الأشجار ٠

أهم ما لفت نظرى سور المدينة ٠٠ سور قديم يحيط بها ٠ باب الرواح شبهته ابنتى بشارع الشانزليزيه وفى آخـــره قوس النصر وتذكرت أسوار القاهرة وما وصلت اليه ٠

السور له بوابات وقد احتوى المدينة حتى القصر الملكى ٠ وقد ترك السور بدون طلاء احتراما للقدم ٠

بوابة أو باب السفراء فقصـــر الملك مسموح الدخـــول منه ٠ على اليسار بيوت الحاشية وزارات ٠٠ وزارة الأوقاف والشئون الاســـلامية وزارة الصناعات التقليدية ٠٠ الأسماء عربية صراح ٠٠ وتذكرت موجة الأسماء المستعجمة عندنا حتى الأســـماء الشـــعبية لبست القبعة فوق اللاسة ٠٠ فقرنى ، كرونيك ، وازينهم) ارتيزان الخ ٠

مررنا برئاسة الوزراء ٠ العمارة على الطراز الأندلسى أى المغربى فعمارة الأندلس هى المنقولة عن المغرب وكم بالرباط من فليلات أندليسية أى مغربية ٠

وفى القصر مسجد أهل فاس ٠ وفى القصر حديقة عامة ٠

جنود الحرس فى الزى الأحمر ٠

سور القصر مصمت ولكن الأبواب مفتوحة ٠

وفى الرباط المدينة الرباعيـــة الخضراء تستدير الأشياء : البوابات والشرفات والنوافذ ٠٠ حتى مدينة شلا وهى رومانية أصلا ثم أخذها الفتح العربى فاستدارت البوابات فيها وفى الرباط نهر « أبو رقرق » وهو ضيق كترعة ٠

وفى الرباط « صنعة حسان » أى منارة ٠

ومن معالم الرباط « ضريح محمد الخامس » والسور الفيروزى وهو قطعة فنية ٠٠ الحرس على الجياد ٠٠ الســـقف من الخشب المذهب ٠٠ السلم الرخامى العريض ٠ شرفة مستطيلة رخامية خضراء يطل منهـــا الزائر على الضريح الداخلى المجزع على أرضية رخامية سوداء وهو محاط بالورد ٠٠ وحوله كوردون ٠

الأرضية مرصعة بالصدف الملون كأنها مرآة ٠

ورخام الضريح منقوش كأنه دنتلا من الرخام ٠

الاعلام الحمراء ذات النجمة الخضراء فى سراريها حول الضريح ·
فى كل جانب كبير ثلاثة أبواب وفى كل جانب صغير باب واحد الأبواب تفتح على المسجد الكبير الجامع للرجال والنساء ·

لم ترتفع عينى من على الضريح ·

القبة من الخشب المذهب « عجيبة » ·

النوافذ من السيراميك والزجاج الملون ·

الجدران من الفسيفساء والصدف يعلوها نوافذ شكلية من السيراميك المذهب ·

فى ركن الضريح شلته مربعة ووسادة حمراء يجلس عليها قارىء القرآن وأمامه المصحف على كرسى المصحف ·· يقرأ فى صمت لا ترى ولا تسمع الا شفتين تتحركان ·

النجفة من النحاس المشغول مضلعة تنتهى بنقطة تعلوها قنديل مستدير يعلوه متوازى الأضلاع أو سداسى الأضلاع فى تواز ·

الآيات أعلى الجدران الفسيفسائية ··

لكل أمة نظرتها الى الموت ·· لقد تذكرت قبرا متواضعا يضم عظيما شامخا هو الملك فيصل يبدو أن المغاربة تغلب عليهم ، مثلنا فى مصر ، العاطفة فيسمونها أضرحة تتحدى البلى ·

منارة حسان يتوسلون بالحبل فى الصعود ·

انها بالأعمدة الرومانية تطل على المدينة ·

مدينة سلا قديمة بيضاء وهى فى الحقيقة مدينتان : « سلا القديمة على الشمال فوق ربوة ، « وسلا » الجديدة على اليمين فوق ربوة أخرى·

الشوارع فى الرباط كسائر المغرب نظيفة فى عين كل زائر · النظافة طبيعية لا مستحدثة للزيارات الرسمية أو موكب جنازة الشاة ·

ومن معالم الرباط شارع محمد الخامس وهو واسع فخم جميل نظيف ·

ومجلس النواب أمامه أقدم فندق اسمه « باليا » ·

حتى الحى الشعبى بالرباط الأشجار على الجانبين ·

حتى السجن أبيض وأمامه حديقة على ربوة ٠٠ حقا لن يغنى هذا شيئا عن الحرية ولكنه لمحة انسانية تكبر على الغضب والعقاب أو قل : دماثة الأصيل ٠

بل ان « المزبلة » حديقة !! وتذكرت الحديقة العالمية « الأزبكية » التى صارت اليوم مزبلة ٠

وبالرباط متحف « لودايا » انه متحف للتاريخ ٠٠ تعرض به الأزياء المغربية على مسار العصور ٠٠ وكل قديم وتاريخ تطوره ٠

وفى المتحف ركن الموسيقى وبه أنواع الطبول والنفير ٠ العود الموجود قديم يحمل اسم صاحبه « سيدنا مولانا عبد القادر » العود فى المغرب يسمونه « كنبرى » والصاجات الكبيرة ـ قرقبات أما الصاجات الصغيرة فاسمها نواقس ٠٠ والطبلة : دربوكة ٠ موسيقى الموكب موسيقى صاخبة ٠ وموسيقى الآلة المسماه الموسيقى الأندلسية مجموعة من كمنجة ، عود ، ربابة ٠

وفى المتحف ركن موسيقى اقليم « سوس » ٠

وفى المتحف ركن يمثل « البيت المغربى » به صندوق الجهاز « وصفه » لرب الأسرة ، ومنجرة ، وغطاء هرمى لحفظ الخبز والطعام ٠ وأرائك ومعرض وسائد ٠

ونموذج لبيت آخر :

ركن به نموذج عروس باطيه ٠ نركن به نموذج عروس فاسيه ٠

وخمار المغربيات يبدأ أعلى الفم وينسكب على الصدر ٠ يبدو أن المغاربة تغلبوا على مشكلة الثرثرة النسائية ٠

وفى المتحف أرائك تطل على المحيط يرتاح اليها ويرتاح عليها الزوار يتناولون الشاى وقد انبسط أمامهم المحيط الأطلسى تحوم فوقه الطيور البيضاء كالبيوت المغربية وقد فرشت الأرائك بالاصص والزهور ٠ تصور هذه الاطلالة على المحيط ٠

والشاى يقدم مع كوبين لكل شخص كوب للشـــاى وكوب فارغ للتبريد ؟ النعناع صحبه فى الكوب · أكواب الشاى قبل الحافة تستدير الى الخارج ·

كل شىء فى المغرب رقيق ناعم ·

سيارة تعليم كتب عليها · أيها السائق تذكر مرحلتك الأولى ·

والمغربى من رقته ، ودماثته ، حتى حين يشـــتد غضـــبه ، لا يمس الآباء بل يقول على السىء : كلب على كلب ·· ان السىء وحده يستحق اللعنة التى تنحصر فيه ·

الدعاء فى المغــرب رقيق : « دمت » ·· « الله يعطيك الصحة » « يطول عمرك » بدون شدة ـ ليس فى الدعاء المغربى ، أو منه ، «يوقف نموك » ، « يشفى الكلاب ويضرك » وان كانت هذه على سلاطتها صورة كاريكاتورية طعمة ·

ومع هذا يرى المغربى وهو انسان رقيق ودود ، اللهجة المصرية ، عربية متحضرة ·· ويرى مصر أم الدنيا ·

مدن مغربية

رحلة المغرب

كانت زيارتي للمغرب في فبراير ... سألت المصريين الذين زاروا المغرب قبلى فى ذلك الوقت من العام .. وصـفوا البرد والتبرد (بفتح الباء) والثلج . احتل المعطف الثقيل جانبا كبيرا من حقيبتى فاذا بى لا أحتاجه فى الدار البيضاء والرباط فما بالك بمدن الجنـوب ... فى طبعنا التضخيم والتفخيم .. أو لعله دفء مصر يصور لنا كل جو خارجها قارسا ..

لا تزال فى الرباط حيث الأرض حمراء تجوز فيها الفاكهة .

أخذنا طريقنا الى فندق الفردوس لتناول الغذاء .. الطريق اليـه صاعد فى الجبل الى قمة يهبط بعدها فى طريقه الى المحيط الاطلسى حيث مبنى الفندق .. ولكن ما ان تدخله حتى تسلم القاعات به الى قاعات الى درج بعـده درج ويظل المكان بعد هذا مطلا على المحيط من عل حيث تلال الزبد تتدافع نحو شرفتنا أو شرفة المطعم . وأمامنـا لا أقول تلال أخرى بل جبل مغطى بالخضرة كالجبال الأوربية . كم بين المغرب وأوربا فى عينى ووجدانى .

المطعم به حوض سباحة اذا نظرت اليه وحده رأيته جميلا ولكن اذا التفت الى المحيط ابتسمت .. ضاع المسكين .. حقا كما يقـول مثلنـا المغربى : (من قصد البحر ، استقل السواقيا) .

وتذكرنى كلمة مسكين بطرائف اللهجة المغربية . فكلمة « مسكين » تعنى الطيب . وقد حكى لى مضيفى المغربى انها امتـدح يوما صـديقا مصريا بأنه مسكين فسكت الصديق المصرى وراح ــ المضيف المغربى يكررها حفاوة به فاذا بالمصرى يظهر عليه الضيق ويحتج بأنه ليس مسكينا بل مليئا ..

وأدرك الرجل الطيب أقصد المغربى فروق التعبير ·

ومن هذه المفارقات كلمة العافية فهى فى المغربية معناها : النار · وهناك قصة طريفة بطلها اللهجة المصرية هذه المرة · دعا مصرى لصديقه المغربى على طريقتنا فى مصر : الله يعطيك العافية فرد عليه قائلا : تأكلك·

وضحكنا منبسطين فكل ما حولنا فى الحقيقة يبعث السرور · المحيط الاطلسى يمتد أمامنا ·· والزهور على مائدتنا جميلة والأرض تحت أقدامنا فرشت بالموكيت الأخضر كأنه حشائش خضراء (جازون) ·

حتى الزبدة حلقات على عرش من الخس ·

وفى المغرب يطلقون على الزبدة المحلية : بنديه أى زبدة بلدى من اللبن أما الزبدة المستوردة ـ فاسمها عندهم زبدة روقية ·

المائدة المغربية متأثرة بالمائدة الفرنسية فالجبن بأنواعه يحتل ركنا كبيرا فيها ·

المطعم يتكثر بالوفرة فالنافورات أدوار والمشكاوات أدوار وبعد الغداء حرصت على زيارة بلدة « قنطرة » حيث المصرى الوطنى الانسان الدكتور سليم صبرى ··

ـ كيف غبت عن مصر عشر سنوات وأنا أعرف حبك لها !

قال :

ـ من حبى غبت وبعدت حتى لا أرى ما كان يفعل بها ·· غبت حتى لا أرى عذاباتها وهى حبنا الكبير استقبلنا واستقبلناه كلانا رأى مصر فى الآخر ·· صدق انها حبنا الكبير ··

مكناس :

الطريق اليها صاعد فى الجبل ·· والجبل مطرز بالخضرة ·· منظر لسنابل القمح · ثم شق الطريق ، الجبل ·· الشجيرات صفوف صفوف على الجبل متلاقية ومتوازية ·· المرتفعات الخضراء على شكل الموج قمم واستدارات · فى الجبل فى بعض مواضعه صخرى القلب لا يلين فلم يقدر عليه الا التين الشوكى ·

وفى « عين الكرمة » الأرض منقوشة بالبارز ·

وبدت لنا مكناس مدينة بيضاء متربعة على الجبل ·· مدينة ذات طابع أندلسى لها سور ضخم يشبه سور القاهرة الشمالى ·

ومكناس مدينة اسماعيلية علوية ·

وسور مكناس له أبواب · ودخل السور سجن النصارى · وفى السور أبواب تفتح على ساحات وقصور ومساجد وشوارع وملاعب وحدائق وبحيرة يسمونها « المسبح » ·

ومكناس مدينة مزدوجة : مدينة خارج السور ومدينة داخل السور وفى مكناس ساحة المنصور ·

وفى مكناس رأيت لافتة قماش فانزعجت ولما اقتربت منها رأيتها اعلانا عن معرض فحمدت الله وقاهم ربى شر نفاق ولافتات القماش ونجا مصر ، منها فهى وصمة فى التفكير والتعبير معا ·

الشارع فى فاس به جزيرة أى حديقة فى الوسط ثم وصفان من الأشجار على الجانبين · المدينة المغربية مدينتان : المدينة القديمة تحتفظ بعطر العراقة ·· والمدينة الجديدة ·· مدينة لا تنسلخ من القديم ولا تتنكر له بل تحتفظ به على تطويره · وفى فاس ٣٥٠ مسجدا ·

وفاس القديمة يحيط بها سور به مائة باب ·

وسكان فاس ٧٥٠ ألف نسمة منهم ٦٥٠ ألف صانع يدوى ·

وأهلها من اعتزازهم بها يرونها عاصمة العالم الاسلامى وعاصمة أفريقيا السوداء ·· وهى عندهم مدينة المؤتمرات ·

وفاس بها مائتا ألف سقاية للماء أى نافورة ·

وبها مقبرة للعلماء يثوى بها منهم ، ابن الخطيب وابن المحروق ·

وفاس بها منزل ابن خلدون ·

والمثل الفرنسى يقول : زر « فاس » ثم عد مرة أخرى وزر « نيس » ومت بها ·

وقد تأسست مدينة فاس على يد ادريس الثانى ٨٠٨ هـ ·

والمدينة القديمة فى سفح الجبل من القرن التاسع الهجرى ·

وتبلغ الكثافة البشرية فى المدينة القديمة ٩٫٠٠٠ تسعة آلاف شخص فى الكيلو المربع حين تبلغ ٤٨ فقط فى المدينة الجديدة !! يخيل الى من لو رأوا شبرا أو باب الشعرية فانهم يصعقون ·

وقصر الجامعي أعظم فندق فى فاس ·

والحى الشعبى فى « فاس » شوارعه ضيقة اقرب الى الأزقة وهو سوق المدينة يباع فيها سائر مطالبها من أطعمه وصناعات صغيرة · وبه سوق للنحاس وسوق للحبوب ·

وبه مدرسة العطالين أسسها أبو الحسن الميرينى فى القرن الرابع عشر الهجرى وبها خمسة وسبعون بيتا للطلبة ومسجدا للصلاة ·

وقد لفت نظرى فى سيرى أن حنفيات الماء مفتوحة على الدوام وسألت فكان الجواب « ما فى مشكل » أى لا ضير أو لا بأس ·

وفى مدينة فاس أينما يممت وجهى قابلت « أم كلثوم » صوتا وصورة ·· ويروى الحنين · هذا النهر من الجمال أعرفه ·· فالنيل له روافد غنية ·· هذا الصوت اللؤلؤى ينتمى الينا وننتمى اليه ·

وفى فاس ، سماحة الناس ترجمها العمارة المغربية بالخطوط الدائرية الطيعة ·· والخط المستدير فيه احتضان وقد برىء من حدة الخط المشدود ·

وفى فاس الجبل لوحة مرسومة ·· وجميع الطرق بلا استثناء ، حرير ·· سرت بلا حفر ، وطفت بدموع محبوسة على القاهرة على الجميلة التى ضيعناها ومن حقها أن تضوع ولا تضيع ··

العرش بالشعب

رحلة المغرب :

في قرية « ميريرت » من ضواحي مدينة « فاس » وكان الوقت عيد الملك يعلقون الأعلام الوطنيـــة وباقتصاد ودون تكثر وشعارهم (الله · الوطن · الملك) وكم بين الله والوطن وبين الفرد كائنا من كان ولو كان ملكا يعلو رأسة التاج ·· ورأيت على البعد ، بضع لافتات بسيطة ·· فقلت في سرى « لافتات أيضا » هل لحقهم هذا الوباء ؟ وكان ألمي لأني أحب المغرب فرجوت له النجاه من داء يؤذى الحبيبة مصر ·

واثناء هذه الثواني اقتربت السيارة فانقشع ضيقي ·· ان اللافتات المغربية القليلة تبارك ــ الوحدة المغربية واهم من هذا تسجيلهم عليها : (العرش بالشعب) ··· هو ، به وكل عرش لا يستند الى الشعب زائل ان الشعوب هى الباقية وهى مصدر السلطات جميعا ·

وفى فاس كسائر المدن العربية القديمة عندنا وعندهم ، رأيت الكتاب والعريف وعصاه ، والصبية يتداخل بعضهم فى بعض وتتداخل أصواتهم ، مثلهم ، بعضها فى بعض وهى بايقاعها النفيرى جزء من شخصية الزقاق الكائن به الكتاب ·

وفى الطريق من « فاس » الى « مراكش » رأيت أكواخا متواضعة من قماش متواضع وعرفت أنها للرحل فى المنطقة ··· انهم يعشقون الجبل والصحراء أى الحرية ·

لقد افتقد المغاربة الجليد عامين ·· وكانوا متلهفين عليه تلهف الحى على الماء مطرا أو جليدا أو فيضانا ··· ونزل الجليد هذا العام فشكروا زادهم الله نعمة ·

ويتورد خد الجبل وهو حديد ·· طبيعة ملونة مغندرة لها فى كل أوان وكل مكان ثوب ، يروع ويفتن · وتتبدى هذه الطبيعة وتتبغدد فى بلدة « خنيفرة » وهى مشهورة بجمال النساء ومنها الملكة ·

وتأخذ البيوت فى « خنيفرة » لون الورد محاكاة للجبل فيما يبدو ٠٠ الانسان ابن بيئته كأنهم يغمسون الفرشاة ذوب الحديد ٠٠ حتى الحديد يذب أمام الجمال ٠

مرة أخرى أقول الطرق كلها حرير فى القرية كالمدينة ، ٠٠ كل شيء ميسور ٠٠ المواصلات واصلة موصولة ٠٠ هذه الراحة تعمق فى القلب للبلد وأهله ٠ ان السياحة ليست الفندقة وعدد الغرف ٠٠ السياحة طرق ممهدة وموطأة الأكتاف ٠٠ مواصلات سهلة مسعفة ٠٠ تليفون دولى ٠٠٠ احترام التراث٠٠ توقير التاريخ٠٠ حفظ الأثر٠٠ معاملة دمثة٠٠ احساس بالتناسب والجمال فلا تركب الكبارى القبيحة بين المساجد الأثرية ، ولا تبنى المساكن الشعبية بما عليها أمام مسجد السلطان حسن ٠٠ آه ٠ كم أحمل لك وكم أحمل من أجلك يا عاصمة العواصم ٠٠ يا حبيبة يا قاهرة ٠

فى الطريق من « فاس » الى مراكش ، بعد ساعة بدأ الصعود فى الجبل ٠٠ المطر ينزل من السماء ومن الينابيع فى الجبال ٠٠ البيوت سقوفها مخروطية الملابس المغربية تنتهى بغطاء للرأس ٠٠ حتى ملابس السهرة للسيدات التى لا تستعمل صاحبتها غطاء الرأس ٠٠ ولكنه غدا تقليدا فى الزى المغربى ٠ حتى فى الجبل الطرق مرصوفة ناعمة نظيفة مخططة ٠

ندف الثلج تطرز الجبل كأنها « القصب » ٠

وفى « ايفران » يلبس الجبل من الجليد فراء أبيض بفل ٠

العين يروعها حتى الشجر الذى تجرد من أوراقه ووقف أغصانا راقصة ٠٠ أشجار تحيط ببحيرات الماء وتتفرع أغصانها فى تشكيل يجعل من الشجرة ورقة كبيرة ٠

وتناولنا طعامنا فى فندق ايفران وايفران فى لغة البربر تعنى : الكهف مائدتنا تطل على الحديقة ٠٠ على مرأى منا البيوت ذات الشقوق الحمراء وراءها جدار من الأشجار السرحاء وأمامها أشجار الأرز وقمم ناصعة يغطيها الجليد ٠

السقف نسيج مشغول والباب خشب مشغول ٠

الطبيعة مشغولة كأروع ما أبدع الفنان الأعظم ٠

السقف جمالون مغطى بالمرايا ٠

يكلم « ايفران » من يقول : سويسرا المغرب ·· انها أجمل · لولا الحياة لطلبت الى رفيق الرحلة أن يسكت المذياع ·· لقـــد كان يذيع موسيقى ولكنى أريد أن يعمق الصمت وارتشف وارتشـــف موســيقى الطبيعة ·

الأرز يفترش بساطا ناصع البياض من الجليد ·

هنا الله والانسان ···

لا يشوب هذا الصفاء ختل أو خبل ·· أو جهل ·

أكبر دليل على تحضر المغرب أن ليس به لافتات قماش تقطر نفاقا وتؤله الفرد ولو كان عتوا غشيما كافورا بلا مسك ·

وفى الغروب كانت جبال الصخر على يسارى ·· وجبال السحاب أمامى مفضضة وارجوانية ·· الشمس جمرة ملتهبة كأنها قلب أطاع ، الخيام ، فخفق ·· وفى ضرام الحب احترق ·· وهذا شأنها ·· فى كل يوم تهوى وتعشق ·

أسرى وأسير الى مراكش ·· المدينــة الارجوانية · ومراكش لفظ بربرى من مقطعين « مر » ، « كش » أى سر سريعــا لأن القــوافل فى الصحراء مهددة بقطاع الطريق ·

وكانت مراكش عاصمة السعديين فى القرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادى وفيها اليوم مقبرتهم ·

لقد انتصر السلطان أحمد المنصور الذهبى على الصليبيين فى معركة وادى المخازن بين العريش وطنجة بقيادة سياستيان ملك البرتغال وهذه المعركة تسمى معركة الثلاث ملوك (١٥٧٥ م) ·

ومراكش الأرجوانية أو الحمراء ، خضراء الميــادين والطرقات · والنافورات فى المغرب ، معرض تشكيلى ·

وكما أسس « فاس » الادارسة ، أسس «مراكش» الدولة المرابطية فى القرن الحادى عشر وأول ملوكهم يوسف بن تشــفين ثم خلفهــا الى « فاس » ·

ومراكش منازلها مورسيكية لأى مزيج من الأندلس والبربر ·

والبربر فى مراكش يشكلون ٦٠٪ والباقى من أصل عربى وصديقنا

المغربى فى رحلتنا يردد انا بربرى أى من البربر ولا عليه فكل أصيل الى عرقه ، ينتمى ٠

وقد استوقفنى طابع المدينة الموحد مما لا يأتى صدفة أو اعتباطا فعرفت أن الحكومة المغربية تلزم النـاس فى مراكش بالطلاء الأحمـر تأصيلا لطابع المدينة ٠

والمدن الجبلية بعامة عادة حمراء انعكاسا للبيئة ٠

وتزهو مراكش بقصر البديع وهو فى رؤيتهم وقصـتهم ، أحسن ما يوجد فى العالم العربى والاسلامى فى القرن السادس عشر الميلادى ٠ ودخل ملك العلويين اسماعيل وخرب القصر ونقل نفائسه الى « مكناس » عاصمة الاسماعيليين ٠

ويهـود المغرب سـلالة أولئك الذين فروا من اسبانيا فى القـرن الحادى عشر ٠

وفى مراكش مسرح للفلكلور الشعبى المغربى ٠

وفى المغرب سمعت بأذنى القرآن الكريم مرتلا وسرت فى سمعى القاهرة وهى تجود وتجيد ٠

المغرب جنات وعيون الأخضر يغطى السهل والجبل باستثناء الشوارع وبالطبع والجمال فى المغرب يشرينى ويزدهينى فأقول فى نفسى : كل هذا الجمال لنا أبناء الوطن العربى الكبير ٠٠ ان اسرائيل التى تؤرقنا فقاعة لولا أمريكا التى تقف وراءها بقوى الشر أسلحة وانحيازا أسمع آذان العصر ٠٠ وجدت الكلمة التى أبحث عنها :

الله أكبر

مايو ١٩٨٢

مراكش

حرصت على زيارة جامعة مراكش .

الطالبات المغربيات يلبسن البنطلون أو الزى المغربى وهن حاسرات الرءوس ولكن الوجوه على طبيعتها لم تلطخ بالأصباغ .

انهن طالبات فحسب واحترمنهن كثيرا .

ان موسم السياحة فى مراكش من فبراير الى مايو .. ربيعها وتأتيها شركات سينمائية وبيوت أزياء .

تأسست (مراكش) سنة ١٠٦٠ حين تأسست (فاس) سنة ٨٠٨ أسسها ادريس الثانى .

وفى فاس جامعة القرويين أسستها السيدة فاطمة الفهرية وهى ثرية من القيروان عاصمة تونس سنة ١٠٧٠ فى عهد المرابطين هذه السيدة هاجرت الى فاس وعاشت وماتت بها .

ان جامعة القرويين يد من أيادى المرأة العربية .

والسيدة المغربية تلبس اللثام وأخرى تركب دراجة . انه حكم التطور .

وفى المغرب يسمون مجلس السمر « مشخرة » ولعلها أصل للكلمة المصرية : فشخرة بعد الاعلال والابدال .

ومجالس الظرفاء فى المغرب تسمى الحرافيش ولعل هذه التسمية انتقلت الينا أيضا . ومجالس الفكاهة فيها « تكنر » وكاريكاتير قائم على المبالغة .

طرق مراكش مستقيمة فى طنجة الطرق صاعدة وهابطة وفى « مكناس » أيضا .

ولمراكش سور يبلغ طوله ١٢ كيلو مترا .

وأكبر الشوارع فى مراكش شارع المنارة ٠

وتكاد مراكش أن تكون حديقة كبيرة فالفنادق لها حـدائق غنـاء والقصور حدائق والميادين حدائق حتى المقابر حدائق أيضا الحدائق المغربية حدائق حقيقية لم تصوح أشجارها ولم تغرس فى قلبها شوكة من الطوب تسمى بوليس النجدة ومنه نستنجد ٠

وفى مراكش خمس مطارات دولية فى « الدار البيضاء » ومراكش وفاس وطنجة والرباط ٠

حديقة المنارة :

الحديقة الكبيرة بها خمسمائة شـجرة زيتـون والنخيـل من أثر المرابطين كصحراويين وهو عندهم بركة ٠

أسست الحديقة فى دولة الموحدين فى القرن الثانى عشر وباقيه زينة ومفخرة للمدينة بينما الأزبكية التى تأسست فى القرن التاسع عشر أزيلت ليقوم على أطلالها مبنى بوليس النجدة ٠

تصل الحرارة فى مراكش الى ٤٥ درجة فى الصيف ان المدينة تقع فى الجنوب وفى الداخل ٠

وفى مراكش أيضا حديقة الأجـدل وهى أكبر من حديقة المنـارة تاسست فى القرن الثانى عشر من أثر الموحدين ٠ وبها زيتون ونخـل وبركتان ٠

والحديقتان (المنارة والاجدل) عامتان ومع هذا لا ترى بها ورقا على الأرض أو بقايا طعام مع الفارق بين مراكش والقاهرة مساحة وعددا وقدما ولكن كان المرشد الذى يرافقنا مرشدا جويا فيما مضى وهو يجيد أربع لغات ٠

ومراكش تحتفظ بآثار حكامها فمن أعمال الموحدين حديقة المنارة وحديقة الأجدل والجامع وجامع الكتبية ٠

ومن آثار السعديين قصر البديع والقبور ٠

ومن آثار العلويين قصر البهية وقصر دار سيدى سعيد ٠

ومن آثار المرابطين : الأسوار ٠

وفى مراكش نزلنا فى قصر المامونيه وهو قصر من القرن السـابع

عشر ويقترن هذا القصر بأسماء الملوك حتى بات معلوما ان هذا الجناح نزل به هذا الملك أو هذا الأمير ·

كما تقترن مراكش بمسيرة الصحراء سنة ١٩٧٥ حيث سار ٣٥٠ ألف يحملون القرآن واستردوا الصحراء المغربية من اسبانيا وموريتانيا ولهذا يسمون مراكش باب الصحراء ويسمون هذه المسيرة : المسيرة الخضراء ·

وأكبر ثلاث عائلات من البربر :

الصنهاجة ومنهم المرابطون ·

مصودة ·

زنانه ومنهم الزناتى بطل القصة الشعبية الذائعة بيننا وأجمل ما شدنى فى مراكش شجرة اللوز انها رقيقة قواما وأغصانا وزهرا تمليتها فى طريقى الى وادى ديوريكا حيث تناولنا الغذاء فى مطعم صاحبه أجنبى لقد ركز علينا من بين الرواد نظرات نافذة وكلما وقعت أعيننا عليه تشاغل ثم أخذ يسارقنا النظر من جديد وعند خروجنا ودعنا حتى باب السيارة وقدم لى ولابنتى زهرتى الكلا ووقف حتى غادرت السيارة ، المكان ·

وفى مراكش جبل أطلس بلونه الوردى ومنه بيوت مراكش كما تحتم البلدية ولهذا تدعى مراكش الحمراء ·

فى البلاد العربية ألفاظ كثيرة مستقاة من الجذور العرقية كالبربر فى المغرب · وهذا سر غرابتها عندنا · وفى مصر ألفاظ كثيرة فرعونية لكن اللهجة المصرية بكاملها مفهومة لذيوع صحافة مصر واذاعتها وكتبها وأفلامها وفنونها المسموعة والمرئية ·

وفى المغرب وادى أم الربيع أى النهر أو الربيع فالوادى هو النهر فى اللهجة المغربية ·

وبالمغرب أربع وديان أى أربع أنهار يتراوح أطوالها ما بين ٥٠٠ ــ ١٢٠٠ كيلو مترا وأعلى جبل بالمغرب جبل طبكال بالأطلس الكبير وارتفاعه ٤١٦٥ مترا · لكأن مضيق جبل طارق شطر المغرب عن أوروبا ·

وفى المغرب تناولنا طعامنا مرة فى مطعم رومانشو لكى نصله دخلنا قلب جبل الأطلس الى مسافة ٣٠ كيلو مترا ان قلبه بعيد الأعماق ·

السحاب والجليد كلاهما يجعل الجبل مخمليا اذ تختفى صلابته وصخريته تحت تراب الحديد هذا التراب الذى يستعمله سكان مراكش مكان الاسمنت · أبدا تبدو بيوت المدينة كأنها قطعة من الجبل ·

الجبانة فى مراكش يسمونها باب الرب ·

الانسان يتحايل دائما على الموت فيسميه بغير أسمائه فى محاولة لمساعة اجبارية له ·

ومن التحايل على الموت ، حلم الانسان بالخلود ·

وكازينو مراكش حديث البناء والأثاث والأسلوب ولكنه بعد البرنامج الأوربى من موسيقى ورقص ــ يقدم الفولكلور المغربى كما يقدم العشاء المغربى ·

والنمر التى رايناها ألعاب سيركية تؤديها مجموعة متفاوتة الأعمار منهم رحلان فى سن متقدم مسكين الانسان اذا اضطرته لقمة العيش أن يعمل فى سن الراحة : بهلوانا أو أى عمل شاق أو صغير صغير القيمة أو صغير الوسيلة ·

ومن النمر (رفاعى ثعابين) ·

ومن النمر رقصة للجنوب ورقصة للشمال ·

ثم الراقصة الشرقيــة المعهــودة وقد لاحظت ابنتى أن الراقصــات الشرقيات بالمغرب لا يبتسمن أبدا وانهن أقرب الى الأكروبات منهن الى دلال الراقصة الشرقية وأنوثتها المتدفقة ·

وفى الليلة السابقة تناولنا عشاءنا فى مطعم الفردوس هو مغربى من قمة رأسه الى أخمص قدمه مغربى بطراز وطعامه وفرقته الموسيقية وغنائه ورقصه · ويعج بالأجانب الذين لا ينسون فى بلادنا العربية آلات التصوير التى يظنها أهلنا الطيبون تحية لنا مع أن لها فرضا خبيثا ·

وفى مراكش زرت من آثارها (دار سعيد) وهو وزير مغربى عاش فى أواخر القرن التاسع عشر · كان نائبا للحاكم ·

استرعى عينى أن الحلى محفوظة لم تنهب ·· الأوانى ·· الأسلحة · الملابس ــ الأثاث ــ السجاجيد الأزياء ·· حتى كيس الحبوب ·· حتى الأحذية ·

كنت صغيرة ، مصر توحشنني ولكنني الآن نجوت من أشواقي بعد ان ملأت على كياني ٠٠ في كل نبضـــة ٠٠ في كل قطـرة حتى أصـبحت خارجها أراها هي وكل ما عداها خلفية لها ٠

نسيت أن أقول ان قصر البديع نهبه حاكم ولكنه لم يختف بل نقل الى مكان آخر وآل في النهاية الى صاحبه الحقيقي : البلد ٠٠ المغرب ٠

قطعت السيارة من مراكش الى الدار البيضاء شوطا من طريق أخضر تحف به الأشجار من الجانبين ويبـــدو أن رفيق الرحلة المغـربي لاحظ اعجابي الصامت بالبساط الأخضر وغابات الشجر فقال : ان ما ترينـه كان صحراء ثم شجرناه وفي المغرب يوم (التشجير) يحل في ١٢ فبراير من كل عام قوامه الشباب حتى يسهموا في بناء بلدهم ٠

وفي الطريق مررنا ببلدة صـغيرة تسمى : الخنفرة وهي معروفة بجمال النساء ومنها الملكه ٠

وفي مصر الخنفرة مقرونة بالبرد ٠

واذا كان الجمال يشيع الدفء في القلوب ، والمشاعر ، استطعنا أن نضم الكلمة الى ألفاظ الأضداد ٠

الجبل في المغرب خطوط ومصاطب خضراء ، ومن حين الى حين نرى في الطريق لا سيما قرب القرى ، قبة صغيرة لشيخ يتبرك به الناس ان الانسان هو الانسان في كل مكان ٠٠ حتى بعد الأديان ٠

وقد هبطت الأميه في المغرب الى ٢٠٪

الاسعار في المغرب مرتفعة وفي المغرب : سائلون ولكنهم أفراد قلائل ٠ وهم صـامتون يقتربون منك على اسـتحياء لايسـألون الناس الحافا ٠

و « المنادى » أعني منادى السيارات في المغرب ، انسان رقيق وديع مستعد لارشاد سيارتك أعطيته أم لم نعطه فهو يؤدى عمله بالقدر نفسه من الحماسة ٠

وتشتهر المغرب بصناعاتها الجلدية · وفرنسا تحرص على لون معين من الحقائب سخى الجلد جدا وتطلب أن يوضع عليه حرف لا علامه كارتيه Cartier لتبيعه فى فرنسا والعالم باسمها وهو مصنوع فى المغرب ، كما يأخذ الغرب وخاصة أمريكا السجاد اليدوى الفاخر من مصر وتسوقه على أنه سجاد عجمى !

لنــــدن

حين يرتفع الانسان عن الأرض

في الطريق الى لندن لحضور المؤتمر الاسلامى بدعوة منه .

من الطائرة رأيت جزيرة كريت ثم اسطانبول ثم جبال الألب يغطيها الجليد .. تطيب الرؤية الجامعة من الطائرة فى معالم الطبيعة حيث تؤدى الشمولية .. بل قد يفضلها المشاهد حيث تختصر المساحات ان البلاد من الطائرة خريطة حية ملونة .. أما حين يكون الانسان جزءا من المرئيات ، فلا يغنى البعد لأن الانسان بأصغريه .. الانسان ليس حجما ولكن دقائق وحقائق .. الانسان لمسة عين ، ونظرة قلب ، ورؤية حركة ، ورقة احساس ، وخفة ريح ، وعذوبة روح ، وخفقة حب ، ودفقة شعور ولمحة ذكاء ، ونفحة عطاء .. الانسان رنة صوت ، وتعبير صمت ، وصمت كلام .

من الطائرة رأيت سويسرا حيث جبال الألب ، مساحات خضراء وفى مصر الوادى يزحف الطوب ، وتسفح الخضرة ، ويذبح اللون الرواح حتى لايرتاح ذلك الشقى .. أعنى الانسان المصرى .

سويسرا من الطائرة كاروهات خضراء وصفراء تتخللها خطوط زرقاء هى البحيرات والعيون .

وفى الطائرة قرأت فى صحيفة الديلى ميل ، صرخة تدعو الى تدارك هذا الجيل من الشباب .. يدعو فيها كاتبها Neil Kinnock الى أن يكون فى كل مدرسة ثانوية ، مدرس على الأقل مهمته تدريس مواد السلام Peace Studies وبث السلام فى النفوس والدعوة اليه فى جيل يتنفس الحرب ويعيش الاستعداد للحرب .

لعلها صحوة من أوربا التى جرت العالم الى حربين عالميتين فى ربع قرن ولا تزال تروعه بالحروب الباردة وباختراعات القنابل الذرية فالنووية .. الخ وسائل التدمير الشامل لكل ما أبدعه الانسان فى عمر البشرية كلها .

وفى الطائرة قرأت فى مجلة British Airway high life موضوعا عن اللؤلؤة أو الجوهر الوقيق أو كما يسمونه The Gentle Jewel ومن طرائفه بعد أن استهله بقوله : (لست فى حاجة الى ابتلاع اللؤلؤ ولو أن كليوباترة فعلتها فقد ذوبت اللؤلؤة فى الخل وازدردتها دفعة واحدة ٠

* تتكون اللؤلؤة حول حبة رمل فى بطن الودعه ٠
* اللآلىء ، لجاذبيتها ، أطفال الطبيعة Natures children
* حين يتحدد لبس الماس بالسن الرشيد فان لبس اللؤلؤ تستطيعه الكهلة وحلوة الثانية عشر ٠
* لقد استطاع اللؤلؤ أن يهدى ويغالى به منذ خرجت الهة الحب « افروديت » من محارة ٠
* اللؤلؤ فى بريطانيا له سمعة ملكية فالملكة اليزابيث الأولى جلست للبورترية فى حلة نثرت عليها اللآلىء فجعلت الكنوز من البحر هواية البلاط المفضلة حتى الملكة فيكتوريا بصرامتها لم تستطع مقاومة فتح خزانة المملكة عند زيارة الامبراطورة أوجينى مع نابليون الثالث ٠

والملكة الكسندرا زوجة ابنها وضعت تقليدا للؤلؤ أن يحرم زوجها ادوارد لبسه على غير الملكيين فى الحفلات الرسمية ٠

* وعندما تزوج الأمير تشارلز سبحث كاتدرائية سانت بول فى ضياء لؤلؤى وعروسه على جيدها عقد من اللؤلؤ سافر معها الى شهر العسل ٠
* وقد جعل ذيوع الرومانسية فى القرن الثامن عشر ، اللؤلؤ ، أحب الأحجار ٠
* لقد حارب الانسان من أجل اللؤلؤ (الذى أحضره بومباى الى روما بعد انتصاراته الشرقية وحارب الناس باللؤلؤ لأنه كان يلبس فى المعركة كدرع ومات الرجال من أجله خاصة فى حركات المقاومة الأولى من أجل نقل الهدية الثمينة من سرير البحر ٠

ومنذ ثمانين عاما استطاع أحد الصيادين اليابانيين أن يثقب

محارة ويكتشف أن الطبيعة بطنتها بمادة Nacrous تحيلها الى لؤلؤة•
وهنا بدأت ثورة اللؤلؤ المزروع Cultured Pearl تغير سوق الصياغة وتمقرط اللؤلؤ فغدا اللؤلؤ الذى كان قاصرا على الملوك والنبلاء فى حوزتنا جميعا ان الكلمة الاغريقية Pearl تعنى النقاء الكامل ولكن اللؤلؤ الصناعى المطروح الآن لا يبلغ نصف هذه الحقيقة •

ان الحياة الجنسية لمحارة اللؤلؤ عمل كبير حاشد لأولئك الذين يقومون على مزارع المحارات الساحلية •

ان مهد الرومانسية حيث تقبل الشمس شواطىء جنوب الباسفيك ولكن محارة اللؤلؤ تتطلب أكبر كثيرا من شريك نموذجى وفندق ذى خمس نجوم • انها لاتبالى الهزات والاثارة عندما يكون الحمل بالبيض فى أواخر الربيع •• انها تحب أن تعيش فى درجة حرارة من ١٨ ــ ٢٥ درجة ترهقها موجة حرارة أو موجة برد •

ان مزرعة اللؤلؤ فى الحقيقة باخرة مجهزة مستشفى • وتطعم المحارة وتسقى ويحسن أن تكون عند فتحة نهر ليحتفظ اللؤلؤ بنضارته وبباضه •

ولكن الأنثى المدللة عندما تبلغ السادسة من سنيها تكون فى منتصف العمر النسبى لنوعها •• وهنا يفقد لؤلؤها صقله وبريقه •• فى سائر الكائنات ، التألق ، فى الشباب •

ويسيطر اليابانيون فى عصرنا هذا على مزارع اللؤلؤ حيثما كانت فى اليابان أو استراليا أو جنوا •• ان اليابان تصدر ما قيمته ٢٥٠ مليون دولار سنويا •

ان اللؤلؤ زينة للجسم نفسه • قد يصنع اللؤلؤ ملحمة بالمقابلة مع القطيفة السوداء وكذلك مع الصوف والتويد ولكن أبسط وقفة له ، تأتى من ذاته •• عندما يستلقى اللؤلؤ على رقبة عارية خالية •

ان اللؤلؤ يضىء ويتألق عندما يلبس وقد قبس من حرارة الجلد ويتداخل اللؤلؤ بعد هذا مع الأحجار الأخرى عند الصياغة فى تشكيلات مزدوجة ومجتمعة فيزيدها بهرا •

لا غرو أن يكون الطريق الى الجنة ينتهى فى بوابات لؤلؤية •
No wonder that the road to Heaven ends in pearly gates.

الطائرة الآن تحلق فوق انجلترا .. انها مربعات خضراء وصفراء وتبدو البيوت فى وسطها كأنها عقود منظومة من النظـام فى الوضـع الأرضى لها ونظام الارتفاع المتساوى .

وعندما أمعنت الطائرة فى الاقتراب من الأرض عرفت سر العقد المنظوم .. انه وحدة الطراز .. البيت الانجليزى ذى السقف الجمالونى والحديقة الجميلة .. والبيوت على خط .. والخطوط خطوط .. آه .. عينى على حبيبتنا القاهرة التى يعدو ويعتدى على جمالها كرنفال العمارة والألوان .

باقى على الهبوط دقائق والمنظر تحتى يسـبح فى ضوء الشمس بشرى بجو دافىء فى انجلترا .. لقد زرت انجلترا فى أغسطس وكانت الأمطار غزيرة ليل نهار .

فأخذ طريقنا الى مكتب الجوازات فى مطـار هيثرو .. لا أصدق عينى . لقد قرأت فى الطائرة مقالا عنه فى الديلى ميل يصفه الكاتب بأنه أسوأ مطار فى العالم وأكثر المطارات تخلفا وأنه طرأ عليه تحسن طفيف!! ولكنه لايزال سيئا .

ان ما أراه الآن قمة فى النظام والنظافة والهدوء .. هدوء المتحضرين لا المتخلفين .. كل شىء يمر فى سهولة ويسر وسرعة فائقـة التقطت حقائبى ثم تحركت الى مكتب الاستعلامات لأسأل عن مندوب المؤتمر الذى سيصحبنى الى قلعة Faraham Castle حيث يعقد المؤتمر الاسلامى وما كدت أسأل حتى وجدت قبالتى انسانا يحمل على صدره عبارة ترحيب بى ويحمل بين يديه لافتة كبيرة عليها اسمى .. ولم أتم سؤالى بعد أن أتانى الجواب .. كل شىء مرسوم فى دقة بالغة وفى احسـاس عميق بالمسئولية .

فى طريقنا الى القلعة مررنا بمدينة صغيرة Town يطلق عليها « فمبرا » بها جبل فى قمته مدرسة بنات وعلى بعد بعيد منهـا مدرسة بنين ثم مدرسة مختلطة .

الشوارع نظيفة ناعمة . الشمس ساطعة بل حارة .. أقولها أنا بنت الصعيد .

فى « فمبرا » الصغيرة ! كلية للتكنولوجيا Tlchnical Collage

وفى فمبرا مطار حربى

وفى فمبرا مركز ضخم لاختبار الطائرات ·

ومكتبة يرجع تاريخها الى سنة ١٨٦٠ م !!

وكنيسة كبيرة

وفمبرا بعد هذا في عين سائق السيارة « مدينة صغيرة » !

وتذكرت الدكتور جمال حمدان حيث عرف الفرق بين
وال Town في كتابه (جغرافية المدن) · بأن الأولى City
فيها كنيسة دون الثانية ·· ولم أملك الا أن أقول ان السائق أحد اثنين:

✻ اما أن يكون طموحا جدا فيرى هذا كله

واما أن يكون متواضعا جدا ·· لأنى لا أملك فى المقابل الا أن أثق فى علم الدكتور جمال حمدان ·

كل شيء في لندن يتمتع بالحرية حتى التاكسيات حرة فى اختيار ألوانها ولكن الجميع يحسن استخدام الحرية ويرعاها ·

وبعد « فمبرا » مررنا بمدينة أخرى يطلق عليها Aldershot ·· مدينة عسكرية ·· بها مدينة سكنية للعسكريين ومستشفى ومركز تسويق ومرافق كثيرة ·· وابتسمت وأنا أسأل السائق هل هذه أيضا مدينة صغيرة ؟ فقال ! in between انها فى نظرة « بين بين » ·

وبعد (الدارشط) وصلنا قلعة فاران Farham Castle انها قلعة ·

قلعة بنوافذها الحديدية العالية ·· قلعة بسراديبها ودهاليزها التى توقع الذكى لا العادى فقط فى الحيرة والارتباك والتيه ·

قلعة بلوحاتها القديمة وسقوفها العالية وأدوات الحرب المبثوثة فيها هنا وهناك وساعاتها العتيقة ودرجها الحلزونى وحجرات نومها الخالية من الوسائل الحديثة الترفيهية ، بل والضرورية ·· ليس هناك حجرة بها تليفون أو تليفزيون أو حتى راديو أو حتى لمبة كبيرة لأعوض بالقراءة

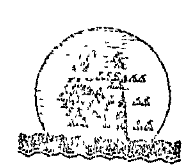
وسألت مسئولة فى جهاز اداراتها فقالت ان هذا مقصود لأن هذه القلعة للمؤتمرات ·· وللقراءة والمحاضرة قاعات ·· أما الحجرات فللنوم فقط مما ينتفى معه وجود ضوء قوى أو مدعاة للسهر كالتليفزيون أو مصدر صوت كالتليفون ·

منطق .

ولكنى عرفت قسوة الحبس الانفرادى .. حتى ولو كان فى حجرة نظيفة بقلعة فاران .

أما المؤتمر الاسلامى فمن حقه أن يفرد له الحديث .

أبريل ١٩٨٢



المتحف المصرى ... فى لندن

كالمسلة فى ميدان الكونكورد فى باريس ، المتحف المصرى فى لندن، قلب المصرى معلق به ، يهفو اليه مهما بعد المزار .. واستشرفت اليه .. ورفرفت روحى عليه .. وتحت وابل من المطر بلغته . واحتوانى واحتويته .. كان رفيقى أديب عراقى .. بدأنا الجولة فاذا بالقسم العراقى على اليسار قاعة مربعة صغيرة أشبه بحجرة حين ضرب المتحف المصرى بسهم وافر فى المكان .. انه المتحف المصرى فى بريطانيا لا المتحف البريطانى فكل ما عداه اضافات متواضعة .

هل نغتبط أم نأسى ؟ فما أراه ان دل على الوفرة والغنى الباذخ فهو فى الوقت نفسه يدل على النهب الذى تعرضت مصر له فى غفلة من الزمان وغفلة أشد منا .

قال الصديق الأديب « اتسرقتم كثير » ولم أحر جوابا .. ماذا أقول؟ حتى لو كانت هذه الكلمة تغطية ذكية لتواضع الأقسام الأخرى الى جانب المتحف المصرى .

وبدأت ..

تفتح كيانى كله .. عينى تلمس ويدى ترى وقدمى تغـدو وتروح ثم تتسمر أمام رائعة من الرائعات .. وأشدها بصعوبة لتتسمر من جديد أمام رائعة أخرى وأترشف الروعة وأعب منها عللا بعد نهل فما أروى على كثرة العب وطول الرشيف .

وأمام رمسيس فى شموخه الدائم فقد ارتفع فى المتحف على قاعدة عالية جدا حتى يشرئب الناظر اليه .. أمام رمسيس بوجهه المصرى الملكى وجهه الظافر الفائق النعمة الذى تشع السعادة من عينيه ووجنتيه وكأنه يقول لساعته (أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى) .. آية .. كل مصرى حتى ولو كان بسيطا متواضعا ، يقولها بغير حروف .. ان الانتماء اليها ، وحده ، الغنى الكامل والعز الكامل .. فما بالنا اذا قالها رمسيس أو مرنبتاح أو غيرهما من أبناء الشمس ؟

أنهـــار من الماء تجرى من تحته فى مصر وأنهار من البشر تجرى من تحته فى انجلترا ٠٠ وهو من عليائه ، بهذه الأنهار ، هنا وهنـــاك حقق الخلود الذى يبتغيه ٠٠ ما عليــه من آلوف السنين ٠٠ ألم يستقبل فى فرنسا بالتحية العسكرية والسلام المصرى ٠٠ ملك الملوك غائبا وحاضرا٠

ويبدو أنى قلت هذا بغير حروف قلته بكيانى كله فقد صاح الصديق العراقى : ما أسعده ٠٠ انك أمامه تهتزين حبا وزهوا وقد استعصيت على الحاكمين أحياء ٠٠ ونسى الصديق ، الفرق ٠

حجر رشيد على قاعدة ٠٠ وعلى الجدار علقت لوحات كبيرة تراجم بلغات شتى ٠٠

ولكن حجر رشيد على ضخامته قد يستطاع نقله ولكن هذه الأعمدة الضخمة هذه التماثيل الفخمة ٠٠ هذه الجداريات التى تلف الجدران من جهاتها الأربع فى قاعة الموميات التى تبلغ ضعف مثيلتها المصرية !! هذه التوابيت ٠٠ كيف نقل هذا كله حتى ولو كان أصحابه يغطون فى نوم عميق ؟

لم أعجب بعد هذا من الحشد الحاشد من الحلى والتماثيل الصـــغيرة وأدوات الحياة اليومية والمفارش وأثواب الكتان والآلات الهندسية وروائع الكريستال الأبيض والوردى لتمثال الالهة نفتيس والألبستر والأماتست والنحاس المشغول واللوحات المنسوجة وفرائد العقيق والفيروز والذهب٠ انها أسهل حملا ٠٠

وحول هذا أطفال وشباب المدارس يرسمون ومن ورائهم أساتذة يشرحون ويوجهون ٠٠ وأسمع ٠٠ تحية لى غير مقصـــودة والانســان لا الغوانى وحدهن ، يغره الثناء حتى ولو كان بالتبعية لمن يحب ٠

والمتحف المصرى فى لندن موضـــوعات قائمة فى أركان كاملة فى وجهات زجاجية كبيرة مدرجة موزعة الاضاءة لتبرز المعروضـــات النور والظلال ٠٠ وقد كتبت فى أعلاها عنوانا جامعا للموضوع المعروض مثل (الغزل والنسيج) ، (السحر فى الحياة اليومية) ، (الخدم فى أعمالهم)، (الطعام والشراب) ، (الابحار) ، (الزراعة) ، (الأسلحة والحرب) ، (الأسلحة والصـــيد) ، (المصابيح) ، (الشمعدانات والمســارج) (الموازيــن والصـــنج) ، (النحاتين والفنـــانين) ، (الألوان) (الأقلام والفـرش) ، (الفنانين واليدويين) ، (الاثاث) ، والكرسى أرجله رأس بطه والكرسى المتوازن والكرسى سفتح ويغلق ، (الســلال

والحبال) . (مساند الرأس) (البيوت والبناء) ، (العمل فى الأحجار)، (الأحجار منذ ٣١٠٠ سنة ق٠م) ، (الأحجار ٢١٠٠ سنة ق٠م) (الأحجار ١٥٠٠ سنة ق٠م) الى الأحجار ٢٠٠ سنة ق٠م) ، (الأدوات الحجرية) ، (الأدوات البرونزية) (**الأدوات الهندسية) ومن** أروع ما راعنى وأسرنى فى هذا المتحف موضوع لم يعطوه عنوانا وان كان أرق وأرقى الموضوعات ٠٠ انه فى نظرى : « **الحنان** » **ركن كامل للعظيمة** « ايزيس » مع حورس ٠

تمثالها وهى تستقبله وليدا وقد أشرق كيانها كله ٠٠ أم ٠

ايزيس وحورس بين يديها عقب ولادته وقد ضحكت عيناها وشفتاها ووجنتاها ويداها ٠٠ زغرد كيانها كله ٠٠ كدت أقول لها ان لم أكن قلتها بالفعل ٠٠ « مبروك » وحمدا لله على السلامة ٠

ايزيس وهى تهم بارضاع حورس فتختبر اللبن فى ثديها ٠

ايزيس وهى تضمه وتسكب فى فمه نفسها مع اللبن ٠

ايزيس ٠٠ وهى تحمله ٠٠ وهى تضمه ٠٠ وهى تهدهده ٠٠ وهى تجمعه بين يديها ٠

ما أروعها ٠٠ ما أرقها ٠٠ ما أشفها ، ما أطعمها ٠٠ ست الستات٠

ووقفت طويلا أمام الجميلة هاتور ٠٠ واكتشفت ان الجمال ليس فقط فى وجهها وقامتها ووقفتها ولكنه أيضا فى حركة جميلة من يديها وقد صورها المثال فى وضع من تصف بدلال شيئا صغيرا « محندق » فصور الكفين متوازيتين فى غير تطابق وبينهما ارتفاع رقيق رشيق مثلهما ٠٠ حركة هفافه رفافة سكره ٠

وتقسيم المعروضات (موضوعات) يعين المشاهد والدارس ويجلو الأشياء بالتكامل والموضوعية ٠٠ وهو أسلوب يجدر بنا أن نأخذ به فى هبتنا الحاضرة لجلو المتحف والارتفاع به ، والارتفاع اليه ٠

لى كلمة بعد المتحف ، عن الفنادق ٠٠ كلمة ذات صلة بالحضارة ٠ الفنادق الكبيرة فى لندن مثل فندق تكتب أوراقها وتعليماتها بالانجليزية والعربية ٠

ولقد سادت العربية أوربا فى القرون الوسطى ابان ازدهار الحضارة

الاسلامية فى الأندلس · والآن تسود العربية تجية للمال العـربى ·· واجتذابا له ·

كانت لغة العلم والفن ·· فتعلمها الغرب ليلحق بأهلهـا فى زهو حضارتهم فى الأندلس وفى مصر حيث أقبـل الأوربيون ليدرسوا الطب بالعربية فى مستشفى قلاوون ·

أقولها بمناسبة قضية التراث والمعاصرة التى تشكل واقعا الآن · ان الحضارات الانسانية موجات موجات ·· وهى تتبادل الأخذ والعطاء·· وما دمنا أعطينا فى يوم من الأيام فنحن قادرون على العطاء ·· والايمان بالقدرة زاد على الطريق وتحضير أنفسنا لاعتلاء المسرح من جديد بلا استعلاء أو استخذاء ·· بل اقتداء بمحاولة أعانها الاصرار على الوصول ·

أبريل ١٩٨٢



فرنســا

حوار علمى فى مونبلييه

حضرت حوارا علميا منذ بضعة أسابيع رتبه معهد ميدياس بمدينة مونبلييه فى العاشر والحادى عشر من ديسمبر سنة ١٩٨٢ حول « حضارات شعوب البحر الأبيض المتوسط » وكان يرأسه الأستاذ الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله وقد أعطانى هذا الحوار انطباعات شتى أولها :

الخوف على الانسان انسان الحضارات القديمة من التشكيك والتحديث وقد سبق لى القول ان الخوف عليه من الأساطيل فى البحر الأبيض ٠٠ ماذا يكون لو اصطدمت غواصتان نوويتان ؟ ان آثار هذا لا تحصى الا بعد ١٠٠ سنة ٠

الانطباع الثانى : هو احساس الشعوب بدورها بعد مسخ الحكومات للعلاقات بين البلاد ٠

الانطباع الثالث : بقدر حاجة شعوب البحر الأبيض الى التنمية بقدر حذرها منها فى صورتها الراهنة حتى لقد تساءل سائل ما هى التنمية ؟ ما مقياسها ماذا نريد منها ؟

وهنا أعلن الرئيس الدكتور اسماعيل صبرى بأن التنمية اذا أردنا ألا ندفع ثمنها غاليا يجب أن تكون نابعة منا ٠٠ تنميه بأنفسنا بامكانياتنا لا بالنقطة الرابعة ومساعدات أصحاب الأغراض الخفية ٠

الانطباع الرابع : احساس الأعضاء بأن علماء البحر الابيض اتصالاتهم بالشمال أكثر ولهذا ميولهم تدور بدورها فى فلك هذه الاتصالات وينبع الميول الاستجابة والنفع ٠

ومن هنا يجب أن تكون التسهيلات الممنوحة لعلماء وطلاب الجامعات فى البحر الأبيض وأطل فى المؤتمر سؤال اننا هنا فى الحقيقة نمثل المثقفين فقط لماذا لا تلتقى القطاعات الأخرى من شعوب البحر الأبيض بل بلغ الأمر أن أحد الأعضاء ، قال ان المثقفين أقل الناس استماعا الى الحضارات الأخرى ٠

لماذا لا يلتقي الطلاب والعلماء بل لماذا لا يلتقى الفلاحون من كل شعب ؟ ان الفلاح أيضا مستعد لسماع الآخرين فيما يتعلق بالزراعه على الأقل ٠

وهنا خطر لى خاطر ٠٠

ان الانسان المصرى البسيط لو رأى العالم المتحضر لأحدث هذا له هزة بعيدة المدى ٠

ان المسئولين وزوجاتهم وحاشيتهم وموظفيهم كلفوا مصر رحلات وطائرات وعادوا كما ذهبوا لم يزيدوا فى أنفسهم قيمة على الرغم من مكاسبهم الأخرى المادية ٠ لم يرد البلد على خاطرهم ولو حدث لنقلوا اليه ما عند المتحضرين وأول هذا احترام الانسان فلا يزيفون ارادته بالرقم الهزلى الذى غدا أضحوكة بين الناس فى مصر وخارجها ٠ لو تكلم رقم ٩ لأعلن براءته منهم ٠٠

احترام الانسان فلا يحملونه على النفاق بمكافأة المنافق وتقديم أهل الثقة على أهل الخبرة ٠

البسطاء اذا سافروا تعلموا جوهر (الانتماء) او معنى الوطنية انه محافظة على الأرض وما عليها محافظة على الممتلكات العامة : على الشارع ٠٠ على الشجرة ٠٠ على النبات ٠٠ على النور ٠٠ على الماء ٠٠ على الحرية لأن الذى يسىء الى الحرية لا يستحقها ولا أقول يحرمها لأن الحرية حق وليست منحة قابلة للمنح والمنع ٠٠ للوهب والحرمان ٠

جوهر الوطنية محافظة على النهر الذى أكبره وأجله أوائلنا ولا تزال بعد الأديان تسميه النهر المبارك من اعزاز يقترب من التقديس ٠

جوهر الوطنية علم بالوطن لا هتاف ، واحساس بكل شىء فيه واضافة اليه ترباً على السلب وتعف عن النهب بالوطنية عطاء المال فى ايثار ، وعطاء النفس فى فداء ٠

حين سافر رفاعة الطهطاوى لم يجمع المال بل جمع نفسه فى عملية صقل وتثقيف واختيار وترجمة ولما عاد الى مصر غير وجه الحياة فيها و ٠٠ ذلك انه كان يحب مصر كتينة فى أرضها ٠٠ كان ابنها عشق ترابها فكانت شغله الشاغل فى الحل والترحال ٠٠

حتى محمد على تمصرت آماله فاقترنت البعثات عنده بنهضة مصر

ولا ينكر الا جاحد أو جاهل ذميم ان الرجل خلق بمصر صناعات وجعل لمصر جيشا وحقق لمصر انتصارات وجعلها فى موضع السيادة والريادة والقيادة حتى خافها الغرب والشرق وتآمروا عليه وعليها فكانت المؤامرة اعترافا بمكانتها وطاقتها وقدرتها التى لا تحدها الا المؤامرة أو الخيانة .. حتى العقبات نتحداها مصر وكم اقتحمت العقبة وفى كل مرة يزول الشر عنها ويذهب أعداؤها وتظل هى الباقية .

وسفر البسطاء يعلمهم احترام أنفسهم حين يرون الانسان المتحضر يعرف حقه ويقوم بواجبه فلا يباع ويشترى ولا يتقاضا لعملقه القزميه ولا يتكلم الا صدقا و لايهدر وقتا أو مالا حتى الفراغ مشحون بالمتعة والقيمة معا .

وطرح السمنار أو الحوار من خلال السيدة كرلستيان سوريو وهى باحثة فى المركز القومى للبحث العلمى دور النساء فى البحر الأبيض المتوسط بصفتهن مواطنات ـ ما عدا الفلسطينيات ـ كما تقول فى رنة أسى لا تخفى ، وهى صرخة مكبوتة لعلها تنفذ الى ضمير العالم المتحضر لعله يتذكر شعبا انتزع من أرضه وألقى به بعيدا بلا هوية .

ومع هذا فاليهود فى مونبلييه على الرغم من وجود جمعية حقوق فلسطين بتأثير كثرة عدد الطلبة العرب وانضمام المنصفين من الفرنسيين اليهم ..

مع هذا اليهود فى مونبلييه لهم أثر وتأثير لتغلغلهم الاقتصادى وما يتبعه من قوة المال .. وبالتالى دورهم المحسوب فى انتخاب عمدة المدينة ..

وهناك اعتبار آخر أن اليهود فى الجنوب كانوا فى الجزائر أصلا ونزحوا منها على أثر عملية التحرير الجزائرية فهم يكرهون العرب .

واعتبار آخر أن فرنسا كانت قبل غزو هتلر لها تتعاطف مع النازية وتكره اليهود وتوقع بهم وتبدل الحال بعد اجتياح باريس ونشأة المقاومة الفرنسية على يد ديجول .

وغدت فرنسا اليوم تحس عقدة الذنب التى لا يفتأ اليهود أصحاب حائط المبكى يعمقونها . كل هذا مجتمعا ومتفرقا يجعل هواهم مع اليهود حتى بعد مذابح صبرا وشاتيلا التى لا يتجاوز الألم لها ، السطح ، الى الأعماق .

فى مونبلييه لم تغب القـــاهرة عن عينى لحظـــة ٠٠ أرى مسرح الكوميديا ٠ انه تماما صورة من الأوبرا المشتعلة ٠٠ وأتذكر ٠٠ أتذكر الأوبرا ودموعى عليها ومن خلال الدمع أرى بنت بلد أخرى فى ملاءتها اللف تبكى مثلى ٠٠ وكانت فى وقفتها وموقفها أبلغ منى تعبيرا ٠٠ بكيت أنا لأن مصر علمتنى فعرفت معنى الأوبرا فنا وقيمـــة ثم دخلت الاوبرا وشاهدت روائعها ٠٠ بقدر هذا كله بكيت ولكن تلك التى لم تنل شيئا ، يعنى بكاؤها شيئا واحدا هو تقديسها لهذا التراب وما عليه ٠٠ انه تبر فى عين الأصيل ٠

ورأيت القاهرة حين طفت بالأحياء القديمة فى « مونبلييه » وكيف تحافظ بلدية المدينة عليها كمـــا هى ٠٠ حتى أعمال النظافة والترميم لا تمس الطابع الأصلى ٠ على كل معلم لافتة بالتاريخ والأحداث ٠٠ على كل بيت لافتة تحمل اسم صاحب البيت الأول ٠

لقد بلغ من اعزازهم للاحياء القديمة انهم يرفعون أسعار البيـــوت فيها الى حد لا يبلغه الا القادرون فغدت مهـــوى الأغنيـــاء الذين يعتزون بالسكنى فى بيت قديم له تاريخ ٠

وقرأت هذا المعنى فى محطة السكة الحديد التى بنيت فى القرن التاسع عشر ٠ هذه المحطة عندما أرادوا ادخال القطار الشديد السرعة ٠٠ وما يتطلبه من أرصفة عريضة استحدثوا الكثير فى المحطة من الداخـــل اما الواجهة فقد أبقوا عليها كما هى مع اعادة طلائها ٠

ان المبانى الجديدة خارج المدينة ٠٠ وليس بينهـــا على كل حال ناطحات سحاب التى تغزو القاهرة الآن وتزحف الى الاسكندرية أيضـــا حتى لا يبقى عندنا شىء لم يمسخه التشويه ٠

لم يفكر أحد فى القاهرة هل مرافقها القديمة التى نتحامل عليهـــا الآن وهى التى أقيمت لنصف مليون فاذا بها تنوء باثنى عشر مليـــونا تعداد القـــاهرة الحالى ٠٠ لم يفكر أحـــد من عباقرة الاسكان هل مدينتنا يناسبها ناطحات السحاب شكلا وموضوعا ٠ بل ان مونبلييه فى نزعة المحافظة على قديمها تقوم فيها الآن حركة بعث لتاريخها القديم ولغتهـــا القديمة ٠

لقد كانت فرنسا باريس وما حولها أما الجنوب « البروفانس » بدءا من مرسيليا الى حدود ايطاليا غربا ٠٠ ومن موسيليا الى مونبلييـــه

وما بعدها شرقا فقد ضمته فرنسا اليه بعد الحروب الدينية بين الكاثوليك والهراطقة وما تخللها من مذابح ٠

ومونبلييه قبل هذا التاريخ كانت تتكلم الاكستانية (وهى فرع من اللاتينية) ٠٠

والآن بعد الأخذ باللامركزية يحاول عمدة مونبلييه وأهلها معا ابراز شخصية خاصة لمدينتهم « مونبلييـه » يحـاولون العـودة الى اللغـة الأوكستانية والملابس الشـعبية وكل قديم لهم فى الموسـيقى والمعمـار والثقافة ٠٠ يحنون الى الطعام التقليدى فى عملية خلق ذاتيـة متكاملة لهم ٠

وقد لاحظت أن أسماء الشوارع فى مونبلييه مكتـوبة باللغتين : الفرنسية والاوكستانية !!

وفى القاهرة تنتشر بعد الانفتاح (الغازى) من الغزو ومن الشوبس معا الأسماء الأعجمية حتى الأسماء الشعبية القحة لبست القبعة فقرنى قرنيك وعليش عليشكو ، وسيد ، سيدان ٠٠ هات يا زمان ٠

وفى مونبلييه رأيت طفلا فرنسيا فى الرابعة من عمره يحاول أن يجلس على الزرع فنهرته أمه وحذرته أن يفعلها ٠ ونظرت الى هذه الأم أتفحصها ٠٠ كانت سيدة متواضعة لا أحسن أنها شاعرة أو حاملة مؤهلات ولكن ما فعلته كان أسلوب ثقافة وتفكير تحضر ٠

راعنى فى مونبلييه ميدان جون جورس وهـو مناضـل اشتراكى مشهور بل مؤسس الحركة الاشتراكية فى فرنسا حتى ان الرئيس متران عقب توليه الحكم سعى الى قبره يزوره هذا الميدان يأتيه المزارعون من الريف فى السابعة صباحا يبيعون الخضر والفاكهة الطازجة حتى الواحدة بعد الظهر ثم يحملون ما بقى فى عرباتهم ويكنسون الميدان ويغسلونه بالماء الغزير بخراطيم تزودهم البلدية بها وطبعا بالميدان بلاعات مربعة فلا يتركون الميدان الا وهو يشف من النظافة حتى اذا رأيته فى المسـاء لا تصدق ٠ وهنا ينشر فيه المطاعم والمقاهى المحيطة به ، الكراسى والمناضد لروادها طلاب العشاء أو طلاب السهر ٠ !!

لا فرق يذكر بين مونبلييه أو أى مدينة فرنسية وبين باريس نفسها الا فى المساحة والأضواء الرسمية فكل مدينة تتمتع بالمسرح والسـينما

وصالات العرض والموسيقى والمتاحف والفنون والفنادق والمستشفيات والمحال التجارية الكبيرة والشوارع النظيفة والأحياء المتميزة والهدوء والنظافة والجمال والثقافة ·· ومن هنا لا تعانى العواصم من الاختناقات والتهرؤات والهجرتين هجرة داخلية اليها زحفا من الريف أي ترييف المدينة وهجرة منها الى البلاد الأخرى فى عملية استنزاف عقلى · كما تكابد القاهرة ·

لا أمل فى اصلاح القاهرة الا باصلاح الريف ومدن الأقاليم ورفع كفاءتها وانسانيتها وتحقيق ذاتيتها ليعتز أهلها بها وتعتد هى بنفسها فلا تكون هناك حاجة الى النزوح منها الى القاهرة التى شقيت بما لا مزيد عليه ·

لن تجدى الكبارى والانفاق مادام الزحف مستمرا الى القاهرة ولن يتوقف الزحف مادام الريف والأقاليم تعانى التعاسة والحرمان والفقدان فى كل شئ ·

ومونبلييه التى لا يتجاوز سكانها مائتى ألف نسمة بها ثلاث جامعات غير المدارس العليا التى تعادل المعاهد عندنا وأربعة معاهد للبحث العلمى أحدها لبحث مشاكل الزراعة بين التخلف والتنمية ومعهد جردات بمونبلييه يجمع الأبحاث والدراسات على التكنيك الزراعى ·· وغير قليل من المراكز العلمية فى باريس تفضل الانتقال الى مونبلييه بل انتقلت بالفعل حتى غدت مونبلييه مدينة الجنوب مركزا علميا ·

ومونبلييه بها الكثير من مراكز الاعلام الخاصة بالمرأة وحقوقها وبالمدينة كثير من الجمعيات وبعضها يبدو لنا غريبا كجمعية مرضى الكلى وجمعية محبى أسماك الزينة وجمعية آباء طلبة المدارس العلمانية وجمعية آباء طلبة المدارس الدينية · الخ ·

ويحمل هذا العدد الوافر من الجمعيات دلالتين : احداها ايمانهم بالحوار واللقاء اثراء لأنفسهم ووقتهم ، والأخرى افتقادهم الاتصال الانسانى أو التعاطف ·· فمريض الكلى مثلا لا يجد أحدا يبثه شكواه ولا يجد جوابا لسؤال والمريض يدفعه قلقه الى الأسئلة ومن هنا يجد طلبته عند مرضى الكلى أمثاله حيث يستمعون الى التجارب المتماثلة أو المتقاربة ·

وفى مونبلييه وجدت خيمة كبيرة يجمعون فيها اللعب القديمة أو

التى مر عليها ثلاث سنوات يأتى الأطفال بلعبهم قبل عيد الميلاد ليهدوها الى أطفال يفتقدونها وهناك رأيت عمدة المدينة بنفسه يشرف على تنظيم العملية .. ويتعلم الأطفال الاحساس بالجماعة وبالغير .. يتعلمون العطاء وهو قيمة خلقية قبل أن تكون مادية .

ولو لم اكن مصرية لكنت فى غنى عن ذكر الحدائق المنتشرة فى المدينة لمتعة الأطفال والشيوخ ولكنى أركز على هذه النقطة من غيرتى على القاهرة التى تفتقد الخضرة والحديقة والأزهار والاشجار .

بل ان فى مونبلييه على حدودها غابة تزيد على ستة كيلو مترات بها ممرات ذات أسهم للتمشية وأخرى للجرى وأدوات جمباز من جذوع الشجر كل هذا للتمتع بالطبيعة والخضرة والهواء النقى والرياضة معا ..

وعلى ذكر الرياضة يهتم الفرنسيون فى مدنهم جميعا بالرياضة اهتماما بالغا . منظر مألوف عندهم أن ترى يوم الأحد الجد والأب والابن يركب كل منهم دراجة بل منظر مألوف أن ترى سيدة فى التسعين من عمرها تركب دراجة للرياضة .

ومضارب التنس فى فرنسا تصمم أحجاما مختلفة لاستعمال طفل الرابعة من عمره حتى المضرب المعتاد .

وفى مونبلييه عدد وافر من حمامات السباحة ذات الرسم الرمزى وصالات الرقص التوقيعى وبعضها تعده البلدية وتجعل الدخول اليه مجانا لا للاحتراف أو حتى الاجادة ولكن للاحتفاظ بالحيوية والرشاقة أو على الأقل عدم الترهل .

ويوم الأحد يمكن أن يسمى يوم الجرى فالناس يمارسون رياضة الجرى فى الشوارع نفسها لأن الشوارع هناك مستقيمة لا حفر فيها ، محددة لها رصيف واسع يلتزم به المارة والبلدية معا .

وفى « مونبلييه » قلما ترى فرنسيا لا يصحب أو يسحب كلبا ولكنها كلاب — والحق يقال — لا تعوى أو تتحرش بأحد .. يبدو أنها تعرف الاتيكيت كأصحابها .. وقد عرفت انها من « بيت » وان لها ناسا غير انهم يرسلونها وحدها تتجول .. ثم تعود .

حتى الكلاب فى فرنسا تتمتع بالحرية .

❊ ❊ ❊

مونبلييه .. مرسيليا .. الخ كلها تظفر بمطارات حديثة ضخمة

يبدو معها مطار القاهرة العاصمة الكبرى متواضعا فى امكاناته على الأقل .

مونبلييه المدينة القديمة تقوم على ربوة وقد طفت بها وصعدت أعلى الربوة فشاهدت الجانب الآخر الأحدث من المدينة يليه الريف ثم الجبل ومعنى هذا أنه لبس هناك خوازيق حجرية أى ناطحات سحاب تحجب الرؤية . حقا توجد خارج المدينة بضعة عمارات عالية يسكن فيها المغتربون من طلبة وعمال . أما أهل البلد فيأنسون الى الطراز التقليدى للمدينة .

وفى أعلى الربوة حديقة جميلة Jardin de Pirro لها بوابتان كبيرتان من الحديد المذهب وله سور حجرى جميل . الحديقة عالية النظافة حتى أوراق الشجر التى تسقط عندهم بكثرة فى الخريف والشتاء تستعمل البلدية الآلة الشافطة فتغدو الحديقة بلا شائبة . فى هذه الحديقة متعة للعين وراحة للجسم وفى الصيف تحفل بالعروض من كل نوع وبها كشك للموسيقى وبحيرات صناعية وقوس نصر وتمثال للويس الرابع عشر ..

وفى هذه الحديقة أيضا تتجمع المسيرات ومنها تخرج المظاهرات حديقة لها دور فى حياة المدينة .

وبعدها مجرى للعيون لم تصرح بلدية مونبلييه بالبناء أمامه وخلفه وداخله وخارجه لم تصرح لمغلق خشبى بالبناء الى جانبه ثم الزحف عليه كما فعلت محافظة القاهرة فى مجرى العيون عندنا ..

وعلى مقربة من هذه الحديقة ، حديقة رائعة للنباتات أسسها هنرى الرابع فى أواخر القرن السادس عشر (١٥٩٣) هذه الحديقة مدرجات من النبات ونافورات وبحيرات صناعية وصوبات لنباتات المناطق الاستوائية .

وترعى هذه الحديقة جامعة مونبلييه اعلاء للقيم حين تعتدى جامعة القاهرة على النيل وتبنى على المسطح المائى ناديا لها .

وفى مونبلييه على مسافات لا تعدو ٥٠٠ متر (خمسمائة متر) جراجات تحت الأرض تتكون الواحد منها من أربع طوابق .. وسكانها لا يتجاوزون مائتى ألف نسمة حين لا يوجد جراج واحد من هذا النوع فى القاهرة التى يبلغ سكانها ١٢ مليونا وغدت شوارعها جراجات تعوق المرور وتهدر الوقت والأعصاب معا .

وفى مونبلييه كلية الطب التى بناها العرب وعلى واجهتها الساعة الشمسية • وهى معلم من معالم مونبلييه •

والى جانب كلية الطب كاتدرائية سان بيير وهى اسلامية الطراز المعمارى ذات برجين كبيرين يروعان الداخل اليها •• دخلتها فاذا بهـا قباب معقودة ونوافذ من الزجاج الملون والكراسى بها مثبتة حتى لا يختل نظامها وهى مصقولة من احترامهم للانسـان ونظيفة أيضـا من احترام الانسان لها وللمكان فلم أقرأ على كرسى عنوانا أو قلبا مرسوما ••

وبالكاتدرائية أضخم أورج رأيته فى حياتى ولهذا تقام فيها حفلات الموسيقى الكلاسيكية • ان التقابل فى المعمار يجعل الصوت مرنا جميل الوقع فى الآذان والنفوس •

جميلة مونبلييه بهدوئها واتسـاقها واصص الزرع الأخضر التى تعلقها البلدية فى شوارعها وفى النوافذ العامة • وبمناسبة أعياد الميلاد نثرت البلدية الأنوار فى المدينة لا صارخة مشوشة بل فى أشكال جميلة أبرزها ما كان على شكل أجراس العيد •

وعلى بعد خمسين كيلو من مونبلييه تقوم مدينـة اجمورت التى خرج منها لويس التاسع لغزو مصر وهى حافلة بالأبراج والقلاع وتمثال لويس وعليه تاريخ الغزوة • والفرنسيون يعتبرونه قديسـا والطلبـة المصريون فى فرنسا يحلو لهم أن يذكروا الفرنسيين بأن لويس هذا لم ينل من مصر مأربا بل أسرته مصر فى دار ابن لقمان •

رآنى أخ عربى فى مونبلييه أكتب ثم خرج وعاد فرآنى أكتب وهنا صاح : أما تتنفسين ؟

قلت : انى هنا وحدى والقلم صديقى •

قال : ولكن يبدو انه صديق كبير

ثم أردف يقول : يبدو أن النيل علمكم الفيض فيض هـذا النهر ليس ماء فحسب ولكنه فيض فى النفوس •

وأحسست لحظتهـا أنى أكبر من عمرى وأطول من قامتى • انى أنتسب الى النهر العظيم الفياض •• مصرية من مصر •

أطوف ما أطوف شرقا وغربا ثم أشتهى العودة •

وكالشريف الرضى ، الى مصر وأنا أعرف الفرق الحالى بل أعيشه وأعانى منه مرتين :

الأولى لأنى انسانه أحب الحياة •

والأخرى لأنى مصرية أحب مصر أكثر من الحياة ••• أكثر بكثير •

ومن هنا يرهقنى البعد ولو كان قريبا فى الزمان أو المكان • فما تكاد الطائرة تقلع حتى يهرع القلم وحده الى الكتابه من باب امتصاص اللحظة ، أو صلاة الشوق ، أو صلات المحبوب •

وتبدأ الرحلة ويبدأ الحنين • ويسافر جسمى الى فرنسا وغيرها •• ويسافر قلبى الى مصر معبده ومسجده •• وداره ومناره •• وهواه ومناه وقدس الأقداس •

المعهد العربى بباريس

معهد ضخم فخم يروع انشائه الدول العربية صاحبة البترول فى باريس وأهدت اليه الحكومة الفرنسية فى عهد ديستان قطعة أرض على نهر السين واحتج اليهود حديثا فاستبدلت بها أرضا أخرى لائقة وافية بالغرض ٠

أسجل هنا هذه المبادرة لأصحابها من الأشقاء فى مثل هذا يصرف عائد البترول حتى ترتفع فى أعين الغرباء ٠

وأسجل أن مثل هذا الصرح لايجوز أن تغيب مصر عنه لا سيما وأن الكل يفتقدها ٠٠

مصر التى أهدر المهدرون كثيرا من أموالها فى الاحتفالات والرحلات والتفاهات لا يعز عليها أن تشترك فى مثل هذا المعهد ولو رمزيا من حيث المال فسوف يعوض المادة ثقلها العلمى والحضارى وهو فى القيمة بلا حدود ٠

أكتب هذا يحدونى الأمل فى الأخذ به لأهميته القصوى فالحضور المصرى لا يغيب فى الأعمال الكبرى لا سيما العلمية والفنية والتاريخية فهذه رسالة مصر منذ القدم ٠

وقد قابلت فى فرنسا الكثيرين من أبناء الأمم العربية وحنينهم الى مصر لا يخفى بعد طول الغياب عن الساحة العربية ويتنفس هذا الحنين من خلال حديثهم عن حاضرها وأملهم فى غدها ٠٠ من خلال سؤالهم عنها وبالحروف والصوت من وقدة الأشواق ما أعرفه ٠

ان البلاد هى الشعوب بآمالها وغاياتها وأهدافها وار اداتها والشعوب العربية جميعا ترفض القطيعة قولا وعملا فما يكاد يلتقى أبناؤها فى مكان حتى تتصافح الأيدى وتلتقى القلوب وتتشاور العقول والأفكار ٠

الدين والعلم والفن والفكر حقائق باقية وثابة لا يعدو عليها الصراع أو النزاع فلتبق هذه الحقائق والعلائق بثباتها وخلودها فى ارتفاع

وامتناع لا يمسسه سوء ولا تنالها المشاكل والأهواء لأنها أكبر وأبقى، وأجدى ..

ان المعهد العربى بباريس يزدهـــر بالكفــاءات العلمية المصرية فلا تحرموا المعهد ولا تحرموا مصر قبله هذا الدور الكبير الذى يتطلــع اليها ·

ان الكل هنا يتشوفون الى مصر ويتشوقون بقيت الاجراءات الرسمية وما أسهلها عندما تصدق النيات وتحسم الارادة المخلصة ·

أقولها : المعهد العربى بباريس هدف يستحق والمثقفون المصريون يطالبون بالوجود المصرى فيه · والمثقفون العرب يرحبون ويتمنون ·

رحلة باريس

وراء قضية هضبة الأهرام
السفر الى فرنسا

انها المرة الأولى التى نسافر فيها أنا وطاهر وحدنا ونترك الأولاد . احساس شجى يستبد بى حتى قبل موعد السفر بأسبوع . أتلمس التفاؤل وأهرب من اللفظ العارض اذا يتضمن معنى الفراق أو البعد .

أحدق فى الاولاد دون أن يشعروا . أعرفهم من طرف خفى بكل شىء يتعلق بنا . لا أريد التصريح حتى لا يقلقوا أو ينزعجوا . لعل التلميح يأخذون منه حرفية اللفظ لا ما وراءه .

فى المطار غمر من الدموع ملأ كيانى كله وأخذ طريقه الى عينى فتماسكت حتى لا يتأثروا . دخلت الى منطقة السفر .. اقدامى تسير الى الامام ورأسى يتلفت الى الوراء متعلقا بهم . مشدودة اليهم لا أريد أن أرفع عينى عنهم . يرعاهم الله لنا غبنا أو حضرنا .

أخاف من ركوب الطائرات . تسيطر على الاوهام . معلقة الطائرة بين الأرض والسماء .. ومعلقا معها القلب الانسانى بين الخوف والرجاء .

بدأت الطائرة تقلع ثم ترتفع عن الأرض ثم تحلق ثم تعلو ممعنة فى التحليق والبعد .

كان مقعدى الى جوار نافذة .. بعد وقت لاحت منى التفاتـه من خلالها .. رأيت الطائرة تطير فوق بحر من السحاب وكنا نحن الركاب نرى الشمس التى تحتجب عن الأرض وراء السحاب الذى علوناه .

الرحلة ناعمة رخاء .. يبدو أن الطائرة تقترب من (نيس) فهى تطير الآن بين السحاب والغباب أرى البحر ..

نيس على البعد .. أرى جزيرة صغيرة على مسافة من الشاطىء ..

نيس .. والشمس .. بشرى .. لقد سبقت رحلتنا أخبار الصقيع فى أوربا ها هى تى الشمس . ولو أن نيس فى جنوب فرنسا وباريس فى الشمال ولكنها بشرى على كل حال .

لم نغادر الطائرة فى نيس توجهنا باريس ٠٠ من جديد أقلعت الطائرة ٠٠ نحن فى طريقنا الى العاصمة الفرنسية التى وصلناها فى الموعد المحدد بالدقيقة ٠

المرة الأولى التى آرى فيها مطار شارل ديجول ٠٠ لقد سافرت الى باريس قبل هذا ولكن كانت رحلتنا من مصر بالباخرة والى باريس بالقطار ٠

المطار ضخم مزدحم ولكن هادىء ٠ كل انسان يسير الى وجهته وسيلته السلم الكهربائى المنشر فى المطار ٠ وجدنا أنفسنا بعد السلالم الكهربائيه فى قاعة واسعة بها اجراءات الجوزات والجمرك ٠ هناك مكان يذهب اليه من معهم أشياء للتسجيل هنا افتراض الصدق ٠

بسرعة أخذنا تأشيرة الدخول وبسرعة وجدنا حقائبنا على السير الكهربائى فالتقطناها ومضينا لم يستوقفنا أحد ولم يلاحقنا أحد بأسئلة ولم يفتحها أحد ٠

لم نكد نخطو الى خارج الجوزات والجمرك حتى رأينا مسيو بواسل مدير الادارة ـ القانونية لجريدة ليموند فى انتظارنا يسلم ورحب بنا وقال انه اصطحب معه زوجته التى تعرف الانجليزية ٠

خارج المطار وجدنا سيارة ليموند فى انتظارنا قدم لى الرجل المقعد الأمامى حتى أرى باريس أثناء الطريق شكرته وعرف أنها ليست المرة الأولى التى نزور فيها باريس ٠

فى الطريق دار حديث الاخبار والجو كالعادة ولم يفتنا بالطبع التنويه بالشمس التى استقبلناها فى باريس أو استقبلتنا أو لعلها قادمة معنا من القاهرة ٠ قدوم حسن وطيب ٠ وضحكنا دعابة وتيمنا ٠

باريس على البر جميلة ولكن القاهرة كانت تكون أجمل لو منحناها نصف ما نلمسه من نظافة العاصمة الفرنسية ٠

وصلنا الفندق ٠ فندق رتشمند ٠٠ فندق فاخر أنيق فيه رضى للذوق المترف فى كل شىء فضلا عن توسطه العاصمة فعلى بعد أمتار ان لم يكن خطوات ، الاوبرا ، وأكبر محلات باريس لافاتيب وبرنتامب (الربيع) والمطاعم ودور السينما وكل ما يريده الانسان من باريس مما وفر لنا قضاء الكثير من الرغبات والأغراض ٠

صعدت حجرتى بالدور الرابع بالفندق · حجرة جميلة تشرق بالذوق والجمال والدفء ·

فى حجرتنا بالفندق وجدنا الحمام الفاخر الندفئة المنتشرة فى كل ركن · وجدنا التليفزيون والتليفون والثلاجة وصينية المرطبات وألوان الشراب ومتى ؟ فى يناير أوربا ·

وجدنا الذوق الغنى فى الألوان والاثاث حتى الجدار ·

وجدنا فازة كبيرة جميلة مملوءة بالورد ومن بينها ورد بلدى يقول ·

والى جانبها علبة كبيرة من الشيكولاته ·

وبطاقات التحية من المستشار القانونى لجريدة

ومن مندوبها الصحفى فى القاهرة مسيو جان بيير هوجو

وخطاب منه أيضا يؤكد اعداده لاقامتى فى باريس وكيف أعلن هذا للسفارة المصرية ومندوبة ـ الأهرام بباريس ·

ووكالة أنباء الشرق الأوسط

وصفحة بعناوين وتليفونات جريدة ليموند ومسيو بواسل ومسيو جان بيير والسفارة المصرية والملحق المصرى الثقافى والملحق المصرى الصحفى ·

وممثل مصر فى اليونسكو الاستاذ سعيد ذو الفقار

ووكالة أنباء الشرق الأوسط

والصحفية المصرية عائشة عبد الغفار مندوبة الاهرام بباريس

والسيدة نهى خليل الصديقة المصرية لى ولمسيو جان بيير ولهضبة الأهرام ·

وكم من صداقات مصرية ولدت فى باريس كاملة النمو ·

المصرية زينب التى جاءتنى من تلقاء نفسها فى الفندق تدعونى الى قضاء يوم فى المدينة الجامعية وأكبر من دعوتها قولها : فى الليالى العصيبة فى الغربة غربتنا فى باريس وسط مكايد الصهيونية وائتمارها بكل ما هو

عربى بعامة ومصرى بخاصة ، كان كتابك شخصية مصر يحضن خوفى ، كنت أتدثر به فى قلقى فأهدأ ..

هل أنسى ؟

وجدت على المائدة نوته فاخرة للسنة الجديدة وأوراق للكتابة وكتاب دليل بالانجليزية عن باريس لفتات مسعدة .

عندنا نتكلم كثيرا عن الايمان والكفر مع أن الدين المعاملة ، كما يقول تراثنا .

على ضوء هذه المعاملة أليس هؤلاء القوم مؤمنين ؟ بالقيـــاس الصحيح ؟

في المحكمة

وصلنا المحكمة . بناء ضخم مهيب يتقاما الى جانبه مبنى مجلس الدولة المتآكل الدرج المحدود القاعات المتواضع الاثاث .

أشار الملحق الصحفى الفرنسى بالقاهرة مسئيو جان بيير الى بدروم مظلم كانت الثورة الفرنسية تتحفظ فيه على الملكة مارى انطوانيت ويقول جان بيير : مسكينة فى نطق مرقق بين العربية والفرنسية ولم أضحك هذه المرة فالطغاة لا يستحقون اشفاقا لم يعرفوه ولو أن مارى انطوانيت قد يشفع لها صغر سنها ونشأتها الملكية المترفة التى تجهل الفقر بالطبع والطبيعة لا أن تعرفه وتتجاهله .

تناولنا غذاءنا فى مطعم المحكمة . كان غذاء شهيا حقـــا . كانت تقدمه سيده متقدمة فى السن ولكنها كانت خلية من النحل لا واحدة وكانت حاضرة الذهن لا يفوتها شيء على كثرة من تخدمهم .

أنتقلنا الى قاعة المحكمة فى الواحدة والنصف أقصد قاعة الجلسة التى تتبعها القضية فى أكثر قاعات المحكمة وأعمدتها وطرقاتها وأبوابها وقبابها ونقوشها وأبوابها الحديدية الضخمة المزينة بالنحاس الأصفر .

فى المحكمة

دخل القضاة فى هالتهم دون أن يصيح حاجب : محكمة

بدأت القضايا وأصحابها . همس جان بيير فى أذنى مونك مويش بتحنيش) يقصد مونك ماجاش .

القضايا التى نظرت فى البداية فيها طرائف كثيرة فرجـــل عض زوجته ، وفتاة صغيرة سرقت من محل أدوات ماكياج . تتزين المرأة وان لم تجد .

تسرق وتتزين . ليتها لا تتصدق على الجمال .

سيدة شابة تقوم بدور الحاجب فهى تنادى على القضايا . وهى تصحب الشهود الى خارج القاعة وتأتى بهم اليها .

نظام المحكمة الفرنسية فى الشهادة أن تسمع كل شاهد على حدة . ولهذا تخرج الحاجبة بالشاهد الآخر من باب جانبى فى القاعة يفضى الى حجرة مغلقة ينتظر بها الشاهد حتى يطلب .. والحجرة ليس لها منفذ آخر حتى لا يتصل به أحد ، الى أن تأتى الحاجبة لاصطحابه الى قاعة الجلسة عندما يحين دوره .

ومررت بهذه التجربة ولكننى حين مثلت أمام القاضى للشهادة أشرابت أعناق المصريين فى القاعة بل تطلع الى الحاضرون جميعا منهم مدام روشيه نوبل كوز وزوجها رجل اليونسكو ،، وأعضاء سفارتنا وجامعة السوربون وفرنسيون يكتبون عن مصر ، ومصريون يتلقون العلم فى فرنسا .

بل أحسست بأصحاب الهرم جميعا يحيطون بى من يعيشون يومنا هذا ومن بنوه سواء بسواء .

كان يوما مشهودا وقف فيه الله الى جانب مصر حين يسر أمرى بمدد منه وتوفيق .

حاول محامى الخصم أن يزعزعنى .. سأل ولماذا لم تكتبى مصادرك التى تتحدثين عنها فى كتابك ؟ فجاء جوابى محددا الصفحات بل الاقتباسات التى أخذتها بنصها الانجليزى مضافا اليها ترجمتى العربية للنص .

سألنى محامى الخصم : هل دفع مونك مليون جنيه كما ذكرتم ؟

ـ لا تسألنى عما دفع ولو كان مئات الملايين وهو ما لم يحدث . لقد دفع قطرة مما أخذ منا .

دفع من ثمن أرضنا التى باع ٥٪ من أرض الهضبة فقط بثمانية ملايين أودع نصفها فى الخارج فى بنوك انجلترا بالمليون الذى تتحدث عن حفنة من ترابنا .

سألنى القاضى ما الذى أثار مخاوفك بالدرجة الأولى ؟

ـ تشويه البيئة الأثرية بالاسكان وما يلحقه والبحيرة التى أزمعوا

حفرها بحجم ١٢ فدانا تحت أقدام الهرم هو الذى عاش عـــلى الجفاف مرتفعا على منسوب ماء النيل ٠

سألنى محامى ليموند ماذا كانت تقول القاهرة قبل مقال ليموند ؟

ـ اشتعل الرأى العام المصرى والعالمى لما يراد بالهرم وبما انكشف من حقيقة المغامرين ٠ بعد كتابتى وكتابه أساتذة من جامعة عين شمس والاستجواب الذى قدمه مستشار سابق بمحكمة النقض وهو الاستجواب الوحيد الذى نجح على قلة الاستجواب الناجحة في مصر ٠

وكتبت التيمس وصحف أمريكا وأوربا وآسيا فلم يكن فى وسـع مندوب ليموند أن يضع يديه فى جيبه ويقف متفرجا ٠

ولم يكن فى وسع جريدة عالمية مثل ليموند أن تكتفى بقــراءة الموضوع فى الصحف الأخرى ٠

ـ هل سبق أن وصف القاهرة فى مونك بأنه مفلس قبل مقــال ليموند ؟

أنا المسئولة وحدى عن هذا الوصف فقد جاء فى كتابى ص ١١٩ عن اصحاب المشروع انهم مفلسون مطردون من شركة كليرتون لكنــا استنادا الى المجلة الكندية الاقتصادية الصادرة فى بلدهم بل استنادا الى مضبطة البرلمان الكندى وعن مقاطعة نوسباوشيا ٠

لقد كتب مراسل ليموند مسيو هوجو بعد أن أطلع عـلى وثائقى وبعد أن صدر الحكم فى صالحى ، ضدهم ، وبعد أن نقلت عنى الصحف والاذاعات فأنا المسئولة وحدى عن كل ما قيل فى هذا الموضوع ٠

لقد جاء فى العقد انهم سيبنون مدنا سياحية وحدائق وملاعب الخ ٠

هل هذا كله يقابل نصف مليون دولار ؟

هل قصدت مصر بالانفتاح نصف مليون ان المشروع كما هو وارد فى العقد لو حازت صحته من النواحى الأثرية والهندسية وهو جريمة فى تقديرها يتكلف آلاف الملايين من الجنيهات ويتطلب أن تقوم به شركة عملاقة من ناحية المال والتكنولوجيا والسمعة لا شركة وهمية ٠

ماذا يعنى نصف مليون دولار فى عصر التضخم ؟

ان المشروع قام على الايهام ايهام التعمير وهو تخريب فأى وصف يوصف به انما هو باب تسميتى للأشياء بأسمائها ٠

وتقرير لجنة الخبراء المصرية الحكومية يدين المشروع أصحابه ماليا وقانونيا وحضاريا ٠

وسألنى القاضى فى نهاية شهادتى أن كنت أريد أضافة أخرى فقلت انى باسم أقدم حضارة يشرفنى الانتماء اليها باسم مصر الحضارة أشكر فرنسا المدنية لوقفتها مع مصر ثلاث مرات ٠

الأولى يوم حلت رموز حجر رشيد

الثانية يوم أسهمت فى انقاذ معبدى « أبوسمبل »

الثالثة يوم أيدت مقاومة مشروع هضبة الأهرام ٠

وهنا وقفت مدام توبل كور وهتفت ـ على غير عادة المحاكم الفرنسية ـ برافو برافو برافو ٠

وكان هناك هتاف آخر أعلى صوتا وصلنى بدون حروف ٠٠ هتاف لمعت به عيون المصريين فى القاعة ٠ ان مصر فى عين المصرى وقلبه أينما حل وحيثما كان ٠

لقد قدمنى محامى جريدة ليموند تقديما حافلا واستشهد بكتابى فى مرافعته مرات ٠

مرات يتجه الى القضاة قائلا : ماذا قالت ليموند الى ما جاء بكتاب دكتورة نعمات ؟

ماذا قالت ليموند لم تقله القاهرة ولندن وباريس وكندا والعالم كله ؟

مرافعته ممتازة كل نقطة كان يضمها ملف مستقل ٠ لقد تشرب الموضوع بما لا مزيد عليه وزارد على وثائقنا وثيقة جديدة هى كتاب صدر فى كندا يصور أبعاد فضيحة كليرتون ومونك ٠

وبعد أن عدت الى القاهرة رتبت من الحصول على الكتاب من كندا وحصلت عليه ٠

وقدمته بعد هذا الى الدفاع المصرى فى قضية التعويض التى رفعها

الأفاقون ضد مصر من باب استلاب أى شيء والنصاب عادة يقدم خطته على واحدة من اثنين :

أما الظفر بالغنيمة أى الصفقة

واما التعويض

كان أروع ما فى مرافعة المحامى الفرنسى استهلالها بقوله : اننى حزين ان محامى الخصم تكلم عن مونك ولم يتكلم عن الاهرام الذى تعلمه لنا المدرسة أطفالا أول ما نتلقى فيها من دروس وأول ما تعلمه لنا الجامعة أيضا وأول ما نتلقى فيها من محاضرات ٠

ذكرت مونك ومليون دولار ولم تذكر بماذا يقدر الهرم ؟ هل هناك مال كفاء للهرم ؟

ووقف المدعى العام ونقض كلام محامى الخصم مع أن المفروض أن المدعى العام يمثل الانهام ويدين ولا يبرىء ٠

لقد قال لى ، بعد عودتى ، الاستاذ مصطفى مرعى ٠٠ لقد كانت هذه القضية خاسرة لولا شهادتك فالقانون الفرنسى ، لا يعض فى حالة الاتهام ولو كان واقعا ملموسا ، الا ذلك الذى يوجه الى موظف الحكومة عند اثباته ، تحصينا لمال الشعب بجعل المواطن رقيبا من خارج السلطة على الموظف العام ٠

ولكن شهادتك وانتقالك عبر البحار سيدة مصرية بل كاتبة مصرية جعل للقضية وزنا أدبيا وحضاريا فوق كل اعتبار ٠

ورفعت الجلسة فى الثامنة الا ربعا مساء بعد ست ساعات ونصف تخللتها استراحة دقائق لا تتجاوز خمس دقائق ٠

وخرج المصريون متهللين اصطحبنا الملحق الاعلامى المصرى الدكتور ممدوح البلتاجى الى الفندق فى سيارته ويقدر هو بوقفتى أى بشهادة الحق كانت نقمته على المترجم الذى لم يرتفع فى رأيه الى مستوى الأصيل الغربى للشهادة ٠

حديث فى الثقافة :

باريس ‥ مدينة الحرية
والأوبرا والموسيقى وفيكتور هوجو

زرتها للمرة الأولى سنة ١٩٧٣ ٠ كان الشهر أغسطس ولكن المطر قدم نفسه لنا صبفا ٠ أما المرة الثانية فقد زرتها فى يناير هذا العام ٠

طبيعى المطر ينهمر ‥ الشوارع مغطاة بندف الثلج « النيج » كما يسميه الفرنسيون ٠ باريس فى غلالة بيضاء ناصعة البياض ٠ السائرون يحتمون من الطبيعة : الرؤوس تحت المظلات ، والأجسام خلف المعاطف الثقيلة ٠

حتى فى الليل تسير الناس فى شوارع باريس ناشرة المظــلات لتتقى المطر المتدافع ٠

منظر غريب المظلات فى الليل ٠

ياليالى القاهرة عودى ٠

لم يمضى يوم وشفنى الشوق يا حبيبة ٠

ياليالى القاهرة جودى ٠

على الآلام والمصاعب أنا بك عزيزة ‥ بعيدا عنك غريبة

ياليالى القاهرة

ياليالى القاهرة حيث الشتاء ربيع ، والهـــوى جميع ، والدفء سلام ، ووئام ومحبة ٠

المظلات والاحذية ذات الرقبة العالية هى السائدة ‥ الأطفـــال يلبسون (بوتا) من الفراء كأنهم حيوانات صغيرة ٠ ولكن الحياة ماضية لا تتوقف ، وسريعة الايقاع جدا ٠

بعد ساعات هدأت الامطار ‥ الشوارع نظيفة مغسولة ‥ مال

الجو الى الدفء نسبيا •• الدفء الذى يحسه المرء عادة بعد المطر أو غب المطر كما يقول النحويون •

كل شيء في باريس نظيف أنيق متألق ولكنه باهظ الثمن أيضا •

العربية نقرؤها في المحلات العامة ، وفي دليل المدينة ، والاعلانات لأن أصحابها منتشرون في باريس تسبقهم نقودهم •

منذ بضعة قرون كانت العربية يتعلمهـا الغربيون استشراقـا واستشرافا حين كانت للعرب دولة في الاندلس • يومئذ كانت العربية لغة العلم والحضارة لغة الأدب الى وقت ليس ببعيد ففي أوائل القرن الثامن عشر نقل كتاب (ألف ليلة وليلة) الى كل لغة حتى قال فولتير انه لم يزاول فن القصص الا بعد ان قرأ ألف ليلة وليلة أربع عشرة مرة • وتمنى القصصي الفرنسي (استندال) أن يمحو الله من ذاكرته كتاب ألف ليلة وليلة حتى يعيد قراءته فيستعيد متعته •

وقد اقترنت بموضوعات الأدب العربي أسماء طائفة من عباقـرة الشعر في أوربا بأسرها خلال القرن الرابـع عشر وما بعـده منهم « بوكاشيو » « ادنتي » و « بتراك » الايطاليين ، و « شوسر » الانجليزي و « سرفانتس » الاسباني • انه موضوع كبير يستحق العودة اليـه بتفصيل • فقط اسجل هنا أن أوربا بعامة وفرنسا بخاصة كانت تأخذ عن العربية علمها بل قوافيها وألفاظها مما سجله شعراء التروبادور حتى قيل ان كلمة « تروبادور » من الطرب •

أخذ الغرب عن العربية من اعجاب ، ولكنها اليوم تشق طريقها بقوة الريال والدينار •• انها قوة على كل حال

حين دعتني جريدة ليموند لزيارتها ، كان همي أن أرى رحلة الحرف ما بين الصفحة التي خطه عليها كاتبه ، وبين الصفحة التي يطالعه فيهـا قارئه •• رحلة طويلة مضنية ولكنها تتم في ساعات

من أكبر نعم الحضارة الحديثة : الطباعة • وقد يسع المـال أن يشتري أشياء وأشياء ولكن مال الدنيا لا يشتري صحيفة ذات قيمة ، أو كتابا ذا عطاء ، بساعة الطلب أو في أي وقت .

خرجت في جولة على الاقدام مع مرافقة فرنسية • ذهبنا الى قصر لويس الثالث عشر يمتد أمامه ميدان واسع مستطيل

أهم ما فى هذا الميدان ليس القصر أو أصحابه ولكن بيت الشاعر الكاتب الفرنسى فيكتور هوجو · ان فرنسا ليست ، آل لويس ولكن « فيكتور هوجو) و « فولتير » و « الاوبرا » و « باستور » وقيم الفن والعلم والحضارة ·

الناس مثلى يذهبون الى بيت « فيكتور هوجو » ·· يدخلون المتحف ·· على يسار الداخل حجرة زجاجية صغيرة لقطع التذاكر · التذكرة قيمتها ثلاثة فرنكات أى نحـو ستين قرشا أى ثلاثة أضعاف ــ تذكرة المتحف المصرى بكل ما تعنى كلمة المتحف المصرى ·

فى بيت فيكتور هوجو أى متحفه . كـــل شيء يروى بالكلمـــة والصورة ·· طفولته ·· ورفاقه ·· المدارس التى تعلم بها ·· معلموه ·· ناظر المدرسة ·· رسومه وهو صغير ·· صورة فى ملابس مختلفة ·

شبابه ·· أعماله ·· معاصروه ·

أسرته ·· أمه ·· أبوه ·· زوجته ·· أولاده ·· أحفاده ·· أولاده الخالدون أى كتبه فى طبعتها الأولى ·

لوحاته ·· لوحات رسمها الفنانون لشخصيات رواياته كالبؤساء ·

غلاف كل كتاب ·

ما كتبته عنه الصحافة حتى الكاريكاتير الذى رسم له ولشخصياته ·· الكرسى الذى كان يجلس عليه وقد أحيط بكوردون حتى لا يجلس عليه غير فيكتور هوجو فهذا الكرسى لا يملؤه أحد ·

وامتلأت عينى بالدموع حين تذكرت بيت أم كلثوم الذى باعه من عاشوا بأم كلثوم ، وفى كنف أم كلثوم ·

وترحمت على الوفاء ·

طافت الصديقة الفرنسية بعد هذا ، بى ، الحى القديم حيث تباع التحف والأشياء القديمة ثم حى اليهود ··· وتقول السيدة : لم يعد لليهود (جيتو) فى باريس ومع هذا يتجمعون فى هذه المنطقة حيث يجد المشاهد محلات خاصة بهم ·· يجد الطعام الخاص بهم ··· معبدهم ··· عاداتهم ·

بعد هذا ذهبنـا الى ميـدان بومبيدو أو ميدان بوبو كما يقول

الفرنسيون مع اختلاف بسيط بينهم وبين المصريين فى تسمية نجمهم الخطيب « بيبو » ·

هناك المبنى الضخم الحديث الذى أراده بومبيدو ، مجمعا للفنون الحديثة ومكتبة عامة · ولكن هذا المبنى يثير غضب الفرنسيين المتعلقين بعاصمتهم الجميلة باريس ذات الطابع الخاص فى البناء ·

انهم يعتبرون هذا المبنى نشازا فى السمفونية المجسمة التى اسمها باريس · كان الله فى عون القاهرة التى جعلنا منها كرنفالا متنافرا فى كل شىء ، وفى كل ناحية منها ، لا ميدان واحد فحسب ·

سرنا سيرنا سيرا طويلا ·· واذا بالسيدة الفرنسية تلتفت الى وتقول ·· هنا شارع سان دى فى حيث تقف الخطيئة فى كل ركن ·· وعلى مقربة من هنا كنيسة أوستاش الشهيرة Eglise stenstache

وامتزج صمتى بدهشتى فقالت : لا عليك · الناس الآن لا يذهبون الى الكنائس · واذا ذهبوا فانهم يقصدون سماع الموسيقى ·

عيب العواصـــم الكبيرة انها تجمع أخلاطا من الناس والأخلاق والسلوك ·

مررنا بميدان لويس الرابع عشر · تمثاله على حصانه يتوسط الميدان · لم يتعثر شىء ·· لم يزيف شىء ·· لم ينـــكر شىء · لم ينتحل شىء ·

عادت معى الصديقة الفرنسية الى الفندق ·· تحدثنا عن الأوبرا والموسيقى والأدب · قالت : لقد انحدر الأدب الفرنسى اليوم لكثرة أدعياء الكتابة ، ومحترفى الأدب ، مع السرعة ، والرغبة المحمومة فى الكسب · اننا الآن نلتمس الكتابة الأدبية عند أهل جنوب فرنسا حيث يهيئهم لها قربهم من الطبيعة ·· من الشمس والبحر ·· ثم بعدهم عن العاصمة حيث الصراع يدور على كل شىء ·

جاء ذكر اللغات · قالت محدثتى : قلما يحسن الفرنسيون لغة أخرى · قلت : فى جمال لغتهم وأناقتها ورقتها ما يكفيهم · ضحكت السيدة الفرنسية فى زهو لا يخفى وأمنت على قولى ·

كنت صادقة معها فهذا رأيى فى اللغة الفرنسية ولكن يبقى ان كل لغة نافذة جديدة واسعة على العـــالم ، وكل لغة تفتح لصاحبها باب

أصحابها ·· باب ديارهم وباب قلوبهم فى وقت واحد · ويبقى بعد هذا وفوقه ، ما أثر عن الرسول الكريم : (من تعلم لغة قوم أمن شرهم) ·

وهنا حمدت بينى وبين نفسى شهرتنا التقليدية باتقان اللغات الأجنبية حتى منذ عهد الملكة حتشبسوت كما يسجل هذا «الدير البحرى» وهو معبدها بالأقصر ·

ومع حب الفرنسيين ، باريس ، اذا سألت فى فرنسا عن عنوان أو طريق ، لا تجد من هو أعلم منك به فى الغالب ·

ان الفرنسيين يسيرون فى باريس بالخريطة ! وباريس أصغر حجما من القاهرة · ولكنهم يعرفون باريس « القيمة » · ونحن على النقيض ·· نعرف شوارع القاهرة **لا قيمتها** ·

فاليرى جيسكار ديستان

نعرف أن الفرنسيين مؤيدين ومعارضين ، يحترمون دكتور فاليرى جيسكار ديستان رئيس فرنسا فى السبعينات · وأنا مثلهم أحترمه للثقافة والدماثة معا ·

وتوقعت أن أقرأ عنه كثيرا فى الصحافة الفرنسية ·· وأراه كثيرا على الشاشة الفرنسية ، وأسمع عنه كثيرا من الاذاعة الفرنسية ·· ولكنى خلال عشرة أيام فى باريس كنت خلالها أتابع البرامج وأقرأ (ليموند) و (الفيجارو) يوميا ··· لم أر صورته الا مرة واحدة فى الصفحة الثانية من جريدة الفيجارو فى ركن محدود من هذه الصفحة ··· بينما قرأت عن المخرج المصرى يوسف شاهين فى الصفحة الأولى من جريدة ليموند عدد الجمعة ١٢/١/١٩٧٨ · وعرفت ديستان أكثر ·

أحضر لنا المستشار القانونى عدة نسخ ··· من جريدة ليموند بمناسبة قضية هضبة الأهرام التى وقفت فى ساحة المحكمة الفرنسية شاهدة عليها ، وفيها ·

طبعا الجريدة أبرزت القضية فى صفحتها الأولى ·

وبهذه المناسبة عناوين الصفحة الأولى وسائر الصفحات على السواء فى الصحف الفرنسية مدة اقامتى بباريس مثل ليموند ·· الفيجارو الخ هى عناوين كل النـاس ··· حتى الأخبار السياسية عناوينها دقيقة وموضوعية ومتبعثة أى منسوبة الى بلاد مختلفة ··· عناوين أحداث لا أفراد ·

فى فرنسا لا تتشابه الأيام أو الصحف · لكل كيان ووجود وسمة خاصة ·

لكل رأى وأسلوب يمليه ضميرهم وحده ·

الناس هنا يحبون حياتهم ·

المتشابه فى باريس طرز البناء · والتشابه هنا محمود · انه يعطى طابعا خاصا للمدينة ليس فيها التنافر فى الشكل أو الحجم أو الأسلوب· ليست باريس كرنفالا كالذى صنعناه بالقاهرة · حتى ارتفاع البيوت يكاد يكون واحدا كأنه محسوب بالمسطرة ·

فى باريس هدوء ساج · ليس هناك اختلاط فى الأصوات أو الحركات أو الميكروفونات أيضا ·

ميدان الكونكورد يشرف ويزدان بالمسلة المصرية · انها السفارة الكبيرة لمصر · الفرنسيون يحبونها ويعتزون بها · وهم الآن يحاولون نفى التهمة عنهم فيما يتعلق بها · انهم يرددون على مسامعنا أنها أهديت اليهم فى محاولة نفى اغتصابها · وعلى سبيل التأكيد أو الاقناع ·· اقناع أنفسهم واقناعنا ـ يقولون : (محمد على) أهداها اليهم ·

قلت لمحدثى الفرنسى : لا عليك لقد كنا فى الماضى نحزن ونغضب لما خرج من آثار مصر ولكننا اليوم ونحن نرى ماعندنا يتبدد أو يتهدد ، نعترف بأنكم أرحم منا بآثارنا وأكرم صونا لها وأكثر تقديرا ·

مأساة أن يصبح الانسان أو الأثر وهو انسان مصفى لا يعلق به لحم أو شحم ·· انسان بما أودع فيه من قلب صاحبه ·

مأساة أن يصبح كلانا غريبا فى وطنه ·

الصحافة .. الثقافة .. المسرح
فى فرنسا

دعانا رئيس تحرير جريدة ليموند مسيو فوفيه الى مقابلة للترحيب بنا وتوديعنا . تمت المقابلة فى مكتبه . مجرد حجرة واسعة بها مكتب خشب الجوز ومنضدة اجتماعات و ٢ فوتى .

رئيس تحرير ليموند العالمية التى تستطيع أن تقيل حكومة ولكن الحكومة لا تملك شيئا للموند ومع هذا المكتب خال من التهويل والتضخيم فى الأثاث أو الديكور أو السكرتارية داخل الأبواب والحجاب خارج الأبواب .

رحب بنا الرجل الكبير قائلا : أرحب بكم أهل مهنـــة واحدة هى الكتابة والرأى .

سألنا هل الصحف المصرية نشرت عن قضية ليموند أى قضية مصر التى وقفت فيها ليموند ؟

ـ وأجبت بالايجاب .

المسرح الفرنسى :

رأيت مساء الجمعة ١٢/١/١٩٧٨ مسرحية فرنسية .

المسرح الفرنسى لا يتقيد الآن بالمسرح الافريقى القديم . لقد أسدل الستار مرات عديدة المسرح الفرنسى مناظر لا فصول وجمهوره مثلنا يحب القفلات الدرامية ومن تقاليده أن تقدم البطلة سائر الفنانين المخرج ومصمم الملابس ومصمم الديكور والسيناريست والممثلين والممثلات واحدا واحدا وأخيرا البطل الذى يقدمها فى النهاية .

المسرحية التى شاهدتها :

الشارع الفرنسى

على الحقيقة لا المجاز · مررت صباح يوم بعامل يحفر فى الرصيف بآلة كهربائية · ووقفت على بعد أرقب ما يجرى ··· كان العامل يحفر كأنه يقيس بمقياس دقيق ، والحفر طوله نحو ثلاثة أمتار ولكنه مهذب الجوانب متساو ··· ذكرنى ببائع البسبوسة وسكينه القطع وكيف يقطع فى سرعة واستواء · وتظل الصينية بعد هذا مستوية فى مكان الخرط ·

ومضيت لقضاء عمل · وفى عودنى بعد ساعتين ونصف تقريبا كان الرصيف قد استوى ناعما ممهدا كأن لم يكن به شىء · وظننت أنى ضللت الطريق ! ان النكتة المصرية تعلم الشوارع بالمطبات والحفر ·

هل هو احترام المكان أو الانسان ·

انه كلاهما فى فرنسا ·

فرنسا والثقافة :

بالفندق دفتر كبير أسبوعى هو قوائم بكل ما يهم الانسان المقيم بباريس بعد حصر شامل ·

للمسارح ·· الحفلات الموسيقى ··· لدور السينما ·· للمطاعم ·· المقاهى ·· الملاهى · كل شىء ·

أهم مالفت نظرى فيه قاعات المحاضرات وكيف أن هناك **رسم دخول لسماع أى محاضرة ·**

وهو مؤشر الى قيمة الثقافة فى هذا البلد ··· هناك يدفعون مالا لسماع محاضرة · وعندنا بدون مقابل ويقبل عليها الأقلون بعد رجاء فى معظم الأحوال · هل كل الناس هنا يجدون رزقهم رغدا وحرياتهم مكفولة ففرغوا لنعيم الروح من ثقافة وفن وألوان الترف العقلى ؟

ولكن هذه الصورة تقابلها بكل أسف صورة أخرى فى مكان آخر من باريس ·

محطة المترو :

محطة سالزبورج فيها عربيات يسألن الناس الحاجة · تألمت ·· لماذا ؟ ان المهاجر ينطوى على طموح ورغبة فى العمل والمقاومة والكفاح · فهل ترك هؤلاء ديارهن للتسول فى بلاد الغرباء ؟

أما يكفى مافى بلاد العرب من مآخذ حتى نعبر بها البحر وننشرها هناك ؟

حتى العرب فى فرنسا معرض للاهمال واللاوعى . الأكشاك الزجاجية للتليفونات مكسورة ... تحطيم وتخريب فى كل ناحية .. والحكومة الفرنسية تترك هذا يجرى كأنها سعيدة به . ولو شاءت ايقافه لسهل عليها الأمر ... الانضـــباط ســـهل ولكنهم يريدون محاربة العرب بسلاحهم .

أشياء كثيرة ظاهرة وخفية ضد العرب فى الغرب واللوم الأكبر يقع علينا أولا فنحن نعطيهم مادة للتشهير الصامت والناطق ، بنا .

ميدان الباستيل :

ميدان الباستيل يقوم فى وسطه نصب شامخ الارتفاع عليه تمثال على شكل ملك طائر .

وكان يقوم تحته فى الماضى سجن الباستيل ان الحرية كرمنه . وكل معنى كريم يعيش فى النور أما السجن بظلمه وظلامه فقد اختار تحت الأرض لأن الجريمة بطبعها ترتكب فى اختفاء والتواء .

البيوت الفرنسية :

البيوت والعمائر فى فرنســـا ليس عليهـــا بوابون يتمطون فى الشمس . الأبواب مغلقة والقاصد أى شقة من الشقق يضغط على جرس الباب الخارجى للعمارة فيفتح ثم يغلقه وراءه . ويتجه بعد هذا الى مقصده .

ان المهن الطفيلية أو القمئية لا وجود لها فى فرنسا .

ليس فى فرنسا بائع يانصيب أو ماسح أحذية أو منادى سيارات . انى لا أوافق برتراند رسل فى رأيه فيها فقد نادى الرجل بصرف بدل قماءة لأصحابها . ولكنى أرى الحل فى استبدال مهن أخرى كريمة بها

الصحافة الفرنسية :

كالاذاعة الفرنسية مسموعة ومرئية للانسان الفرنسى رجولة ..

حول أمانيه واهتماماته واقتصاده وفنونه وعلومه وما يجرى فى العالم خارج وطنه ·

ليس فى الأعلام الفرنسى بكل قنواته حديث معاد غليظ عن علاوات الموظفين الفرنسيين فهذا حق لا بد لأحد فيه · وليس فى الأعلام الفرنسى تصريحات حكومية أو شرايط ومقصات أو أحاديث موسوعية أو توجيهات أو مطولات تحتكر وتحتقر وقت الانسان ·

كل انسان له دور ووجود وذات وحساب وتخصص فلا يستمد طبيب مثلا طبه من مهندس لأن المهندس وزير الصحة وهذا لا يحدث فى البلاد المتقدمة لقد كنت ، أقرأ الصحف فى تفصيل وأحرص على مشاهدة وسماع البرامج ثم انتهت زيارتى لفرنسا بعد عشرة أيام لم أعرف اسم وزير أو كبير ·

* * *

حدث أن قامت مظاهرة فى باريس فاذا بالتليفزيون الفرنسى يعرضها فى كل نشرات الأخبار ذلك اليوم الذى حدثت فيه بالصوت والصورة وكم يحدث عطل فنى عند هذه اللقطة ·

الأغانى فى فرنسا للحياة ·· للناس ·· الفن فى هذه البلاد كبير كبير غال : الكلمة والوقت والانسان ·

برنامج دينى

شاهدت يوم الأحد فى التليفزيون حديث دينى يذاع من الكنيسة لم يكن الحديث يتولاه رجل واحد بل ثلاثة من رجال الدين عندهم ، كانوا يتناوبون الكلام وان كان أوسطهم له الصدارة وأكثرهم تولية للمراسم والطقوس ·

وكان فى ركن الكنيسة كورس من المنشدين والمغنين تقوده سيدة بدينة جمة النشاط ·

وكان هناك بيانو ومايسترو فى الجانب الآخر وقد اشترك الحاضرون فى أوقات مختلفة فى الغناء تارة ، وفى الصلاة تارة أخرى · وفى جزء من هذا الحفل الدينى الحافل كان رجل الدين يدعو والحاضرون يؤمنون ··· يقولون Amen المنقولة عن الكنيسة المصرية ، المنقولة عن المعبد المصرى ·

وعن الكنيســة المصريه ورثت الكنيســة المسيحية فى كل مكان الموسيقى . ان أقدم موسيقى كنسية فى العالم هى موسيقى الكنيسة المصرية التى ورثتهــا بدورها عن المعبد المصرى وما تزال بعض القطع الموسيقية بأسمائها الهيروغليفية الى اليوم مثل اللحن السنجارى واللحن الاتريبى .. الخ (١) .

الحقيقة كانت الموسيقى التى صاحبت هذا الحديث جميلة رائعه . أما الحديث فانه مثل سائر الأحاديث الدينية فى كل بيت من بيوت العبادة يحض على خير ويعلى من قيم العدل والصدق .. ولعل تأثيره يعود الفضل واضــح النبرات ... وكثيرا ما يصـــل الخفوت الى قوة التوثيق الأكبر فيه ، الى أسلوب الأداء . فقد كان رجل الدين هادىء الصوت والتصديق .

ان المسيحية فى بساطتها ودماثتها وتواضعها لم تمنع الكنيسه فى الغرب من أن تحيط نفسها بهالة كبيرة من فنون الصوت والرسم والنحت والزخرفة بهالة كبيرة من المراسم والطقوس والشارات والملابس الخاصة والسمت المعين والفواصل فى المعمار ، بين رجال الدين وعامة الناس تجعل لهم مكانة مميزة فان هذا التغاير المكثف له وقعه على النفوس وخاصة بين البسطاء والأتقياء .

وتذكرت كتاب رودلف اوتو (فكرة المقدس) (٢) .

ما أروع احساس الانسان بأنه مع الله بلا وسيط وفى أى مكان وزمان . على أن الدين لله تحت أى اسم وهو خير كله .

وتذكرت أيضا قول رينان ذلك الفيلســوف الفرنسى الذى حارب الاسلام فى حدة وشدة ثم قال فى النهاية :

(اننى ما دخلت مسجدا قط الا اعترانى شعور بالأسف على أننى لم أكن مسلما) .

ليس أشد أسرا للنفس الانسانية من البساطة والسماحة ، على العزة والاقتدار .

---

(١) كتاب (شخصية مصر) للدكتورة نعمات أحمد فؤاد .

(٢) كتاب The Idea of the Holy by : Rudolf Otto.

ان الزمن الطويل بيننا وبين مولد الأديان بعد بنا عن المنبع المتدفق في سلاسة محببة تسنولى باليسر الرقيق على النفوس والعقول .

ما أبغيه هنا هو أن يكون حديثنا عن الدين حديث متحضرين في صوت هادىء عميق ليعمق أثره في النفوس . وقد أمر الاسلام المتحدث أن يغضض من صوته حتى الجدل بله الحديث أمر فيه بالأسلوب الأحسن وليس من هذا ما يفعله بعض الخطباء في يوم الجمعة وليس من هذا صخب الميكرفون في أصفى كلمات .

العـودة :

بدأت رحلة العودة بعد الشوق .. شوق الليالي العشر جاءت مندوبة ليمويد في الساعة الرابعة لأن طريق المطار يقدرون له ساعة لما يحدث به كثير من تعطيل . واصطحبتنا في سيارة الجريدة فاذا بنا نصل الى المطار في ثلث ساعة .

لباريس عدة أبواب للخروج ... باريس ذات الطابع الواحد حتى ان العمارات الأمريكية ــ المربعات والمستطيلات لم تجرؤ على الظهور الا خارج حدود باريس مطار شارل ديجول له نيف وثلاثون بوابة وقد كان دخولنا من رقم ٦ الخاص بالايرفرانس . كل شيء تم في هدوء ويسر يانع حتى اننا نزلنا بالسلم الـ Nuri أو الكهربائي الاتوماتيكي الى أسفل المطار فاذا به مدينة كاملة . عديد من المطاعم النظيفة والمحلات التجارية لكافة السلع ، الانتقال في المطار حتى من جهة الى أخرى على نفس المستوى يتم اتوماتيكيا وقد لاحظت هذا في محطات المترو . في فرنسا نستطيع أن نعبر شارعا طويلا اتوماتيكيا .

تقدمت الى جمرك المطار لاعتماد خصم التصدير على مشترياتي فلم يسألني عن هذه المشتريات ولم يراجعني أو يراجعها اعتمدها فورا .

في المطار ظهرت الوجوه السمر واللهجة العذبة . مصريون مسافرون عند الموعد سرنا في ممر اتوماتيكي أسلمنا الى باب الطائرة . والدخول الى الطائرة يتم بأرقام حسب مكان الجلوس .

الطائرة بوينج ٧٠٧ . بدأنا نحس المطبات والهزة أحيانا في الطائرة سينما عرضت فيلما عن عساكر نابليون ، في مصر أنام كثيرا في السينما من ارهاقي عند بدء العرض في الطائرة قلت لعلي أنام فأصحو على مصر

ويهذا تقتضب السينما خوفي والطريق ولكنني لم أنم · أعصابي المشدودة أيقظت يقظتي كنت منتظرة الاعلان عن الاسكندرية كما أعلن الطيار عن جنيف وروما ولكن طال الوقت ·

وفي سري قلت ألم تبد الاسكندرية بعد ؟ واذا بالصوت يعلن عن قرب القاهرة وتجمعت حواسي في عيني ونظرت من خلال النافذة فاذا عقود النور متلألئة على صدر القاهرة والنيل في الليل هوى في قلبها وهي بنورها عقد على صدر الليل حبيبتي القاهرة واقتربت الطائرة من الأرض الطاهرة حتى لمستها فتأهبنا للقاء ·

وفي المطار قال لي الكثيرون حمد الله على السلامة ·· ضابط المطار بمجرد فتح الجواز ـ آخرون في المطار ·

أقبلت على سيدة لا أعرفها وقبلتني · حييتها وسألتها على استحياء طالبة أتعـرف اليها ولكنها قالت واحـدة لا تعرفينها ولكنها تعرفك وتدعو لك ·

وبكيت من فرط التأثر · لو أن قريبة فعلتها لكان الأمر عاديا ولكن انسانة لا أعرفها ولم أرها من قبل تعطيني غاليا على غير انتظار ، أسرتني ·· وأعطتني من الحنان ، نعيم الاحساس بالانتماء انها مصرية وقد أسدت الى ما أسـدت لأني مصرية أقدس هذا التراب ·· أعزز به من صلة وقربى ·

ويعيش كثيرون عمرهم بالطول وأعيش عمري بالعرض بفضل هذه اللفتات الدافئـة الحميمة الكريمة ويعمق كل يوم ايمـاني بهذا البلد وبالانسان على أرضه · اني أؤمن بالانسان حيثما كان ولكن أهلي على امتداد الوادي ·· هذه العشرات من الملايين أهلي وهذه الأرض كلها دارى ·· انتمائي اليهم واليها أقوى وأكبر من عقود التمليك التي يكتبها الحبر على الورق حين كتب انتمائي الدم والحب والصدق والوفاء أبذله خفاقا فيعود الى دفاقا وكأنه سنابل القمح في حقولنا الذهبية الطيبة الوفية ·



مع النيل
السودان

رحــلة الســودان
مع النيـــل

رحلة عاشت في وجداني قبل أن أقطعها ··· طوفت بكثير من بلاد العالم فكان طوافي يزيد احســـاسي بهذه الرحلة كمن يفتح عينيه فيرى الكثير أمامه ·· ولكنه لا يرى أنفه المثبت في وجهه ·

أرى انجلترا ـ فرنسا ـ ايطاليا ـ اسبانيا ·· الخ ولا أرى السودان ·· والسودان عيني بل ـ انسان العين المصرية ·

فمصر الرياض وســـودانها
عيـون الرياض وخلجانهـا

وأهلوه منـــذ جـرى عذبه
عشـــيرة مصر وجيرانهـــا

وآذنت الأمنية بتحقيق في ١٥ فبراير سنة ١٩٧٩ ، قال لى ضابط الجوازات بمطار القاهرة : كم سمعت عنك ولم أكن أصدق · الآن صدقت ·· لا أقول شرفت المطار بل شرفت مصر ·

ليس من غرور الغواني بالثناء ولكن امتنان قلبي لأهل وناسي الذين لا يضيع بينهم عمل عامل ·

انى أعيش على مثل هذه الاستجابة · أنمو عليها زادا ، وأستنشقها هواء بل استنشقها عبيرا ·

وصل الدكتور الصياد ، المطار ، بعدى بساعة · تهلل وقال :

لقد سافرت السودان مرارا فالسفر لا يشكل عندى اضافة ولكنى أسافر هذه المرة من أجلك قبلت السفر عندما عرفت أنك مسافرة ·

وهذه نسمة تقدير أخرى ·

وتذكرت بيني وبين نفسي خوفي منه عندما كنت طالبة عنده في كلية الآداب · لقد غدا اليوم صديقا ·· وغدوت بدوري زميلة وفد تفافي وطريق ·

رحلة طويلة فى الزمان قطعتها فى ثوان وأنا جالســـة فى بهو المطار ·

طائرة شركة مصر للطيران تحركت فى موعدها لم تقدم أو تؤخر ثانية واحدة على عكس الشائع ـ الذائع عنها · هل الأمر صدفة أم حظ ؟ والحظ توفيق من الله ؟

الطائرة صغيره · خشيت المطبات ولكنها أعطتنا رحلة مريحة · هل هو (صفاء الجو) بين القاهرة والخرطوم ؟

وصلنا الخرطوم · وجدنا فى انتظارنا عند سلم الطائرة الأستاذ مبارك المغربى (١) رئيس مجلس الآداب والفنون بالسودان ، ووكيل وزارة الثقــافة الســودانية ، وأربعــة من رجال النقــافة الســودانيين وملحق مصر الاعلامى ، وملحق مصر الثقافى وأحد رجال السفارة ·

كنا قادمين من القاهرة فى فبراير نلبس ملابس محترسة من البرد لا أقول شتوية كاملة ولكنهم جميعا كانوا فى ثياب الصيف ·

ترحيبهم بنا ليس كالترحيب فى أى مكان · كان فيه شىء نعرفه فالخرطوم صورة من أســوان · انهم أهلنا رجال الســـفارة ورجال السودان ·

ورافقنا مستقبلونا الى فندق السودان وهو فندق حديث فخم يطل على النيل الأزرق ·

فى الطريق كان الدكتور الصياد يحدثنى عن المعالم التى تقوم على يسار الســائر ولكنى كنت لا أرى الا النيل على يمينى · كان الليل والسور يحجبانه ولكن عينى كانت تنفذ من الحجب لتشرب منه ·

ما ان دخلت حجرتى بالفندق وهى تطل على النيل ، ولها شرفة واسعة تتملاه حتى نحيت الستائر ، ترقبا للصباح حتى أراه ·

ودقت الساعة الخامسة · تنفس الصبح وخرجت اليه ·· فى اطلالة عليه ·· النيل الأزرق · النيل ··· يا كثير الأسماء والآلاء ··· أزرق أبيض ·· كالشمس تتعدد ألوانها وهى واحدة الضياء ·

النيل الأزرق هادىء ساكن ·

---

(١) يعز على أن أعد الرحلة بعد رحيل الأديب الشاعر الاستاذ مبارك المغربى ·

وانتظر المفرن .. المجرن كما يقولون فى السودان وفى الطريق الى نادى الخريجين حيث انعقدت الندوة ، سرنا وشاطىء النيل .

ومن فوق كوبرى النيل الأبيض ، رأيته أو رأيتهما معا .. النيل الأزرق والنيل الأبيض يلتقيان فى هدوء ، ويمتزجان فى رقة فيها همس اللمس .

وتذكرت ذلك اليوم الذى حرصت فيه وأنا فى « رأس البر » على رؤية التقاء النيل بالبحر فى ذلك الموضع الذى يقال له (اللسان) .

يومئذ كتبت :

عند « اللسان » سرت والليل وأفكارى ... وكنت يانيل على يمينى وكان البحر على يسارى ... وكان ولائى لك بما هو مركوز ، فى منك .. كنت أراك وأحسك فى وقت واحد ولكننى كنت أشاهد البحر فقط ... كان احساسى غامضا مبهما لا أميز فيه الا رقتك الحالمة ، وانسيابك الدافق فى أمان وروعة الى جانب صخبه وجلبته المتحدية ، فما من سائر بالبل الا مسه ، منها ، رشاش .

كنت أجمع بينكما فى نظرة يقظى فاذا بك تبدو لعينى على الأقل فى مثل اتساعه وترامبه غير انك تنحدر فى اطمئنان الواثق ، حين يهمرج هو فى جلبة الظافر ... الذى استحوذ على بضعة من النيل .

كان موجك ينفرج فى بساطة طبيعية كثغور عذبة تفتر ، وكان موجه يتدافع فى سرعة وارتفاع يمثل للعين جبلا صغيرا من الماء ما يلبث أن يتكسر عند الشاطىء فلا يبقى منه الا بعض زبد وبعض أصداف ..

كنت فى هدوئك تمثل الفيلسوف المجرب الذى خبر الأيام وتناهت اليه حكمتها فليس من طبعه أو طابعه الجعجعة والصياح .. وهو فى صمته أقرب الى القلب والعقل والنفس جميعا ... وكان البحر فى دويه الصاخب كالعملاق لا يعرف ولا يملك غير القوة يهول بها ولا يأسر .

ما هو البحر ؟ انه ماء ... ولكنك ماء ودموع ودماء وتاريخ حافل طويل ومعان شتى ...

أتذكر يا نيل كم من دماء أريقت على صفحتك لأجناس مختلفة فالفرس واليونان والرومان والترك والفرنسيون والانجليز ... كلهم راموا غزوك ، وكثيرون غيرهم حاموا حولك ... فدحرنا قوما ، ودفعنا

قوما ، وصهرنا قوما ولكننا لم نستسلم ولم نخضع ٠٠ ولم نفرط فيك ٠٠٠ ولن نفعل أبدا ومصر هى مصر (كتبت هذا قبل وعد البعض اسرائيل بماء النيل) ولكننا كما قلت لم نفرط فيه بل تصدينا لهذا المشروع الاثيم ووأدناه فى مهده) ٠

النيل والبحر ٠٠٠ لقد رجعت بنفسى ظمأى فى انتظار النهار لتتأكد الرؤية وتصح المشاهدة فاذا بك فى نور الصباح أعجب منك فى ظلام الليل ٠٠٠ كانت سمرتك المحببة المشربة بحمرة جذابة تطغى على البحر بلونها وسماتها فى جزء كبير منه من أثر الالتقاء ٠٠٠ على حين سلمت أنت من زرقته الداكنة حتى أمواجه الرعن النزقة كانت تهدأ عند الملتقى لتستقبل العظيم القادم من قلب أفريقيا منتصرا على الصخور والشلالات ٠٠ والصحراوات ٠٠ وقوى الطبيعة جميعا ٠٠٠ ما أعظمك غاديا ورائحا فالخير فى ركابك على الغدو والرواح ٠

أنا يا نيل كنت أفتح عينى عليك فما تطرف لترتوى منك فى هذا المشهد الحافل بعينه ٠٠٠ أنك على هدوئك فى صراع مع هذا البحر منذ آلاف السنين فما نال منك الا ما تلقيه بنفسك فيه بعد أن تقضى وطرك من الانشاء والنماء والنضرة على حين تظفر أنت منه كل سنة بجديد من الأرض تنتزعه انتزاعا لتمنحه مصر الشاكرة التى تنسب اليك الخير كله ٠

كم أخصبت لنا جديدا ، وأمرعت قاحلا حين دهمنا من وراء البحر ، غيلان تغصب ما نزرع وتحرمنا ثمرة الجنى والحصاد ٠

كنت تحضرنا وكان البحر يعوق حضارتنا بما ييسره من الغزو والاستعمار ٠

حقا لقد حمل البحر ، تجارتنا ، وسار السفين فيه يرفع رايتنا عبره ٠٠٠ وينقل عليه مع التجارة المصرية ، الحضارة المصرية بوسائلها ومناعمها ، وعقائدها ، وعلومها الى بلاد الشرق والغرب حيث تحمل سلع مصر وترسو سفائنها ، ولكننا ندين لك وحدك بالولاء ، والوفاء والحمد ٠٠٠ فأنت يا نيل الأصل فى كل ما نزهو به ولو بدا ، على يد غيرك ، آتيا ٠

لكن ما لى أحمل على البحر اذ أقرنه بك ٠٠٠ وفيه جمال طالما راقنى فى مواضع بعيدة عنك ٠٠ هل طغت معانيك على معانيه ؟ أم أنى كرهته فجأة اذ رأته عينى يأخذ منك بضعة ما أولانا بها ؟ انى لا شك غيرى ٠

وحان العود فاذا بى أنتزع نفسى من وقفتى عندك ··· ويقرأ على تشبثى بك فى التياحى فيرجعون بى على أن أعود

ألا ليتنى طويت حبك فى قلبى فلم أنزل به الى مجال الحديث ··· فاذا بى بعد المطاف وطول الطواف أشعر أن الذى قتلته دون الذى أحسه بكثير (١) ·

(١) ضمنت هذه السطور مقدمة كتابى عن النيل الذى هو رسالتى فى الدكتوراه

نادى الخريجين

مسجد النيلين :

فى الطريق الى نادى الخريجين رأيت مسجدا جميلا متميز الطراز كأنه مجموعة من القباب . ويبدو أن السودان مغرم بالقباب فهى أنسب طرز العمارة فى السودان وفى الصعيد على السواء ... عليها تتكسر أشعة الشمس فيتلطف الجو تحتها ، ويترطب الهواء وكأنهـا مظلة من الرضوان .

قبـاب المسجد ... قبة المهدى .. القبـاب مغطاة مغشاة بصفائح المعدن فتغدو ناصعة البياض ، شديدة الوهج .. تذكرنى بالهرم عند انشائه فقد كان سطحه لامعا براقا .

ان مصر والسودان ، وادى الشمس والنور لا تكفيه جهارة الضياء فيكسو البناء بالبريق وكأنه ينشد ايناسا جديدا .

يبدو أن صفاء النفس ووضوحها ينعكس على الأشياء .

وصلنا النادى ... صافحتنا العيون اذ الأيدى تنبسط للسلام .. الودادة نفسها ... الطيبة نفسها . ودار الحديث وتناشدنا الأشعار أنشدت أبياتا للبهاء زهير وفيه من عذوبة مصر الكثير وأنشدت من الأدب الشعبى النيلى :

واجف ع الشط باصطاد بط وأنا عايم
صادنى غزال زين خدوده حمر ونعايم
وكيف أطوله وما بينى وبينه بعيد
جلبى غرج فى هواه يابا وأنا عايم

وجاء الدكتور حسن عباس صبحى الأستاذ بجامعة الخرطوم وتحدث طويلا عن زيارته لى فى بيتى . أقسم أنه يومها لم ينم ليلته ... ظل

سائرا فى شوارع القاهرة يستعيد ما دار من لقاء الأخوة وترحيب المحبة بين شطرى الوادى أكثر منها بين أخوين من أهله وان سكن أحدهما الجنوب وأقام الآخر فى الشمال ٠

يقول الدكتور حسن عباس صبحي عندما أزور مصر « أشم العافية » وقال أخ آخر سوداني انه تعلم فى مصر خمس سنوات كان لا يغادرها أثناء الأجازات ٠ كان يعتبر خمس سنوات وقتا قصيرا لا يريد أن يضيعه ٠

ودارت الندوة ٠ وحين كان يوجه الخطاب الى خطيب من خطبائها كنت أحس اسمي أكبر وعمرى أطول فلم يعد اسمي بل بضعه من الخالدة التي أنتمي اليها مصرية من مصر ٠

كان سمعي مع الخطباء وكانت يدى تسطر على الورق هذه الدفقة التى انبثقت دون اعداد كأنى فى الوقت نفسه أسمع صوتا فى داخلى ٠

رأت مصر نفسها فى المرآة
رأيت السودان
حيث النيل شريان الحياة
يا نيـــل
هل أتيت معى ؟
لا ٠٠٠ أنا التى أتيت معك
أنا يا أبى التى أتبعك
قد يراك غيرى مجرى ماء
ولكنك عندى

حب فى قلبى
نور على دربى
حياة فى دمى
كساء لأعظمى
منحه ٠٠ نفحه ٠٠ صفحة
بيضاء نقيـــة
صادقة تقيـــة

تتصوف نتشوف
طاهرة كمحراب
لا تتزلف
فالقول فيك وفاء
وكبرياء
نهر يتدفق بين أضلعى
أحيـــا بـــه
ويعيش معى
وألتقى وأستقى
وينبت على قلمى
الزهر والثمر
يونع الحرف
أخضر كالشجر
وأغنى حبى مواويل
معانيها منك يا نيل
غالية المعانى
بما فيها منك
يا صاحب العطاء الطويل
يا صاحب الجميل
« المقرن ما أروعه
ما أعمقه ‥ ما أبدعه
أنت نقرن النيلين
تقرن البلدين
نقرن الروحين
قبل الزمان
بزمان
يا أعرق أصيل

ويمضى موكب الأجيال
جيلا وراء جيل
وتظل أنت
شبابك أخضر
وفاؤك أنضر
لا تهرم لا تشيخ
خالدا خالدا يا نيل
قال أهلى فى وقدة
متى العودة ؟
قلت :
لم أسافر حتى أعود
أنا فى السودان
معكم · مع النيل
مع نبع الجود
مع سر الوجود

ولمح الأديب السودانى الجالس الى جانبى مولد الكلمات على الصفحة فأعلنه ·· وطلب منى القاءها وأيده الحاضرون ·

ماذا أقول ؟ فى رأيى ليس بشعر ·· وليس بنثر ·· انها خفقات روح ·· انها نبضات قلب ·· دفقة شعورية ·· كلمات لنفسى ·· وللنيل ·· والنيل منذ مولدى عليه ·· بينى وبينه كلمات ·· وأشياء ·· وحاجات ما أن أراه حتى يدور حوار

ويطول السرار

ويبدو أننى لست وحدى فالذين سمعوا هذه الكلمة ، تهللت وجوههم بانشراحة الراحة ، وكأن كلا منهم صاحبها فهى احساس فى قلب انسان الوادى ·· فى الشمال وفى الجنوب ·

رسائل اليه
لهفة عليه
عز انتماء

دين وفاء

عنه أخذناه

منه رشفناه

وتأثر الحاضرون ٠

يبدو أن التلقائية والعفوية أقرب الأشياء الى القلب ٠

قال مستشارنا الاعلامى : كدت أبكى وقد تبكى الأذن قبل العـين أحيـانا ٠

رحلة السودان

مسرح العرائس

كان موعدنا فيه السادسة مساء • والساعة تدنو من الخامسة • نحن فى الطريق الى مسرح العرائس • على يسار السائر ، قاعة الصداقة وهى بناء فخم سامق فى شارع كورنيش النيل وبعده المتحف وهيلتون •

مررنا بالبرلمان السودانى • بناء آخر جميل وسألت مرافقى المصرى البناء كبير ولكن ماذا عن الديمقراطية فيه ؟ قال : الديمقراطية هنا بخير •• قلت : لعلها •

عندما وصلنا ، المسرح ، تجاوزناه فقد استضافنا الاستاذ مبارك المغربى بالسير دقائق أكثر على النيل •• سار بنا على كوبرى « شمبات نسبة الى قرية شمبات وهو يفضى الى مدخل « أم درمان » •

ومن فوق هذا الكوبرى رأينا « مقرن » توتى • وهى جزيرة سودانية لها فى النيل وفى الشعر **مكان ومكانة** •

على باب مسرح العرائس جمع من الأطفال وذووهم •• النور مقطوع •• هل تسلل فار السبتية الى هنا ؟

انتظرنا ساعة عدنا بعدها الى الفندق ذهبنا الى المسرح القومى • شاهدنا فنونا شعبية ورقصات سودانية تمثل مختلف المناطق الجنوب والشرق والغرب •• شاهدنا على المسرح عرسا سودانيا •

رقصات الجنوب فيها مذاق الغابة الاستوائية • الأجسام نصف عرايا أبنوسية لامعة كأن الليل فصل أجسادا ونحت أجساما • الرؤوس عليها قرون حيوان الوعل •• الريش الملون •• الرجال الراقصون يتحلون بالعقود والأساور •

وقدرت السفر الطويل الذى قام به القلب المصرى ليصنع الحضارة حتى قبل بناء الأهرام •

ما أظلم هيرودوت أو قوله القاصر (مصر هبة النيل) ٠ ان مصر هبة النيل وهبة الانسان المصرى ٠

في المسرح أهدى الى الأديب السودانى مصـــطفى عوض الله بشارة كتابه (أضواء النقد) قال انه فرح حين علم بمقدمي الى السودان بين أعضاء الوفد المصرى ٠٠

ولم يكتف بأن أهدى بل أطرى نثرا يراه هو أرقى من الشعر ٠

شكرا له على هديته ٠٠ وعلى تحيته ٠٠ والتحية هدية ٠٠ والهدية أيضا تحية ٠

من الناس من يعيش ليأكل ، ومنهم من يأكل ليعيش ولكن الانسان في الحالين من ضرورياته ، الطعام ٠٠ ومع هذا لا أحب أن أتحدث عن الطعام بله الكتابة عنه ولكنى سأسمح لنفسى أن أتناول لونا استوقفنى فى المائدة السودانية ٠٠ تناولنا فى طعام الغداء شوربة فول سودانى أعجبتنى قدرت وأنا أزاول المطبخ فى بيتى أن يكون الفول مطحـــونا ثم يحمر ويسقى بالمرق ٠ ذهبت الى الطاهى لأستوثق فأضاف كثيرا (١) :

انى معتزة بهويتى الصغيرة ٠٠ أقصد داخل الكاتبة فى ، سيدة وكيف لا أكونها وهى (أم) كل شىء ، بعد حبات القلب أى الأبناء ٠

* * *

الفول فى السودان له شخصية مميزة ٠ فهو هنا يطلق عليه ، الاسم المصرى (مدمس) لأنهم يدفنونه فى الرمل فى عملية تحميص طبيعية ٠

---

(١) الفول يطحن ثلاث مراب

يطحن فى مفرمة اللحم بعد تكسرة فى الهون

حذر الرجل من طحنه فى الخلاط لأن ٨٠٪ ، ريت ، وهو بعسد الخلاط ان يكسر ٠ لأنه صعب الكسر ٠

يحمر مبشور بصلة فى قليل من الزيت تحميرا فاتحا ٠ أن تكون بيضاء ثم تضاف اليها ملعقة صغيرة من مسحوق الفول وحسب الكثافة المطلوبة فى السمك أو القوام ٠

وهو أجود نوعا وأزكى بالطبع .

بمناسبة الطعام السودانى ، الأكواب فى السودان كبيرة بما لا نظير له فى مكان آخر . أكواب غداقة .

ألأنه بلد النيلين ؟ أم لأن الحر زيادة حبتين ؟

ومادمت دخلت فى باب الطعام السـودانى أذكر أنى ميزت شرابا سودانيا قدموه لنا فى المسرح اسمه طريف يطلقون عليه : الحلو المر ! . .

قال الدكتور الصياد انه نوع من الخبز يحمرونه ثم يضيفون اليه السكر والليمون .. نوع من الجعة .

هذا الشراب طعمه فيه لمحة من عصير القصب .

الذكريات تنهل ولكنى لا أنسى واقعة حدثت فى نادى الخريجين .

ففى أثناء الندوة الفكرية ، شق الصمت أو هدوء المكان ، صـوت يجأر .. والتفتنـا كل من زاوية كرسـيه فاذا على الأرض امرأة عاجزة الساقين تطلب احسانا فى صوت مكروب .

نبتت فى المكان فجأة كأنما انشقت عنها الأرض .

وجهها فيه حزن ورقة الصفصاف حين تسقط فى الخريف .

لماذا يكون فى وادينا سـائل ؟ وادى الخير والنمـاء ؟ أقصد مصر والسودان !

يعز على أن أختم هذه الحلقة بأنة ألم . لهذا أخففها ولا أقول أبرئها لأن هذا الداء تطب له الأمة كلها ..

أتحدث عن (الأسماء) فى السودان .

انها طويلة فى جمل مثل :

« طيب الأسماء »

« تام زينه » أى تم زينه . تم حسنه ومن الأسماء السودانية بين النساء : السكات وهو الصمت فى العامية المصرية وكأن الاسم رد على التهمة التى تلصق بالمرأة وهى الثرثرة .

وتضاف الأسماء فى السودان كثيرا الى الله : ـ خير الله ـ عبد الله

عوض الله ــ قريب الله وتشذ القاعدة أحيانا فقد قدم لنا نائب وكيل وزارة الثقافة اسمه كمن يتخلص من حرج يحس به :

ــ أنا اسمى أحمد بابكر كابوس ٠

ويضيف ضاحكا :

المصريون بلطفهم المعهود يخففونه فيقولون قابوس فى محاولة تشبيه بسلطان عمان ٠

قلت : مصر يحلو لها فيما يبدو خلع السلطنة على الجميع حتى الأغنية المصرية اشتغلت بالمراسم هى الأخرى فجعلت : الحبيب ــ يسعد أوقاته ــ على الجمال سلطان ٠

وضحكنا ٠

رحلة السودان

نادى ناصر ومحاورة متوهجة

وكثير من الأسماء فى السودان مصرية فمدرسة فاروق ــ مدرسة جمال عبد الناصر الثانوية ونادى ناصر ٠٠ الخ ٠

الخرطوم نفسها تبدو مدينة مصرية بمصر العليا انها مزيج من أسوان ومرسى مطروح ٠

جمعت جغرافيتنا من أطرافها كمجد مهيار الشاعر الفارسى ٠

والجامعة هى جامعة القاهرة فرع الخرطوم ٠ والوجوه فيها لمحة من مصر والسودانيون يعتزون بخؤلة مصرية ٠ كثيرون منهم اخوالهم مصريون٠

فى المساء ذهبنا الى نادى ناصر لنستمع الى محاضرة عن الأدب الشعبى السودانى من الشيخ عبد الله البشير ٠

استقبلونا استقبالا حافلا وجلسنا فاذا برئيس النـــدوة يعلن فى الميكروفون : ٠٠٠٠ صاحبة كتاب « الجمال والحرية والشخصية الانسانية فى أدب العقاد » ــ الكتاب نفـذ ستحدثنا الليــــلة عن العقاد أســـتاذ السودانيين ٠

وكانت مفاجأة لى ٠ ولكننى اضطررت الى القبول وصعدت الى المنصـــة وقلت :

ــ لقد جئت النادى مستمعة لا متحدثة ٠ وحين يتناول الحديث العقاد وهو متعدد الجوانب فانه يحتاج الى ليالى لا ليلة واحدة فما بالنا وليلتنا هذه موهوبة للأدب الشعبى السودانى لهذا سأقتصر على جانب واحد من جوانب العقاد وهو عبقرياته الاسلامية ٠

وتحدثت فى تركيز حتى لا ينفجر برنامج الاحتفال لا ســـيما وأنهم آثرونى بالاستهلال ٠

وفى اليوم التالى ذهبنا مرة أخرى الى نادى ناصر حيث تقام ندوة العلاقات الثقافية كان يدير الندوة الأديب السودانى الهادى بابكر استهلت

الندوة محاضرتى وموضوعها (وادى النيل ووادى الدين) وهى للقراءة وحدها حتى لا تقطع السياق ٠

فى الثامنة مساء دهبنا الى منزل السفير المصرى فى السودان بدعوة منه للعشاء ٠ منزل سفير وكفى وسفير مصر ٠

استقبلنى سفيرنا سعد الفطاطرى استقبالا حفيا ٠ ما أن ظهرت من الباب حتى خف متهللا يمد كلتا يديه للحاضرين قائلا :

انى انتظر هذا المساء لأراك ٠٠ لقد رأيتك فى كتابك وكتابى الأثير الذى أقرأ فيه كل مساء (شخصية مصر) ولكنى كنت نواقا الى رؤيتك كالكتاب وأكبر ٠

عرفت فيما بعد حبه لمصر فأدركت أن ترحيبه واعتزازه فى تلك الليلة كان تحية لمصر ٠ كان يراها فينا ٠٠ كان فخورا بها هى ٠٠ هى المنبع ونحن بضعة منها بضعة فقط وتظل هى الكل الكامل والمتكامل ٠٠٠

وعندما حان موعد العشاء دعانى سفيرنا أولا وأفسح لى بيديه الطريق الى المائدة ثم تبعنى باقى الضيوف ٠

وكان مثله فى الحفاوة بى الدكتور عثمان بدران وزير الزراعة الأسبق الذى قال :

بدأ ينقشع عن نفسى اليأس عندما كنت أتابعك فى هضبة الأهرام ٠ لن يموت بلد يحبه أبناؤه كل هذا الحب ٠ أن تقفى بكل هذا الصمود فى هذه المعمعة يزيد فخرنا بك وبمصر ٠

واشترك فى الحديث ، الوزير الليبى على شمو ٠ ثم قال السفير أن المحافظ يقصد محافظ الخرطوم وقف فى البرلمان السودانى يتكلم عن هضبة الأهرام رافضا من أجلها مشروعات الانفتاح حتى لا تتكرر الفضيحة فى السودان وهذا ثابت فى مضبطة البرلمان ٠ السودانى ٠

عندما ودعنا السفير شاكرين ، خرج معى من باب الحديقة مطمئنا على انتظار سيارتى وظل واقفا حتى أخذت السيارة دورتها حول الميدان وانطلقت فى طريقها ٠

ولكن أن يستقبلنى سفيرنا هذا الاستقبال ، يفهم ٠٠ ان السفارة المصرية فى أى بلد ، بيتى ٠٠٠ بيت المصرى من حيث أتى وان كان سفيرنا فى السودان نموذج عزيز عال ولكن أن يحتفى بى حفاوة غالية ، مدير

الاذاعة السودانية الاستاذ محمود أبو العزايم فذاك دلالة أعتز بها لا سيما وأنها حفاوة فيها ذاتية وليست تقليدية ٠ ما أن رآني الرجل حتى قال قاطعا على المذيع السوداني الذي يقدمني :

٠٠٠٠ صاحبة هضبة الأهرام وكتاب النيــــل والمازني وأم كلثوم وشخصية مصر ثم أضاف أن هضبة الأهرام بعد توفيق الله ، أحد عوامل نجاحها « **الأسلوب** » فقد يصمد انسان ويكتب ثم لا يؤتى هذا التأثير ٠

في المساء كان موعدنا مع النادي المصري ٠ حاضرنا عن المرتكزات الثقافية بين مصر والسودان تكلمت عن وجوب اعادة كتابة المناهج في طريق توحيدها ، تركيزا على قيم الدين والفن والعلم والحضارة القيم الثابتـة والباقية لا على متغيرات تزول بزوال ملابساتها ومناسباتها ٠

اعادة كتابة التاريخ بحيث يكون رأسيا لا أفقيا أي تاريخ أمة وادي النيل لا تاريخ أفراد ٠

أن يكون المسجد والجامعة مركز اشـــعاع لا خطب منبرية أو برامج مدرسية ٠

أن تكون هناك اطلالة شبابية واشرافة شبابية دائما بل يكون هناك بيوت شباب في شطري الوادي لأن العلم محبة وتبادل الزيارات خاصة بين الشباب وسيلتنا الى الامتزاج ٠

وقد طلب الدكتور الصياد أن تكون كلمتي كافية عن الوفد كله ، وطلب فتح باب المناقشة ٠

جاءتني أسئلة كثيرة فجرت موضوعات أخرى وفي النهـــاية قال الدكتور الصياد أنا وزميلاي مستعدون ولو أن بيننا الدكتورة نعمات ولكن اذا وجد رجل وعشرون امرأة تكلمنا بصيغة المذكر ٠ تقول (القمران) والمراد الشمس والقمر فاذا بهذه الاثارة تدخل بنا في محـــاورة متوهجة ضحك لها المجتمعون كثيرا ٠

قلت : الشمس مؤنثة ومنها يستمد القمر نوره :

وما التأنيث لاسم الشـــمس عيب
ولا التـــذكير فخـــر للهـــلال

د٠ الصياد : السماء مذكرة

د٠ نعمات : السماء مؤنثة يقول الله تعالى : (والسماء ذات البروج) ويقول

« اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت . واذا النجوم بعثرت .. »
فالسماء وكواكبها ونجومها مؤنثة
وصفق الناس طويلا ٠
د٠ الصياد : ان الله خلق آدم ليعمر الأرض ثم خلق حواء لتكون خادمته ٠
د٠ نعمات : ان الله حين أراد تعمير الأرض خلق حواء ٠ ولو كان آدم قادرا
على تعميرها بمفرده لاكتفى به ٠٠ ولاستطاع أن يعمر بيته بالخدم ٠
ان المرأة قرينة أى عدل النفس لا خادمة ٠
سلوا الدكتور الصياد وهو متزوج من سيدة فاضلة هل هى قرينته
أم الصفة الاخرى التى يقول بها ٠
وضج المكان بالتصفيق والضحك ٠
د٠ الصياد : ان الله خلق حواء من ضلع آدم ٠
د٠ نعمات : لتكون أقرب الى قلبه ٠ ومن هنا امتــلأ الأدب فى كل لغة بالنسيب والتشبيب والغزل ٠

والآية تقول « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها ٠ »
وفى قراءة أخرى « أنفسكم » بفتح الفاء ٠
ان الرجل مهما بلغ ابن أمه ٠ وحياته كلها تبدأ بامرأة هى أمه وتنتهى
الى امرأة هى زوجته
سأل صحابى ، الرسول ، عليه السلام : من أحق الناس بمحبتى يارسول الله ؟
قال : أمك
ثم من ؟
قال : أمك
قال ثم من ؟
قال : أمك
قال ثم من ؟
قال : أبوك

وأراد الملحق الصحفى المصرى أن نسمر فى الحوار لولا أننا أقفلناه ليبدأ العشاء ثم السهرة رعاية لباقى المدعوين ·

وهذه هى المرة الثانية فى هذا اليوم الذى تحاورت فيها مع الدكتور الصياد ·

فقد حدث أن تناولنا الشاى فى المجلس القومى للفنون والآداب · وكان فى استقبالنا وزير الثقافة السودانى · وقام أمين عام المجلس القومى بالقاء قصيدة نرحبب فأخذنا نرد عليه تحية بتحية ·

قال الدكتور الصياد : اننى لست أديبا ـ وهو فى رأيى أديب ـ بل جغرافيا والجغرافيا أهم شىء للانسان · والتكامل بين مصر والسودان يقوم على الجغرافيا ·

وهنا قلت : ان الدكتور الصياد أستاذى عندما كنت طالبـــة بكلية الآداب ولكنى أخالفه ففى الأصل كانت الكلمة ·

ولولا خلال سنها الشعر ما درى
بناة المعالى كيف تبنـى المـــكارم

ولكنى أوافقه فى أن العلم وسيلة المحبة واذا كان الله قد أمرنا أن ننظر فى خلق السموات والأرض وأن نمشى فى مناكبها فأولى بنا أن نتعمق أوطاننا ونعرفها ليكون حبنا لها صدقا لا تقليدا فان الهتاف كما أقول دائما وطنية البسطاء ·· والانتماء ليس شهادة الميـــلاد ولكن « **الاضافة** » الى الوطن والعلم به والانطلاق من أرضـــية اعتناق قضاياه هو الشـــاهد الصحيح ·

أعود الى الدكتور الصياد · يقول انه ليس أديبا وأقول أنه أديب · لقد وضع مرة امتحانا يقول :

اشرح البيتين الآتيين شرحا جغرافيا :

والماء تسكبه فيسبك عسـجدا
والأرض تغرقها فيحيا المغرق
تسود ديبـــاجا اذا فارقتهـا
فاذا حضرت اخضوضر الاستبرق

ويضج التلاميذ الصغار فيصيح فيهم :
وماذا فى هذا ؟ انه رى الحياض ·

بل كثيرا ما ترنم الدكتور الصياد فى السودان بالشعر .. ومن شعره هو :

هنا عليك وأنت ما هنت
أنت الحبيبة كيفما كنت

ماذا جرى فنفرت عابسة
أغضبت لما قلت « يا بنتى » ؟

عفوا ... فوجهك فى براءته
مازال يحمل صورة البنت

ان كنت قد أخطأت معذرة
أنت الأنوثة كلها أنت

ان حوارنا على تعارضه فى الرأى كان يحمل من معانى الاحترام والاعتزاز ولا أدل على هذا من أن الدكتور الصياد عندما عرض على الاخوة فى السودان البقاء بينهم أستاذا بكلية البنات أو أستاذا زائرا واعتذرت ألح الدكتور الصياد على فى قبول منصب أستاذ زائر بجامعة الخرطوم .. واعتذرت أيضا .

ولكنى اعتززت بثقته وتقديره .

ومن باب التقدير الذى أعتز به أيضا ما عرضه على المسئولون فى السودان أن يعطونى بيتا على النيل لأكتب كتابا عن السودان ككتابى (النيل فى الأدب المصرى) .. ولكنى اكتفيت بوعد الكتابة ، وفى بيتى فى القاهرة ، اذا تهيأت لى المادة العلمية ونهيأ لى الوقت المواتى .

وانى خالصة النية فالنيل لا يتجزأ ودليلى أنى فى كتابى (النيل فى الأدب المصرى) وقفت طويلا عند النيل فى المأثورات السودانية بل والنوبية . ان من حقهم ، على ، اخوة الدرب ورفقة العمر أن يطلبوا الى هذا الطلب .. ومن حق النيل .

رحلة السودان

خزان جبل الأولياء وخزان حب فى كيان صغير

جبلان : جبل أليا ·· وجبل المندرة (صخور محمية وهما تلان فى الحقيقة لا جبلان ·

النيل الأبيض عند جبل اليا ، ملك ·· على يسار الداخل أو السائر على الكوبرى الصغير ·· ولكنه على اليمين أقل اتســـاعا · انه لا يحب القيود التى نسميها خزانات ·

هناك على ربوة مرتفعة بيت جميل «فيللا» يتملى النيل· فى هذا البيت المحظوظ كان يقيم أحمد عبد القوى باشا أول مصرى بل أول مقيم فى هذه المنطقة · كما كان الماحى بك يقيم فى حى الشجرة الذى يقابل المسافر من الخرطوم الى جبل الأوليـــاء · وكان المـــاحى بك مأمورا مصريا فى السودان . ثم أصبح الحى يسمى شجرة غوردون ثم غدا الآن يطلق عليه حى الشجرة بدون أسماء · ولا يزال مكانا للمصريين ويمثل القمر الصناعى للسودان ·

عند جبل الأولياء رأيت أجانب سعوا مثلنا الى هذا المكان الجميل ·· المكان الذى لم يره ذلك الشاعر العربى الذى شبه النيل بصفيحة صبقل ·

وحسب نفسه بهرنا بالصيقل ·

موجات النيل هنا نحيلة تتراقص ·· موجات طفلة تشب فى مرح الطفولة ·

طيور تحوم وصيادون يقصدون رب الأسماك رب الرزق العظيم كما كان يسميه قدماؤنا · مر أحدهم أمامنا صديقتى السودانية وأنا وبين يديه « مقطف » مملوء بالسمك البلطى الشهى ويعرضه ب ٤٠ قرش (أربعين قرشـــا) !! وتقول صـــديقتى السودانية ان السمك هنا عند الخزان ، أطعم ·

ورأيت صيادين آخرين فى قواربهم الصغيرة يبيعون ويأكلون وهم على مظهرهم البسيط المتواضع سعداء بالنهر ٠

على الشاطىء أحواض الزهور الوردية لا جواميس مربوطة أو مراحيض قبيحة ٠

لم يفعل السودانيون بالنيل ما فعلتــــه محافظة القاهرة وزميلتها محافظة الجيزة مما فصلته فى مقالاتى بجريدة الأهرام ٠

ويذكرنى خزان جبل الأولياء بأوهامى هل يمكن أن يقوم خزان فى الحبشة يحجب عنا ، النيل ؟ العلم يقول لا بل مستحيل فقوة اندفاع الماء هناك تهدم أى خزان فى أيام معدودة ٠

وتذكرت لودفيج حين سأل الفلاح المصرى عما اذا كان يعتقد أن الانجليز يكيدون لمصر فيحبسون عنها ماء النيل . فأجاب الرجل الطيب فى ابتسامة مشيرا الى السماء : « عبثا يحاولون أن يسلبونا النيل ٠ لقد وهبنا الله النهر يجرى حتى يبلغ حقل الفقير فيرويه منه » ٠٠

لم يملك الرجل أن هتف مؤمنا :

ما من اله غير الله الا أن الفلاحين يؤمنون بنهر يقرر سخطه أو رضاه فى أعالى أفريقيا ما يكون عليه المحصول المصرى من القلة أو الوفرة ٠

ولم يتردد أن يجعله فى أديان الشرق دينا رابعا مقتبسا من الحياة ٠٠ موجها لها منشئا لقيمها ٠٠ سجل هذا فى كتابه The Nile

كلنا ذلك الفلاح حتى لو ظفنا العالم كله حتى ولو لم نملك حقلا ٠ فالنيل لايسقى الزرع وحده ولكنه يحيى الأنفس والثمرات ٠

كان يرافقنى من الأخوة السودانيين غير صديقتى السودانيــــة الأستاذ الشــاعر مبــارك المغربى رئيس المجلس القومى للفنون والآداب الذى ما كدت أبدى رغبتى فى زيارة جبل الأولياء ولم يكن هذا فى برنامج الوفد حتى أسرع الى اعداد الرحلة اليه وآمنت بقوله :

جرى النيـــل فى أرضنا كوثرا ... فأجـــرى المودة لما جــــرى
وغنت مــع المــوج شطآنه ... توشــح بين القلوب العــــرى
كأنى (بدميــاط) رغم النوى ... يعــــانق فى لهفة (عطبرا)
وكــم بالجزيرة من منظــر ... حكى سحره (المقرن) الأخضرا
حبتنـــا الطبيعة اشراقهـــا ... فقــالوا أحبت فتى أســــمرا

وعدنا وفى الطريق كان حديثنـا عن النيل أيضا · انه حبنا الكبير مصريين وسودانيين غير أنهم يعدون خزاناتك وينسون خزان حب كبير لك فى كيان صغير ·· قلبى ·

وأخذت على الطريق أشرب منه بعينى ويلمح الرجل الشـاعر ، ولوعى ، فيقول انى أنافسك فيه ·· أنا أيضا عاشق النيل ·· وصدقته مرة أخرى فهو صاحب الأبيات فى وصفه :

ليس هـذى رؤى ولا تلك مـاء	شـاطىء النيـل جنة فيحاء
انه السحر يستميل هوى النفس	ويغـرى القلوب كيف يشـاء
فيه من روعة الخيـال صنوف	فيـه من فتنة الجمال بهـاء
أرأيت الأزهار فى الضـفة الخضـ	ـراء تعلو أديمهـا الأنـداء
أو سمعت الأنين عند السواقى	حيث لاضـجة ولا ضوضـاء
غير لحن الطيور فى الأفق الساجى	تغنيـه روضـة غنـاء
أيهذا النيـل الحبيب سلاما	لك منـا الاكبـار والاعلاء
انت شريانـنـا ورمز تآخيـ	ـنا ونبراس هدينـا الوضـاء
ان تدفقت فى الجنوب سـخيا	فلكم انت للشـمال رخـاء

قد لايعجب هذا القول أناس لم تعد المعانى الجميلة فى حسـابهم أو القيم الثمينة ولو كانت النيل فى عصر (الباكو) و (الأرنب) من اصطلاحات أغنياء الانفتاح ولكن الشاعر والفنان ، الأغنى بالموهبه التى تجعل صاحبها يستطيع كما يصف وليم بليك « لحظة الابداع » ·

أن يرى العالم فى حبة رمل

أن يرى السعادة فى زهرة بريه

ان يرى اللانهاية فى راحة يده

ان يرى الخلود فى لحظه ·

لحظة لن يراها أبدا عباد المال والشيطان والسلطان ·

رحلة السودان

زوج يدفع ٧٠٠ جنيه مكالمة تلفونية لزوجته
معالم سودانية
جامعة الخرطوم

تمثل فى السودان مركز اشعاع ، ومنبر رأى الملصقات هناك تتقارع بالحجة وتتعارض فى الفكرة ولكن لايعترضها أحد .. وتنفسح رؤيتها فتتناول الأوضاع فى ايران ومصر والعالم العربى .

سألت مسئولا سودانيا كبيرا عن ملصقات جامعة الخرطوم وما تتضمنه من معارضة عنيفة فقال بدماثة :

هذه ظاهرة صحية .

واحترمته مرتين : مرة لتسليمه بحرية الرأى والأخرى لترفعه عن الصاق التهم بالمعارضة كما يفعل أغوات السلطان .

الملصقات فى جامعة الخرطوم تقول رأيها فينا ولكنى عندما قرأتها، قلت فى مثل هدوء المسئول السودانى :

ـ هذه ظاهرة صحية .

وتذكرنا مصريين الجامعة المصرية وكيف سلبت ارادتها فغدت تعطى امتيازا للجالسين فى منازلهم أو قصورهم أو المتنزهين حول العالم على حساب الشعب .

الدكتور الصياد قال انه سأل العميد الهمام : هل (المعيده استوفت شروط التعيين ؟

هل عملت مثلا (فيش وتشبيه)

هل قدمت شهادة حسن سير وسلوك ؟

هل قبلا ، حضرت المحاضرات ؟

وتحجر على الشفاه ، الجواب .

ونتحدث عن انحدار الجامعة عندنا فيقول الدكتور الصياد أيضا :
لماذا لاتنحدر ؟ ان الذى يوجهها يمينا ويسارا رابعه ثانوى .. كان الطلاب فى جامعة الأزهر يتسابقون الى تقديم مركوب الأستاذ دون ان يعرف أسماءهم لأنهم يرتشفون منه العلم ..

هذا فى العهد البائد ولكن (النظام) فى العهد السائد جعل الطلاب يكتبون تقارير عن استاذهم !!

الأستاذ كان يعطى عطاءه فى اخلاص وسعادة ولكنه الآن .. لعله يقول بينه وبين نفسه :

هل يستحقون كتبة التقارير ؟
هل يستحق هؤلاء الجهد ؟
ولو أنى أعتقد أن الكثرة الغالبة سليمة على الرغم من شتى الضغوط ما بين صروف الزمان وبغى الانسان .

الأزهر والتبشير فى السودان

التبشير فى السودان يسلك هذه الطريقة : كوخ يعيش فيه المبشر مثلهم خاصة فى الجنوب والى جانبهم حتى يتحسس رغباتهم عن كثب .. ليلبيها فى عملية تودد وغزو نفسى .. يلتقط مشاكلهم ليسارع الى حلها .

أمراضهم يطب لها .. أوجاعهم يخففها يغدو جزءا منهم .

وهنا تأتى المرحلة الثانية بعد أن هيأهم شعوريا وفرغ من اعدادهم .

يدعوهم وفى تلطف .. فى تحسس وتحسب فى هواده ورفق الى المسيحية .. لا بل يتسلل الى نفوسهم بدعوته . ومن الطبيعى أن يلقى استجابة .. استجابة سبقتها تمهيدات كثيرة .. فاذا تعارضت المسيحية بعد اعتناقهم لها مع شىء من عاداتهم أو مألوفاتهم رخص المبشر لهم بها حتى لا ينفروا أو ينراجعوا .. وهنا ما يعرف باسم المسيحية الأفريقية وهى المرخص فيها بالممنوعات كتعدد الزوجات وغير هذا مما يسود فى القبائل الأفريقية .

هذه الكلمة مهداة منى الى الأزهر .

متحف السودان

ان خير تحية ســودانية لمصر ، متحف السودان انه اعزازهم لمصر بلا شك الذى حدا بهم الى العناية بآثارها هذه العناية الفائقة المتحف بعد المدخل الجميل الأخضر الذى يرف عليه النبات به أدوات مصر من النحاس ترجع الى ٣٠٠٠ ســـنه قبل الميلاد وخرز يرجع الى ٢٠٠٠ ق٠م٠ واسير ورآى ٠

اناء جميلا من الفخار الأحمر المصقول

ان حضار (كرمه) الواقعة في الشمال تشير الى مصر ٠ حيث نرى تميمه على شكل (أبو الهول) من العقيق وآنيه محـــلاة بزهرة اللوتس وخاتما منقوشا عليه اسم امنحتب الثالث من بلدة (سمنه)

ولوحـــه كبيرة من الجرانيت عليها كتابة هروغليفية خاصة بالملك سنوسرت الثالث ٠

بل في المتحف السودانى جناح سنوسرت ٠

وفى المتحف السودانى الكاتب امنحات من الأسرة الثامنـــة عشرة جالسا مع زوجته يتقبلان القرابين وفى المتحف السودانى صورة معبد الملك تحتمس الثالث فى (سمنه) ٠

وقد عثر على تمثال أوزوريس الهرم الثالث للملك سنكامنسكسن Senkamensexen فى نورى Nuri

وفى المتحف السودانى تمثال للاله رع ٠

وتمثال للاله آمون وتمثال للالهه ايزيس ٠

وفى المتحف مكاييل وسلال من القش المضفور وعقود وحلى من الذهب من بوهين Buhen وخاتم فضه من (مروى) ٠

وسكين من الذهب وأزرار من الذهب أيضا وعقد من الزجاج الأزرق محلى بمادة ذهبية من (مروى) ٠

وعقد من الدلايات على شكل زهور بألوان مختلفة من مروى ٠

وكأس من الزجاج الأزرق عليه رسوم باللون الذهبى تقدمه ملكة للاله أوزوريس ٠

دار الهاتف فى الخرطوم

عبثا حاولت الاتصال ببيتى فى القاهرة من فندق السودان · ذهبت الى دار الهاتف · قابلنى رئيسه بترحاب ثم ابتسم · وعرفت أن الدخول الى عرينه ممنوع بعد الهجوم الأخير على دار الهاتف الذى راح ضحيته أكثر من ثلاثمائة شخص ·

ـ كيف دخلت وبالباب جندى مدجج بالسلاح ؟

ولكن الذى حدث أن السائق المخصص لى ، همس فى اذن الجندى ·· فأفسح لى الطريق رئيس دار الهاتف حدثنى ان الايراد اليومى للدار يربو على ۳۳٫۰۰۰ ثلاثة وثلاثين ألف جنيه فبعد الثلاث دقائق الأولى يحسب عن الدقيقة ، جنيهان ·

وهنا يروى الرجل طرفه فقد دفع زوج هجرته زوجته الى أوربا فى مكالمة استعطاف سبعمائة جنيه ۷۰۰ جنيه !!

وهنا يقول رئيس المصلحة : هذا المبلغ كاف ليتزوج أخرى ·

ويلكوكس ورى الحياض

ويلكوكس مهندس الرى الانجليزى أول من قال بوجوب العودة الى رى الحياض كل خمس سنوات مرة فى عملية اراحة للأرض واعطائها فرصة تتزود بالطمى وتلتقط أنفاسها ·

ان الرى الدائم خلق من الملايين الخمسة الصالحة للزراعة ثلاثة عشر مليونا من لأفدنة دون زيادة فى الأرض بل المحصول ·

بمعنى أن بعض المناطق تزرع مرتين والبعض الآخر يزرع ثلاث مرات·

ولكن نظام الرى الدائم هذا أصاب الفلاح بالكسل ·· فهو يفتح حوال الماء ثم ينام طول الليل على طريقة الفلاحة حين تدع طفلها يرضع طول النهار ·

وهنا يزيد الماء عن حاجة الأرض (الأرض تطيل) ·

الزواج فى السودان

فى بعض القبائل أو فى الجنوب بصفة عامة يضرب العريس بالسياط

ضربا مبرحا فاذا ندت عنه لفظه (آه) رفضته العروس أو أجلت طلبه عامين على الأقل حتى ننسى قوله (آه) !!

عامين على الأقل حتى ننسى قوله (آه) !!

ويتصل بالزواج الختان والسودانيون يرونه عادة فرعونية أو يردونه الى مصر القديمة ولكن الختان كما يقول الدكتور أحمد بدوى لم يرد فى النصوص الفرعونية ٠

وسواء هذا أو ذاك فان الختان متبع بل وفى مبالغة فيه يشفق منها المثقفون فيهم ٠

وهناك غير الختان طقوس وطقوس لم يتخلص منها السودان الشقيق بعد ٠ لقد كان هم الانجليز الابقــاء على الطقوس السودانيــة لتجميد السودان وحجبه عن التطور حتى تسهل مهمتهم ولكنه الآن يتطور ٠

أقولها كما قال جاليليو عنـدما حملوه على انكار دوران الأرض

ولكنها تدور ٠

يقول برتراندراسل :

(ما أيسر أن تنتشر مساوىء الغرب : القلق والروح العســكرية والغضب واعتقادنا الجازم فى الآله أما أفضل مافى الغرب روح البحث الحر ، وادراك الظروف التى تؤدى الى الرفاهيــة العامة والتحـرر من الخرافة ــ فان الدول القوية فى الغرب تصرف الشرق عن التحلى به) ٠

ليست هذه وحدها التى تذكر للانجليز فى الســودان ٠٠ لقـد تذكرنا مصريين وسودانيين فى احدى الأمسيات اغتيال السردار الانجليزى الذى دبره الانجلز أنفسهم ليتخذوه ذريعة لفصل السودان عن مصر ٠٠٠

ترى لماذا لم ترفض حكومة الوفد ، الانذار الذى وجهته انجلترا الى مصر وقتئذ ؟

ما هو اقصى وأقسى عقاب ؟

أن تحتل مصر ؟ كانت محتلة ٠

هنا ترتسم علامة تعجب كبيرة وعلامة استفهام أكبر ٠

ومن العجيب أن سعد زغلول نفذ الانذار ثم استقال !

وكان الطبيعى أن يرفض ويستقيل أليس لغزا محيرا ؟!

وحتى حين يجثم الهم لاينسى المصريون (القفشة) أو (النكتة)

حين قتل السردار ســـنة ١٩٢٤ كان وزير المالية فى مصر على الشمس باشـــا ٠ وقد طلبت انجلترا فيما طلبت أن تدفع مصر غرامة لأرملة السردار نصف مليون جنيه (كانت ميزانية مصر ١٧ مليونا) ٠

وهنا قال المصريون عن على الشمس : (أنه أقصر وزير مالية مضى على أطول شيك) ٠

ودفعت مصر نصف مليون جنيه فيما أصابهـا من غرم حين عجزت سنه ١٩٣٣ أن نشترى مشروع الجزيرة فى السودان ، وكان الثمن زهيداً، وكان العائد وافر الرجحان ٠

طرائف سودانية

دعتني صديقه سودانية كريمة على الغداء تكريما لى هي تعمل بوزراة الثقافة السودانية . فحاولت اقناعهـــا بالمثل الشعبي عندنا (المشغول لايشغل) وأني يكفيني مصاحبتها لى فى الحل والترحـــال مدة اقامتى هناك ولكنها أصرت .. فطلبت منها أن نستبدل بالغداء ، الافطار ظنا منى أن أخفف عنها لأني لا أريد ارهاقها . وقد اخترت الافطار باعتباره مهما تكثر المرء فيه فهو لايعد وأشياء بسيطة وجاهزة كالجبن والفول .

قبلت الصديقة مسرورة . وذهبت فى منتصف العاشرة صـــباحا فاذا بى افاجأ بوليمة مطبوخة دسمة دونها بكثير مائدة الغداء فى بيوتنا فى مصر .. ولما لاحظت صديقتي دهشتى قالت بعد أن عرفتنى بالأطباق السودانية التى حشدتها على مائدة الافطـــار ، ان العادة فى السودان أن تقدم الأطباق السودانية الدسمة فى الافطار !

وغلبتنى أخت النيل .

وفى السودان تنطق القاف غينا وحين يعيا المصريون عن فهم اللهجة العراقية وغيرها من اللهجات فان الحديث فى السودان كان يجرى سائغا سهلا مع قليل من الاختلاف فى المسميات وقد تكون الكلمة واحدة والمختلف هو المضمون مثل .

كله كله أى أبدا أبدا

الليلة أى اليوم

المساء أى الليلة .

والدليل على قلة المختلفات أن المصريين هناك يجمعونها فى عبارة واحدة تقول باستثناء كلمة عنجريب أى سرير .

(الزول جال للحرم من جبيل شنو جالت ليهو الكاديسه العويره الصبحطانه سرحت براهـا حسه) أن الشخص (الزول) قال لحرمه من

قبل أن شيء (شنو) قالت له القطه (الكاديسه) العبيطه (العويره) المرتجفه (الصجطانه) مرقت وحدها (براها) هذه الساعه (حسه)ويعرف السودانيون هذا ويضحكون كمن لا حيلة له مع الحبيب ·

انهم يعرفون فكاهه مصر ويعرفون أيضا سماحة مصر ·

لقد أنشأ الأقباط المصريون مدارس فى السودان فكانت هذه المدارس تتلقى مساعدات ماليه من الحكومة المصرية وكانت الغالبيه من تلاميذ هذه المدارس من أبناء المسلمين · وترن فى سمعى قصيدة الصديق السودانى الكريم ، الشاعر مبارك المغربى :

يـا مصر يـا أمـل العـرو ... به يـاسـلاح العـزل
يـا واحـة الظمـآن فى ... درب الحيـاة الممحـل
يـا موطن العـلم الذى ... بعطـائه لم يبخـل
كم مـن بيضـاء قد ... أسـديت دون تفضـل
لولاك لم تـرق النهـى ... متن السـماك الأعـزل
فى كـل ضرب فى العـلو ... م وفى الفنون مؤصـل
قد صـنت من فتن الهـوى ... لغـة الكتـاب المنزل
وسـموت بالأدب الرفيـ ... ـع فعـاد عذب المنهـل
لولاك ما عزت شـعو ... ب الشرق بعـد تذلل
لولاك مـا خـرجت فلو ... ل الغاصـب المتسـلل
ولما جـلا شـعب المغـو ... ل عـن الحياض الهمـل
ولمـا زهت أفريقيـا ... بجبينهـا المتهـلل

❋ ❋ ❋

والصيد فى السودان تروى عنه طرائف أو هى طرائف فى نظرنا·

فالنسناس يضعون أمامه اناء واسعا من الجعه فيشرب حتى يثمل وينام الى جانب الاناء ويصحو ليجد نفسه فى قفص ·

أما الفيل فانهم يضعون فى طريقه حفرة مغطاة بالقش ويسيرون خلفه على مسافة بعيدة فهو لايحب أن يرى انسانا أو يشم رائحته ·

ويقع الفيل فى الحفرة · وهو بطبيعته ثقيل الوزن ·

وهنا تدور تمثيلية آدمية اذ يحضرون أشخاصا يضربونه بعد أن يتركوه بدون طعام ثم يحضرون هم أنفسهم أشخاصا يذودون عنه

يطعمونه فيأنس اليهم وينقاد لهم !! وينتهى به المطاف الى القفص أيضا ٠

معه حق الدكتور حسين مؤنس فى معرض تنويهه برواية (الفيران والناس) أن ينوه بالفار أيضا على الرغم مما نقاسيه هذه الأيام ٠ فالفار فى رأيه أو فى قوله (يعيش معك فى بيتك) ٠ ويشـاركك عيشتك وطعامك ولكنه لايريد أن ينشىء معك أى علاقة ٠ فلا يكاد يسمع حسك حتى يختفى فاذا سكت حسك وهدأت حركتك خرج يمارس حياته فهو معك ومنك وعليك ولكنه يرفضك ٠٠ لأنه لو قبلك فلا مفـر له من أن يسمح لك بالتحكم فى حياته كمـا فعلت مع القط والكلب ٠ وأضيف والفيـل ٠

بقيت كلمة لا من باب الطرائف ولكن من باب التحية ٠ التحيـة للقرية السودانية ٠ ان القرى فى السودان ليست متلاصقة كالحال عندنا وليست أيضـا مشعثه الرأس أى أسطح البيوت نظيفة من الحطب والبوص ٠

وقد كنا نحسب الحطب والبوص مبعث الخوف من الحرائق فاذا بنا اليوم نكتشف أنه أحد أسـباب الفيران التى تعيش مع الجحور فى التراكمات غير النظيفة ٠

وبعد كم بالسودان من طرائف وكم بالسودان من لطائف واعـل الطف بالسودان :

- المرأة السودانية
- الطيبة السودانية ما أطيبهم أخوة النيل ٠



قبرص التركية

جزيرة قبرص ماهي قصتها ؟

٢٧ ديسمبر سنة ٨٢ موعد سفرى الى جزيرة قبرص حيث دعانى أمين الاتحاد الدولى للبنوك الاســلامية الدكتور أحمد النجار لالقاء عدة محاضرات فى الحضارة الاسلامية ٠

السفر بدأ فى الحقيقة يوم ٢٨/١٢/٨٢ اذ تأخر وصول الطائرة التركية الى القاهرة حتى الواحدة والنصف بعد منتصف الليل أى فى بداية اليوم الجديد ٠ ولم تتحرك بعد أن ركبنا الا فى ٤٠ر٢ أى فى الثالثــة الا ثلثا ٠ ولما كان طريقها ، القاهرة ــ ايطاليا بجنوب تركيا ومنها الى قبرص فقد وصلنا قبرص فى السادسة صباحا وبعد الاستراحة فى المطار فى بهو كبار الزوار ثم الخروج من المطار فى طريقنا الى فندق Salamis كانت السابعة والنصف وصعدت الى حجرتى ووجــدت نفسى أدخل السرير بملابسى ولم أدر بعد هذا الا وقد فتحت عينى فى تمام الثانية عشرة ظهرا ٠

تناولت طعام الغداء بدعوة من الدكتور أحمد فى بيت ابنه خالد وزوجته اللطيفة هبة جاءنى خالد الفندق واصطحبنى الى بيته (بانجلو)٠

الجبل والبحر والهدوء والزهور ولكن خالد يقول أين الأصــوات العالية حتى أين الكلاكسات حتى هذا وحشنا فما بال الجوانب المشرقة من الجميله الحبيبه مصر ؟

وفرحت لأن الكلام صادر عن شاب مصرى يلقى كل شىء يتمناه فى جزيرة قبرص التى تكاد تأتمر بأمر والده ٠ واستقبلتنى زوجتــه وهى عروس لم يمض على زواجهما ثلاثة أشهر ٠٠ تقول « هبة » أى السمراء الجميلة :

كنت أظن العيش سهلا راضــيا فى أى مكان مادام الانســان الى جانبه رفيق يرتاح اليه ويحبه ولكنى وجدت أو عرفت أن مكانا واحدا فى الدنيــا ليس ككل الأمكنــة : الوطن ٠٠ وعرفت أن الأهل نعمة لايغنى غناءها أحد من الناس مهما عزوا أو وصلوا أو اتصلوا ٠

وتذكرت بعولها خطابات ابنتى فى أمريكا فحنان تكتب لى الصفحات من مظاهر الحياة المترفة فى أمريكا ثم تقول ولكننى أعد الدقائق لا الليالى لأعود ٠٠ وحشتنى مصر

لك نوطة فى القلب يا حبيبة لاينتزعها مكان أو زمان ٠

* * *

ظاهرة بلا شك ولها أبعاد

أن تعمد البنوك الاسلامية الى اعداد جيل من الشباب للعمل فيها تتوفر له أو توفر هى له ثقافة شاملة بالمعنى الجامع للثقافة ، بناء جديد للانسان المسلم ٠٠

والمكان أيضا جزء من الظاهرة وبعد من أبعادها ٠٠ أن نضع الشباب فى جزيرة هادئة ليس فيها ما يشغلهم فى أوطانهم الخاصة . لون من الخلوة والتصفية يعين على تجميع النفس وتزكية الحواس فى عملية احتشاد للتحصيل والتثقيف والاثراء الحضارى ٠

أن تطلب البنوك الاسلامية ، ما يزيد على ما تطلبه البنوك الأخرى من تخصص اقتصادى ، ظاهرة ٠

ان التخصص وحده ، حرفة ووظيفة فى الحياة ، ولكن الثقافة المتنوعة والجامعة أفق أعلى

فى انسانية الانسان ٠٠ وفى نوعية التفكير ٠٠ وفى مستوى الأداء أيضا ٠

فالانسان ، كل ، لايتجزأ ٠٠ الانسان المحدود قد يؤدى فى الموضع المحدود ٠٠

ولكن الانسان المثقف ، يثرى كل شيء حوله ويرفع كفاءته بقدر احساسه هو بالحياة والناس والأشياء ٠

* * *

وأن تعمد البنوك الاسلامية الى الثقافة الاسلامية والدينية ليس من باب المشيخة أو التعصب ولكنه ايمان بضرورة الدين للانسان يرشد به سلوكه ، ويرتفع به أسلوبه النفسى واليومى ٠ فالدين حين يصح فهمه وينفذ العقل الى جوهره ، قيمه عليا أرفع وأوقع من القانون الوضعى

الذى يغرى فيه غيـاب الرقابة ، المخالفة ولكن الدين الحقيقى ، رقابة داخل الذات لاتعيب ٠٠ انها الضمير ٠

قيمة كبرى أن يعف الانســـان ويشف من تلقاء نفسه لا جزعا ولا طمعا ٠

هنا يعتمد عليه فى كل شىء ويعهد اليه بكل شىء انها الثقة ٠

وانها الطمأنينه من رضا النفس وكلاهما أغلى من المال الذى تضمه بنوك الأرض قاطبه ٠ ثم انى أرى فى هذه الظاهرة خطة احياء ، كبرى ٠ فالذى يتأمل هذا الدين يجده بقوة ذاتية كبرى ، فيه ، قد استطاع أن يصـــنع من القبائل المحتربه ، ومن البدائيـة الجاهليـة ، أمة ودولة وحضارة وثقافة فكيف به اذا غـرس فى نفوس ارتفعت كثيرا لعوامل الزمن والحضارة القديمة وطول العهد بالتهذيب والتشذيب ؟

انها صحوة بلا ريب

وانها نهضة حقيقية قادمة بعيدا عن الشعارات والمتاجرات ٠٠ انه توظيف جديد للمال الاسلامى وتوظيف أكبر للانسان المسلم وهنا يتحول العدد الى عدة لاشدة ٠

هنيئا جولة
تعقبها صوله ٠

يوم يغدو الاسلام قوة تملك الكلمة والقرار

واذ يحسب حســابه ، ويخشى جنابه ، يعيد الآخرون حساباتهم فلا يتخيفه حيف ولا يتهدده سيف ، ولا يخــادعه زيف ، ولا يتهمه المغرضون والشانئون ، بضعفنا الذى صنعته الأحداث والتآمر والتفرقة والإغتنئات ، يـوم نسينا الله فأنسانا أنفسنا وسهل على عدونا غزونا أرضا وانسانا :

حاضرت شبابنا من ١١ دولة تعددت ألوانهم وجنسياتهم ٠٠ وكان موضـوعى الاسلام كحضارة ونقافة وبنـاء للإنسان كانوا يسمعون بعيون لاتطرف وأسماع ترى الأعماق البعيدة للكلمات امتدت المحاضرة والمناقشات التى أعقبتها خمس ســاعات لا أنا تعبت ولا هم تعبوا وكأن روحهــم الوثابه سرت فى ٠

كانت مهمتى أن أحاضر الشباب فى الجزيرة خمسة أيام على التوالى فاذا بهم واذا بى من اليوم الأول نلتقى ونقترب ونأكل على مائدة واحدة . وانتزع نفسى منهم انتزاعا فى كل يوم بعد وقت طويل حافل بالحوار والقضايا والموضوعات وكذلك يفعـل أساتذتهم الذين هم بهم يستعين الاتحاد الدولى للبنوك الاسلامية على تحقيق رسالته الجديدة على عـالم البنوك والمال والأرقام ٠

فى اليوم الثانى من حضورى الى الجزيرة قابلنى رئيس الجمهورية الذى استقبلنى فى بيته اضافة فى الاحتفاء بكاتبة مصرية بل خرج الى حجرة الاستقبال الخارجية ليصحبنى الى مكتبه ٠

احتفى بى حفاوة بالغة وأهدى الى كتابه : The Cyprus Traingle
أى المثلث القبرصى الذى وضع اسمه عليه مجردا : R. R. Dehktash
ر٠ ر٠ دينتكاش ٠

والكتاب فى الانجليزية يقع فى ٢١٨ صفحة وهو يرسـم صورة مفصلة للجزيرة منذ تاريخها الباكر وما مر عليهـا من أحداث جسـام وصراعات مريرة تخللتها مؤامرات ولونتها دماء وجللتها تضحيات وانتهى بها الأمر الى التقسيم الذى تبيته الدول الكبرى منذ وقت طويل ثم تعد المسرح لفصول الرواية لتتظاهر فى النهـاية أنه آخر المطاف لتسدل الستار على النظرية المعهوده « الأمر الواقع » ٠

قصة تتكرر كل يوم شهدناها فى فلسطين ونشهدها فى قبرص ماثلة للعين بل نسمع عنها فى ماليزيا التى كانت جزءا من سـنغافورة يصلها بها كوبرى فاذا بهم يعزلونها حتى لايتصل الحزام الاسلامى الذى يضم اندونسيا التى تضم ١٣٥ مليونا من المسلمين تتحـكم فيهم الآن بضعة ملايين من المسحيين الذين يدينـون بدين الرحمة والسماحة يقترفون باسمه ماتهوى سياستهم وكم بين السـياسة والدين الذى هو خير كله سواء المسيحية والاسلام ٠

وقف بى رئيس الجمهـورية أمام خريطـة قبرص وشرح لى كيف اختفت مائة قرية من هذه الخريطـة وكيف قتـل فى الحرب الأهلية ٧٣ ألفـا ٠

كان يتكلم عن قبرص فى هدوء ومحبة واستطعت أن أفهمه ٠

ان الوطن غال ولو كان كوخا من أعواد الشجر لا أرضا وسماء وبشر .

ولما كان رئيس الجمهورية فى لقائه بى قد أمر أن يعد لى برنامج شامل لزيارة معالم الجزيرة .

وبدأت الجولة فى اليوم التالى كانت الساعة الثامنة صباحا . ألمح ساعتى تشير الى العاشرة ولا تزال السيارة يحف بها الأخضر من الجانبين فى السهل والجبل . الجبال الخضراء بعيون الماء تنحدر منه كسويسرا وكالمغرب ويصيح فى فرح جذلان سائق السيارة الأسمر على الرغم من أن أمه قبرصية وأبوه فلسطيني : تعال تعال أى تعالى (شوف منظرا يه حلوه) أى منظرا حلوا ويتكرر وثبه الجذلان وصياحة الطفل على الرغم من ضخامة جسمه طولا وعرضا ، كلما رأى عينا صغيرة من الماء .

ما أطيب البسطاء فى كل مكان .. عندهم من طمأنينة النفس ما يجعلهم يفرحون بأقل القليل ..

انها نعمة قد يحسدها عليهم أصحاب الغنى الباذخ الذين يؤرقهم الحرص على ما يخرج عن حدود ممتلكاتهم وقد لا يقاس بما يملكون .

ولا أنسى لفتة هذا الانسان البسيط فقد ادار مؤشر راديو السيارة عدة مرات حتى جاءت محطة القاهرة فتهلل وجهه وهو يلتفت الى المقعد الخلفى حيث أجلس ، فشكرته فى مثل تهلله .

أحسست فى جولتى بقبرص التركية اننى منها بين الجبل والبحر والسهل الثلاثة ممحبة ولكنى لاحظت أن السيارة يمضى علينا فيها انصاف الساعة دون أن ألمح سائرا فى الطريق .. بين الحين والحين تمر سيارة الى جانبنا أو قادمة من الاتجاه المقابل .

وسألت عن عدد سكان الجزيرة فاذا بهم ١٥٠ مائة وخمسون ألفا : بعد أن قتل منهم فى الحرب الأهلية بينهم وبين القبارصة اليونانيين ٧٣ ألفا !

أرض تحتاج من يزرعها .

ومعدن النحاس عندهم يحتاج من يستخرجه أو يعيده الى المناجم

نشاطها ثم يهاجر شباب الجزيرة وراء فرص العمل !! يبدو أن الهجرة موضة العصر ولو فى غير ضرورة ٠

لقد مررت على قرى مندثرة ٠٠ أطلال ويقول مرافقى القبرصى :

كانت قرى بأكلها يخيم عليها سكون رهيب ولا يرى أحد من أهلها أحدا ثم يتبين أن اليونانيين دكوها بالبلدوزر !

كم مرة وقفنا بقبر كبير جماعى كتبت عليه من الجانبين أرقام كثيرة بعدد القتلى الذين يضمهم ٠

قرية وراء قرية دكت دكا ٠ لو أعطوها اسما كتبوا : (كانت قرية فى يوم من الأيام ٠ وغدت حطاما) ٠

فى الطريق مررت بجبل تبدو قمته فى صورة كف اليد المفتوحة وفعلا قال الدليل القبرصى هذا جبل الأصابع الخمسة ٠

والقبرصيون يسمون الجزء الأخضر من جبالهم الذى يليه البحر : لبنان قبرص والجزء الآخر الذى تليه الجبال الصماء : سوريا ٠

وجزيرة قبرص بعد التقسيم الذى أعطى قبرص التركية الاسلامية ثلث الجزيرة مع أن الجيش التركى كان قد رد اليونانيين على أعقابهم وأجلاهم عن معظم الجزيرة الا أن قبرص التركية بهذا الثلث فيها ٨٠٪ من الأرض الزراعية أو الصالحة للزراعة فى الجزيرة كلها ٠ ولكن ما جدوى هذا بدون ايد عاملة تزرعها ! انه الانسان قبل المكان الانسان روح المكان ٠ ولهذا يقول « توينبى » بنظرية (التحدى) فى تفسير الحضارات ٠ ولهذا أيضا أردد على خلاف الشائع : مصر هبة النيل وهبة الانسان المصرى معا ٠

قطعت السيارة شوطا بعيدا وصلنا بعده مدينة جرنا Girna وهى مدينة صغيرة ولكنها نظيفة مشرقة وبها قلعة كينتا ٠

الشوارع فى جرنه أو غيرها حتى تلك الصاعدة فى الجبل نظيفة مرصوفة ٠٠

وتذكرت خاطرى الى الشاطئ الآخر من البحر ٠ فى جولتى بقبرص رأيت فندق زفروس Sefros الذى لفحته نار الحرب الأهلية يحلى

ويعلى بناؤه ويشكل من جديد تشكيلا واعدا يرعاه بنك فيصل الاسلامى ليكون معهد البنوك الاسلامية •

وبعد جرنا رأيت نيقوشا العاصمة وهـذا منطوقها بالتركيـة أما باليونانية فهى نيقوسيا • تماما كاسم الجزيرة فهو سايبس باليونانية والانجليزية وقبرص بالتركية مدينة لطيفة صغيرة ومع هذا قسموهـا شطرين كبيرين ورأيت الخط الأخضر كما يسمونه يفصل شطرى الجزيرة وعلى امتداد البصر رأيت مظـاهر ثراء يشى بفروق •• وسألت محدثى التركى عما أرى فقال ان وراء هذا الدولار الامريكى تحت اسم تعويضات عن الحرب ! حرب هم الذين شنوها ولكن هذا هو الوضع •• حروب خفية وظاهرة ضد الاسلام ومحاولات مكثفة للافتئات على أرضـه وافقار أهله • لكنه باق وان كرهوا رأيت فى نيقوشا جامعها أو أكبر وأشهر جامع فيها • انه على الطراز البيزنطى بالعقود المتقاطعة يحس المشاهد للوهلة الأولى أنه كان كنيسة •

وضع المحراب غريب فى مكانه انه فى وسط الجدار الأيمن والمحراب له الصدارة عادة • وفى الجانب الآخر أرائك خشبية مغطاة • لما سألت ، قالوا انها لا تستعمل • اذن فيم وجودها ! •• فى نفسى سؤال حائر بعد زيارتى قبرص التركية •

العراق يطلب نوعية معينة من المصريين طلاب الهجرة • انه يشترط الذين قضوا الخدمة العسكرية !! أى الشباب المصرى الذى تم تدريبـه وهناك يجندونهم بالاكراه ويضعونهم على خط النار الأول فيحصدون ••

هل نعلم هذا ونتجاهل ؟

هل هى طريقة ملفوفة للمساعدة العسكرية ؟

هل هان الدم المصرى الى هذا الحد ؟

ارسلوا الشباب اذن الى قبرص حيث الحياة ومجالاتها لا المـوت المحقق عن قضية لسنا من جناتها علم الله ولسنا طرفا فيها •

فى المؤتمر الصحفى الذى عقده لى الأمين العام للاتحاد الدولى للبنوك الاسلامية • سألتنى شابة صحفية : هـل من الممكن أن تعطى مصر فى جامعاتها منحا للطلبة القبرصيين وكان سؤالا ذكيا ومحرجا اذ عرفنا أن قبرص التركية الاسلامية لم يعترف بها أحد ، بعد ، من الدول الاسلامية

ومنها مصر !! حين نتدفق السياحة على قبرص اليونانية التى ارتكبت ما ارتكبت بل اننا فى يوم من الأيام سايرنا الدعاية لمكاريوس وصورناه بطلا حقق الجلاء وهو اتفاق مسبق بينه وبين الانجليز الذين كانوا يحكمون الجزيرة ٠

انها مؤامرة ذات هدفين :

١ ـ انتزاع الجزيرة من المسلمين الذين حاولوا زحزحتهم بالاضطهاد قبل الحرب الاهلية ٠

٢ ـ توسيع هوة البعد بين تركيا وبين العالم الاسلامى الذى لم يعترف الى اليوم بقبرص التركية حتى بخط طيران ٠٠ فان الطائرة تصل الى تركيا أولا (ايطاليا) فى الجنوب ومنها الى قبرص وتتكلف التذكرة ٦٠٠ جنيه ستمائة جنيه حين تكلف التذكرة المباشرة الى قبرص اليونانية التى تنعم بالسياحة المتدفقة عليها من البلاد العربية ، ٨٥ خمسة وثمانين جنيها ويكفى هذا الفرق المادى لعزلة قبرص التركية ٠

وهنا خرجت من السؤال بمناشدتى لهم أن يعرفوا العالم بعامة والاسلامى بخاصة بقضيتهم ويصلوا الجسور المقطوعة ويحصلوا على اعتراف الدول بهم وهنا تسهل سائر المهمات ٠٠

ان مصر التى ترعى فى الأزهر الشريف ٣٦ رواقا لمختلف البلاد الاسلامية لا تضن على قبرص بالمنح دينية أو مدنية ولكن على قبرص أن تلملم قضيتها وتجمع نفسها وتضع أولويات لأمانيها وضروريات وجودها

هل نعرف قبرص التركية ؟

وهل نعترف بها ؟

سؤال تمنيت أن يجد اجابة واستجابة ٠٠ لعل ٠



تركيـــا

رحلة تركيا

في جامعة مرمرة ، بكى الاتراك ، حنينا الى الاسلام :

استانبول أو مدينة (وادى المياه الحلوة) كما يقول كتاب (روائع البسفور) لصاحبته مس باردو Beautils of The Bosphong Miss pordoe .. المدينة التى تحيط بها من جميع الجوانب الجبال الجرداء العاطلة . وتطل عليها من الأعالى ، كأنها زمردة ضخمة فخمة رائعة .

استانبول ، أو اسلامبول ، كما تكتب فى بعض المراجع ، هو الاسم الاسلامى للقسطنطينية أطلقه السلطان محمد الفاتح ، عقب استيلائه عليها فى مايو سنة ١٤٥٣ . وهذا الاسم « استانبول » تركى معناه : دار الاسلام .

ويروى أنه قبل فتح السلطان القسطنطينية بأيام كان كشف موقع قبر الصحابى أبى أيوب الانصارى أحد قادة الجيش الأموى الذى زحف على القسطنطينية سنة ٦٧٠ م فى عهد يزيد بن معاوية . وقد استشهد هذا الصحابى الجليل ودفن على مقربة من أسوار القسطنطينية .

وقد أشعل اكتشاف قبره أثناء حصار السلطان للمدينة مشاعر الجيش العثمانى فلما تم فتحها ، أطلق السلطان عليها (اسلامبول) تيمنا وابتهاجا . وبنى مسجدا بالقرب من ضريح الصحابى الشهيد أبى أيوب الانصارى .

ومن الطريف أن استن سلاطين آل عثمان سنة مرعية فكان عقب اعتلاء كل سلطان جديد ، العرش ، يذهب فى موكب رسمى حافل الى هذا المسجد ثم يزور ضريح أبى أيوب الانصارى وهناك يتسلم السلطان فى جو دينى مهيب ، من يد شيخ الطريقة المولوية ــ بيوك جلبى ــ سيف السلطان عثمان الأول الجد الكبير للسلاطين العثمانيين كما يقول : كتاب (الدولة العثمانية) جـ ١ ص ٦٤ للدكتور عبد العزيز الشناوى .

. كتاب (الاتراك العثمانيون وحضارتهم) بروكلمان كارل ص ٤٦

١٩٨٣/١/١٢ أول مرة أزور فيها استانبول . المطار مغطى بالثلج المندوف مما يسمونه فى فرنسا « نيج » .

أتوبيس واحد كان ينتظر عند سلم الطائرة فازدحم بالركاب الذين التصقوا واقفين .

ابتسمت فقد رأيت أتوبيسا مزدحما عند الآخرين أيضا ولكن لم يتكرر هذا خارج المطار فاستنبول تعدادها أربعة ملايين ولكن الاتوبيسات بها لا تعرف الزحام أو التعلق بالسلم أو التدلى من السقف .

استانبول جبلية وبحرية فى آن . انها كما هو معروف ، عـلى البسفور ومع هذا ليس على الشاطئ ناطحة سحاب مع أن الأرض مدرجة ممعنة فى الصعود بحيث يجد كل مبنى فرصة لاطلالة على البسفور . واعتبار آخر ان البحر واسع فلا يستقطبه أو يزاحمه بناء عال .... ولكننا نحن فى انانية وافتقاد أو غياب احساس بالنيل نبنى عشوائيـا ناطحات سحاب تنطح الذوق والنهر .

لقد رأيت فى استانبول احياء قديمة بيوتها خشبيه ولكنها نظيفه هادئه بادية الستر . ليس فيها فقر مدقع أو اصوات صاخبة أو الوان فاقعة .

ورأيت فى اسـتانبول فى ميدان تكسيم مجموعه من التماثيل على قاعده واحدة عريضة استوقفتنى ثم عرفت أنه اتاتورك ومن معه .... لم ينكرهم اتاتورك والشـعب حتى اتاتورك لم يدع أنه الأوحـد والملهم والعلامه الفهامه .

ومحطة اسـتانبول فخمه ولكنها بعيدة جدا عن المدينه . انها على الميناء وهو تخطيط سليم اقتصادى .

ظاهرتان فى استانبول : الأدب الجم الطبيعى .. النظافة .

وهاتان الصفتان تصلان حـد المبالغة ، فى عين الوافد أو الغريب على الأقل . (الجرسون) بادى الاناقه والنظافه الشديدة .. صوته خفيض هامس يملأ الكوب وتحت الاناء فوطة شفافة لالتقاط أى قطرة متخلفة من عملية الصب . والكوب يمسكه بمنديل من الورق .

استضافونى فى فندق مارمر اينسات . الذى لفت نظرى ليس الفخامه وانه لفخم ولكن الذى أثار اعجابى ، النظافه التى لا مثيل لها .. حتى فى المساء قبل النوم يمر رجل فى ملابس انيقه ..وفى ادب جم يطوى غطاء السرير ثم يضيف اليه بطانيه جديدة ثم يثنى حرف الاغطيه بطريقه حتى لا يتكلف النزيل الا أن يغمض عينيه هانئا .

ويفرغ الرجل السلة من أقل ورقة بها ... ثم يعيد تلميع الحمام ويضيف اليه صابونا مغلفا .

كان الفراعنه يقولون ان الشمس فى مصر غيرها فى بلاد الناس وأقول ان اللون الأبيض فى تركيا غيره فى بلاد الناس .

والمطعم فى هذا الفندق على غير العادة فى أعلاه فى الدور الثامن عشر حيث تطل الموائد على البسفور تحيط به استانبول فى حنان واحتضان ..منظر خلاب .

وأحسست أن الطعام فى تركيا له طقوس .. وأن شهر المطبخ التركى لها أساس فعلى باب المطعم وقف انسان نظيف أنيق يقدم النعناع والشيكولاته بعد الانتهاء من الأكل .

ولهذا الرجل زميل يمر على الحجرات ليلا يضع الى جانب السرير قطعتان من الملبن .

أما الطعام فلست بحاجه الى أن اصفه وان كان هذا الطعام الشهى الذى لا يقاوم هو الشىء الوحيد الذى كنت أهرب منه فى تركيا حتى لا يفسد جهد سنين فى النظام الذى أفرضه على نفسى وفى قسوة أحيانا كثيره لا جريا وراء نحافه ولكن جريا وراء شفافيه الروح .... لأنى لا أحسن الكتابه الا اذا كنت فى حالة لا هى امتلاء ولا هى خلاء أى بين الشبع والجوع والكتابه عندى لا يعدلها شىء . لا أنسى قبل آن أغادر الفندق على الصفحة ، الشباب المصرى فى تركيا ... فى هذا الفندق مهندسان استدعتهما تركيا لتركيب الكمبيوتر ... فرحت بقيمة مصرية تقصد لمهمه علميه .

تذكرت السلطان .

أن يعيش وسط هذه الانحناءات والتحيات والتعظيمات والمأكولات معذور فى ولعه بلا ألقاب وفى حياة الاسترخاء..فالذين كونوا الامبراطورية أو اقترنوا بالقوة صفه منشىء الدول ثلاثه .

عثمان آل طغرل الذى أسس الدولة واليه انتسبت فيقال آل عثمان أو العثمانيين . سليم وغزواته .

سليمان القانونى ابن سليم .

أما الباقون فقد رأوا نعيما وملكا كبيرا . ويبدو أن كل تركى يحس أنه سلطان...رأيت فى احدى الطرق ماسح أحذية أمامه صندوق ضخم من النحاس الأصفر المشغول له بريق ..... صندوق جميل مطعم ملىء بالخانات والعيون كل شىء فى مكانه .

هذه المهنة تدمى احساسى . قد يعمل انسان بتنظيف الأرض فلا بد أن يكون هناك من ينظف الأرض فى السلم الاجتماعى ، ولكن أن يمسح انسان حذاء انسان آخر فلا ولو كانت آلته صندوق من الذهب الخالص .

فتحت عينى فى السابعه صباحا لأرى البسفور كما تعودت أن افتح عينى فى مصر على ـ النيل ولكننى فى هذا التوقيت وجدت الطبيعه نائمه ... الوقت ليل لم تظهر الشمس بعد .. لم يستيقظ معى الصباح .

امسكت القلم اسطر هذه الظاهرة .. ما أقربه الى كأنى لا أكتب به وانما أقضى اليه .. أحدثه ... أشركه فى الرؤيه والرؤيا أيضا .

قصر Top Kapl Sarayl

ابواب وقباب وحدائق ... آيات قرآنيه باعلى الأبواب . أسماء السلاطين مثبته بالقصر .

قاعة ١ :

بدأت الجولة جناح الخزينة على اليمين .. فاترينة محفوظا بها البدلة العسكرية ـ للسلطان وملحقاتها من دروع وسيف من الذهب مرصع بالاحجار الكريمة ... حتى الحذاء من الذهب المرصع وكذلك الخوذه أى من اخمص القدم حتى قمة الرأس

بدأت الجولة التى تروع كل ذو عينين ولكننى كنت أرى بقلبى وعقلى وذاكرتى التى لا تنسى ما حدث لكنوز أسرة محمد على ومتحف محمد محمود خليل .. فى تركيا رأيت ورأيت .. فاترينة بها حقائب مرصعة باللؤلؤ والماس .

وشرابيات طويلة للسلطان محمود جلال الدين .. وشرابيات من اللؤلؤ خلتها بعين المرأة حقائب يد .. ومعها مبخرتان .

فاترينة بهـا عرش السلطان مراد الرابع .. أريكة من المطعم بالعاج والصدف والفيروز .

فاترينة بها جراب المسدس مرصع باللؤلؤ وسيوف مرصعة بالأحجار الكريمة حتى (شباك) الابريق مشغول ومرصع .

فاترينة بها جراب المسدس مرصع باللؤلؤ وسيوف مرصعة بده مرصعة بالفيروز والماس .

فاترينة بها نرجيلة مرصعة وشمعدانات من الذهب ومة لاطفاء الشموع من الذهب ومفرش من القطيفة الحمراء مرصع والماس يفرش تحت قدمى السلطان عند باب القصر .

فاترينة بها هدية من الصين للسلطان عبد الحميد عبارة عن للقصر الصينى بحديقته من الذهب والفضة والأحجار الكريمة

والقصر على قاعدة ذهبية مرصعة .

والقاعدة على قاعدة من خشب الصندل المشغول .

فاترينة بها كشك الموسيقى مرصع وفوق قاعدة من الذهب داخلها قصر مرصع فوقه فيل من الذهب على وشمه مرصعة . على شكل أشجار من الذهب تفتح من أعلى فتنبعث منها الموسيقى

فاترينة بها سيوف مرصعة للسلطان سليم الأول .

فاترينـة بها درع وسيوف والريشة والحزام والسـهام السهام جميعه من الذهب المرصع .

كل هذا لم تمسسه يد .. لم يبدد .. لم ينهب .. لم به فصوص زجاجية أو أثاث بدائى .. انى أذكر بتفصيل لأن الجامع فى هذا الموضع قد يبدو من زخـرف القول بينمـا الحقي ألمسها تفوق الخيال .. انى أذكر بتفصيل علنا نتدارك شيئا م لمصر ان كان قد بقى شىء .

قاعة ٢ :

عرش السلطان أحمد يصعد اليه بارتقاء ثلاث درجات .

العرش خشب مطعم بالصدف والأحجار الكريمة .

مصابيح السلطان من حجر الزبرجد ومصابيح من اللؤلؤ .

طبق كريستال قطره نحو ٧٠ سم وعمقه أو ارتفاعه نحو ٤٠ سم مملوء بأحجار الزبرجد .

كيف لم يغب منها شيء ؟ انها مفـردة أى من السهل الاختطاف والاغتراف ؟

لو كنت مكان الأتراك لأفردت لهذا الطبق بمحتوياته متحفا مستقلا وسميته (الأمانة) أو (العفة) أو (القيمة والكبرياء) أو (الشمم) أو (النزاهة) .

موقف تحار اللغة ، كالعقل ، فيه وخاصة عقل الانسان المصرى الذى يعرف ما جرى لكنوزه . وبعد (الطبق) ، ريشة مرصعة بالياقوت والزبرجد .

قاعدة أحجار الزبرجد زنته ٣٢٦٠ ثلاثة آلاف ومائتان وستون كيلو جراما . حملقت جيدا فتأكدت من الرقم .

١٣١٠ ألف وثلاثمائة وعشرة كيلو جراما من الزمرد

٥٠٠ خمسمائة وتسعون كيلو جراما من الزبرجد .

اتهمنا الخديوى اسماعيل بالاسراف حين قدم بضع مئات من الألوف للسلطان لكى يعتمد عرش مصر لأولاده . معذور اسماعيل مرتين .

السلطان يملك هذا كله ماذا يقدم اليه لقد غبنه اسماعيل

عرش مصر يساوى عرش مصر ؟ كثير المال قليل ، فى عرش قيمته بلا حدود .

— أدوات وأكواب من الحجر الأخضر المرصع والأبيض والكريستال .

— زمرد اسود زنته ٣٫٢٦٠ ثلاثة ومائتان وستون جراما وهو من الهند له ضوء يشع فى الظلام .

— جراب سيف غطاؤه ساعة .

— سرير طفل من الذهب المرصع والغطاء من الحرير المرصع باللؤلؤ .

لا أزال ساثرة مسحورة . وبقدر حفاظ البلاد على ميراثها بقدر الألم الذى يعتصرنى على ميراث مصر وتراثها المسلوب والمنهوب .

ولكن ان أفلت اللصوص من حساب الارض فلن يفلتوا من حساب السماء باءوا بغضب من الله واحتقار من الشعب

في هذه اللحظة أرى مصحفا له غلاف مرصع وقد كتب عليه بأحجار الماس : لا اله الا الله .

ـ فاترينة بها نياشين السلطان عبد الحميد والسلطان محمود الثانى وبها هلب من الماس ومرآة مرصعة وأدوات مرصعة .

ـ فاترينة بها نياشين مرصعة مهداة من الدول : (اليابان ـ بلجيكا ـ البرتغال ـ اليونان ـ اسبانيا ـ فرنسا ـ النرويج ..) توددوا اليه في أوج قوته (١) .

قلائد من السويد والنمسا وانجلترا ويوغسلافيا حتى موناكو .

ـ شمعدانان كل منهما ٤٨ كيلوجراما من الذهب وفي كل منهما ماسة وزنها ٦٦٦ر٦ كيلوجراما والتحفتان للسلطان عبد المجيد (١٨٣٩ ـ ١٨٦١) .

ـ أريكة مرصعة بالزبرجد للجلوس عليها في العيد يرجع تاريخ صنعها الى القرن السادس عشر .

ـ محابر ومقالم من الفضة والذهب وحجر القمر وهى مرصعة .

ـ أريكة كبيرة من الذهب المرصع حتى الوسائد مرصعة هدية من السلطان نادر شاه للسلطان محمود (١٧٣٠ ـ ١٧٥١) .

قاعة الساعات :

كلها بالطبع مرصعة حتى العقارب وبينها ساعة من الصدف .

---

(١) يقول الدكتور عبد العزيز الشناوى فى كتابه (الدولة العثمانية) ولقد عاشت الدولة العثمانية أكثر من ستة قرون واجتاحت جيوشها الاسلامية العثمانية ، أقاليم شاسعة فى جنوبى شرق أوروبا ووسطها . وهى أقاليم لم تخضع قط من قبل لحاكم مسلم وأحرزت باسم الاسلام انتصارات خاطفة وباهرة ، وتساقطت فى أيديها دول أوروبية عديدة وامتلأت قلوب الحكومات والشعوب الأوربية فزعا وهلعا من هذه الدولة الاسلامية الطارئة عليها فهم عقر دارها .

الساعات كلها واقفة عند الساعة التاسعة وخمس دقائق اللحظة التي مات فيها اتاتورك وفي يوم ١٠/١١ صباحا ٠

وفي هذا التوقيت من كل عام تقف الدولة والشعب ٠٠ التاكسيات والمحلات ٠٠ الطرق ٠٠ في هذا التوقيت تعطى اشارة معلومة فيقف كل شيء ٠ وكان الحياة بدورها تقف كما وقفت حياة اتاتورك في هـــذه اللحظة ٠

قاعة :

– بها مصحف مفتوح على الصفحة التي مات عثمان وهو يقرأ فيها ٠

ننتقل الآن الى الحرملك وبه طرائف شتى ٠

والحرملك به ٤٠٠ أربعمائة حجرة ، المفتوح منها ، غرفتان وعلى باب الحرملك (كشك) زجاجي به شباك صغير يفتح ويتكلم منه الموظف المختص ثم يغلق ٠

الحرملك لا يفتح الا في تمام الساعات ولمدة خمس دقائق فقط أي في تمام العاشرة (١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ؛ ١٦) ٠

وهناك لوحة خشبية مخرمة تعلن هذا ٠

وللحرملك تذكرة دخول خاصة ٠

جناح الحراسة مكون من ثلاثة أدوار ٠ غرف على الجانبين للحراس من الأفريقيين الذين يهدون في ذلك الوقت للسلطان ٠

معلق على الحائط عصاوان غليظتان لضرب من يرتكب خطأ من الحراس

وهنا يبتسم الأجانب ابتسامة خبيثة ٠

يقول الدليل التركي على عهدته وما أكثر مبالغات الأدلاء للاطراف أن التقليد المتبع في الحرملك أن الذكر من أولاد الخدم اذا بلغ التاسعة يبعد عن المكان ٠٠ والذكر من أولاد الزوجات اذا بلغ السادسة عشرة ، يبعد ٠

الرجل الوحيد في الحرملك هو الســلطان ومن الطريف أن حجرة مكتب السلطان في الحرملك تطل على (المســــبح النسائي) أي حمــام سباحة لنساء القصر !!

جناح خادن أفندم :

أم السلطان · وجناحها يضم أربعين حجرة ·

أهم ما لفت نظرى فى جناح الوالدة ثلاثة أشياء :

١ ـ أريكة من دورين لتكون فى مجلسها أعلى كثيرا من ضيفاتها نطل عليهن من أعلى ·

٢ ـ الشىء الثانى :

ـ مقصورة يجلس فيها السلطان عندما يزور أمه !! نبعد عن أريكتها بضعة مترات !!

الأم أقرب الناس وأحب الناس ·· عندها ترفع الحجب ولو كان

الابن ملك الملوك ولكنه الولع الملوكى بالهيلمان ·

وفى بهو الاستقبال فى أحد الأعمدة حوض وصنبور حتى اذا حضرت الصلاة نهيأ الوضوء وفى جناح أم السلطان هدايا قيمة :

ساعتان من الملكة فيكتوريا

كرسى من ألمانيا

فازان من الصين

٣ ـ غرفة طعام أعدتها أم السلطان أحمد اعدادا خاصا وكان به عروف عن الأكل ·

الغرفة عليها صور منقوشة لجميع أنواع الطعام والحلوى والفاكهة تحايلا من أمه على فتح شهيته ألم أقل ان الأم هى الأم ·

السلطان أحمد يملك مقاليد الأمور ويحكمه السلم والحرب فماذا فى الحرملك أمه (تحايله) ليأكل ·· ان سلطان الناس طفلها هى ·

حجرة الطعام : صينية كبيرة مستديرة من الفضة على أرجل خشبية مرصعه وحولها شلت أى طبليه سلطانى ·

حتى المكتب منضدة صدف منخفضة وثلاث شلت وأتذكر الدكتور محمود فوزى نائب رئيس الجمهورية الأسبق دعانا مرة للصعود الى

الطابق الأعلى فى بيته بالهرم وحين تزخر قاعة الاستقبال فى الدور الأول بفاخر الأثاث على الطراز الحديث ، يحفل الدور العلوى بالأركان الشعبية والاسلامية ويبتسم الدكتور فوزى فى هدوئه الذى غدا له طابعا ويقول لى :

هذه الجلسة أكثر الجلسات راحة ولكن (القيام) شىء آخر مشيرا الى صعوبة الوقوف بعد جلسة الأرض .

* * *

الذى أصفه هذا أراه من وراء كوردون .. كل شىء له قيمة عند أصحابه .. ليس غيرنا من يهدر تراثه .

* * *

وفى الحرملك طريق طويل .. ممر داخلى يسمى طريق الذهب لأن السلطان كلما اخترقه نثر الذهب يمينا ويسارا أثناء سيره فيه !!

مرة أخرى أقول كم فى الحرملك من طرائف .

والحمام .. فى القصور التركية ليس حجرة ولكنه حجرات .. حجرة رخامية البانيو والأحواض والأرض والجدران وحنفيات فضية وذهبية ثم حجرة لارتداء الملابس فيها ثم حجرة للمساج ثم حجرة لتناول شراب ساخن عقب الحمام أو لزوم الحمام وكلها تظللها سقوف هى قباب من الزجاج الملون .

ماذا أقول : حمام تركى .. والسعد وعد . وان كنت أنا شخصيا أرى السعادة الحقة فى أشياء أخرى غير هذا كله بكل ماحوى وليس هذا من فلسفة الشعوب .. والدليل عندى من تركيا نفسها فى استانبول قصر يسمى (قصر البنت) له قصة .

كان للسلطان سليمان القانونى ابن سليم الأول بنت وحيدة وفى ليلة فزع من نومه يرتجف فقد رأى فى المنام أن ثعبانا لدغ وحيدته وأنها فقدت الحياة . ولم يطق هذه الرؤيا فأمر ببناء قصر للبنت فى البسفور بعيدا عن الشاطىء امعانا فى توفير الأمان لها وله شخصيا انه هنا أب .. وأب لابنة وحيدة .

وانتقلت البنت وحولها الخدم والحشم الى قصرها الجديد . والتقط الأب الخائف أنفاسه .

وفى يوم تسلل الى احدى سلال الخضر ثعبان وفى القصر زحف الى ، قرت عين أبيها ولدغها فماتت !!

وهكذا ملك السلطان كل شيء .

وفقد أعز ما يرجو ويختار .

ولكنه لم يملك الخيار .

وعاش بين الكنوز التى وصفتها محروما تعيسا .

وكم وراء الأسوار العالية والسجوف المسدلة من مآس وأسرار .

رأيت قصر البنت

ورأيت سخرية القدر من الانسان ولو كان السلطان سمعت ضحكة وبكيت . أما ، على الأميرة وفى باب القصـــور ، أقف عند قصر نختشا Dolma Bahce Sarayi ضولما أى مقفول .

بحنشا أى قصر . وقد بناه السلطان عبد المجيد .

هذا القصر لن أصفه فلن تبلغه الكلمات .

أجرب الأرقام هذه المرة

فى القصر : ٢٤٨ حجرة

٤٥ صالون

١٥٦ ساعة

١٣٦ شمعدان كريستال

بن درابزين سلم القصر من الكريستال والسلم خمس شعب الذهب الذى دخل فى محتويات القصر وزنه أربعة عشر طنا !!

أترك القصور الى المساجد .. انها بيوت الله يرفع فيها اسمه .

مسجد السلطان احمد الثالث

ويسمى الجامع الأزرق .. وفى القاهرة قريبـا من بوابة المتولى مسجد طلائع بن زريك ويسميه الاثريون عندنا : المسجد الأزرق يبدو أن الاسم جاء هنا وهناك لأن النقوش فى المسجدين زرقاء .

وقد بدأ ترميم جزء سقطت نقوشه بطريقة مختلفة فأقام أحد الأفراد ، دعوة على الحكومة وهى مادة تحضر وأسلوب وعى ٠

وأروع ما ستجلى نقوش هذا المسجد فى قبته الكبيرة حتى رووا الى أن ادوارد السابع عندما زار هذا المسجد فى عهد كمال أتاتورك نام على ظهره تحت القبة الكبيرة ليتملى نقوشها ٠

وبهذا المسجد مقاصير للنساء أسدل عليها ستائر حضراء ليصلين فى المواسم الدينية ٠

وبهذا المسجد دور أعلى يخصص أيضا للنساء ، فى المواسم ويصح غيرها للرجال بصفة دائمة ٠

وأعمدة هذا المسجد ذات أضلاع وهى من الرخام وقطر كل عمود عشرة أمتار !!

وتناثرت فى أرجاء المسجد جزءا من النقوش هذه الكتابات ٠ يا حضرة بلال حبشى ـ كشف الدجى بجماله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الكاسب حبيب الله ٠

وأحد الأعمدة تحيط به دكة المبلغين وهى مقصورة أقيمت على أعمدة من الرخام ٠

وبالمسجد عدة أبواب وله عدة مآذن

وبعد العمودين الأماميين وضع سياج خشبى علقت عليه لافتات ترجو الزوار الأجانب بعدم تجاوزه حتى لايتأثر جو الصلاة ٠

فى مسجد السلطان أحمدسمعت القرآن مجودا بالعربية بالطبع ٠٠ وكان المقرىء جميل الصوت وان أخذت اذنى عليه اللحن فى القراءة ولاحظت عينى قلة عدد المصلين ولو بالنسبة الى المساحة الضخمة للمسجد ٠

وحول الأعمدة تجويف دائرى من الخشب توضع عليه الأحذيه ولهذا لايتركونها بالباب الخارجى وكل عمود به تجويفان للوضوء ٠

أما مسجد أيا صوفيا فتلتقى فيه المسيحية والاسلام وهما دائما ملتقيان فى جوهرهما ٠

نثرت الآيات فيه ..

وفى أركانه الأربعة أسماء الخلفاء الاولين رضى الله عنهم (أبو بكر ـ عمر ـ عثمان ـ على) مما يدل على أن الأتراك سنيون ٠

وفى تركيا حاضرت فى جامعة مرمرة .. أم المدرج أعداد غفيرة من شباب الجامعة سمعوها واقفين على أقدامهم وحرص عدد كبير على الكتابة أما الفتيات فلم ألاحظ كرنفال أزياء ٠

الطلاب غاية فى الجد والرغبة فى التحصيل والاحترام فى المظهر والسلوك وهى قيمة نشرف بها الجامعة والجامعيون ٠

ان جامعة مرمره مبناها ليس فى فخامة جامعة القاهرة ولكن ماراته عينى من المعانى تمنيته لأبنائنا فى سائر الجامعات المصرية ٠

واستانبول بها ست جامعات وانقره بها أربع جامعات ٠

بعيدا عن العدد استانبول هى العاصمة الحضارية الفنية أما أنقره فهى العاصمة السياسية ٠ وامتدت المحاضرة ثلاث ساعات بكى أثناءها بعض الرجال كانت المحاضرة عن الحضارة الاسلامية وعن الاسلام دين ودولة وحضارة وثقافة ٠

وتقدم مدير الجامعة وأهدانى المصحف (الترجمة التركية للمصحف) والتف بى أساتذة الكليات فى مكتب مدير الجامعة ٠ وقال أستاذ فى شحن ٠ كمن يعتذر !

سمعنا فرنسا وسمعتم انجلترا فأفسدوا ما بيننا والآن لم يبق الا أن يعود الصفاء فالاسلام أعز ما عند مصر وتركيا من حيث آثاره الباقية ومن حيث مستوى شعبينا أننا نحملك مسئولية عودة تركيا الى حضن الاسلام بمؤازرة مصر ٠

وكان ردى أن هذه رسالة رجال الفكر فى البلدين لتكن زيارتى ومحاضرتى نقطة بداية يتبادل فيها البلدان مصر وتركيا الأساتذة والعلماء والطلاب .. يتبادلان الأفكار والأبحاث والمعارض والمجامع ٠

لابد من حركة يستيقظ بعدها الوجدان ويؤوب الغائب ويثوب الوداد ..

حركة لاتربط بما بين الأنظمة فى سائر الدنيا من شد وجذب ..
ان الشعوب هى الأبقى والأقدر .

تعاون يسوده الصدق والاحترام . ان من تقاليد رجال الدين فى الاسلام أن العالم يحترم زميله الى حد أنه يأخذ بفتواه فى بلده ولو كان بعيدا . له رأى آخر .

ياقومى : غالية مبسوطة لاتردوها .



أمريكا

فى طريقى الى امريكا

الليلة السابقة على الرحلة ، قرأت من الذاكرة أثناء نومى « سورة يس » بسلاسة وحضور ذهن لم يحدث فى حياتى فى اليقظة .

لو أن المصحف الشريف مفتوح أمامى ، ما تحقق هذا الانطلاق فى القراءة الصحيحة العميقة كما حدث فى الحلم .

وفتحت عينى كمن يتحقق ، فتحققت أنى كنت نائمة حين قرأت ما قرأت وتبينت أن الليل يفرد جناحه ولم يشع فى غبش العتمة الا نور الآيات التى انهلت على ذاكرتى وتحدرت فترطب بها لسانى ترتيلا .

ثم عرفت بعد وصولى « ديتون » بولاية « اوهايو » أن ابنتى التى أسافر من أجلها ، كانت فى غرفة العمليات فى اللحظة التى قرأت فيها فى مصر ، سورة « يس » .

حضارة الثقافة

فى الأمم القديمه العريقة ، ثقافة الحضـــاره أى قداسة القيمة ونفاسة الأسلوب واحترام التقاليد من فعل التاريخ الطويل فى الحضارة يلتقى فى هذا البسطاء والكبراء ٠٠ الفقراء والأغنياء لأن الثقافة هنـا أسلوب وموقف ضمير هذا حين نجد فى أمريكا التى لم يتجـاوز عمرها بضعة قرون ، حضارة الثقافة أى تقدم العلوم أو ما نسميه « التكنولوجيا أى العلم التطبيقى ٠

ولا أقارن اليوم بين اللونين فلكل مزاياه وعطاياه ٠ ولهذا أتمنى لمصر أن تأخذ أحسن ما عند الآخرين فى عملية اختيار لا انبهار وتضيف اليه بقدرتها على العطاء وورائاتها الحضارية مواكبة للعصر واسهاما فيه حتى لاتختفى الأضواء عن قسماتها أبدا ٠٠

ومن هذا المنطلق حرصت فى زيارتى لأمريكا على زيارة :

- متحف التاريخ الطبيعى فى واشنطن ٠

- متحف المتروبوليتان فى نيويورك حيث الآثار المصرية حشـــد حاشـــد ٠

- جامعة ولاية أوهايو بطابعها الخاص فى مدينة كولمبوس باعتبارها من أكبر الجامعات الأمريكية ٠

- الادارة القومية لعلوم الفضاء والطيران فى مدينة « هيوستين

- مدينة السينما فى « لوس انجلوس » ٠

وجنة الأطفال أى والت ديزنى ٠

كما حرصت بعد هذا كله على زيارة حضانة أطفال أمريكية ومدرسة ابتدائية حيث يصنع الانسان أو يشكل الانسان التشكيل الذى يؤثر فى مراحل حياته كلها ٠

تحصيل حاصل اذا قلت ان أمريكا متقدمة فى التكنولوجيا ٠٠ انها متقدمة فى أبحاث الفضاء ٠

متقدمة فى أبحاث الأرض جميعا ٠

ومتقدمة فى الجريمة أيضا ٠٠ الجريمة بكل أنواعهـا مما يجعل الخوف جزءا من الحياة اليومية للانسان ٠

أمريكا الحياة فيها سهله أن تعاش
وسهلة أيضا أن تسلب وبطرق شتى

أهم المعالم الجادة فى أمريكا مراكز الأبحـاث العلمية ٠ والادارة القومية لعلوم الفضاء والطيران (ناسا) وهى اختصار للاسم :
National Aeronautics and space Administration

والمركز الرئيسى لها فى واشنطن ولها أحد عشر مركزا فى جهات مختلفة والذى رأيته منها هو مركزها فى مدينة هيوستن بولاية تكساس من ولايات الجنوب والمصريون يسمونها صعيد أمريكا ٠

بهدوء شديد رأيت
وبهدوء أشد استوعبت ٠

ومن قرار سحيق استمددت طمأنينة الرؤية كطمأنينة النفس ٠

فى وكالة الفضاء رأيت سفن الفضاء رأى العين بتعقيداتها الدقيقة ٠٠

كنت مثـل شاعر الألمان « جيته » كلما رأيت فتحـا علميـا أفرح لأنى انسان ٠

واذا كان هذا الجانب من الحضارة الحديثة كسبا للانسانية فطالما أعطت مصر للانسان فى كل مرحلة ولعل أكبر عطاء فى تاريخ الانسان حضارتنا الأولى ٠

ولايعنى هذا الاكتفاء بما أعطت على ، قيمته ، وضخامته ، ونفاسته بل وندرته فى نواح كثيرة ٠ ولكن معناه أننى لم أتضاءل قط امام اى شيء فى أمريكا أو غيرها ٠

كنت بما ورائى من معطيات مصر ، أغنى الأغنياء ٠٠ لقد وصلت أمريكا وروسـيا الى القمر وهذا انجاز عظيم رائع ٠ وهو يعينه النظر

الدارس فى ملكوت السموات والأرض الذى أمرنا به وقصرنا فيه أو توقفنا عنه ٠

ولكن مصر قبل الناس وقبل الأديان وصلت الى الله وكم أوصلتها هذه المعرفة الى القيمة « والى طمأنينة » عجزت عنها كل علوم الانسان كلها فيبلغ الانتحار أعلى نسبة له فى أمريكا قمة التكنولوجيا ، وفى السويد قمة الرقى الحديث ٠

فى وكالة الفضاء رأيت أول مركبة نزلت على القمر أول سيارة سارت على سطحه ٠ رأيت نموذجا كاملا للمكوك ٠ أول ساعة صعدت الى القمر وقد فكوها الى جميع القطع التى تتكون منها حتى مادق حجمه

رأيت صور سطح القمر والى جوارها عدسات مجسمة للرؤية ٠

رأيت الجرانيت القمرى وصخورا بركانية ٠

رأيت غرفة التحكم فى رحلات رواد الفضاء ٠

رأيت طعام هؤلاء الرواد وكيف يتناولونه من خلال أنبوبة ٠

رأيت ملابسهم ٠

وفى وكالة الفضاء قاعات سينما لبرى المشاهد رحلة الصعود الى الفضاء رؤية متحركة ٠

رأيت كيف لم يغفلوا شيئا فزودوا سفن الفضاء حتى بالمرايا المعدنية تفاديا لتناثر الزجاج وبأفران خاصة لتسخين الطعام وأدوات طبية لعلاج الأسنان ٠

وفى وكالة الفضاء سمعت محاضرة عن أبحاث الفضاء وفى جانب القاعة جهازان للفيديو نتابع فيهما ما نسمع ٠

وفى وكالة الفضاء لافتة تقول يستطيع المشاهد التصوير كما يشاء وتذكرت لافتة على كوبرى قصر النيل تقول ممنوع التصوير !!

وليس البحث قاصرا على الادارة القومية بل ان فى أمريكا مراكز أبحاث فردية أو بلغتنا « قطاع خاص » حيث يعكفون على البحث والتطوير والابتكار ويسجلون الاختراع ويبيعونه للحكومة ٠

ودعانى قنصل مصر فى هيوستن الى الغداء وهناك ألتقيت بصفوة

من المصريين أحدهم مدير المركز الاسلامى بالمدينة الأمريكية وأعلمت من القنصل أن الرجـل كان وراء شراء أرض فى هيوستن لاقامة كنيســة للمصريين المسيحيين بها بل هو الذى تفاوض وتمم الاجراءات كلها ٠٠ وهـذا يؤكد من جديد أن مقولة الفتنة الطائفية كانت مفتعلة ومقحمة علينا اقحاما للتغطية أو للتعمية ٠ نحن كمـا قلت وأدين نحن مسلمين ومسيحيين مصريون قبل الأديـان ومصريون بعد الأديان ومصريون الى آخر الزمان ٠

من الثقافة صناعة الانسان

الثقافة للانسان تبدأ :

قبل أن يولد من خلال وراثاته البعيدة والقريبة أى وراثاته الحضارية عن أمته ووراثاته العرقية عن والديه وأسرته ٠

وساعة يولد بالحنان نسكبه الأم مع اللبن ٠

وبعد أن يولد بدءا بالبيت والحضانة والمدرسة ٠

من هذا المنطلق حرصت على أن أزور فى أمريكا حضانة أطفال ومدرسة ابتدائية لأرى صناعة الانسان عند الآخرين لعلى آتى منها بقبس أو أجد عليها هدى ٠

وحرصت أيضا على أن تكون مدرسة عامة لا خاصة ٠

وما ان تقدمت بضع خطوات بعد المدخل فى حضانة الأطفال حتى وجدت على الجدار معلقات بها جدول للمواد التى يتعلمها الطفل كل يوم وكل أسبوع وكل شهر ٠

سائق أتوبيس الأطفال هو الوحيد خارج هيئة البوليس الذى يستطيع ان يعطى مخالفة للسيارة التى تمر قبل أن يستقر الأطفال على الرصيف ٠ بعض الأطفال كان عندهم (حصة نوم) ٠٠ وفى اطلالة عليهم وجدت كل طفل فى سرير وتنبعث من الحجرة موسيقى هادئة وبينهم مدرسة تنشر ذراعيها على اثنين منهم بالتناوب كجناحى حمامة تربت على ظهورهم وتمسح رءوسهم ٠٠

انه الايمان بالحنان تسكبه الأم فى البيت والمعلم فى المدرسة ٠ وملحق بالفصل حمام نظيف ليقضى الأطفال حاجتهم قبل النوم حتى لايستيقظ لهذا السبب طفل ويزعج الآخرين ٠

ودخلت الى حجر الدراسه فى كل حجرة علم ليشب الطفل ويكبر معه فى قلبه حب العلم ·

وفى كل فصل متر مرسوم للطول ينتهى براس حصان للتشويق·

وجدول للوزن ولافتة تقول : تعال نرى كيف ننمو ·

وفى الفصول رسوم جميلة للجو فيها الشمس وجه يضحك اشارة الى الدفء او رسم يمثل الهواء أو الجليد ·· الخ ·

وفى الفصل شماعات للمعاطف ·

وفى الفصل صندوقان جميلان للقمامة ·

وفى كل فصل حوضان منخفضان ·

ولافتة تقول : ان الأدوية ممنوع اعطاؤها الا بروشته الطبيب وعلبة مناديل الورق ·

ويتناول الاطفال فى العاشرة عصيرا وبسكويتا ثم الغذاء فى الثانية عشرة وبعد النوم يتناولون مرة أخرى عصيرا وفاكهة ·

وبالمدرسة فناء خاص بدراجات الأطفال لاتستعمل خارجه ·

وفناء خاص بالمرجيحة وقد صممت تصميما علميا روعى فيها استدارة الاجزاء تفاديا للمدبب حرصا على الأطفال كما روعى فيها أن تكون المسافات بين قطعها اما واسعة واما متقاربة أو متلاصقة حتى لاينحشر رأس أو يد طفل ·

والأرض تحتها رمل أو حشائش ·

وفى المدرسة الابتدائية كل فصل به عدة مناضد كل منضدة معدة لخمسة من الأطفال وأدراج مفردة يجلس عليها من يحاول تعطيل جاره أو المجموعة ·

وفى المدرسة الابتدائية كل فصل فيه مائدة استماع مستديرة عليها سماعات وقصص ·· وذلك ليستمع مع المتابعة فى القصة المكتوبة كل من يفرغ من واجبه ·

ومكتبة الأطفال بالمدرسة تشمل الكتاب واللوحة واللعبة وتليفزيون وفيديو كاميرا للتعليم والتسلية ·

وفى كل فصل العلم وخريطه امريكا بل ان العلم فى قاعة الطعام وقاعة الألعاب اينما ذهبوا طالعهم العلم لينزرع فى وجدانهم وينمو حبه معهم فيرسخ الانتماء ٠

وفى كل فصل شاشة سينما وفانوس سحرى وتليفزيون للتعليم وعندما تقص المدرسة قصة يترك الأطفال مقاعدهم ويجلسون على الأرض فى طبيعية وعفوية فيتحلقون حول المدرســـة فى اصغاء شديد وانتباه شديد ٠ وكثيرا ما يصاحب سردها شاشة العرض ٠

وفى كل فصل ساعة واصونه فى الحائط لايحاء أهمية الوقت ٠

وصندوق كبير مهذب الشكل لوضع المهملات ويبدأ التعليم بالكرافت أى التشكيل من الخيوط والأوراق والخشب لاكتشــاف المواهب الفنية والطبيعية وعلى ضوء هذا يوجه الأطفال وتنمى مواهبهم ٠

وفى كل فصل فرن لوضع التشكيل الجيد من الصلصال ، فيه ، ليصير خزفا ٠

وفصل الموسيقى به عازل للصوت ٠

وقاعة الرسم لاحظت أن الرسم موجه فصفحة الرسم فيهــا دائرة واسعة للرسم على شكل طبق على يمينه سكينة وملعقة وعلى يساره شوكة والطفل يرسم فى الدائرة ولكنه يتعلم فى الوقت نفســه طريقة الأكل وطريقة اعداد المائدة ٠

وكل فصل له جدار نصفه الأعلى من الزجاج حتى يرى المتابع من الخارج دون اقتحام ٠

وكلما كبر الأطفال قل عددهم فى الفصل لتكبر الفائدة ٠

وبالمدرسة حجرة للتخطيط يسمونها Teacher Planning بها كتب للوسائل وأدوات ٠

أما قاعة الطعام فى المدرســـة فقد استرعى انتباهى أن الأطفال يدخلون صفوفا الى المطبخ حيث يحمل كل منهم صينية مقسمة كتلك التى تقدم فى الطائرة ولكن باسلوب اخدم نفسك ٠ كل صينية عليها فى شكل جميل اللحم والخضر والفاكهة والخبز وللأطفال أن يختاروا نوع الشراب كوكا أو عصير أو لبن احتراما لرغبتهم قبل أن يكون تحقيقا لها ٠

ولاحظت ان الأطفال يعدون الموائد قبـل الطعام وينظفونها بعده وكل طفل يحمل صينية الأكل ليلقى مخلفاتها فى صندوق المهملات ثم يسلم الصينية ٠

ويدفع كل طفـل دولارا ثمن الغذاء وثمن كرامة فلا شيء يذهب بكرامة الانسان قدر احساسه بأنه يأكل بلا مقابل ٠ وتذكرت الشـاعر البدوى الذى أراد أن يهجو انسانا فقال :

دع المكارم لا ترحل لبغيتهـــا

واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسى

أى المطعوم المكسو ٠

وعلى جدران حجرة الطعام رسمت فراشات جميلة وزهور بهيجة ٠

والطعام ككل شيء مدروس وعلى المدى الطويل فهناك خبراء يضعون قائمة لشهر كامل ٠ وهذه القائمة ترسل صورة منها لبيت كل طفل حتى اذا رأت الأم شيئا ممنوعا على طفلهـا نبهت الى هذا أو أعطته غذاء ذلك اليوم من البيت ٠

وللمدرسة قاعة فسيحة للألعاب بها كل ألوان الرياضة ٠٠ وبألوان جميلة ٠ وعمل المشرفة الاجتماعية عندما تقوم به مدرســة تضطلع بحل مشاكل الأطفال والحكمة فى هذان كلمة مدرسة طبيعية فى هذا الجو أما المشرفة الاجتماعية فهى تشعر الطفل أنه مشـكلة أو عنده شيء غير طبيعى ٠

ولعل أقوى ما استوقفنى المعلقات المكتوبة والمنشـورة فى جميع أرجاء المدرسة فمضمونها حث على العمل والسلوك فى أسلوب يكاد يكون ترجمة حرفية لبعض أحاديث الرسول عليه السلام أو آيات الكتاب الكريم٠ مثل « ان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا » ٠ ومثل الى « ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » ٠

ومثل « من عمل فأخطأ فله أجر ومن أصـــاب فله أجـران » ٠

ومثل « اذا اجتمعت كل أسباب النجاح فلن تخلق شيئا الا اذا عملت أنت » ٠

وتذكرت الشيخ محمد عبده الذى فطن الى سر تقدم أوربا فقال أنها عملت بما عندنا ٠ فتقدمت اننا مسلمون اسما وهم مسلمون فعلا ٠

ومع كل هذا العطاء يبدأ برنامج للأطفال فى التليفزيون الساعة السادسة صباحا لاغرائهم بالاستيقاظ المبكر حتى يشاهدوا برامجهم قبل الذهاب الى المدرسة وعطاؤها مختلفا ألوانه ·

أرأيتم صناعة الانسان الجديد أى الطفل ؟

جامعة ولاية أوهايو

كان أول شيء سعيت اليه مكتبة الجامعة أملا في أن أتعلم جديدا في فن القراءة وفي أسلوب البحث العلمي ·

وفي الجامعة غير المكتبة الكبيرة خمسون مكتبة تابعة للكليات بأقسامها ·

وفي طريقي اليها رأيت في مدخل الجامعة تمثالا ضخما لرئيس الجامعة الأول لا لرئيس ولاية أوهايو التي تقع الجامعة في عاصمتها ، ولا حتى رئيس أمريكا ···· وهو معنى أطرحه على محافظ الجيزة وهو رجل جامعي · لعله يعدل عن فكرته التي أعلنها يوما من انه يرصد عشرين ألف جنيه لعمل تمثال لشخص سماه ولم يخطر على باله جامعة القاهرة الجامعة الأم التي تفخر بأسماء لطفي السيد ـ ومصطفى مشرفه والدكتور طه حسين والدكتور عبد الوهاب عزام ـ والدكتور السنهوري ـ والدكتور على ابراهيم ·

وأخوان هذا الطراز ·

دخلت المكتبة · لقد أبطلوا نظام الكروت ·· كل شيء يتوصل اليه من خلال الكمبيوتر وهناك لافتة صغيرة بعد المدخل تقول : تستطيع أن تجد طلبك بنظام الكمبيوتر You can Find it with L.C.S. أي Libraary Computer System

وبالمكتبة ٣ر٧ مليون مجلد ثلاثة ملايين وسبعمائة ألف كتاب ·

وبالجامعة قسم لأمهات المراجع العربية وآخر للمراجع الاسلامية ·

وحكى لي دكتور مصري أن قسم الشرق الأوسط كانت عليه لافتة تقول اليهود Jewish فكتب المصريون لافتة تقول : تراث الاسلام

وتصدر الجامعة صحيفة يومية ولكل طالب منها نسخة مجانا هذه الصحيفة فيها خلاصة لما في الصحف والمجلات ·

وفى الجامعة وان كان هذا فى كل مكان ممرات صـــاعدة وهابطه للمعوقين من الدارسين وأماكن خاصة بهم فى مواقف السيارات لا يقتربها أحد والا تعرض للغرامة ٠

وللجامعة بوليس خاص بها ٠ ومطافى خاصة بها ٠ واستاد خاص بها ومن طرائف الرياضة بالجامعة أن المشجعين يمنحون منحا دراسية كالمتفوقين فى أى ميدان علمى ٠٠٠ ومن لطائف الطرائف أن المشجعين يدربون تدريبا خاصا بحيث يجيدون مصاحبة الموسيقى فى التشجيع ٠

وللجامعة محطة تليفزيون خاصة بها بلا اعلانات ٠

ومحطة اذاعة خاصة بها ٠

وكل طالب بالجامعة يأخذ تدريبا خاصا بالكمبيوتر عند الدخـول للاستفادة من التقدم الالكترونى ٠

أما الوجه الآخر لأمريكا فيتمثل فى الفردية المدمرة ٠٠ مجتمـــع يقوم على الفردية تهرأت فيه الأسرة والقيم حتى الدين حيدوه وجمدوه وأرتضى رجاله هذا الوضع مستسلمين حيث لا حيلة لهم ومع هذا يطرد بناء الكنائس فى مدن أمريكا يوما بعد يوم ٠ بينما رأيت فى كندا وفى مدينة مونتريال على التحديد التى تعتبر واجهة كندا ، كنائس تهدم ليقام على انقاضها معهد أو بناء خاص ٠ وفى كويبك هدمت كنيسة الجامعـة وبنيت مكانها معامل رسم ومع ما للعلم من خطر فى الحياة فان الدين أعظم خطرا والويل اذا أعرض الناس عن الدين لأى تعلات ٠

* * *

مجتمع يعلم أنه جاء فى البداية من كل مكان فلكى يتفق بقدر ما اتفق على تجنيب الدين كموقع حساسية ٠ ولكن التجنيب المتحسب المتحسس شيء غير الاسقاط ٠ غير التجميد والتحجيم حتى حين يؤخذ فى الاعتبار فانما ذلك على المستوى الفردى ٠

وحين يختفى الدور الرشيد للدين من الساحة ، فكل شيء جائز ٠

وهنا تظفر الرذيلة بمرتع غزير الكلأ لا يذود عنه أحد ٠

سادت فى أمريكا المادية العملية الى الحد الذى لم يعد فيه ارتباط قيمى من أى نوع ٠٠٠ تهرأت الأسرة وبعدها الأعراض والحرمات حتى بلغ الأمر حدا اعتدى فيه الآباء على بناتهم ! وتقول الاحصائيات وأمريكا شغوف بها أن الجريمة فى العشرين سنة الأخيرة ٦٠٠٪ ٠

وان ٣٠٪ من الأطفال لا يعيشون فى أسرة مع أن سائق أتوبيس مدرسة الأطفال ــ كما ذكرت ــ هو الوحيد خارج هيئة البوليس الذى يستطيع أن يعطى مخالفة للسيارة التى تمر أثناء نزول أو تعدية أطفال المدرسة !! حرصا على الأطفال ومغالاة بهم ٠

بلد المتناقضات ، أمريكا :

والصبيان والبنات تحت سن الـ ١٨ سنة يتناسلون ويستعملون حبوب منع الحمل ثم يتناسلون والتليفزيون ناقش الظاهرة من منطلق هل مراكز تحديد النسل تخطر أسرهم أم لا ٠٠ لا من ناحية بشاعة الظاهرة فى ذاتها وأشرك فى المناقشة ريجان وكان رأيه أن الأسرة تخطر اذا كانت البنت تحت ١٨ سنة أما ما فوق ذلك فهى حرة !!!

وقد حمل ٢٣ من هؤلاء للمرة الثانية كما تقول الاحصائيات وقد تمت فى أمريكا مليون ونصف عملية اجهاص ٠

أما المتزوجون شرعا فنسبة الطلاق بينهم ٤٨٪ ٠

وهذا بعينه ما جاء فى البروتوكول العاشر من كتاب (بروتوكولات حكماء صهيون) ونصه :

(اذا أوحينا الى عقل كل فرد فكرة أهميته الذاتية فسوف ندمر الحياة الأسرية بين الأمميين ، وتفسد أهميتها التربوية ، وسنعوق الرجال ذوى العقول الحصينة عن الوصول الى الصدارة وان العامة ــ تحت ارشادنا ــ ستبقى على تأخر مثل هؤلاء الرجال ، ولن تسمح لهم أبدا أن يقرروا لهم خططا) ص ١٥٠ ٠

ويثقل هذه كله على النفس فأسافر من كولمبوس الى لوس انجلوس حيث والت ديزنى مدينة فى المدينة ٠ هناك رأيت رأى العين الزمان حين يجود فيعود بالكبار الى الطفولة والعفوية ٠ قسوة أن ترى مرافق مدينتك الحبيبة متهرئة ٠

ولكن قسوة أكثر وأفدح أن ترى الانسان مدينتك متهرئا وقيم مدينتك متهرئة ٠

كم يؤرقنى معاناة القاهرة ماديا ولكنها أهون بكثير من مدن الاغنياء ٠٠ الأغنياء فى كل شىء حتى الانحلال ٠

فى المجتمع الحديث فى أى بلد بتركيباته الكثيرة والمعقدة .

وفى المجتمع الحديث فى أمريكا بالذات حيث اللهث الشديد . والايقاع السريع الذى يكرب الأعصاب أو على الاقل لا يدع فرصة للشعور أو الحلم أو الخيال .

فى هذا المجتمع تقوم مدينة « ديزنى » عالما مسحورا أو عوالم مسحورة شديدة البساطة . شديدة التركيب ، شديدة الاثارة والعفوية معا شديدة الفتنة .

ويخلع الانسان الأقنعة واحدا بعد الآخر ويعود الى الطبيعة فى لهفة ... طبيعته وطبيعة الكون وينسى سمت العلم وصمت الحكمة ووقار السن بما حصـل عليه من مراكز وألقـاب وتجارب وما التزم به من مواضعات وتقاليد .. وينخرط شيئا فشيئا فى هذا العالم الجديد وبعد فترة يسبق الأطفال الذين ظن أنه يصطحبهم فقط الى هذا البقعة السعيدة فاذا به فى مثل ولعهم ان لم يكن أشد باللعب والمرح .

وينتقل من غواصة تجوب بقاع البحار الى صاروخ يفتح عينيه على عوالم السماء وقد بلغ التقليد حدا يشبه للرائى حتى يحسبه حقيقة . ومن قطار على عجلات مطاط الى تليفريك معلق فى الفضاء .

وفى لوس أنجلوس رأيت فى نيوفرسال أستديو وهو من أكبر استوديوهات السينما الأمريكية . انه مدينة كبيرة حافلة .

فيه أحياء من كل البلاد لزوم الأفلام والقصور والبيوت واجهات فقط تقليدا للأصل .

وأهم ما يثير الرائى الحيل الصناعية .

رأيت المطر الصناعى .

والشلالات الصناعية بهديرها الزاخر .

وانحسار الماء فى مجراه .

والحيوانات الضخمة التى تحرك بالموتور .

رأيت الحوت الضخم وتذكرت الفيلم المشهور وعرفت أن ما كان يملؤنا رعبا أثناء المشاهدة جسم من المطاط أخذ بالتشكيل هيئة الحوت الطبيعى .

وان ٣٠٪ من الأطفال لا يعيشون فى أسرة مع أن سائق أتوبيس مدرسة الأطفال ــ كما ذكرت ــ هو الوحيد خارج هيئة البوليس الذى يستطيع أن يعطى مخالفة للسيارة التى تمر أثناء نزول أو تعدية أطفال المدرسة !! حرصا على الأطفال ومغالاة بهم ٠

بلد المتناقضات ، أمريكا :

والصبيان والبنات تحت سن الـ ١٨ سنة يتناسلون ويستعملون حبوب منع الحمل ثم يتناسلون والتليفزيون ناقش الظاهرة من منطلق هل مراكز تحديد النسل تخطر أسرهم أم لا ٠٠ لا من ناحية بشاعة الظاهرة فى ذاتها وأشرك فى المناقشة ريجان وكان رأيه أن الأسرة تخطر اذا كانت البنت تحت ١٨ سنة أما ما فوق ذلك فهى حرة !!!

وقد حمل ٢٣ من هؤلاء للمرة الثانية كما تقول الاحصائيات وقد تمت فى أمريكا مليون ونصف عملية اجهاص ٠

أما المتزوجون شرعا فنسبة الطلاق بينهم ٤٨٪ ٠

وهذا بعينه ما جاء فى البروتوكول العاشر من كتاب (بروتوكولات حكماء صهيون) ونصه :

(اذا أوحينا الى عقل كل فرد فكرة أهميته الذاتية فسوف ندمر الحياة الأسرية بين الأميين ، وتفسد أهميتها التربوية ، وستعوق الرجال ذوى العقول الحصينة عن الوصول الى الصدارة وان العامة ــ تحت ارشادنا ــ ستبقى على تأخر مثل هؤلاء الرجال ، ولن تسمح لهم أبدا أن يقرروا لهم خططا) ص ١٥٠ ٠

ويثقل هذه كله على النفس فأسافر من كولمبوس الى لوس انجلوس حيث والت ديزنى مدينة فى المدينة ٠ هناك رأيت رأى العين الزمان حين يجود فيعود بالكبار الى الطفولة والعفوية ٠ قسوة أن ترى مرافق مدينتك الحبيبة متهرئة ٠

ولكن قسوة أكثر وأفدح أن ترى انسان مدينتك متهرئا وقيم مدينتك متهرئة ٠

كم يؤرقنى معاناة القاهرة ماديا ولكنها أهون بكثير من مدن الأغنياء ٠٠ الأغنياء فى كل شىء حتى الانحلال ٠

فى المجتمع الحديث فى أى بلد بتركيباته الكثيرة والمعقدة .

وفى المجتمع الحديث فى أمريكا بالذات حيث اللهث الشديد . والايقاع السريع الذى يكرب الأعصاب أو على الأقل لا يدع فرصة للشعور أو الحلم أو الخيال .

فى هذا المجتمع تقوم مدينة « ديزنى » عالما مسحورا أو عوالم مسحورة شديدة البساطة . شديدة التركيب ، شديدة الاثارة والعفوية معا شديدة الفتنة .

ويخلع الانسان الأقنعة واحدا بعد الآخر ويعود الى الطبيعة فى ايقة ... طبيعته وطبيعة الكون وينسى سمت العلم وصمت الحكمة ووقار السن بما حصل عليه من مراكز وألقاب وتجارب وما التزم به من مواضعات وتقاليد .. وينخرط شيئا فشيئا فى هذا العالم الجديد وبعد فترة يسبق الأطفال الذين ظن أنه يصطحبهم فقط الى هذا البقعة السعيدة فاذا به فى مثل ولعهم ان لم يكن أشد باللعب والمرح .

وينتقل من غواصة تجوب بقاع البحار الى صاروخ يفتح عينيه على عوالم السماء وقد بلغ التقليد حدا يشبه للرائى حتى يحسبه حقيقة . ومن قطار على عجلات مطاط الى تليفريك معلق فى الفضاء .

وفى لوس أنجلوس رأيت فى نيوفرسال أستديو وهو من أكبر استوديوهات السينما الأمريكية . انه مدينة كبيرة حافلة .

فيه أحياء من كل البلاد لزوم الأفلام والقصور والبيوت واجهات فقط تقليدا للأصل .

وأهم ما يثير الرائى الحيل الصناعية .

رأيت المطر الصناعى .

والشلالات الصناعية بهديرها الزاخر .

وانحسار الماء فى مجراه .

والحيوانات الضخمة التى تحرك بالموتور .

رأيت الحوت الضخم وتذكرت الفيلم المشهور وعرفت أن ما كان يملؤنا رعبا أثناء المشاهدة جسم من المطاط أخذ بالتشكيل هيئة الحوت الطبيعى .

وعروضا سينمائية ومسرحية نمثل الحيل الصناعية ٠

الانسان من أمريكا فى بحر زاخر ترفعه موجة وتهبط به موجة أخرى وهو بينهما لا يقر له ، قرار ٠

وأشتاق ٠

وتلوح وراء المحيط بلاد الصمت فى دينها آية ، والظل فيها عنباية بلاد فيها النيل والنخيل ٠٠٠ كل شىء فيها أخضر حتى الحرف والنسماية ٠

لوس أنجلوس :

مدينة جميلة فسيحة خضراء نظيفة أنيقة ثرية ٠ وقد لاحظت أفقيتها أى المبانى فيها من دور واحد فى أغلب المدينة وظننت هذا من براح الأرض وقلة الكثافة السكانية نسبيا ولكنى علمت من المقيمين بها أنها مدينة زلازل وأن زلزالا عنيفا وقع بها سنة ١٩٧٣ وهذا هو السر ٠ ولكن فى بعض المواضع ارتفعت ناطحات السحاب كالعادة وان كانت قليلة وسألت وقد لاحظت عينى ثراء المدينة وأهلها كيف الأمان هنا ؟ فقالوا : لا أمان ٠٠٠ السرقة والقتل واردان ٠٠٠ فى هذه المدينة يفتقد الحى « الأمان » فى الانسان ٠٠ ٠والمكان ٠

ودعانى رئيس المركز الاسلامى وزوجه الى دارهما فلاحظت فى المدخل جرس انذار ٠

بيتهما جميل فيه لمسة ذوق وأناقة حضارية ولكن هذا الزرار كان على ثقلا مخيفا وتذكرت ميسون البدوية زوج معاوية حين ضاقت به وبقصر الخلافة معه فقالت :

ولبيت تخفق الأرواح فيه أحب الى من قصر منيف

حتى الحب على قيمته ونفاسته وهناءته بدا الأمان فى تلك اللحظة عندى أهم منه ٠

قد يكون بين الأمريكيين خاصة فى الأوساط الزراعية أفراد طيبون أمناء مخلصون ولكن المجتمع كتكوين ، شقى يشقى به الانسان ٠

وفى لوس أنجلوس رأيت شارع النجوم أو شارع « هوليوود » هذا الشارع على جانبيه صبت نجوم خراسانية كل نجمة عليها اسم نجم مشهور ٠

ونجوم عاطلة من الأسماء فى انتظار مولد نجم ٠

وفى شارع هوليوود سينما مصرية وسينما صينية وهما الأجنبيتان الوحيدتان فى شارع الفن الأمريكى ٠

والسينما فى أمريكا اسمها Theotre أى مسرح ٠ أمريكا اليوم تحاول آن تخلق لها لغة ... أنها تتخذ اللفظ الثانى فى القاموس أو حذف بعض الحروف أو الكتابة حسب منطوق اللفظ فى محاولة لخلق لغة خاصة تختلف عن انجليزية انجلترا ٠

وعلى شارع هوليوود بصمات النجوم كفوفهم وأقدامهم مسسه على أرضه وتاريخ وضعها ٠

وفى لوس أنجلوس حديقة جامعة تسمى : Arboratum بها ركن للنباتات الاستوائية وركن حديقة يابانية وجزء حديقة غريبة تذكرنى بحديقة الأزبكية فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين حين كان بها ثمانمائة شجرة نادرة من جميع أنحاء العـالم ٠

ولوس انجلوس الجميلة تبدو فى الليل خافتة النور خاصة الشوارع الفرعية ٠ وهى ظاهرة فى المدن الأمريكية ٠

ولست أدرى حكمة هذا فى بلد تشيع فيه الجريمة حتى غدا التعامل بالشيكات أو بطاقات بنكية ولا يجرؤ أحد على حمل نقود سائلة وان فعل ففى حدود ضيقه من توقع الانقضاض السافر أو النشل المقنع ٠

وقد يعجب القارىء اذا علم أننى قرأت فى الصحف الأمريكية مقالات عن الفقر بل الفقر المدقع !

وقد قادنى هذا الى الغوص فى أحوال المجتمع الأمريكى لا سيما وأننى لاحظت انتشار العمالة الأجنبية ووراء هذا كسل الأمريكى الحديث فلم يعد مكافحا كالمهاجرين الأوائل بل بلغ الأمر حدا أن سئلت زوجه عاملة عن زوجها فقالت انها تركته فى المنزل مستلقيا على سريره يشاهد التليفزيون ٠

ووراء هذا أيضا العجرفة فالأمريكى يرفض أعمالا كثيرة رابحة مثل عمالة البناء أو المطاعم أو غيرها ٠

ووراء هذا أيضا الاستخفاف فبعض الأمريكيين وان كانت القاعده

الكبيرة تعمل فى جد ، يترك عمله وقتما يريد حتى لا يتعب نفسه أكثر .

ثم تدليل الحكومة لهم واعطاؤها مرتبات للعاطلين وبطاقات طعام بلا مقابل . **ومع هذا رأيت فى نيويورك من يفتشون عن الطعام فى صناديق القمامة** . ويطلقون عليهم هناك « سيدة الحقيبة » lady bag (١)

ثم يأتى **النظام الاقتصادى القائم على الشركات** وهذه همها الربح بأى ثمن متوسلة الى هذا بأسلوب التقسيط المريح الذى يغرى الفرد بامتلاك ما فوق قدرته الشرائية .

ثم **شيوع الكمبيوتر فى الحياة الأمريكية** . حقا لقد وفر الراحة والوقت ولكنه ألغى الجهد العقلى وهو قدرة ومتعة معا .

---

(١) فى مجلة (البنوك) العدد ٢٠٢ مارس سنة ١٩٨٤ مقال بعنوان :
الوجه الآخر للتقدم الغربى
مليونا مشرد فى الولايا المتحدة يبحثون عن مأوى وعن رغيف !
يقول كاتبه سهيل أبو ماضى :
ان هناك مليونى مشرد فى الولايات المتحده الامريكية ..

● وفى العاصمة **واشنطن** حيث مستوى الحياه يعتبر من أعلى المستويات فى العالم ، تستشرى آفة هؤلاء المشردين

● تعتبر **ديترويت** ، فى ولاية ميتشيجان عاصمة صناعة السيارات فى العالم .. ومع ذلك فان ازدهار هذه الصناعة لم يخفف من تفاقم عدد المشردين دون مأوى ، الذين تزايدوا بنسبة ٥٠٪ فى السنة الماضية .

● حتى **نيويورك** نفسها فان مسالة التشرد تأخذ فيها بعدا مأساويا حادا ان احصائية رسمية اعترفت أن السلطات ورجال الشرطة يعثرون يوميا فى شوارع المدينة على جثة واحدة على الأقل تعود الى هؤلاء التعساء . أما فى موسم البرد فقد يعثر موظفو البلدية على بضع جثث صباح كل يوم !

ويتساءل مصلح اجتماعى يعمل فى ولاية (ايوا) عن الأسباب فيقول :

— فتشوا عن الثورة الصناعية . ابحثوا عن التقدم التكنولوجى .. التطور أضعف العلاقات العائلية الى أدنى حدودها فلم يعد هناك تعاون بين أبناء البيت الواحد . فاذا لم يتمكن أحد أبناء العائلة من مواكبة التطور فان عجلة الحياة المتسارعة تدفع بأهله الى التخلى عنه حتى يتمكنوا من تخفيف أعبائهم . هكذا يسقط على الطريق ويتحول الى مشرد .

أقول ويبدو أن أمريكا ليست وحدها فى الغرب الذى قسم الناس الى عالم أول يعنى نفسه بالطبع وعالم ثان وعالم ثالث فى تعال وغطرسة وعجرفة أثرياء الحضارة : على وزن اثرياء الحرب فان المقال يقول انه فى مدينة باريس وحدها فيها أربعون ألف نسمة دون مأوى وأنه فى برلين هناك ثمانون ألفا لا يجدون سقفا ينامون تحته ، وأنه فى **امستردام** تسعون ألفا ممن لا يعرفون العيش فى البيوت .

ليت قومنا أو المبهورين بالغرب على الأقل ، يعرفون هذه الحقائق . أى الوجه الآخر للتقدم الغربى .

ثم شيوع العقاقير مما أنحدر بالصناعة نفسها فكثر الوقوع فى الأخطار من عمال غير كاملى الوعى ولا أدل على هـذه من افلاس شركة كريزلر حتى اضطرت الحكومة الى دعمها ومع هذا لم تعد سيرتها الأولى ..
وقد طرح المشكلة فى استفاضة كاتب أمريكى

فى كتاب :
Megatrende (Tln Directions Trans forming ourlives by : John Naisbitt

وقد ذاع الى حـد ترجمته الى أكثر من لغـة وقـد شرح مؤلفه John Naisbitt المجتمع الأمريكى شريحا نفذ الى ما تحت الجلد .
ليس كل شيء فى الحياة أن تكون غنيا .

لقد سمعت سيدة أمريكية تقول أنها تتمنى أن تزوج أولادها من شرقيات حيث البلاد التى لا تزال ترعى القيم على الرغم من معاناتها الأخرى .

ومع هذا كله يلوذ الكثيرون من أبنائها بأمريكا ويعيش مصريون كثيرون فيها حتى ان الجالية المصرية تعتبر أكبر الجاليات فى بعض البلاد مثل « لوس أنجلوس » .

وتسألهم فيقولون والألم يعتصر نفوسهم : أن أمريكا مع كل السلبيات وفرت الأمن الخارجى ، والأمن الداخلى بمعناه السياسى فالمواطن الأمريكى آمن ضد الاعتقال وضد التأميم وضد البطش وضد التحكم وضد الظلم .

ان السلبيات على فداحتها لم تمنع التقدم المذهل لأن سر التقدم

- الأمـن .
- العدالة .
- وضوح الرؤية .
- تحديد الهدف .
- الثقة فى المواطن .

ان أعمالا كثيرة تستادى فى مصر أياما ومواصلات وجهدا لاهثا وزحاما خانقا ، تقضى فى دقيقة بالتليفون .

بالتليفون تحجز مقعدا فى الطائرة وبالتليفون تعرف حســـاب التليفون ... الخ . انها الثقة فى المواطن .

سر التقدم أن يوضع كل انسان فى موضعه الصحيح فيعطى عطاء كامــلا .

لقد تخصص أحد أبنائنا فى الهندسة النووية وبكل حماسه عاد الى مصر فلاقى احباطا شديدا ومع هذا عمل سنتين مقابل المنحة التى حصل عليها ... وفى هذه اللدة أعد صفا ثانيا من مائه من الشباب ثم خرج .

هذا الانسان يقول ان ٩٥٪ من هؤلاء خرجوا ويعرف أماكنهم بالاسم والخمسة فى المائة الباقون لا يعرف أين هم وان كان يعرف انهم ليسوا فى مصر .

صادف وقت وجودى فى أمريكا ، طواف اللجنة العسكرية المصرية لتتقاضى من كل شاب مصرى لم يؤد التجنيد ، ألف وخمسمائة دولار لونا ومن البدل العسكرى . فاذا بالشباب يدفع وبعضهم خال عمل الآن .

ترى ما هو الأهم ؟ الدافع أم السؤال الحانى ؟ سؤال أولادنا هؤلاء لماذا خرجوا ؟ وماذا يعملون الآن ؟ . وكيف يعيشون ؟ ومتى يعودون الى الوطن الأم ؟ .

سمعت أحدهم يقول لو وفرت لى مصر شقة متواضـــعة ما كنت سافرت ولو وفرتها لى الآن أعود .

اذن ضاقت بهم السبل وضاقت بطموحاتهم المشروعة ، لا المطلقة .

وسمعت مصريا كبيرا مهاجرا يقول : العودة أمنية كل مصرى ولكنه يخشى الروتين والتحكم ويضرب مثلا رجل الاقتصاد جمال عطية رئيس البنك الاسلامى فى لوكسمبرج والذى قضت على أشواقه وشاية مغرضة فقوبل أسوأ مقابلة .

ولا ينسى الشباب المصرى مؤتمر أغسطس سنة ١٩٨٣ ـ وما بذل فيه من تكاليف من الجانبين :

الحكومة المصرية التى استضافت المبعوثين والمهاجرين .

والمصريين أنفسهم بما عطلوا من مصالحهم وأنفقوا من أوقاتهم ٠

واذا بالمؤتمر خطب مسهبة ٠ لم يسألهم ٠ سائل رأيهم فى الاصلاح من واقع خبرتهم ٠ لم يطلب منهم أحد دراسة مقارنة ٠

وهذا مثال لعدم التخطيط والتنظيم وانبهام الهدف وسهولة الهدر ، والتسطيح فى القرارات والتصرفات ٠

مدينة لاترى السماء

انها نيويورك التى تقترن فى أذهان الكثيرين بناطحات السماء، وهيئة الأمم المتحدة ٠

ولكن نيويورك أيضا ، الى جانب حى مانهاتن ، فيها حى بورتيريكا المتهدم المتقامىء ، البادى الفقر ٠

على أن ناطحات السحاب فى أمريكا لم تبهرنى بل رأتها عينى كابوسا رأسيا مستطيلا ٠٠٠ لأنى بنت الوادى المنبسط والشمس المشرقة ٠ أحسست فى مانهاتن بالاختناق ٠٠٠ ففى هذا الحى ، السماء شريط ضيق والانسان نقطة الى جانب ناطحة السحاب مع أنه هو الذى بناها ٠ لهذا كنت أهرع الى الشوارع القديمة حيث يتواضع الارتفاع المصنوع فتطل السماء كما تتدارك رحمة الله عاصيا بعد متاب ٠

لقد رأيت مدينة ٠٠٠ مونتريال « فى كندا بعد نيويورك فأحسست بالفارق » ٠

الشرفات فى مونتريال حين لا تراها العين فى أمريكا لأن الأمريكان يرون مكان الجلوس فى حديقة المنزل أو حديقة النادى ٠

وحين تربط المتاجر الأمريكية السلع فى سلاسل حتى لا تسرق ويدسون فى الملابس قطعة تطلق جرسا اذا وصلت الى الباب خلسة ، تجد فى مونتريال الدور الثانى فى المنازل له سلم من الشارع الى الشرفة ٠٠٠ ولو أن عدوى ناطحات السحاب زحفت الى كندا الا أن الشوارع لا يزيد ارتفاع المبانى فيها من ثلاث طوابق ٠

ونيويورك نتراكم فيها الثلوج فى مارس وحتى تبالغ شرفات الأدوار الأولى فى المنازل وتدفن السيارات تحتها ٠

وفى نيويورك رأيت « المنطور » فى شوارع مانهاتن فى عملية اجتذاب للهواء ٠٠٠ وما أكثرهم بين الأمريكيين ٠

بلد المتناقضات ، أمريكا ٠٠٠ فبينما تغص نيويورك ــ من الامتلاء

والغصة معا ـ بناطحات السحاب ، نجد البيت الأمريكي عكس السيارة الأمريكية ... كل شيء فيه صغير مفصل على حجم استعماله .

لقد ذهبت الى نيويورك في الحقيقة لأرى متحف المتروبوليتان انه متحف مصر في نيويورك ...

في هذا المتحف صافحت عيني « سيركيت » التى صبوا لها تمثالا مماثلا لتمثالها المصرى الذى كسر فى ألمانيا ... ورفرفت روحى عليها ، وطالت وقفتى أمام العيون السود تقول وأسمع .

رأيت معبد دندور وقد أفردوا له فى المتحف مكانا كأنه ميدان .

أحد جدران المكان زجاجى مائل . ركبوا المعبد على مرتفع .. ويحيط بالمعبد بحيرة من الماء . رأيت معبد كايم سنون . ورفوفا كاملة من أثواب البردى .

رأيت جدارا من الرفوف طوله ثلاثون مترا مغطى بصحائف البردى .

ويتكرر هذا المنظر فى أكثر من قاعة .

رأيت آلة الهارب الموسيقية مأخوذة من تل العمارنة .

رأيت الباروكة وفوقها شرائط من الذهب الملون الذى يحسبونه فى أيامنا آخر صيحة فى عالم الصياغة .

رأيت قاعة كاملة للمومياء . رأيت كنوزا من الحلى . رأيت الكاتب المصرى . رأيت ايزيس وحورس .

رأيت مراكب ونوابيت ومعرضا كاملا من الأدوات والعقود .

ودفعت أنا المصرية أربع دولارات ثمنا للتذكرة ، لأرى مالى المأخوذ منى وقال لى أحد المسئولين فى المتحف فى زهو المالك : لعلك تمتعت بزيارة المتحف فكان ردى عليه كيف حملتم أنتم هذا كله من مصر الى هنا .

أتراها المعونة الحضارية لأمريكا ؟ !

وكم بين سلعة المال ، وحصاد السنين .

رؤية مصرية لأمريكا لم يبهرها البريق :

واشنطن ·· بين المتحف والمسجد

الرحلة الى أمريكا ، كما نعرف طويلة مرهقة وثمنها مرهق أيضا · واذ صعدنا الى الطائرة T.W.A. ت · د · أ · مرت المضيفة بسماعات الموسيقى فاذا بها تتقاضى عن كل سماعة ثلاث دولارات ونصف دولار · سألها ابنى هل هـذا ثمن للسماعة ـ وهو يعرف جيدا ، والموسيقى هوايته ، أن السماعة لا تصلح الا لكرسى الطائرة فقالت : لا ·· اننا سنجمع السماعات ولكن هو ثمن الاستماع ·

وابتسمنا وقلنا بدأت نيويورك ذات الطابع اليهودى ولم نبرح القاهرة بعد ·

بعد ساعات طلبت فى الطائرة فنجانا من الشاى وهو أبسط طلب لراكب فجاءنى فى فنجان من ورق · ان تذكرة ت · د · أ ثمنها ٧٤٥ جنيها وأنا لا أريد مع الشاى ما يقترن به من مأكولات ولكنى أردته مجردا فى فنجان صينى أو كوب من زجاج · ان الاناء جزء من الشراب مهما كان الشراب ، الاناء أسلوب ·· ومهما كان المضمون يضيع مع ، أو ، فى رداءة الأسلوب · وقد يكون المضمون بسيطا ولكن جمال الأسلوب يضفى عليه ، ويضيف اليه ، الكثير فيغدو رائقا فائقا فى رأى العين والأذن والنفس جميعا · وشاعرنا ابن الفارض يقول :

ولطف الأوانى فى الحقيقة تابـع   للطف المعانى والمعانى بهـا تنمو

وقد وقع التفريق والكل واحـد   فأرواحنا خمر وأجسـادنا كرم

شاى فى ورق

بعد سماعة بالايجار

وتذكرت الطائرة السعودية التى عدت بها من العمرة قبل سفرى الى أمريكا ·· والمدة بين جدة والقاهرة ساعة ونصف ساعة قدمت فيها وليمة من الطعام ·

انى فى طريق الشوق الى ابنتى بعد غياب سنة وسبعة أشهر وأحد عشر يوما وأربع عشرة ساعة وتسع واربعين دقيقة فى اللحظة التى أكتب فيها فى الطائرة .

أطيل النظر الى ساعتى بمعدل مرتين فى الساعة أو أكثر وأنا ، المشهور عنى فى بيتى وبين المحيطين بى . أنى ، من الكتابة ، فى حالة استغراق موصول تتداخل فيه الأوقات حتى يطلق أولادى فى فكاهة مصرية ، أن ساعتى فى الحقيقة ، بمثابة اسورة ولا علاقة لها بتحديد الزمان . وفى الحق أن الساعة دقيقة ولا عيب فيها ولكننى أملأ القلم وأنساها هى .

وصلت طائرتنا نيويورك فى الساعة الثانية والنصف بعد الظهر أى فى رابعة النهار ويحلو لى أن أرى المدن من أعلى فنظرت من خلال نافذة مقعدى بالطائرة فلم أر الا الضباب كثيفا وكسفا فلم يظهر شىء من نيويورك .

ودخلنا مطار نيويورك تسبقنا شهرته فى التفتيش المفصل والطوابير ولكن الحقيقة أنى مررت منه فى دقائق لم تفتح لى حقيبة ولم أقف فى طابور .

أخذت من مطار نيويورك طائرة الى ولاية « أوهايو » مدينة « ديتون » مرورا بكيفلاند ولكن الطائرة تأخر موعد قيامها مرتين لأن مطار كليفلاند منعوا الدخول فيه لتراكم الجليد عليه ثم فتح المطار وبدأنا الرحلة .

اليوم ١٢ فبراير . الشمس ساطعة فى « ديتون » الى الحد الذى شد الملاحظة من المقيمين فيها أو الوافدين عليها تسبقهم أخبار الجليد فى شتاء أمريكا هذا العام .

أكثر من مرة تسافر معى شمس مصر الى مواطن الأمطار والعواصف والثلوج . ويذيع التليفزيون فى المساء أن ١٢ فبراير سنة ١٩٨٤ أدفأ يوم ، مر ، على ديتون منذ مائة عام اذ بلغت فيه درجة الحرارة معدلا لم تبلغه من قبل .

فى « ديتون » رأيت مبنى كتب عليه (كنيسة ومدرسة للموسيقى)
وفى أوربا قول : ان الله يسمع القداس اذا عزفت موسيقى باخ .

والموسيقى بما فيها من صفاء وتعبير وفن ، حضارة .

وهذا وجه حسن من وجوه الايجابيات فى الحضارة الغربية الحاضرة .

ولكن يجب أن نذكر أن أوربا نفسها تقول ان أجمل موسيقى كنسية في العالم انما هي موسيقى الكنيسة المصرية ... وهذه هي بعينها موسيقى المعبد المصرى وهى بأسمائها الهيروغليفية الى اليوم كاللحن السنجارى . واللحن الاتريبى .

لمحات سريعة :

* اشارات المرور في أمريكا تتعدد في الاشارة الواحدة .. وعلى ارتفاع بحيث تعطى الضوء الأخضر في اتجاه .. والضوء الأحمر في اتجاه آخر بحيث يعرف كل مساره دون تداخل أو التواء .

* في الشتاء . المواليد في أقسام الولادة يضعونهم في الحضانة نصف عرايا تقريبا وتنساب في الحضانة موسيقى هادئة ويضاء النور ليلا من نوع الأشعة البنفسجية ويوصى الأطباء الأمريكيون أن تحمل الأم الطفل . على صدرها بعد الرضاعة بحيث يسمع دقات قلبها .. ايمانا بالحنان الصادق في تنشئته ... أسوقها الى الزاهدات في الرضاعة أو الآخذات بالألبان الصناعية في غير ضرورة صحية .

* تحدثنى ابنتى أن كنائس أمريكا تذيع في الأحاد أن اسرائيل أصل الأشياء وأن اليهود أبرياء من القول بصلب المسيح !!!

* التليفزيون في أمريكا ٢٤ ساعة كأنه مسجل . ينقشع الضباب فيعلن عنه في الحال . في كل مدينة ٤ محطات أو أكثر .

رأيت مذيع الصباح يتناول فنجانا من القهوة أثناء النشرة في طبيعية وبساطة . لو حدث هذا عندنا لرفع النقد عقيرته .. ليتنا نترفق بالجديد .. حتى لا تتقولب الوجوه الجديدة ... ليتنا نتيح لها التعبير الجديد عن نفسها مجرد التعبير .

* برامج التليفزيون ذات الجوائز : تبلغ الجائزة . آلاف الدولارات !! كم هى متواضعة جوائزنا التليفزيونية .

* البحيرات في أمريكا كثيرة ما بين طبيعية وصناعية .

الماء والشمس :

وحين يتوفر الاثنان أو أحدهما يظهر البكينى والشورت حتى في حرم الجامعات !!!

* المحال التجارية الشاملة تشكل (ظاهرة) فى كل مدينة بل فى كل قرية . انه مجتمع تجارى .. مجتمع عنصرى فيه تفرقة غير معلنة ... ثراء عريض وفقر فاحش مجتمع قاس لا يرحم . الدولار الهه المعبود .

فى طريقنا الى متاحف واشنطن ، وهى متجاورة ، مررنا بنادى الجامعة وهو ست طوابق ولكن أين ؟ فى شارع كسائر المبانى فيه لايحجب نهرا . وتذكرت المبنى الذى ترفع جامعة القاهرة اقامته على النيل عند الشيراتون على مسمع من محافظة الجيزة التى يبدو أنها لم تفطن بعد الى سمك الأساسات الذى يزيد ارتفاعه على عشرين مترا . ومعنى هذا أن البناء ضعفه فى الارتفاع .

رأينا فى واشنطن ، **البيت الأبيض** . كنا مع الناس نسير الى جانبه ليس هنـاك حراس يقطعون الطريق ... لم يحجز نهر من أجله عن المواطنين لدواعى الأمن . قد تكون هناك فى مواضع خفية من الحديقة . أجهزة مراقبة أو تصنت ولكن هذا لا يعنى سائر المواطنين طالما لا يحجب عنهم أرضا أو نهرا أو فضاء .. ومن الطريف لافتة كبيرة الحجم فى مواجهة البيت الأبيض وضعها أحد المواطنين كتب عليها [الله هو الباقى] God is the Absolute

المتحف القومى للتاريخ الأمريكى :

وكما توقعت ليس فيه قديم له عبق التاريخ .

وأمريكا تعرف هذا جيدا حتى أنها تعلقت بمكتب بريد مضى عليه عشرات السنين ووضعته فى مدخل المتحف . وابتسم ابنى الذى كان يصحبنى فى رحلتى وقال ان فى مصر بريد أقدم منه لا تزال تعمل .

فى المتحف تجسيد لمخترعات العلم الحديث الذى أسهمت فيـه أمريكا . ففى ركن السيكلوترون Cyclotron احتفظوا بمسودات وكراسات العالمين « أرنست لورانس » وزميله « ستانلى ليفنجستون » .

وفى منطقة المتاحف مسلة حديثـة أو بناء بالطوب على هيئة مسلة لتخليد « جورج واشنطن » . وقد عرضوا تصميمات عديدة لنصب يخلده واستقر رأيهم على أن يكون النصب على هيئة المسـلة المصرية والمسـلة الأمريكية بصنوبرها ومبناها البسيط ككل تقليد تحية أهل النبوغ لأهل العبقرية .

رأيت متحف الكاميرون .. يضم قدورا وسلالا وأشغالا وتماثيل أفريقية ولكن طريقة العرض حديثة .

أجمل ما رأيت في واشنطن :

متحف التاريخ الطبيعي :

المعادن فى صورتها الأولى مع الشرح بخط تقرؤه العين المجردة ٠ بعض هذه المعادن تغيرت طبيعته من الضغط المكثف مع حركة ٠ الأرض ٠ هناك أحجار تعكس الضوء ٠

ومعادن فسفوريه Flourescence

ومع كل حجر اسمه ، والتركيب الكيمائى له ، وخواصه ، ومصدره ، واسم مهديه فى حالة الاهداء ٠

الملحيات ــ السليكا ــ الكوارتز ــ الاوبال ٠

وهناك قطعة ضخمة من الزمرد شطرته شطرين ثم أخذت منها شريحة وضعت فى فاترينة تحت الضوء فتألقت جنة الزمرد ٠

* زفير من سيلان ٠
* ماسة هى أكبر ماسة فى البرازيل زنتها ١٢٧ قيراطا لم تبتل بالسطو ٠
* عقد من الماس لم تمتد اليه يد آثمة ٠
* زمردة كانت أصلا من جواهر السلطان عبد الحميد ٠
* ماسة خام ٠
* اماتست ٠
* توباز من البرازيل
* اكوامارين ٠
* عين القط أو عيون القطط كلها على ما يبدو فقد رأيت ألوانا وأشكالا ٠
* أكبر ماسة زرقاء فى العالم زنتها ٤٥ر٥ خمسة وأربعون قيراطا ونصف قيراط ٠
* نجمة آسيا ٠
* حلى يدوية من هنود أمريكا ٠

* تركواز من تركيا ـ بورما ـ نيوزيلندا ٠
* فلسبار ٠
* زبرجد (أبيض) Jade
* مجموعة من لؤلؤ المياه العذبة من نهر المسيسبى ٠

واللؤلؤ عادة من البحار لا الأنهار ٠

وبهذه المناسبة سألت عن نهر المسيسبى مرات ٠ كنت فى الحقيقة أسأل عن النيل اذ يقارن المسيسبى به فى الطول ثم تتوقف المقارنة فى تواضع أمام سيد الأنهـــار حتى بعد أن وجدوا حفنة من اللآلىء فى المسيسبى ٠٠ حصرت فى فاترينة صغيرة **حين انتشرت لآلىء النيل عمارة وحضارة وفنونا وعلوما وعقيدة فى واديه ثم فى العالم أجمع ٠**

فى متحف التاريخ الطبيعى الأمريكى :

* توبازة وزنها ١١١ رطلا مائة وأحد عشر رطلا ٠
* أحجار كريمة من سيريلانكا ٠
* خاتم الامبراطور فرديناند مكسيملان من المكسيك ٠
* تاج نابليون الأول الذى أهدى الى مارى لويز ٠
* عقد مارى لويز الذى أهداه اليها نابليون يوم مولد ابنهما الذى أطلق عليه لقب « ملك روما » ٠
* حلق مارى انطوانيت ٠

وفى متحف التاريـخ الطبيعى الأمريـكى ، **زبرجد من مصر** ٠٠ مستخرج من جزيرة فى البحر الأحمر اسمها قديما « سان جون » ٠ وهذا النوع من الزبرجد لا يخرج الا من هذه الجزيرة ٠٠ ونادرا ما يوجد فى غيرها ٠

وفى متحف التاريخ الطبيعى :

* زبرجده زنتها ثلاثمائة قيراط وعشرة ٣١٠ قيراطا ٠
* أكبر كرة فى العالم من الكريستال النقى قطعت فى الصين

من حجر زنته ألف رطل وسويت فى اليابان ٠٠ وأخذت تسويتها ١٨ شهرا (ثمانية عشر شهرا) وتزن الآن ١٠٦¾ رطلا ٠

* الذهب والبلاتين فى الطبيعة ٠٠٠ اكسيدات ٠

فى متحف التاريخ الطبيعى **رحلة الانسان** من الكهف الى الصيد الى الزراعة الى القرية الى المدينة بل رحلة الأجنة فهناك أجنة محنطة عمرها : (٨) أسابيع ، (١٢) أسبوعا ، (١٤) أسبوعا ، (١٦) أسبوعا ، (١٨) أسبوعا ٠ هذه الرحلة التى بدأت مع تحرير (يد) الانسان يوم نصب قامته ومشى على قدميه وحدهما ٠ لقد صنعت اليد ، الكثير فهى ترى فى الظلام ما لا تراه العين وسيلتها التحسس والاستشعار وهى

تمسك وتشكل وتسوى ٠ وسر اليد فى التقاء الابهام بالأصابع الأخرى :

فأمريكا الجنوبية من بشر وغابات وحيوانات ٠

وأمريكا الشمالية كان روادها الأوائل مغولا من آسيا رسمت قوافلهم على الخريطة ٠

* فاترينة تضم كائنات نهر الأمازون ٠

* قطاع فى المتحف الودع ٠٠ والعاج وخاصة تشكيل سن الفيل ٠

* وفى المتحف طائر كيوى KIW **وهو الطائر الوحيد على الأرض بغير جناحين ٠**

* وركن للطيور المنقرضة والتى توجد الآن فى جزيرة جوانا س Lguans **وليس على هذه الجزيرة انسان ٠**

* وديك طويل الذيل حتى ليبلغ ذيله أربعة أمتار lyre Bird

* ركن لمملكة النحل ٠٠٠ الشغالة ٠٠٠ الذكر ٠٠٠ الملكة ٠ بيوت النحل ٠٠ منحل زجاجى ضخم تتصل به أنبوبة تفتح على خارج المتحف حيث يمكن للنحل أن يخرج منها يجمع رحيق الأزهار من الحدائق الشاسعة الممتدة فى منطقة المتاحف ٠

وفى المتحف حبوب وأيضا سوس الحبوب والى جانبه عدسات مكبره لتراه العين ٠

وفى المتحف هياكل عظيمة للحيوانات بدءا من الديناصور وحيوانات محنطة يتوسطها الدور الأول فيل محنط .

ويسجل المتحف أيضا **رحلة الحيوان** وكيف طورت الحيوانات نفسها فى معركة الحياة . فبعض الحيوانات حولت شعرها الى أشواك .

أما الأرنب فقد استطالت أذنه ليسمع ويستشعر الخطر .. وكأنها آذان استشعار .

وفى المتحف لمحات من الحضارات المختلفة

فمن مصر أوانى ناضرة التشكيل وأدوات حجرية تاريخها ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد .. ومومياء وتوابيت وسطور عن عقيدة مصر فى الحياة الأخرى ونموذج للكتابة المصرية .

ومن ايران ، قرية على كوش .

ومن بابل صورة من قانون حمورابى .

وبطاقة تقول ان الحضارة الاسلامية حلقة الوصل بين العلم القديم والعصر الحاضر والى جانبها سجادة جميلة ...

ولكن الحضارة الاسلامية أكبر كثيرا من هذه الاشارة . ومثل المتحف **خط التطور** بمجموعات مطروحة على جدران :

جدار الوجوه ــ جدار الشعر ــ جدار العيون .

وشرح **الانتخاب الطبيعى** من خلال الزهور .

وشرح **التكاثر** .

ومن الطريف فيه مطبخ أرضا وجدرانا وأثاثا بالصراصير الصغيرة لو أنها تركت للتكاثر ثلاث أجيال صراصيرية .

على أن المتحف مثل التكاثر على لوحة كهربائية تضغط على زرار الانسان فتتصاعد الأرقام رأسية تمثل البداية ٣ حتى تصل فى الجيل الثامن الى ٤١١٤ !!

هذا كله لم يكن ليتجلى ويتألق لولا فن العرض المدروس علميا ونفسيا ...

لقد ألحق بقاعات العرض شاشات وأفلام تحكى باللون والحركة والصوت محتويات القاعة زمانا ومكانا .

وألحق بالقاعات سماعات يتناول المشاهد سماعه فيأتيه صوت هادىء واضح النبرات يقص عليه تاريخ وأسرار ما يشاهده ، أمامه من نفائس المتحف ٠

وبالقاعات خرائط للأماكن والمصادر ٠

وفى بعض القاعات التعليمية المحتوى ، موظف من المتحف يجذب الأطفال ويشرح لهم فى أسلوب شائق ، ويستمع الى أسئلتهم ويجيب عليها ٠٠٠ يحمل جراده مثلا أو طائرا كثير الألوان ويدعوهم الى لمسه وتحسسه فتندفع الأسئلة الطفله وهنا يأخذ الرجل فى الجواب قصصا وحكايات ٠

طريقة العرض الجذابة صامته وناطقه تعين على الفهم والنفاذ والاستيعاب ٠

رأى ابنى ، أطفالا يفتحون كراساتهم ويرسمون ما يرون لهم مما يرون حولهم فقال :

ــ هذا المتاح لهم كله وفى سهولة ويسر ان لم يخرجوا الى الحياة عباقرة فهم أغبياء ٠

وفى مدخل المتحف كتبت لافتة تقول : One With The Earth

أى (الانسان هو الانسان) ٠

وفى قاعة الحضارات تسمع الفيلم المعروض يقول فى النهاية :
(الحضارة لا تموت ولكنها تهاجر وتنتقل من مكان الى مكان) ٠

وهنا تركز الكاميرا على أبنية فى أمريكا متأثرة بطرز العمارة فى العالم القديم كمثال ٠

فهل يريدون أن يقولوا من طرف خفى ان الحضارة الآن تحل فى أمريكا بعد المطاف ؟

فاتهم البون الشاسع بين الابتكار غير المسبوق ، والابداع على غير مثال ٠٠٠ وبين النقل والمحاكاه ٠

المتحف القومي للفنون The National Gallery of Arts

امتدادا لفن العرض رقمت قاعات المتحف ٠

وكل قاعة تحمل اسما نقش على لافتة نحاسية بها سهم يشير الى الاتجاه الذى يسلكه المشاهد تنظيما للدخول والخروج فاذا كان السهم مثلا يشير الى ناحية الخروج فمعنى هذا أن الدخول اليها من باب آخر ·

وهذا فى صالح المشاهد أيضا لتنظيم الرؤية وتمامها فلا يفوته شىء

وفى كل قاعة صندوق به ورقة كبيرة مطبوعة تشرح محتويات القاعة تأخذها أولا ثم نبدأ من اليمين مستعينا بما فى الورقة من شرح · والورقة مثقوبة من الجانب فى دعوة الى الاحتفاظ بها داخل ملف خاص · وفى كل قاعة أريكتان للتملى ··· بدليل وضعهما أمام أهم محتويات القاعة · وكل صورة تحتها بطاقة نحاسية عليها اسمها وموضوعها وتاريخها · والمدرسة الفنية التى تنتمى اليها ثم اسم الفنان فى حروف أكبر ··· انه الأهم ··· انه صاحب العطاء ·

طالت وقفتى فى هذا المتحف أمام بضعة لوحات بالذات على نفاسة ما فيه :

١ ـ لوحة اسمها « نفائسى » My Genus

١٨٩٢ للفنان ويليام · م · هارنت William M. Harnett

ونفائسه كما تعكسها اللوحة : كتب وريشه ونوته موسيقية ·

٢ ـ لوحة للخريف فيها احساس الريح وحزن ورقة الصفصاف حين تسقط من شجرتها ·

٣ ـ لوحة ليوناردو دافنشى وقد عرضوها بحيث ترى من الواجهة ومن الخلف · ومعها جهاز لقياس الضغط الجوى وقياس حرارة المكان · الى هذا الحد من المحافظة الحريصة ·

وتذكرت لوحات معبد دندرة التى انتزعت من المعبد لم تحرك ساكنا ·

مسجد واشنطن :

المسجد الاسلامى فى واشنطن قطعة من الفن الجميل ·· لا يروع بالضخامة والكنه يأسر بأنس العمارة ودقة التكوين ، ورقة النقوش

وأشعاعات الضوء الملون عبر توافذ السيراميك فى النهار ، والثريات الاسلامية بالليل ٠

وأجمل ما فى هذا المسجد ، التقاء العالم الاسلامى فيه بلادا وشعوبا

قامت مصر بالتصميم الهندسى والبناء ثم ابدعت النقشن بسابقتها فى المبنية والزخرفة والتلوين ٠

وارسلت الامام فهى فى هذا المسجد : **امامه وعلامه** ا،

أما تركيا فقد كست غير قليل من الجدران بالقيشانى وكست أيران الأرض بالسجاد الفاخر ٠

وبذلت سائر البلاد الاسلامية ، **المال** ، معينا لا ينضب

* * *

واشنطن : الليل والمجهول :

غادرنا واشـــنطن السابعة مساء فى أتوبيس فى طريقنـــا الى بلاتسبرج ٠

سرنا والليل والمجهول ٠

وبعد نحو ثلاث ساعات ، انضم اليهما ، الثلج ٠٠٠ تمطره السماء نجاجا ٠٠٠

وانتشرت على الطريق ، السيارات كاسحات الثلوج ، ولكنها متوقفة حتى يتوقف ٠

وخاف خوفى أكثر ٠٠٠ وبدأت أقرأ عن ظهر قلب آيات وآيات تأمننى الله من خوف ومن ليل ٠

وفى اليـوم التـالى ظهرت الشمس ٠ والشمس حين تسـطع على البساط الثلجى ، منظر جديد للعين المصرية ٠٠٠ وأحسبه كذلك لكل بلاد الشمس المشرقة ٠

ووصل الاتوبيس بلاتسبرج لأجد سيارة أخى فى انتظارى ولم أصدق نفسى الا فى بيته وهو بيتى ٠٠ وكأن بيتى المصرى انتقل من القاهرة فى هذه اللحظة لبحل هذه البقعة الى ملمح مصرى لولا الثلوج التى أراها من النافذة فأتذكر أن البون شاسع والفرق بعيد فمصر أم الشمس والنيل والدفء فى السماء ٠ وعلى الأرض وبين حنايا القلب ٠

وأخذت مكانى فى طائرة العودة فما ان استقر بى الكرسى حتى كان أول شيء فعلته هو ضبط ساعتى حسب توقيت القاهرة حتى تقول بسرعة حين أتطلع اليها فى حساب الوقت الباقى على الوصول ... لا أطيق الجمع والطرح الآن فى عملية فروق التوقيت .

ويطول الانتظار فأستعين عليه بالقراءة تارة وبسنة من النوم طورا .. ان أطول ساعة فى نهار الصائم هى التى قبل المغرب .

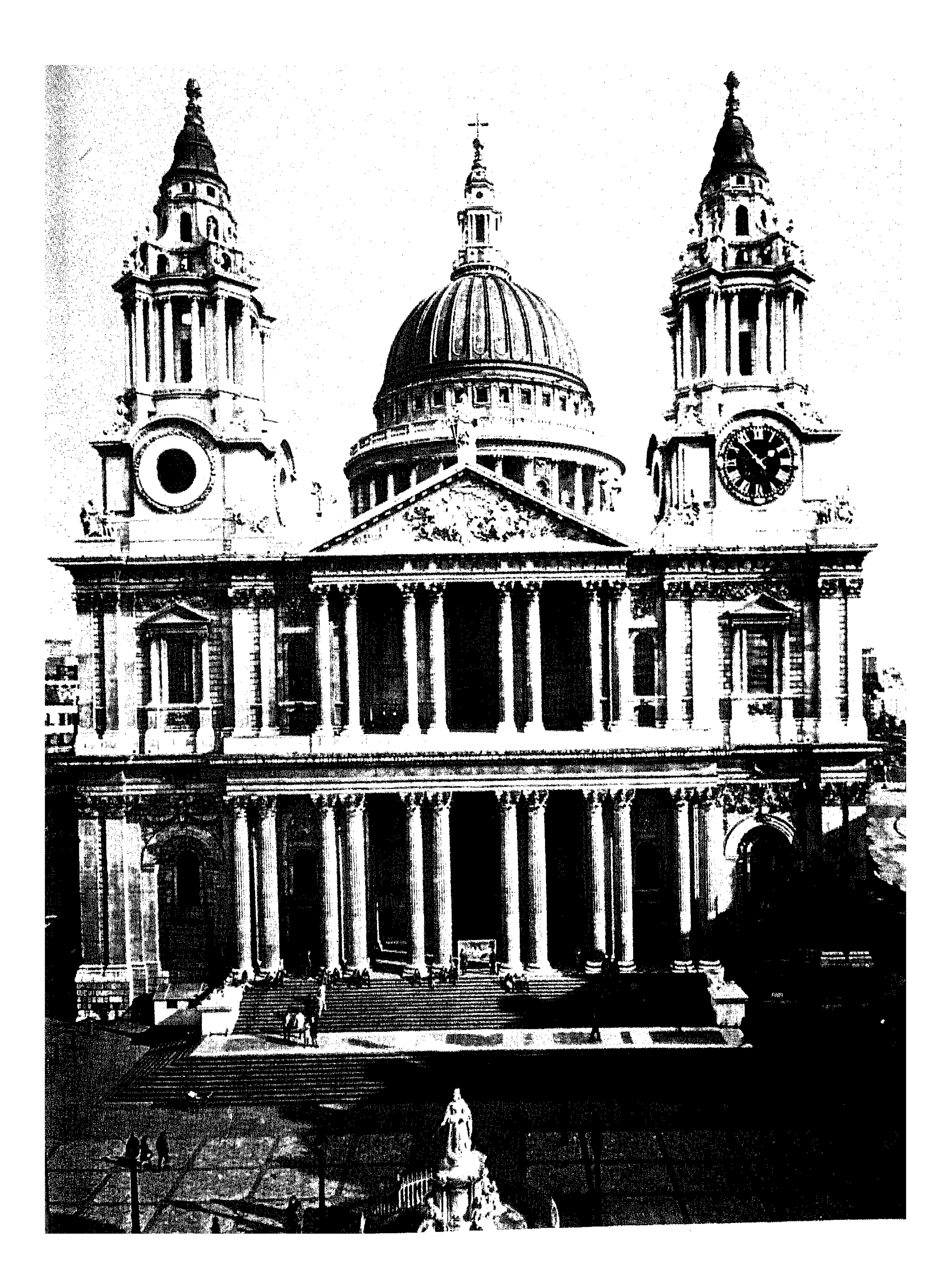
ويعلن الطيار مقدم الربيع .... كان يوم وصولى ١١ مارس ولكنها ربيع دائم لا عمل للشهور فيه .

ولكن يبدو أن الطبيعة أرادت أن تعابثنى فهبت عاصفة على مطار القاهرة أعلن عنها الطيار نفسه ساعة الوصول .

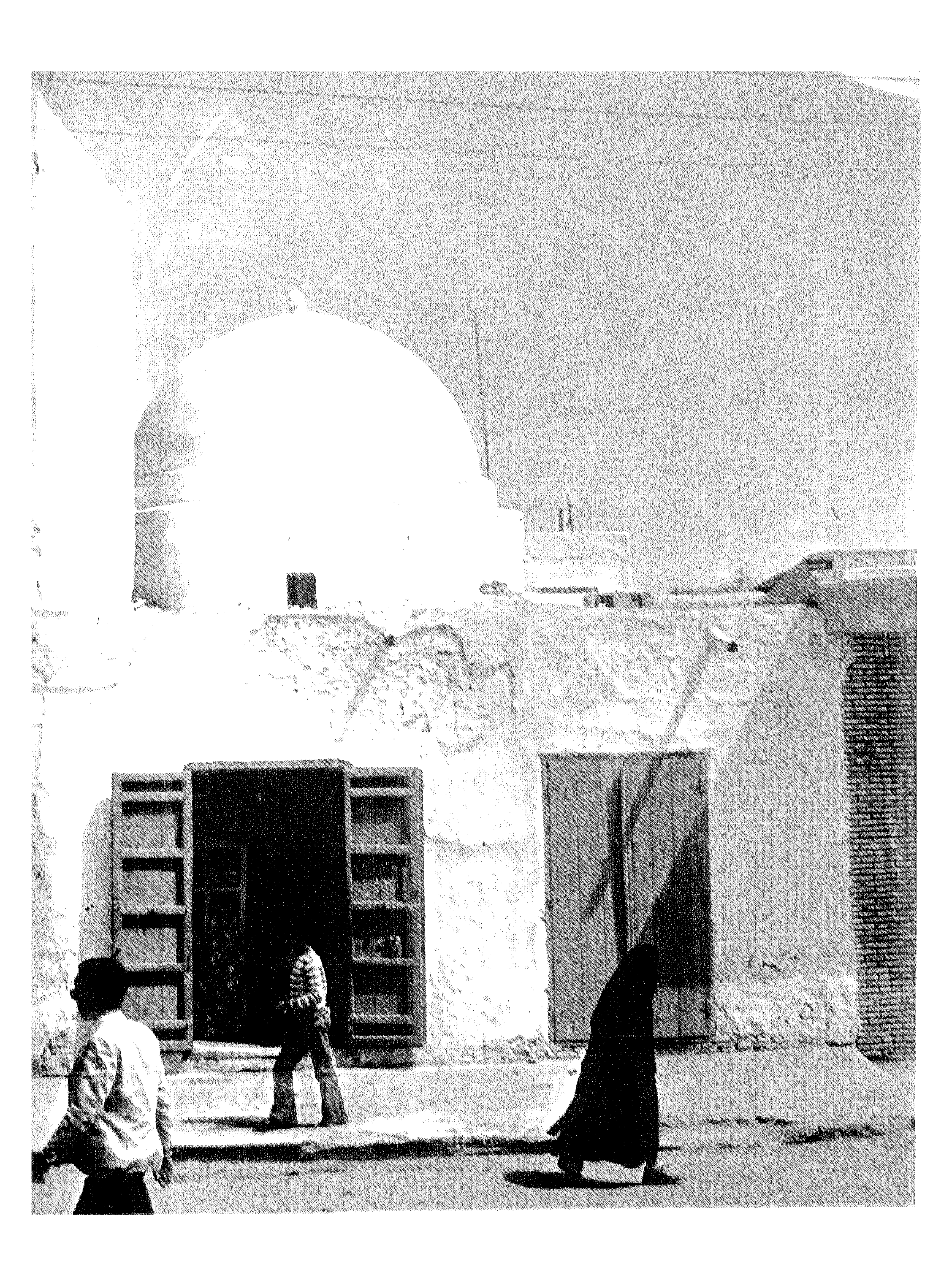
ونزل الركاب وهم يهرعون الى سيارة المطار هربا من الريح ولكنى بعد آخر درجة فى سلم الطائرة سجدت على الأرض أقبل ترابها بمجامع نفسى .... والتفت ابنى فام يجدنى بجانبه ووجدنى فى سجدة طويلة على أرض المطار أو أرضها حبيبتى القاهرة فانزعج اذ حسبنى وقعت واذ نادانى أمى قلت له دعنى مع أمك الكبرى وأمى ... انها القاهرة وانها مصر .



الصــور



ـ قبة سانت پول



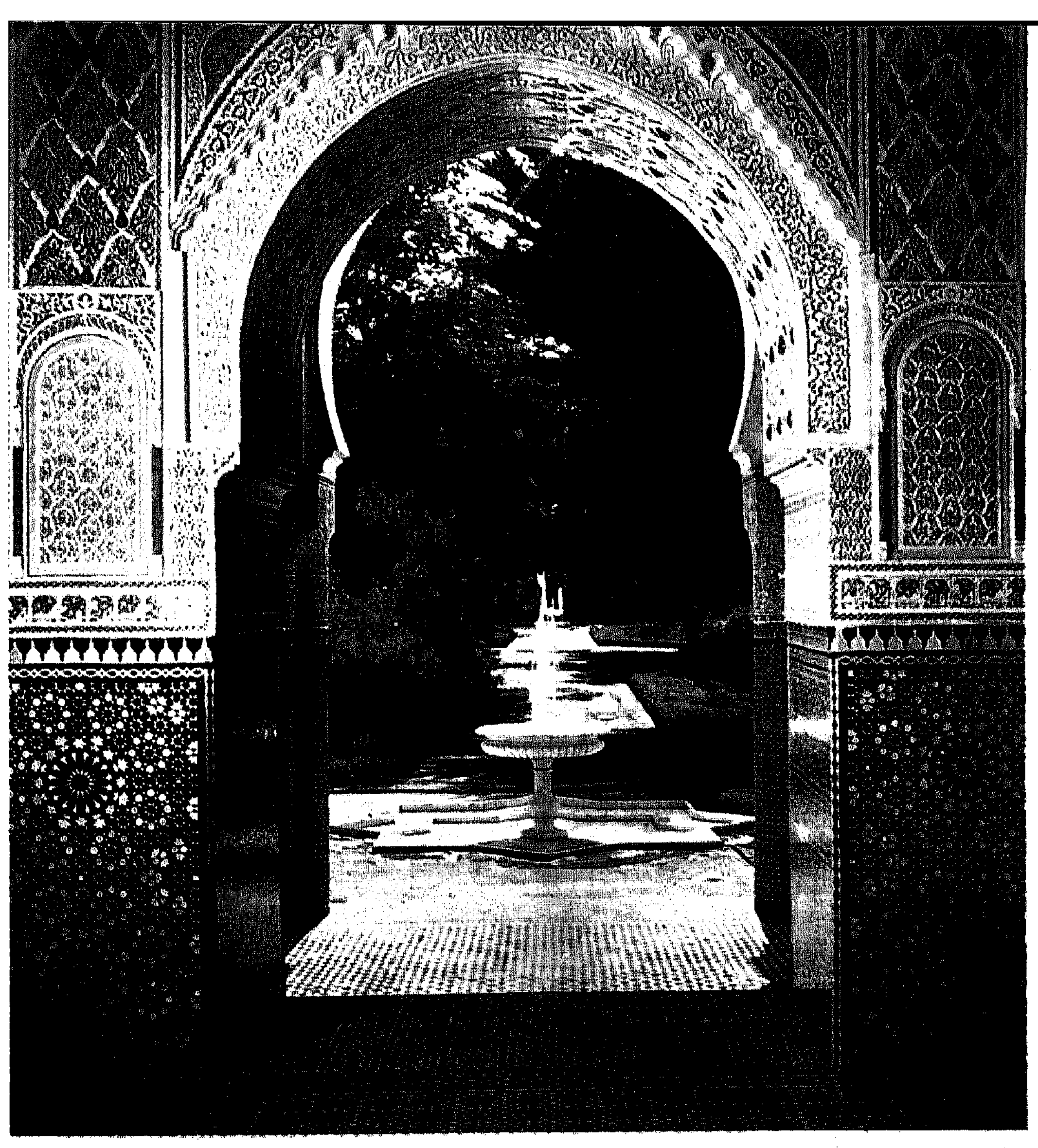
ـ جانب من عمارة تقليدية فى تونس



ـ معابد أبو سمبل (أسوان)

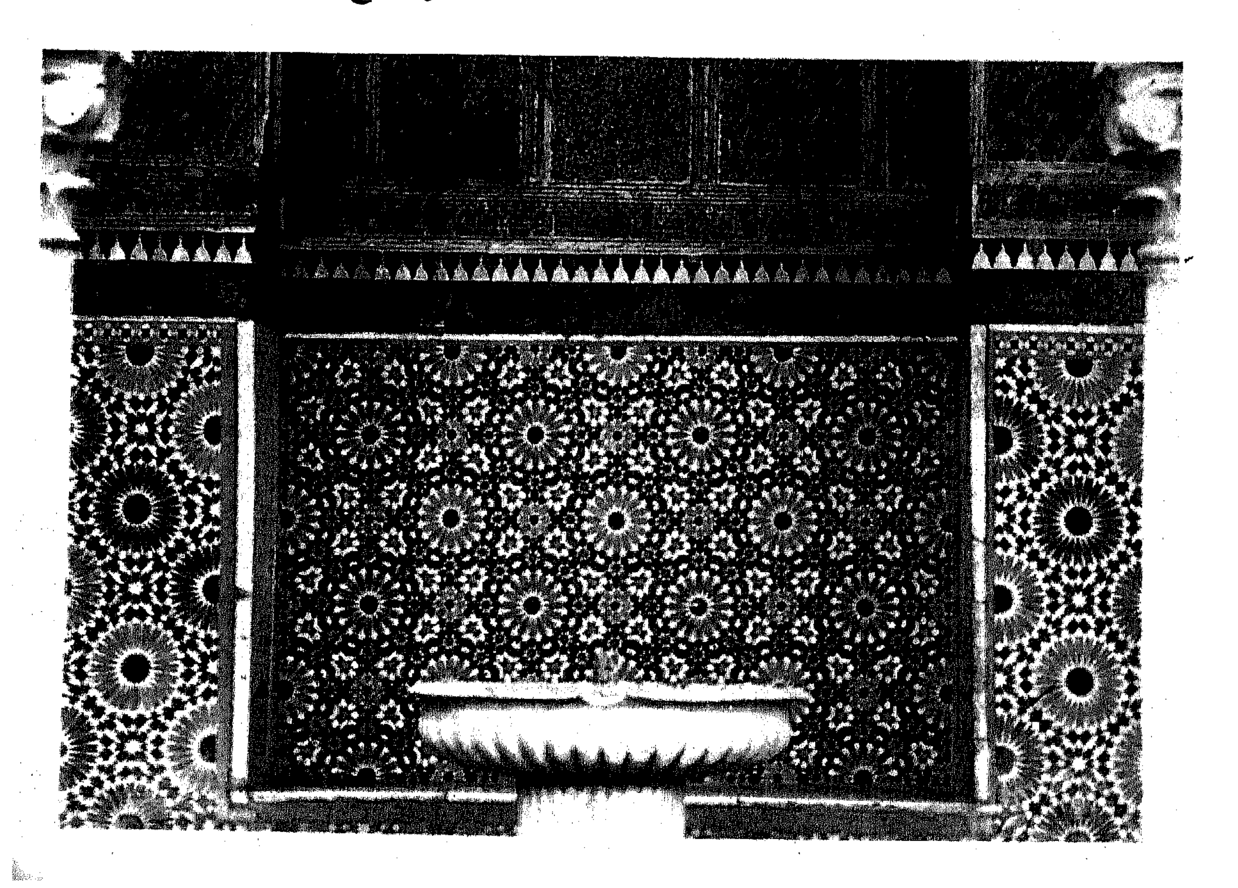


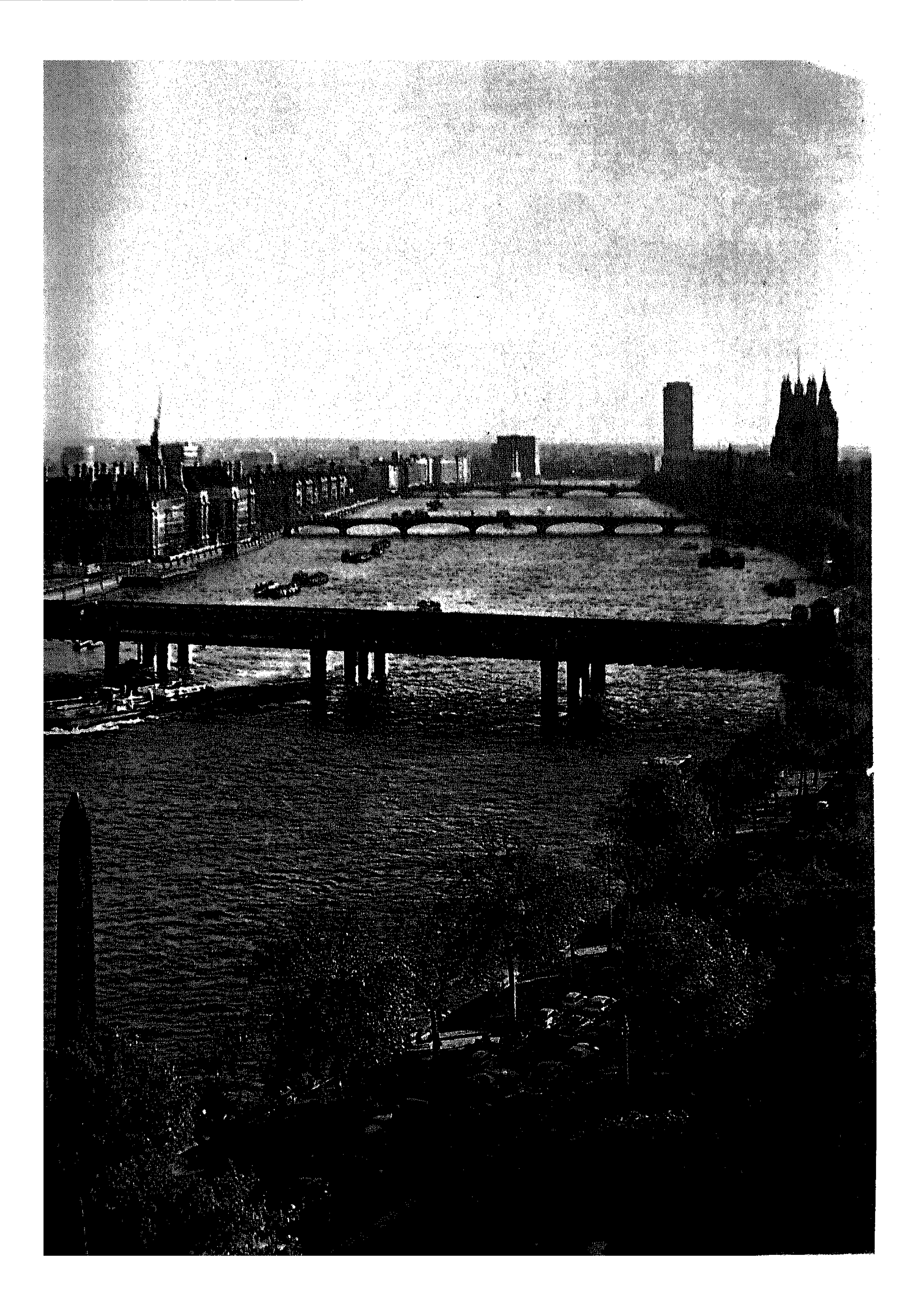
ـ شرفات ونوافذ نـاتئة تشيـد غالبـا من خشب الساج أو الأخشاب المتينة الأخرى . (جدة)



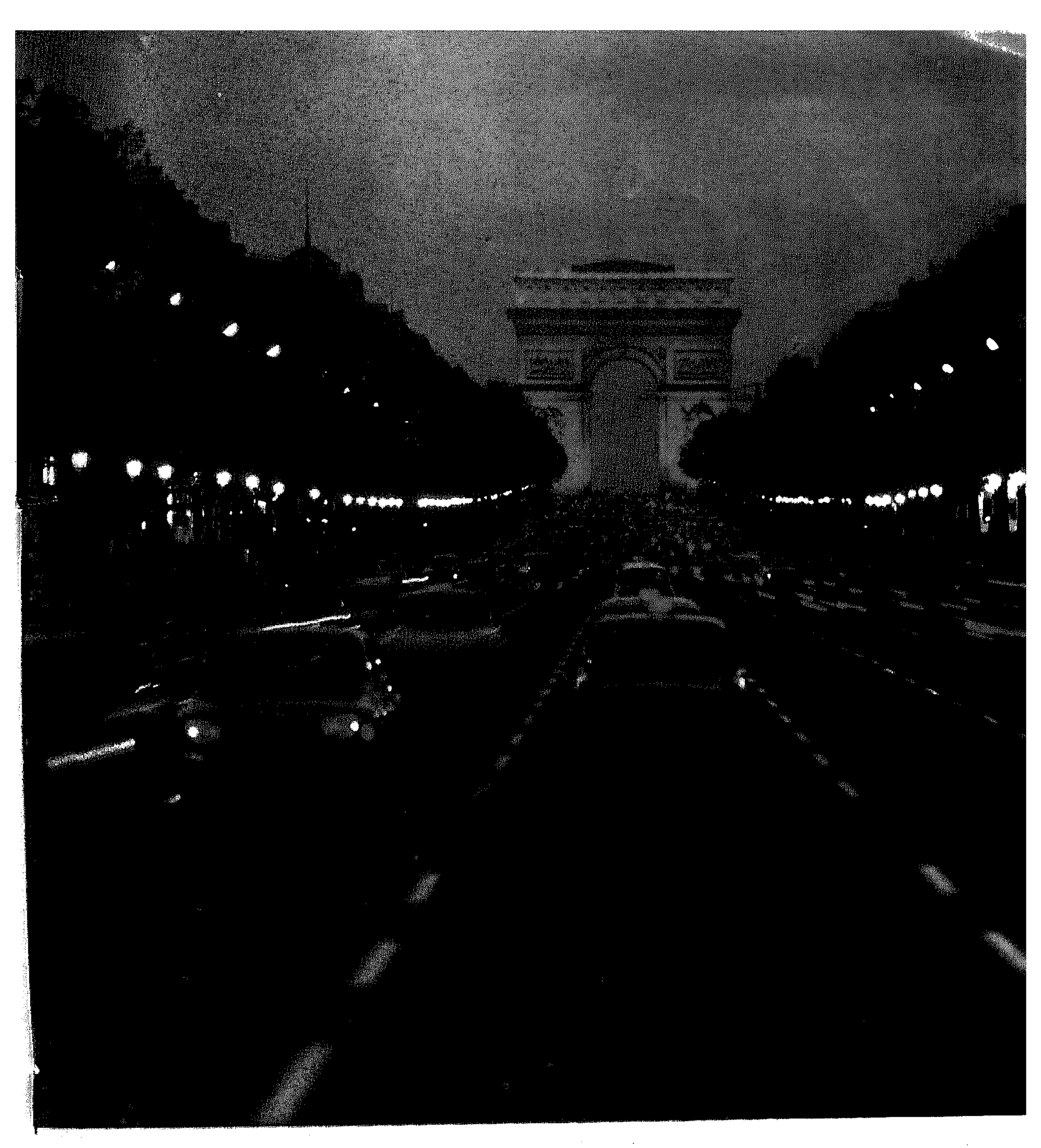
ـ باحة ، فاس (المغرب)

ـ تفاصيل للزليج المغربي (فاس)

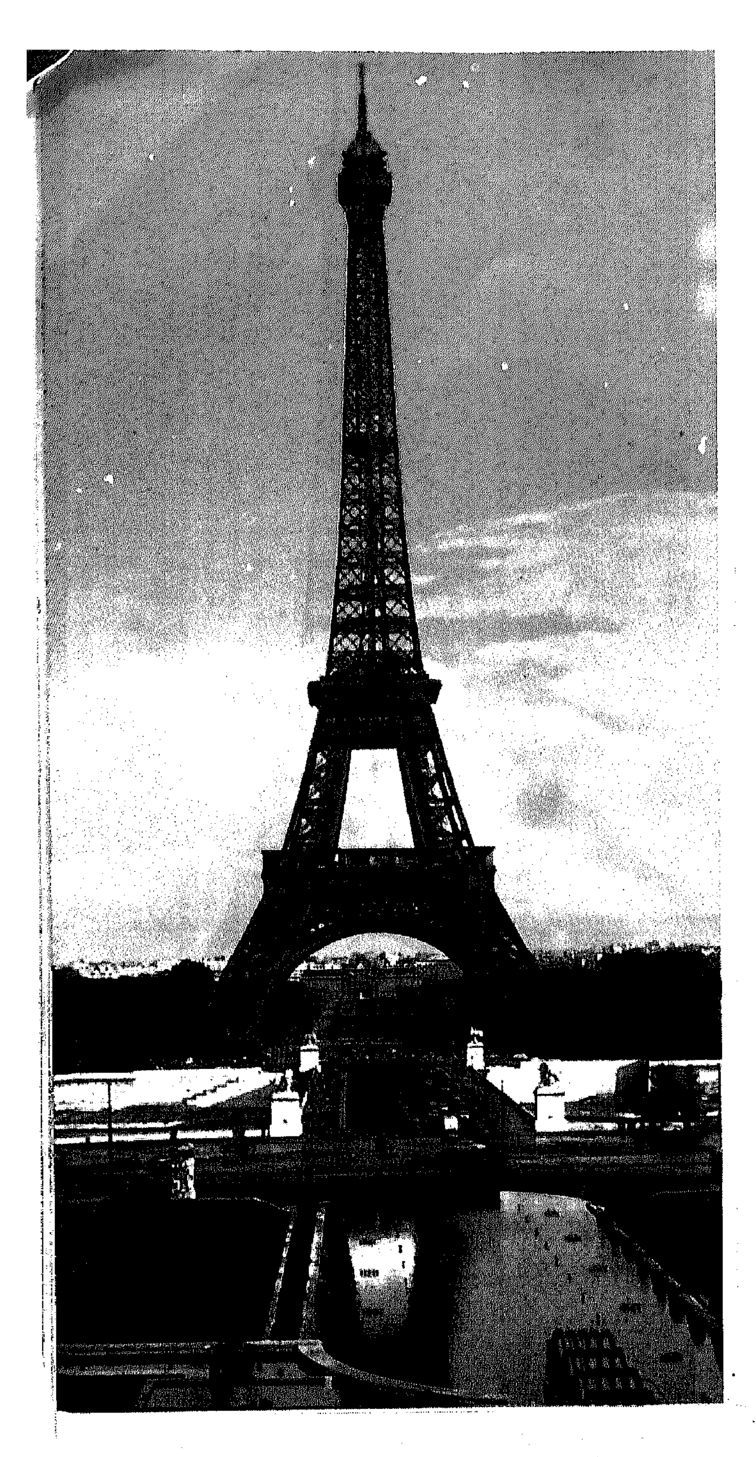




ـ نهر التيمس (لندن)



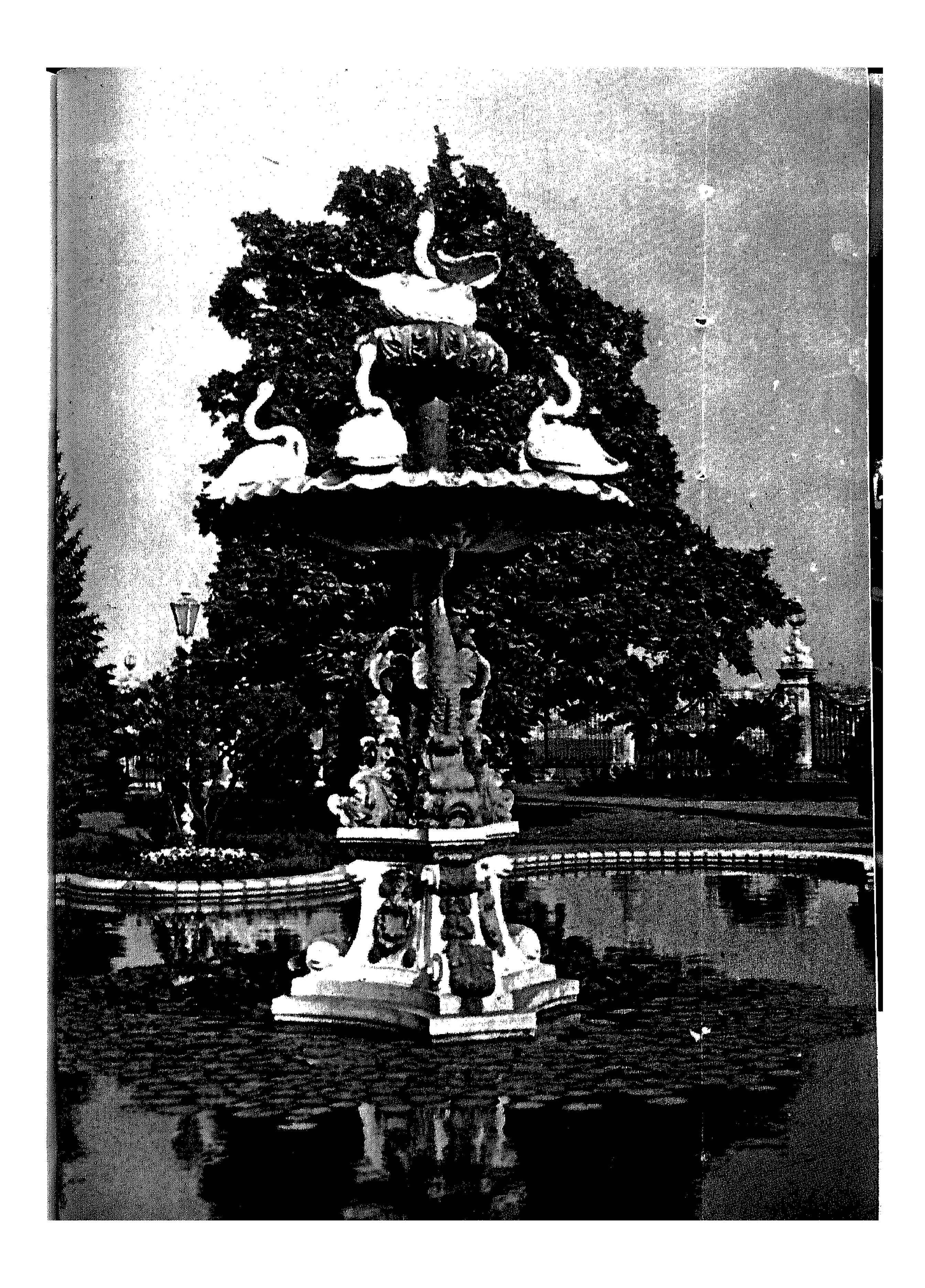
– قوس النصر (باريس)



– برج إيفل (باريس)



— فتاة من كوكى ، قرية صغيرة بالقرب من الشلال الثانى ،
شمال النوبة



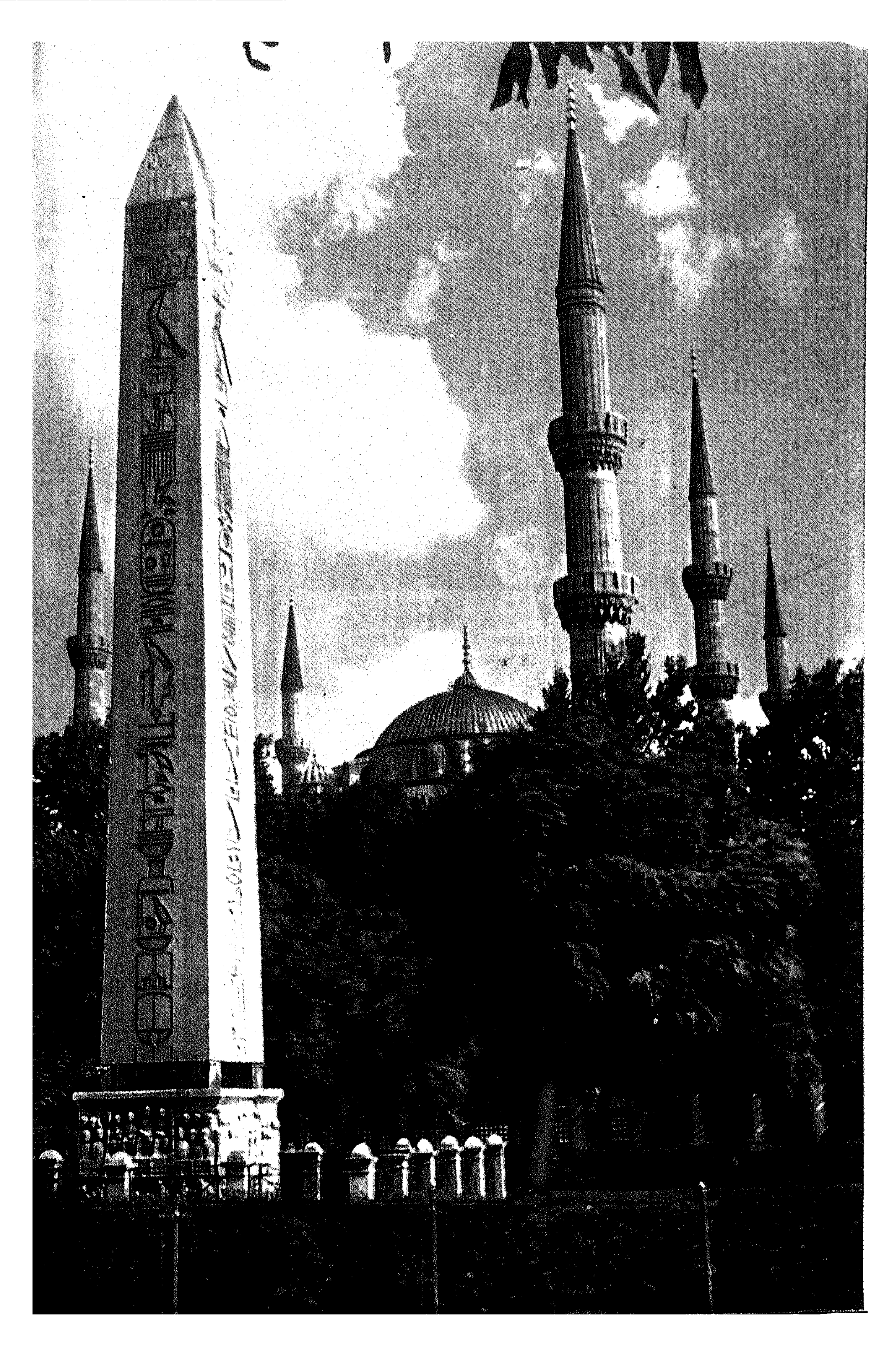
Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ نافورة فى قصر دولما باختشى ، استانبول (تركيا)

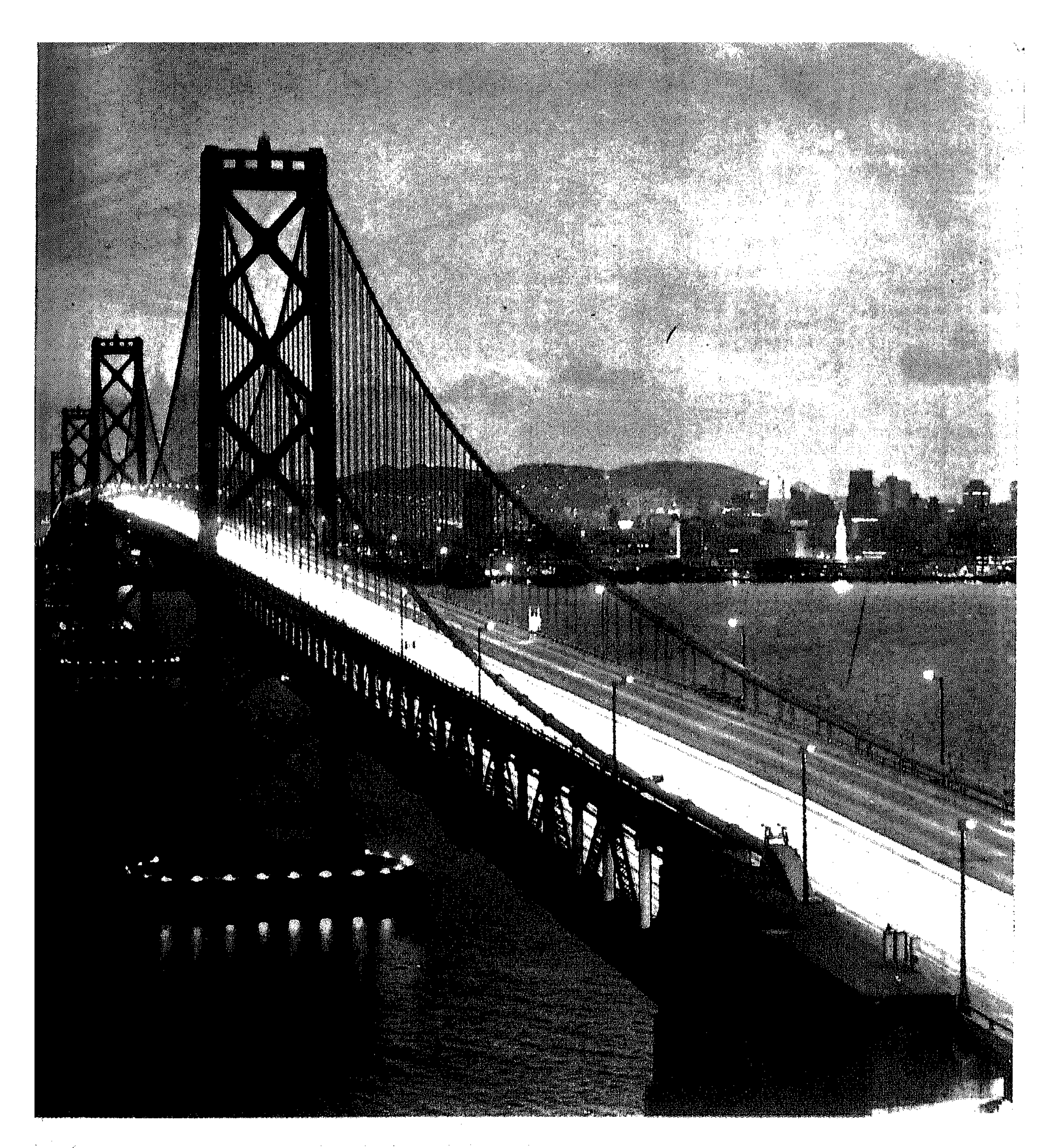


ـ جامع السليمانية (استانبول)

ـ قصر دولما باختشى (استانبول)



ـ جامع أياصوفيا فى استانبول ، وقد ظهرت المسلة المصرية فى الميدان أمامه ، وكان السلطان سليم قد حملها معه من مصر .



– كوبرى الباب الذهبى (سان فرانسيسكو) ، الولايات المتحدة الأمريكية .

فهـــرس





هذه الرحلة تطوف الشرق والغرب تجوب أوربا وأمريكا وتذرع مصر من الشمال إلى الجنوب بقلب مشوق ، وعين وضاءة الرؤية تصل الماضى بالحاضر وتنفذ إلى المستقبل بعقل مفتوح وأمل طموح .

والكاتبة فى هذه الرحلة تحلق فى الآفاق ، وتغوص فى الأعماق فى عملية استشفاف ومقارنة بين الحضارات والشعوب والبلاد تجمع بين :

- العلم والأدب
- الموضوعية وجمال الأسلوب
- الكشف والوصف
- المعاصرة والتراث

وهى عند المعالم الرئيسيه والبلاد تقدم بين يديها ، صفحة مركزة جامعة فيها المعلومات والأرقام محققة وموثقة فى منهج علمى يزيده نصوعاً وسطوعاً ، حلى الأدب وروح الأديب .

الثمن ٦٠٠ قرش

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب